شرح نهج البلاغة

علي محمد علي الدخيل

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة 14 13

(133) و من كلام له عليه السلام في معنى طلحة و الزبير

و اللّه ما أنكروا عليّ منكرا ، و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا [1] و إنّهم ليطلبون حقّا تركوه ، و دما هم سفكوه [2] ، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم

[1] و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا : لم يلتزموا جانب الانصاف و العدل فيما بيني و بينهم .

[2] سفك الدم : صبّه . و المراد بذلك دم عثمان ، و الذين سفكوه : طلحة و الزبير و عائشة ، فهم بإجماع المؤرّخين كانوا أعظم المحرّضين على قتل عثمان ، و ساءهم أن يبايع المسلمون بعده عليا فثاروا للطلب بدمه ، و أعجب من هذا متابعة من تابعهم و هم يعلمون أنّهم قتلته .

[4]

نصيبهم منه ، و إن كانوا ولّوه دوني فما الطّلبة إلاّ قبلهم [1] و إنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم [2] ،

و إنّ معي لبصيرتي : ما لبّست و لا لبّس عليّ [3] ،

و إنّها للفئة الباغية فيها الحما و الحمة و الشّبهة المغدفة [4] و إنّ الأمر لواضح و قد زاح الباطل عن

[1] ولوه . . . : باشروه (فعلوه) فما الطلبة : من الأخذ بثأره .

قبلهم : عندهم .

[2] و ان أول عدلهم للحكم على أنفسهم : ان الواجب عليهم أن يقيموا حكم اللّه تعالى في القصاص على أنفسهم ، لأنّهم القتلة .

[3] ان معي لبصيرتي . . . : عقلي . ما لبست عليكم الأمر :

ما خلطته عليكم حتى لا تعرفوا حقيقته . و لا لبس عليّ : و لا خدعني أحد ، و انّما أسير على النهج الواضح .

[4] و انها للفئة الباغية . . . : المعتدية . فيها الحما و الحمة . قال الشيخ محمد عبده : الحما هنا مطلق القريب و النسيب ، و هو كناية عن الزبير ، فانه من قرابة النبيّ (صلّى اللّه عليه و سلّم) ،

ابن عمّته . قالوا : و كان النبيّ أخبر عليا أنه ستبغي عليه فئة فيها بعض احمائه و إحدى زوجاته . و الحمة بضم ففتح كناية عنها ، و أصلها الحيّة أو ابرة اللاسعة من الهوام . و الشبهة المغدفة : الخفيّة .

[5]

نصابه و انقطع لسانه عن شغبه [1] و ايم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه : لا يصدرون عنه بريّ ، و لا يعبّون بعده في حسي [2] .

منها : فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها [3] تقولون : البيعة البيعة قبضت يدي

[1] زاح . . . : ذهب . و نصابه : أصله و مغرسه . و الشغب : تهيّج الشر و المراد : ذهب و اضمحلّ ، و انحسمت مادته ، و كفي شرّه .

[2] لافرطن . . . : لأملأنّ . و ماتحه : نازح مائه لاسقيهم . لا يصدرون بري : لا يرجعون منه بشرب و شبع . و العب :

الشرب المتتابع . و الحسي : الماء الذي يشربه الرمل ، فينتهي الى أرض صلبة تحفظه ، ثم يحفر عنه فيستخرج . و المراد من الكلام تهديدهم بما ينتظرهم من القتل .

[3] العوذ . . . : جمع عوذة : الناقة المسنّة . و المطافيل جمع مطفل : صغار الإبل . و المعنى : أقبلتم على بيعتي برغبة و شوق يشبه اقبال مسنات الابل على صغارها .

[6]

فبسطتموها ، و نازعتكم يدي فجدبتموها ، اللّهمّ إنّهما قطعاني و ظلماني ، و نكثا بيعتي ، و ألّبا النّاس عليّ [1] فاحلل ما عقدا ، و لا تحكم لهما ما أبرما ، و أرهما المساءة [2] فيما أمّلا و عملا ، و لقد استثبتهما قبل القتال ، و استأنيت بهما أمام الوقاع [3] ، فغمط النّعمة ، و ردّ العافية [4] .

[1] نكثا بيعتي . . . : نقاها و ما وفيا بها . و الّبا : حرّضا .

[2] فاحلل ما عقدا ، و لا تحكم لهما ما أبرما . . . : العقد و الابرام كناية عن أحكام الأمر . و المراد : الدعاء عليهما بعدم انتظام أمرهما . و المساءة : نقض المسرّة .

[3] استثبتهما . . . : طلبت منهما الرجوع . و استأنيت : انتظرت و لم أستعجل . و الوقاع : الحرب .

[4] فغمطا . . . : جحدا . و ردّ العافية : السلامة ، و النعمة المشار إليها سلامة الدين .

[7]

(134) و من خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم

يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى ، و يعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرّأي [1] .

[1] يعطف الهوى على الهدى . . . : يحمل الناس على ترك طريق الهوى ، و السير في طريق العدل . اذا عطفوا الهدى على الهوى : اذا تركوا طريق الهدى و اتبعوا أهواءهم و رغباتهم . و يعطف الرأي على القرآن : يحمل أهل الآراء الفاسدة و البدع على اتباع القرآن الكريم ، و الرجوع الى أحكامه . اذا عطفوا القرآن على الرأي : اذا فسّروا القرآن طبقا لآرائهم و مذاهبهم . و اجماع الشرّاح على ان المقصود بهذا الوصف هو الامام المهدي (عليه السلام) ، و الذي بشّر به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، و انّه يملأ الأرض قسطا و عدلا ، كما ملئت ظلما و جورا .

[8]

منها : حتّى تقوم الحرب بكم على ساق [1] باديا نواجذها ، مملوءة أخلافها ، حلوا رضاعها ،

علقما عاقبتها [2] . ألا و في غد و سيأتي غد بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوىء أعمالها [3] ، و تخرج له الأرض من أفاليذ كبدها ، و تلقي إليه سلما مقاليدها [4] ، فيريكم

[1] على ساق : اشتدّت و عظمت .

[2] النواجذ . . . : الأسنان . و اخلاف الناقة : حلمات ضرعها .

و العلقم : نبت مرّ . و العاقبة : ما يؤول إليه الأمر . و المراد :

وصف حرب شديدة تؤول نتيجتها للهلاك و الدما .

[3] مساوىء أعمالها : يأخذ الامام المهدي (عليه السلام) عمّال السوء ، و أعوان الظلمة و يحاسبهم على أعمالهم .

[4] الفلذة . . . : القطعة من الذهب و الفضة . و مقاليد جمع مقلاد : مفتاح . و المراد : استسلام أهل الأرض له ،

و انقيادهم لطاعته .

[9]

كيف عدل السّيرة ، و يحيي ميّت الكتاب و السّنّة [1] .

منها : كأنّي به قد نعق بالشّام ، و فحص برایاته في ضواحي كوفان [2] ، فعطف إليها عطف الضّروس [3] و فرش الأرض بالرّؤوس ، قد فغرت

[1] فيريكم كيف عدل السيرة . . . : تشاهدون سيرته العادلة .

و يحيي ميّت الكتاب و السنّة : ان الأدوار التي مرّت على الأمّة ، و الحكّام الجائرين الذين حكموها ، قد أماتوا تعاليم القرآن الكريم ، و سنّة الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) ،

فيرجع الإمام المهدي (عليه السلام) الناس إليهما .

[2] نعق . . . : الراعي : صاح بغنمه و زجرها . و فحص :

أسرع . و كوفان : مدينة الكوفة على الفرات ، بينها و بين بغداد 150 كيلو متر . و المراد به السفياني الذي يخرج في الشام ، ثم يسير الى العراق ، و منه الى الحجاز ، و هو الذي يخسف بجيشه ما بين مكّة و المدينة .

[3] فعطف . . . : رجع عليه بما يكره . و الضروس : الناقة السيّئة الخلق . و المراد : بيان شدّته كالناقة التي تعضّ حالبها .

[10]

فاغرته ، و ثقلت في الأرض وطأته [1] ، بعيد الجولة ، عظيم الصّولة [2] . و اللّه ليشرّدنّكم في أطراف الأرض [3] حتّى لا يبقى منكم إلاّ قليل كالكحل في العين ، فلا تزالون كذلك حتّى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها [4] فالزموا السّنن القائمة ، و الآثار البيّنة ، و العهد القريب الّذي عليه باقي النّبوّة [5] ، و اعلموا أنّ الشّيطان إنّما يسنّي [6]

[1] فغر . . . : انفتح . و فاغرته : فتحته (يوصف بها الأسد عند صولته) و المراد : بيان شدّة العدو . وطأته : أخذه الناس بشدّة .

[2] بعيد الجولة . . . : المراد : بيان سعة ملكه . و الصولة : الشدّة في الحرب .

[3] ليشرّدنّكم في أطراف الأرض : تتفرّقون في نواحي الأرض هربا منه .

[4] تؤوب . . . : ترجع . عوازب أحلامها : ما ذهب من عقولها .

[5] فالزموا السنن القائمة . . . : العمل المحمود في الدين .

و الآثار البيّنة : الواضحة الرشد . و العهد : ما أمركم و كلفكم به ربّكم . و الذي عليه باقي النبوة : بقايا تعاليم الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) .

[6] يسني : يسهّل . و المراد : انه يجذبكم اليه بما يسهل عليكم فعله .

[11]

لكم طرقه لتتّبعوا عقبه .

(135) و من كلام له عليه السلام في وقت الشورى [1]

لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ ، و صلة رحم ، و عائدة كرم [2] ، فاسمعوا قولي ، و عوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا

[1] وقت الشورى : عند اجتماع الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب لينتخبوا واحدا منهم للخلافة .

[2] العائدة : المعروف و الصلة . و المعنى : أنا أول المسرعين إلى إجابة دعوة الحقّ ، و صلة الرحم ، و عائدة الكرم .

[12]

اليوم تنتضى فيه السّيوف ، و تخان فيه العهود ،

حتّى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضّلالة ، و شيعة لأهل الجهالة .

(136) و من كلام له عليه السلام في النّهي عن غيبة الناس

و إنّما ينبغي لأهل العصمة ، و المصنوع إليهم في السّلامة [2] أن يرحموا أهل الذّنوب

[1] تنتضى . . . : تسل . و تخان فيه العهود : تنكث المواثيق و لا يلتزم بالوفاء بها .

[2] لأهل العصمة . . . : الذين عصمهم اللّه تعالى من ارتكاب الذنوب . و المصنوع إليهم في السلامة : سلّمهم من الانزلاق فيها .

[13]

و المعصية ، و يكون الشّكر هو الغالب عليهم ،

و الحاجز لهم [1] عنهم ، فكيف بالغائب الّذي غاب أخاه ، و عيّره ببلواه ؟ أما ذكر موضع ستر اللّه عليه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذّنب الّذي غابه به و كيف يذمّه بذنب قد ركب [2] مثله فإن لم يكن ركب ذلك الذّنب بعينه فقد عصى اللّه فيما سواه ممّا هو أعظم منه . و ايم اللّه لئن لم يكن عصاه في الكبير و عصاه في الصّغير لجراءته على عيب النّاس أكبر .

يا عبد اللّه ، لا تعجل في عيب أحد بذنبه

[1] و الشكر هو الغالب عليهم الخ : ان شكره تعالى على ما عصمهم من ارتكاب الذنوب و الخطايا التي ارتكبها غيرهم ،

تحجزهم تمنعهم من أن يعيبوا أحدا ، أو يعيروه بذنبه .

[2] ركب : عمل . و هذا الغاية في الأدب ، و ان ينشغل الانسان بعيوبه و اصلاحها .

[14]

فلعلّه مغفور له ، و لا تأمن على نفسك صغير معصيةفلعلّك معذّب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، و ليكن الشّكر شاغلا له على معافاته ممّا ابتلي به غيره .

(137) و من كلام له عليه السلام

أيّها النّاس ، من عرف من أخيه وثيقة دين ،

و سداد طريق ، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال [2] ، أما إنّه قد يرمي الرّامي و تخطىء

[1] و لا تأمن على نفسك صغير معصية : أحذر المؤاخذة و العذاب على الذنوب الصغيرة التي اقترفتها ، و اعلم أنّ أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه .

[2] وثيقة دين . . . اعتقاد حسن ، و عمل صحيح . و السداد :

الصواب من القول و الفعل . أقاويل الرجال : ذمّهم و استهانتهم به .

[15]

السّهام ، و يحيل الكلام ، و باطل ذلك يبور [1] ،

و اللّه سميع و شهيد . أما إنّه ليس بين الباطل و الحقّ إلاّ أربع أصابع . قال الشريف : فسئل (عليه السلام) عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه و وضعها بين أذنه و عينه ، ثم قال : الباطل أن تقول سمعت ،

و الحقّ أن تقول رأيت .

(138) و من كلام له عليه السلام

و ليس لواضع المعروف في غير حقّه ، و عند

[1] يرمي الرامي و تخطىء السهام . . . : لا يصيب الرامي بسهمه الهدف . و يحيل الكلام : يعدل عن الصواب . و يبور :

يهلك . و المراد : قد تتوجه تهم باطلة للبعض و هو بريء منها ،

ثم تظهر الحقيقة ، و تبقى التبعة على المغتاب .

[16]

غير أهله [1] ، من الحظّ إلاّ محمدة اللّئام ، و ثناء الأشرار ، و مقالة الجهّال ما دام منعما عليهم « ما أجود يده » و هو عن ذات اللّه بخيل [2] فمن آتاه اللّه مالا فليصل به القرابة ، و ليحسن منه الضّيافة ، و ليفكّ به الأسير و العاني ، و ليعط منه الفقير و الغارم ، و ليصبر نفسه على الحقوق و النّوائب [3] ابتغاء الثّواب ، فإنّ فوزا بهذه

[1] المعروف . . . : الاحسان . و عند غير حقه : في غير الجهة التي أمر بها . و عند غير أهله : عند من لا يستحقّه .

[2] ما أجود يده الخ : هو موصوف من قبل الذين أحسن إليهم ممن لا يستحقّ الاحسان بالكرم ، بينما هو يبخل بما فرض عليه ، و كلّف بأدائه .

[3] الأسير . . . : المحبوس . و العاني : الخاضع الذليل .

و الغارم : المدين . و ليصبر نفسه : يروضها على التحمّل .

و الحقوق : أداء ما وجب عليه من حقوق مالية . و النوائب جمع نائبة : النازلة التي تنوب الانسان و تنزل به .

[17]

الخصال شرف مكارم الدّنيا ، و درك فضائل الآخرة [1] ، إن شاء اللّه .

[17]

(139) و من خطبة له عليه السلام في الإستسقاء [2]

ألا و إنّ الأرض الّتي تحملكم ، و السّماء الّتي تظلّكم ، مطيعتان لربّكم ، و ما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعا لكم ، و لا زلفة [3] إليكم ، و لا

[1] فوزا بهذه الخصال . . . : ان العمل بهذه الخصال يستوجب الفوز في الدنيا . و درك الخ : نيل ثواب الآخرة .

[2] الاستسقاء : طلب نزول المطر . يخرج الامام بالناس خارج المدينة يصلّي و يدعو بذلك .

[3] توجّعا لكم . . . : تألّما لما أصابكم . و لا زلفة إليكم : تقرّبا لكم .

[18]

لخير ترجوانه منكم ، و لكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا ، و أقيمتا على حدود مصالحكم فأقامتا .

إنّ اللّه يبتلي عباده عند الأعمال السّيّئة بنقص الثّمرات ، و حبس البركات ، و إغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ، و يقلع مقلع ، و يتذكّر متذكّر ، و يزدجر مزدجر [1] و قد جعل اللّه الإستغفار سببا لدرور الرّزق [2] و رحمة الخلق ،

فقال : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً [3] ، وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ فرحم اللّه امرأ استقبل توبته ، و استقال خطيئته ،

و بادر منيّته [4] .

[1] يقلع . . . : يكف (يتوب) و يزدجر : يمتنع عن المحرمات .

[2] لدرور الرزق : يجعله دائما لا ينقطع .

[3] مدرارا : كثيرا متواصلا .

[4] استقبل توبته . . . : استأنفها (جدّدها) و استقال خطيئته :

طلب الاقالة منها و غفرانها . و بادر منيته : استعدّ و أعدّ ما يلزمه لآخرته .

اللّهمّ إنّا خرجنا إليك من تحت الأستار و الأكنان [1] ، و بعد عجيج البهائم [2] و الولدان ،

راغبين في رحمتك ، و راجين فضل نعمتك .

و خائفين من عذابك و نقمتك .

اللّهمّ فاسقنا غيثك [3] ، و لا تجعلنا من القانطين ، و لا تهلكنا بالسّنين [4] ، و لا تؤاخذنا بما فعل السّفهاء منّا ، يا أرحم الرّاحمين .

[1] الاكنان جمع كن : ما ستر من الحرّ و البرد . و المعنى :

خرجنا من بيوتنا و منازلنا .

[2] عجيج البهائم : ارتفاع أصواتها و بكائها .

[3] الغيث : المطر .

[4] القانطين . . . : الآيسين . و لا تهلكنا بالسنين : بالجدب و القحط .

اللّهمّ إنّا خرجنا إليك ، نشكو إليك ما لا يخفى عليك ، حين ألجأتنا المضايق الوعرة ،

و أجاءتنا المقاحط المجدبة ، و أعيتنا المطالب المتعسّرة ، و تلاحمت علينا الفتن [1] المستصعبة .

اللّهمّ إنّا نسألك أن لا تردّنا خائبين ، و لا تقلبنا واجمين [2] و لا تخاطبنا بذنوبنا و لا تقايسنا بأعمالنا [3] .

[1] المضايق . . . : جمع مضيق : ما ضاق من الأمور .

و الوعرة : العسيرة . و القحط : احتباس المطر ، و يبس الأرض . و جدب المكان لاحتباس المطر . و أعيتنا :

ضاقت أمامنا السبل . و تلاحمت : تزاحمت . و المحن : الفتن و البلايا .

[2] خائبين . . . : محرومين . واجمين : محزونين .

[3] و لا تخاطبنا بذنوبنا . . . : لا تردّنا آيسين بما استوجبناه من الذنوب . و لا تقايسنا بأعمالنا : لا يكن فعلك بنا مشابها لأعمالنا . ، لأنّك الكريم المحسن الجواد .

[21]

اللّهمّ انشر علينا غيثك و بركتك ، و رزقك و رحمتك ، و اسقنا سقيا نافعة مروية معشبة : تنبت بها ما قد فات ، و تحيي بها ما قد مات ، نافعة الحيا ، كثيرة المجتنى [1] ، تروي بها القيعان ، و تسيل البطنان [2] ، و تستورق الأشجار ، و ترخص الأسعار ، إنّك على ما تشاء قدير .

(140) و من كلام له عليه السلام

بعث اللّه رسله بما خصّهم به من وحيه ،

و جعلهم حجّة له على خلقه ، لئلاّ تجب الحجّة

[1] الحيا . . . : المطر . و المجتنى : الثمر .

[2] القيعان . . . : جمع قاع : المستوي من الأرض .

و البطنان جمع بطن : ما انخفض من الأرض .

[22]

لهم بترك الإعذار إليهم [1] ، فدعاهم بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ . ألا إنّ اللّه قد كشف الخلق [2] كشفة لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ، و مكنون ضمائرهم [3] ، و لكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملا ، فيكون الثّواب جزاء ،

و العقاب بواء . أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم [4] دوننا ؟ كذبا و بغيا علينا أن رفعنا اللّه

[1] لئلا تجب الحجّة لهم بترك الأعذار إليهم : الاعذار :

التخويف و الوعيد . و المعنى : لا يكون لهم حجّة و عذر في ترك الواجب فَلِلّهِ الحُجَّةُ الْبَالِغَةُ 6 : 149 . و قال عزّ من قائل : وَ ما كُنَّا مُعَذِّبينَ حتّى نَبعَثَ رَسُولاً 17 : 15 .

[2] كشف الخلق : علم بأحوالهم و تقلباتهم .

[3] صان الشيء : حفظه . و المكنون : المصون المحفوظ .

و المراد : علمه بأسرارهم و نواياهم ، و بما لم يطلع عليه غيرهم .

[4] الراسخون في العلم : المتقنون الضابطون له .

[23]

و وضعهم ، و أعطانا و حرمهم ، و أدخلنا و أخرجهم ،

بنا يستعطى الهدى ، و يستجلى العمى [1] ، إنّ الأئمّة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم [2] : لا تصلح على سواهم ، و لا تصلح الولاة من غيرهم .

[1] بنا يستعطى الهدى . . . : منّا يطلب الهدى الى دين اللّه تعالى . و يستجلى : ينكشف ، و العمى المشار إليه هو عمى الجهل .

[2] غرسوا في هذا البطن من هاشم . . . : روى البخاري و جلّ علماء الحديث عن جابر بن سمرة قال سمعت النبيّ (صلّى اللّه عليه و سلّم) يقول : يكون اثنا عشر أميرا ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي إنّه قال : كلّهم من قريش . و بعض الروايات فيها ذكر أسمائهم سلام اللّه عليهم . لا تصلح على سواهم : لا تصلح الامامة لغيرهم . و سجل الخلفاء الامويين و العباسيين شاهد على ذلك ، و لياليهم الحمراء تكفيهم خزيا و بعدا عن الشريعة .

[24]

منها : آثروا عاجلا ، و أخّروا آجلا ، و تركوا صافيا ، و شربوا آجنا [1] كأنّي أنظر إلى فاسقهم و قد صحب المنكر فألفه و بسيء [2] به و وافقه حتّى شابت عليه مفارقه ، و صبغت به خلائقه [3] ثمّ أقبل مزبدا كالتّيّار لا يبالي ما غرّق ، أو كوقع النّار في الهشيم [4] لا يحفل ما حرّق أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى ؟ و الأبصار اللاّمحة

[1] آثروا عاجلا ، و أخّروا آجلا : اختاروا الدنيا على الآخرة .

و الآجن : الماء المتغيّر الطعم و اللون .

[2] بسيء به : استأنس به .

[3] المفرق من الرأس : حيث يفرق الشعر . و المراد : طال عهده به حتى شاب عليه . و صبغت به أخلاقه : صار عادة له و سجية .

[4] مزبدا كالتيار : هو كالماء في عنفوان جريانه و فيضانه .

و الهشيم : اليابس من كلّ شيء . و المراد : تشبيه ظلمه و تعدّيه بالماء المغرق ، و النار المحرقة .

[25]

إلى منار التّقوى [1] ؟ أين القلوب الّتي وهبت للّه و عوقدت على طاعة اللّه ؟ ازدحموا على الحطام ، و تشاحّوا على الحرام [2] ، و رفع لهم علم الجنّة و النّار فصرفوا عن الجنّة وجوههم ، و أقبلوا إلى النّار بأعمالهم ، و دعاهم ربّهم فنفروا [3] و ولّوا ،

و دعاهم الشّيطان فاستجابوا و أقبلوا .

(141) و من خطبة له عليه السلام

أيّها النّاس ، إنّما أنتم في هذه الدّنيا غرض

[1] لمح . . . : الشيء : أبصره بنظر خفيف . و المنار : العلامة التي يهتدى بها . و التقوى : امتثال أوامر اللّه تعالى ، و اجتناب ما نهى عنه .

[2] الحطام . . . : متاع الدنيا . و تشاحوا : تنازعوا .

[3] نفروا : أعرضوا .

[26]

تنتضل فيه المنايا [1] مع كلّ جرعة شرق [2] ، و في كلّ أكلة غصص ، لا تنالون منها نعمة إلاّ بفراق أخرى ، و لا يعمّر معمّر منكم يوما من عمره إلاّ بهدم آخر من أجله [3] ، و لا تجدّد له زيادة في أكلة إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه [4] ، و لا يحيا له أثر

[1] الغرض . . . : الهدف الذي يرميه الرماة : و تنتصل : تترامى إليه . و المنايا : الموت .

[2] مع كل جرعة شرق : ان نعيم الدنيا مشوب بالآلام و المشاق ،

فالماء الذي أهم ما في الحياة قد يصحبه شرق يؤدّي للهلاك .

[3] و لا يعمّر الخ : كل يوم يعيشه ينقص من عمره الذي سجّله اللّه تعالى في اللوح المحفوظ . و يقول (عليه السلام) أنفاس المرء خطاه الى أجله . فعليه استغلال هذا العمر في طاعة اللّه تعالى .

[4] و لا تجدد له زيادة في أكلة الخ : هو لا يأكل حتى يفني ما قبله . و المراد : أنه في سياق استنفاذ رزقه المقدّر له ، و بهذا تذهب لذّة الأكل منه لسعيه في استيفاء رزقه الذي يوشك أن ينتهي .

إلاّ مات له أثر [1] ، و لا يتجدّد له جديد إلاّ بعد أن يخلق [2] له جديد ، و لا تقوم له نابتة إلاّ و تسقط منه محصودة [3] . و قد مضت أصول نحن فروعها [4] ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ؟ منها : و ما أحدثت بدعة إلاّ ترك بها سنّة [5] ،

[1] و لا يحيا له أثر إلاّ مات له أثر : لا يعرف بشيء حتى يذهب ما عرف به سابقا ، فمثلا : لا يعرف بالعلم إلاّ بعد ما كان معروفا بالجهل .

[2] يخلق : يبلى .

[3] و لا تقوم له نبتة . . . : هم الأولاد و الاحفاد . إلاّ و تسقط منه محصودة : هي موت الآباء و الأجداد .

[4] و قد مضت أصول : هم الآباء .

[5] البدعة . . . : ما استحدث في الدين . و السنّة : ما أثر عن الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) من قول و فعل .

و المراد : أن ظهور البدع و العمل بها يستلزم ترك السنة .

فاتّقوا البدع ، و الزموا المهيع [1] إنّ عوازم الأمور أفضلها ، و إنّ محدثاتها شرارها [2] .

(142) و من كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب ، و قد استشاره في غزو الفرس بنفسه

إنّ هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثرة و لا قلّة ، و هو دين اللّه الّذي أظهره ، و جنده الّذي أعدّه [3] و أمدّه ، حتّى بلغ ما بلغ ، و طلع حيثما

[1] المهيع : الطريق الواسع .

[2] عوازم الأمور . . . : ما تقادم منها و كان على عهد الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) . و محدثاتها : ما استحدث و الصق بالشريعة .

[3] أعدّه . . . : أعزّه . و أمدّه : بالنصر .

[29]

طلع ، و نحن على موعود من اللّه ، و اللّه منجز [1] وعده ، و ناصر جنده . و مكان القيّم بالأمر مكان النّظام [2] من الخرز : يجمعه و يضمّه ، فإذا انقطع النّظام تفرّق الخرز و ذهب ثمّ لم يجتمع بحذافيره [3] أبدا . و العرب اليوم و إن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالإجتماع ،

فكن قطبا ، و استدر الرّحى بالعرب . و أصلهم [4] دونك نار الحرب ، فإنّك إن شخصت من هذه

[1] منجز : متمّ لما وعد من نظر المسلمين على الكافرين .

[2] القيّم . . . : القائم بالأمر (الحاكم) . و النظام : السلك الذي تنظم فيه الخرز .

[3] بحذافيره : بأسره .

[4] قطب الرحى : ما دارت عليه . و المراد : امكث بمكانك و وجّه الحرب . و هذا ما يعمله قادة الحروب حتى اليوم ،

فوزير الدفاع ، و رئيس الأركان في مكتبه يدير الحرب .

و اصلهم : القهم اليها .

[30]

الأرض انتقضت [1] عليك العرب من أطرافها و أقطارها حتّى يكون ما تدع وراءك من العورات [2] أهمّ إليك ممّا بين يديك .

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا : هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم [3] عليك ، و طمعهم فيك . فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإنّ اللّه سبحانه هو أكره لمسيرهم منك ، و هو أقدر على تغيير ما يكره ، و أمّا ما ذكرت من عددهم فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، و إنّما كنّا نقاتل

[1] شخصت . . . : خرجت . و انتقض الشيء : فسد بعد احكامه .

[2] العورة : الخلل الذي يخشى منه العدو .

[3] كلبهم : شدّتهم .

[31]

بالنّصر و المعونة .

(143) و من خطبة له عليه السلام

فبعث محمّدا ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ،

بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ،

و من طاعة الشّيطان إلي طاعته ، بقرآن قد بيّنه و أحكمه ، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه ، و ليقرّوا به إذ جحدوه ، و ليثبتوه [1] بعد إذ أنكروه . فتجلّى [2] لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه ، بما أراهم من قدرته ، و خوّفهم من سطوته [3] ، و كيف

[1] يثبتوه : يعرفوه حقّ معرفته .

[2] تجلّى : ظهر .

[3] سطوته : بطشه . و في التنزيل : إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ 85 : 12 .

محق من محق بالمثلات [1] و احتصد من احتصد بالنّقمات .

و إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحقّ ، و لا أظهر من الباطل ،

و لا أكثر من الكذب على اللّه و رسوله و ليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور [2] من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته ، و لا أنفق منه [3] إذا حرّف عن مواضعه ، و لا في البلاد شيء أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر ، فقد نبذ [4] الكتاب حملته ، و تناساه حفظته ، فالكتاب يومئذ و أهله

[1] محق . . . : أهلك و أباد . و المثلات : العقوبات .

[2] بار الشيء : كسد (تعطّل) .

[3] و لا أنفق منه : و لا أروج منه .

[4] نبذ الكتاب حملته : أهملوه و لم يعملوا به .

طريدان منفيّان ، و صاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو [1] فالكتاب و أهله في ذلك الزّمان في النّاس و ليسا فيهم [2] و معهم ، لأنّ الضّلالة لا توافق الهدى ، و إن اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة [3] و افترقوا عن الجماعة ، كأنّهم

[1] منفيان . . . : مبعدان . و المراد : لا يعمل بالكتاب ، و لا يلتفت الى أهله . و صاحبان مصطحبان : سائران معا في أتجاه واحد . و المراد بأهله : الأئمّة الاثني عشر (عليهم السلام) ، بدلالة حديث الثقلين : « انّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب اللّه ، و عترتي أهل بيتي » . لا يؤويهما مؤو :

لا يقبل منهما ، و لا يؤخذ عنهما .

[2] في الناس و ليسا فيهم : الكتاب مع الناس في بيوتهم ، و أهله بجوارهم ، و لكن بعدهم عن العمل بالكتاب ، و الأخذ عن الأئمّة عليهم السلام جعلاهما كأن لم يكونا معهم .

[3] فاجتمع القوم على الفرقة : اتفقوا على الافتراق .

أئمّة الكتاب [1] و ليس الكتاب إمامهم فلم يبق عندهم منه إلاّ اسمه ، و لا يعرفون إلاّ خطّه و زبره [2] و من قبل ما مثّلوا بالصّالحين كلّ مثلة و سمّوا صدقهم على اللّه فرية ، و جعلوا في الحسنة عقوبة السّيّئة [3] .

و إنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم [4] ،

و تغيّب آجالهم ، حتّى نزل بهم الموعود الّذي تردّ

[1] كأنّهم أئمة الكتاب : انهم يجرونه و يجرجرون به الى اهوائهم ، و يفسرونه برغباتهم خلافا لما أمروا من اتباعه ،

و السير على هداه .

[2] زبره : كتابته .

[3] مثّلوا بالصالحين . . . : نكّلوا بهم . و فرية : كذبا . و جعلوا في الحسنة عقوبة السيئة : جعلوا حسنات الصالحين و فضائلهم سيئات عاقبوهما عليها .

[4] بطول آمالهم : ان السبب الذي دعاهم الى هذا هو طول أملهم بالدنيا ، و استبعادهم الموت ، و ترك الاستعداد له .

[35]

عنه المعذرة ، و ترفع عنه التّوبة ، و تحلّ معه القارعة و النّقمة [1] .

أيّها النّاس ، إنّه من استنصح اللّه وفّق ، و من اتّخذ قوله دليلا هدي للّتي هي أقوم [2] ، فإنّ جار اللّه آمن ، و عدوّ اللّه خائف ، و إنّه لا ينبغي لمن

[1] الموعود . . . : الموت . و المعذرة : التوبة . و المراد : همهم الموت فلا تقبل معذرتهم ، و لا تنفعهم توبتهم و ندامتهم فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنّا بِاللّه وَحْدَهُ وَ كَفرنَا بِما كُنَّا بِهِ مُشرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ايمانُهُم لَمّا رَأَوا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِي قَد خَلَت فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ 40 : 85 و القارعة : الشديدة من شدائد الدهر .

[2] استنصح اللّه . . . : عمل بنصائحه التي جاءت في القرآن الكريم ، و على لسان النبيّ الأمين ، و العترة الهادين . هدي للتي هي أقوم : الى الحال التي هي أعدل الحالات ، و هي توحيد اللّه تعالى ، و الإيمان به و برسوله ، و العمل بطاعته .

[36]

عرف عظمة اللّه أن يتعظّم [1] ، فإنّ رفعة الّذين يعرفون ما عظمته أن يتواضعوا له ، و سلامة الّذين يعملون ما قدرته أن يستسلموا له [2] . فلا تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجرب ، و البارىء من ذي السّقم [3] و اعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه ، و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه ، و لن تمسّكوا به

[1] يتعظّم : يتكبّر . و المراد : ينبغي للمسلم التواضع ، و ترك التكبّر ، فهو من أضعف المخلوقات ، تقتله الشرقة ، و تؤلمه الشوكة ، و تنتنه العرقة ، لا سيما و قد دعاه للتواضع جبّار السماوات و الأرض .

[2] فان رفعة الذين يعملون ما عظمته ان يتواضعوا له . . . : ان المتواضعين ترتفع منزلتهم ، و تسمو مرتبتهم في الدنيا و الآخرة . و يستسلموا له : يخضعوا و ينقادوا و يطيعوا .

[3] فلا تنفروا . . . : فلا تفزعوا . و البارىء : المعافى . و ذو السقم : ذو المرض .

[37]

حتّى تعرفوا الّذي نبذه [1] ، فالتمسوا ذلك من عند أهله [2] ، فإنّهم عيش العلم ، و موت الجهل [3] :

هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، و صمتهم عن منطقهم [4] ، و ظاهرهم عن باطنهم : لا

[1] الرشد . . . : نهج الحقّ و طريقه . و ميثاق الكتاب : العمل به .

و الذي نقضه : أبطله . و تمسّكوا به : أخذوا به و اعتصموا .

و نبذه : تركه و المراد : ان من تمام معرفة نهج الحقّ معرفة من تركه و مجانبته ، و الحذر منه ، و التحذير من مصاحبته .

[2] فالتمسوا . . . : فاطلبوا . و أهله : الأئمة من آل محمد (صلّى اللّه عليه و آله) . و المراد : منهم أطلبوا الرشد ، و منهج الحقّ .

[3] فانهم عيش العلم . . . : بهم يحيا العلم . و موت الجهل :

بتعاليمهم يضمحلّ الجهل .

[4] حكمهم عن علمهم . . . : إن الأحكام المأثورة عنهم ،

و الأجوبة المعضلة التي أجابو بها ، و ما دوّن من تعاليمهم يدل على علم غزير مستمد من العليم العزيز . و صمتهم عن منطقهم : إنّ سكوتهم في المواطن التي يجب فيها السكوت يكشف أيضا عن مواهبهم .

[38]

يخالفون الدّين ، و لا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق ، و صامت ناطق [1] .

[38]

(144) و من كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة

كلّ واحد يرجو الأمر له ، و يعطفه عليه دون صاحبه [2] : لا يمتّان إلى اللّه بحبل ، و لا يمدّان إليه بسبب [3] كلّ واحد منهما حامل ضبّ

[1] فهو بينهم شاهد صادق . . . : فهو شاهد صدق يشهد بصحة أحكامهم و مطابقتها لنهجه . و صامت : لأن تعاليمه مدوّنة .

و ناطق : أي بأحكامه و أوامره و نواهيه يحكمون .

[2] كل واحد منهما . . . : طلحة و الزبير . و يرجو الأمر له : يطلب الخلافة و يعطفه عليه : يجذبه الى نفسه .

[3] لا يمتّان . . . : لا يتقربان . و لا يمدان إليه بسبب : لا حجّة لديهما يعتذران بها الى اللّه تعالى عن عملهما . و ذكر المؤرّخون ان طلحة لما أصيب قال : و اللّه ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي .

[39]

لصاحبه ، و عمّا قليل يكشف قناعه [1] به . و اللّه لئن أصابوا الّذي يريدون لينزعنّ هذا نفس هذا [2] و ليأتينّ هذا على هذا ، قد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون [3] فقد سنّت لهم السّنن ، و قدّم لهم الخبر [4] ، و لكلّ ضلّة علّة ، و لكلّ ناكث

[1] الضب . . . : الحقد . و يشهد لذلك تنازعهما على إمامة الصلاة حتى كادت الشمس أن تشرق . و القناع : الذي يستتر به الوجه . و المراد : عن قريب ينكشف حقد كل منهما على صاحبه .

[2] لينزعنّ هذا نفس هذا : يسعى كل منهما لقتل صاحبه .

[3] الفئة . . . : الجماعة . و الباغية : المعتدية . و المحتسبون :

الطالبون الأجر و الثواب .

[4] فقد سنّت لهم السنن . . . : أوضحت لهم معالم الطريق ليسلكوها ، و قدم لهم الخبر : هي الأحاديث النبوية في قتاله (عليه السلام) الناكثين و القاسطين و المارقين .

[40]

شبهة [1] ، و اللّه لا أكون كمستمع اللّدم يسمع النّاعي ، و يحضر الباكي ثمّ لا يعتبر [2] .

(145) و من كلام له عليه السلام قبل موته

أيّها النّاس ، كلّ امرىء لاق ما يفرّ منه في

[1] و لكل ضلّة . . . : لكل ضلال . و نكث البيعة : اذا لم يف بها . و المراد : ان لكل ضال شبهة يتشبّث بها في دعوته ،

و يخدع بها الآخرين لنصرته .

[2] اللدم . . . : الضرب على الوجه و الرأس في النياحة .

و الناعي : الراثي للميّت . و يحضر الباكي : يشاهده . ثم لا يعتبر : لا يستعد . و المراد : لا يجوز لي السكوت عنهم و تركهم و أنا أسمع الناعي ينعى طائفة من المسلمين قتلوهم ،

و أشاهد الباكين على قتلاهم .

[41]

فراره ، و الأجل مساق النّفس [1] و الهرب منه موافاته . كم أطردت الأيّام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى اللّه إلاّ إخفاءه . هيهات علم مخزون [2] ، أمّا وصيّتي فاللّه لا تشركوا به شيئا ،

و محمّد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فلا تضيّعوا سنّته [3] . أقيموا هذين العمودين ، و أوقدوا هذين المصباحين ، و خلاكم ذمّ ما لم تشردوا [4] . حمل

[1] الأجل . . . : الموت . و مساق النفس : منساقة (سائرة) إليه .

[2] أطردت الأيام . . . : جعلتها طريدة و الطريدة : ما طردته من صيد و غيره . و المكنون : المستور . و علم مخزون : مستور .

و لعل المراد بذلك الأجل وَ مَا تَدرِي نَفسُ مَا ذَا تَكْسِبُ غَداً وَ مَا تَدِري نَفْسُ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ 31 : 34 .

[3] فلا تضيّعوا سنته : بترك العمل بها .

[4] و خلاكم ذم . . . : لا ذمّ عليكم . و تشرّدوا : تميلوا عن الحق . و المراد : ليس عليكم ذم و أنتم على نهج اللّه و رسوله .

[42]

كلّ امرىء منكم مجهوده ، و خفّف عن الجهلة [1] ربّ رحيم ، و دين قويم ، و إمام عليم [2] . أنا بالأمس صاحبكم ، و أنا اليوم عبرة لكم [3] ، و غدا مفارقكم ، غفر اللّه لي و لكم .

إن ثبتت الوطأة في هذه المزلّة فذاك ، و إن تدحض [4] القدم فإنّا كنّا في أفياء أغصان و مهبّ

[1] حمل كل امرىء منكم مجهوده . . . : كل مكلّف حسب طاقته . و خفف عن الجهلة : مسؤوليتهم أمام اللّه تعالى أخف من مسؤولية العالم ، و حسابهم أيسر من حسابه .

[2] دين قويم . . . : مستقيم الطريقة ، يؤدّي بسالكه الى الجنّة .

و إمام عليم : يوصلكم بعلمه و نهجه الى شاطىء السلامة .

[3] عبرة لكم : تعتبرون بي ، و تتعظون بما صرت إليه من الانتقال الى الدار الآخرة .

[4] الوطأة . . . : موضع القدم . و المزلّة : محل الزلل . و المراد :

المعافاة من هذه الجراحة . و تدحض : تزل (تزلق) و المراد بذلك الموت .

رياح و تحت ظلّ غمام اضمحلّ في الجوّ متلفّقها و عفا في الأرض مخطّها [1] ، و إنّما كنت جارا جاوركم بدني أيّاما و ستعقبون منّي جثّة خلاء [2] ساكنة بعد حراك ، و صامتة بعد نطوق . ليعظكم هدوّى و خفوت أطرافي و سكون أطرافي [3] ، فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ ، و القول المسموع . و داعيكم وداع امرىء مرصد

[1] أفياء أغصان . . . : ظلالها . و متلفقها : المنضم بعضه الى بعض . و عفا في الأرض خطّها : انمحى من الأرض أثرها .

و المراد : تشبيه العمر و سرعة فنائه . و بطل الشمس ، و أثر الرياح في الأرض ، و الغمام المضمحل .

[2] و ستعقبون منّي . . . : ستجدوني . و خلاء : خالية من الروح .

[3] ليعظكم . . . : ليكن هذا المشهد موعظة لكم . هدوي :

سكوني . و الخفوت : السكون . و اطراقي : ارخاء عيني الى الأرض . و سكون اطرافي : رأسي و يدي ، و رجلي ، و بقية جوارحي .

للتّلاقي [1] ، غدا ترون أيّامي ، و يكشف لكم عن سرائري [2] ، و تعرفونني بعد خلوّ مكاني ، و قيام غيري مقامي .

(146) و من خطبة له عليه السلام في الملاحم

و أخذوا يمينا و شمالا : ظعنا في مسالك الغيّ ، و تركا لمذاهب الرّشد [3] ، فلا تستعجلوا ما

[1] وداعيكم . . . : وداعي لكم . و مرصد : منتظر و مهيّأ للقاء اللّه عزّ و جلّ .

[2] و يكشف لكم عن سرائري : عن مضمراتي . و المراد : يتبين لكم صحة منهجي .

[3] ظعنا في مسالك الغيّ ، و تركا لمذهب الرشد : سلكوا طريق الضلال ، و تركوا منهج الحقّ و الرشاد .

[45]

هو كائن [1] مرصد و لا تستبطئوا ما يجيء به الغد ، فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه ، و ما أقرب اليوم من تباشير [2] غد يا قوم ،

هذا إبّان ورود كلّ موعد ، و دنوّ من طلعة ما لا تعرفون [3] ، ألا و إنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراج منير ، و يحذو فيها على مثال الصّالحين [4] ، ليحلّ فيها ربقا ، و يعتق رقّا ،

[1] كائن . . . : لا بدّ من وقوعه . و مرصد : معد .

[2] التباشير : أوائل الصبح .

[3] هذا أبان ورود كل موعود . . . : هذا وقت ظهور ما وعدتم من الفتن و دنو من طلعة لا تعرفون : من احداث و فتن .

[4] يسري فيها بسراج منير . . . : ان هذه الفتن المضلّة ، من أدركها منّا أهل البيت يقطعها بنور الإيمان و المعرفة ، ناجيا من كبواتها . و يحذو فيها على مثال الصالحين : يقتفي فيها منهج المتّقين .

[46]

و يصدع شعبا ، و يشعب صدعا [1] ، في سترة عن النّاس ، لا يبصر القائف أثره [2] و لو تابع نظره ،

ثمّ ليشحذنّ فيها قوم شحذ القين النّصل [3] ،

[1] الربق . . . : حبل فيه عدة عرى ، كل عروة ربقة ، معد لشدّ الحيوانات . الرق : العبد المملوك . و المراد يحل ما استعصى من أمورهم ، و يخلصهم من ذل الاضطهاد . يصدع شعبا :

يفرّق جماعات الضلال ، و دول الجور . و يشعب صدعا :

يجمع صفوف المؤمنين .

[2] في سترة من الناس . . . : لا يهتدون الى مكانه . لا يبصر القائف أثره : القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها . و الكلام في الامام المهدي (عليه السلام) ، و انه مستتر لا يمكن الوصول إليه حتى يأذن له اللّه عزّ و جلّ له بالخروج .

[3] ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل : الشحذ : حدّ السكين . و القين : الحداد . و النصل : حديدة السيف و ما شابهها . و المراد : أن الامام المهدي (عليه السلام) يعدّ جيشا مسلحا مهيّئا للدعوة الى اللّه تعالى و نشر العدل .

[47]

تجلى بالتّنزيل أبصارهم [1] ، و يرمى بالتّفسير في مسامعهم و يغبقون كأس الحكمة بعد الصّبوح [2] .

منها : و طال الأمد [3] بهم ليستكملوا الخزي ، و يستوجبوا الغير [4] ، حتّى إذا اخلولق الأجل [5] ، و استراح قوم إلى الفتن ، و أشالوا عن

[1] تجلى بالتنزيل أبصارهم ، و يرمي بالتفسير في أسماعهم :

يزيل الشبهات و مخلّفات العقائد الفاسدة ، و مبادىء الضلالة بالقرآن الكريم .

[2] الغبوق . . . : الشرب عشيّة . و الصبوح : ما شرب وقت الصباح . و الحكمة : المعارف الإلهية ، و التعاليم المحمدية .

و المراد : إفاضته عليهم هذه المعارف ليلا و نهارا .

[3] الامد : الزمان .

[4] الغير : نوائب الدنيا . و المراد : يستوجبوا تغيير النعمة بالبلاء جزاء على تماديهم في المعاصي .

[5] احلولق الأجل : قربت آجالهم .

[48]

لقاح حربهم [1] ، لم يمنّوا على اللّه بالصّبر ، و لم يستعظموا بذل أنفسهم في الحقّ ، حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء [2] حملوا بصائرهم على أسيافهم ، و دانوا لربّهم بأمر واعظهم [3] .

حتّى إذا قبض اللّه رسوله ، (صلّى اللّه عليه و آله) ، رجع قوم على الأعقاب [4] ، و غالتهم

[1] أشالوا . . . : رفعوا . و لقاح الحرب : تهييجها .

[2] وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء : نهاية هؤلاء الظالمين .

[3] حملوا بصائرهم . . . : عقائدهم . و المراد : دعا هؤلاء المؤمنون الناس الى اللّه جلّ جلاله . و دانوا : أطاعوا . بأمر واعظهم : بأمر إمامهم : و هو الامام المهدي (عليه السلام) .

[4] رجع قوم على الأعقاب : العقب : عظم مؤخّر القدم .

و الرجوع الى الأعقاب : هو أقبح ما يكون من المشي .

و المراد : وصفهم بالخروج عن خطّ الإسلام ، و في التنزيل :

وَ مَا مُحَمَّدُ إلا رسُول قَد خَلَت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَو قُتِلَ انقلبْتمْ على أعقَابِكُم وَ مَنْ يَنقَلِب على عقبيهِ فَلَن يَضُرَّ اللّه شَيئاً وَ سَيجزي اللّه الشَاكِرينَ 3 : 144 .

[49]

السّبل ، و اتّكلوا على الولائج [1] ، و وصلوا غير الرّحم ، و هجروا السّبب الّذي أمروا بمودّته ،

و نقلوا البناء عن رصّ أساسه [2] فبنوه في غير موضعه : معادن كلّ خطيئة ، و أبواب كلّ ضارب في غمرة [3] ، قد ماروا في الحيرة [4] ، و ذهلوا في

[1] غالتهم . . . : أهلكتهم . و السبل : الطرق . و المراد : هلكوا لاتباعهم طرق الضلال . و الوائج جمع وليجة : البطانة ،

و هي خاصة الرجل من أهله و عشيرته .

[2] هجروا السبب الذي أمروا بمودّته . . . : تركوا أهل البيت و قد أمرهم اللّه جلّ جلاله بمودّتهم قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إلاّ المَوَدَّة فِي القُربى 42 : 23 . و نقلوا البناء عن رصّ أساسه : نقلوا الخلافة عن الخليفة الذي عيّنه لهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و أمرهم ببيعته في يوم غدير خم .

[3] معادن كل خطيئة . . . : أصل كل حرام . و أبواب كل ضارب في غمرة : الغمرة : الضلال . و المراد : هم أصل إضلال و خطيئة .

[4] قد ماروا في الحيرة : ترددوا حائرين لا يهتدون طريق السلامة .

[50]

السّكرة على سنّة من آل فرعون [1] من منقطع إلى الدّنيا راكن ، أو مفارق للدّين مباين [2] .

(147) و من خطبة له عليه السلام

و أستعينه على مداحر الشّيطان و مزاجره ،

و الإعتصام من حبائله و مخاتله [3] . و أشهد أنّ

[1] على سنة من آل فرعون : السنة : الطريقة . و المراد : انهم في غاية الضلال و البعد عن اللّه تعالى .

[2] منقطع الى الدنيا . . . : مستغرق في طلبها . و راكن : مائل اليها ، معتمد عليها . و مباين : مفارق .

[3] مداحر الشيطان . . . : الأمور التي بها يطرد . و مزاجره : التي بها يزجر . شبهه بالكلب الذي يطلبك فتزجره عنك .

و المراد : استعن باللّه عليه ، و قدّم الأعمال الصالحة التي بها يدحر و يزجر . و حبائله : مصائده . و مخاتله : مكائده .

و المراد : الطرق التي يغوي بها الناس و يضلّهم .

[51]

محمّدا عبده و رسوله و نجيبه و صفوته ، لا يوازى فضله ، و لا يجبر فقده ، أضاءت به البلاد بعد الضّلالة المظلمة ، و الجهالة الغالبة ، و الجفوة الجافية [1] ، و النّاس يستحلّون الحريم ، و يستذلّون الحكيم [2] ، يحيون على فترة [3] و يموتون على كفرة ، ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت [4] ، فاتّقوا سكرات النّعمة ، و احذروا

[1] الجفوة الجافية : القسوة الشديدة .

[2] يستحلون الحريم . . . : يستحلّون المحرمات . و يستذلّون الحكيم : يذلّون العلماء .

[3] يحيون على فترة : هي المدّة التي بين عيسى و محمد (عليهما الصلاة و السلام) ، و هي الجاهلية ، رجع فيها الناس الى الغاية في الجهل لعبادتهم الأصنام .

[4] أغراض بلايا قد اقتربت : الغرض : الهدف الذي يرمى إليه و المعنى : أنتم مستهدفون لبلاء اقترب أوانه .

[52]

بوائق النّقمة ، و تثبّتوا في قتام العشوة [1] و اعوجاج الفتنة ، عند طلوع جنينها ، و ظهور كمينها ،

و انتصاب قطبها ، و مدار رحاها [2] : تبدو في مدارج خفيّة ، و تؤول إلى فظاعة جليّة [3] ، شبابها كشباب الغلام ، و آثارها كآثار السّلام [4] . تتوارثها

[1] فاتقوا سكرات النعمة . . . : ان تتابع النعم ينسي الآخرة و يلهي عنها ، فحذّرهم من زوالها . و البوائق : الدواهي .

و تثبّتوا في قتام العشوة : القتام : الغبار . و العشوة : ركوب الأمر على غير هدى . و المراد : ينبغي للمسلم أن يثبّت سلامة الطريق قبل سلوكها .

[2] كمينها . . . : ما كمن منها و استتر . و المراد : ظهر ما كان مستترا منها . و قطبها : المسيّر لها ، و العقل المفكّر فيها . و مدار رحاها : الاعوان و الأتباع .

[3] تبدأ في مدارج خفيّة ، و تؤول الى فضاعة جليّة : تتدرج في الكبر و التضخم كالأحزاب السرية حتى تصل الى الحكم .

[4] شبابها كشباب الغلام : شبّه قوّتها عند مجيئها بشباب الغلام في عنفوان شبابه ، و أوج قوّته . و السلام : الحجارة . و آثارها في الأبدان الرض و الكسر ، و المراد : وصف تحطيمها للآخرين .

[53]

الظّلمة بالعهود [1] ، أوّلهم قائد لآخرهم ، و آخرهم مقتد بأوّلهم ، يتنافسون في دنيا دنيّة ، و يتكالبون على جيفة مريحة [2] و عن قليل يتبرّأ التّابع من المتبوع ، و القائد من المقود فيتزايلون [3] بالبغضاء و يتلاعنون عند اللّقاء ، ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف ، القاصمة الزّحوف [4] ، فتزيغ

[1] يتوارثها الظلمة بالعهود : يعهد بها الأول منهم للثاني ،

و هكذا ، على منهج الأكاسرة و القياصرة .

[2] مريحة : منتنة .

[3] يتزايلون : يتفارقون .

[4] طالع الفتنة . . . : مقدماتها . و الرجوف : التي يكثر اضطراب الناس فيها . و القاصمة : الكاسرة . و الزحوف : الشديدة الزحف (التقدم) .

[54]

قلوب [1] بعد استقامة ، و تضلّ رجال بعد سلامة ،

و تختلف الأهواء عند هجومها ، و تلتبس الآراء عند نجومها [2] من أشرف لها قصمته ، و من سعى فيها حطمته [3] ، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة [4] قد اضطرب معقود الحبل [5] ، و عمي وجه الأمر ، تغيض فيها الحكمة [6] ، و تنطق فيها

[1] فتزيغ قلوب : تميل عن خطّ الاستقامة .

[2] تلتبس . . . : يخفى وجه الصواب لاختلاط الصحيح بالفاسد .

و نجومها : ظهورها .

[3] من أشرف لها قصمته . . . : من حاربها أهلكته . و من سعى فيها حطمته : من عمل في اسكاتها و مقاومتها كسرته .

[4] يتكادمون . . . : يعضّ بعضهم البعض . و العانة : القطيع من حمر الوحش .

[5] قد اضطرب معقود الحبل : المراد بذلك اضطراب أمورهم ،

و بيان بعدهم عن خطّ الإسلام .

[6] تغيض . . . : تنقص . و الحكمة : خط الشريعة الذي أمروا بسلوكه . . و المراد : بيان وصف بعدهم عن الدّين .

[55]

الظّلمة ، و تدقّ أهل البدو بمسحلها و ترضّهم بكلكلها [1] ، يضيع في غبارها الوحدان ، و يهلك في طريقها الرّكبان [2] ، ترد بمرّ القضاء ، و تحلب عبيط الدّماء [3] ، و تثلم منار الدّين [4] و تنقض عقد اليقين ، تهرب منها الأكياس ، و تدبّرها

[1] المسحل . . . : المبرد . و الكلكل : الصدر . و المعنى : انها تفعل بأهل البادية فعل المبرد بالحديد ، و تحطيم الناقة في بروكها على الشيء بصدرها ، و المراد : بيان ما يصيبهم من الأذى .

[2] الركبان : الجماعات الكثيرة ، و المراد : أنها تهلك الناس فرادى و جماعات .

[3] ترد بمر القضاء . . . : انها من المحن و البلاء المحتّم وقوعه ، و عبيط الدماء : الطري الخالص منها .

[4] تثلم منار الدين . . . : تهدم قواعد الدين . و تنفض عقد اليقين : تغيّر العقائد الصحيحة .

[56]

الأرجاس [1] ، مرعاد مبراق [2] ، كاشفة عن ساق ،

تقطع فيها الأرحام ، و يفارق عليها الإسلام [3] ،

بريّها سقيم ، و ظاعنها مقيم [4] .

منها : بين قتيل مطلول [5] ، و خائف مستجير ، يختلون بعقد الأيمان ، و بغرور

[1] الاكياس . . . : العقلاء . و الأرجاس : الخبثاء .

[2] مرعاد مبراق . . . : بها رعد و برق . و المراد : وصفها بالشدّة .

كاشفة عن ساق : هي في إقبالها مجرّدة كالمشمر للحرب .

و المراد : بيان شدّة الأمر ، و في التنزيل : يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَ يُدعَونَ إلى السُّجُودِ فَلا يَستَطِيعُونَ 68 : 42 .

[3] و يفارق عليها الاسلام : الداخل فيها خارج من الاسلام .

[4] بريها . . . : المعافى من شرّها . سقيم : مبتلى بطرف منها .

و الظاعن : المرتحل عنها . مقيم : كأنّه فيها . و المراد : بيان شدّتها و شمولها الأمة .

[5] مطلول : غير مطالب بدمه .

[57]

الإيمان [1] ، فلا تكونوا أنصاب الفتن و أعلام البدع [2] ، و الزموا ما عقد عليه حبل الجماعة ،

و بنيت عليه أركان الطّاعة [3] ، و اقدموا على اللّه مظلومين و لا تقدموا عليه ظالمين ، و اتّقوا مدارج الشّيطان ، و مهابط العدوان [4] ، و لا تدخلوا بطونكم لعق الحرام ، فإنّكم بعين من حرّم عليكم

[1] يختلون . . . : يخدعون . و عقد الإيمان : بأيمان يقسمون لهم بها . و يغرونهم بالأيمان : يخدعونهم باتّصافهم بالإيمان و الاسلام .

[2] أنصاب الفتن . . . : رؤساؤها . و أعلام البدع : رؤوسها .

[3] و الزموا ما عقد عليه حبل الجماعة . . . : تمسّكوا بالتعاليم التي عليها جمهور المسلمين . و بنيت عليها أركان الطاعة :

الأصول التي شيّد عليها الإسلام .

[4] مدارج الشيطان . . . : سبله التي يتدرج بها في اغواء الناس .

و مهابط العدوان : الأعمال التي تهوي بالإنسان الى الحضيض .

[58]

المعصية [1] و سهّل لكم سبل الطّاعة

[58]

(148) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الدّال على وجوده بخلقه [2] ،

و بمحدث خلقه على أزليّته [3] ، و باشتباههم على

[1] و لا تدخلوا بطونكم لعق الحرام . . . : لعق جمع لعقة و هو ما تأخذه بالملعقة . و المراد : تجنّبوا حتى القليل من الحرام .

فانكم بعين من حرّم عليكم المعصية : أي يراكم . و تفيد بعض الأحاديث ان لا ينظر الانسان الى صغر المعصية ، بل ينظر الى من عصاه و خالفه .

[2] الدال على وجوده بخلقه : ان مخلوقاته تشهد بأن لها خالقا صانعا لاستحالة وجودها من غير موجد لها ، قائم على شؤونها ، مدبر لها .

[3] و بمحدث خلقه على أزليته : الأزلي : القديم . و المراد : أن جميع المحدثات (المخلوقات) صادرة عن محدث (خالق) لها .

[59]

أن لا شبه له ، لا تستلمه المشاعر ، و لا تحجبه السّواتر [1] ، لإفتراق الصّانع و المصنوع ، و الحادّ و المحدود [2] ، و الرّبّ و المربوب ، الأحد بلا تأويل عدد ، و الخالق لا بمعنى حركة و نصب ،

و السّميع لا بأداة ، و البصير بلا تفريق آلة ،

و الشّاهد لا بمماسّة ، و البائن لا بتراخي مسافة ،

و الظّاهر لا برؤية ، و الباطن لا بلطافة [3] ، بان [4]

[1] المشاعر . . . : الحواس . و المعنى : لا تدركه الحواس . و لا تحجبه السواتر : هو عالم بجميع مخلوقاته ، مطلع عليهم ،

القريب و البعيد لديه سواء ، علمه بمن في ظلمات البحار ،

و طبقات الأرض السفلى ، كعلمه بمن في السماوات العلى .

[2] الحاد . . . : الذي جعل لكل شيء حدّا ، و لكل بداية نهاية .

و المحدود : المخلوق ، فهو محدود العمر ، محدود الطاقة .

[3] الأحد لا بتأويل عدد . . . : واحدي الوجود . و المعنى : انه واحد لا ثاني له . الخالق لا بمعنى حركة و نصب : النصب :

التعب . و المعنى : انه خلق الأشياء بإرادته ، تنزّه من أن يلحقه جهد أو تعب . و في التنزيل : وَ لَقَد خَلَقْنَا السَّمَواتِ و الأرضَ وَ مَا بَيْنَهما في ستَّةِ أيّامٍ وَ مَا مَسَّنَا من لُغُوبٍ 50 : 38 .

و اللغوب : النصب و التعب ، البصير لا بتفريق آلة : لا بفتح عين . و المراد : انه يبصر الأشياء بقدرته الغير متناهية .

الشاهد . لا بمماسة : المراد بالمماسة القرب . و المعنى : انه شاهد كل صغيرة و كبيرة من خلقه ، خبير بها . و في التنزيل :

مَا يَكُونُ مِن نَجوى ثَلاثَةٍ إلاّ هُوَ رَابِعُهُم وَ لاَ خَمسَةٍ إلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ و لاَ أَكْثَر إلاّ هُوَ مَعَهُم أَينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّهُم بِمَا عَمِلُوا يَومَ القِيامَةِ إنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ 58 : 7 . البائن : المنفصل . لا بتراخي مسافة : مع انفصاله عنهم ليس بينه و بينهم بعد . الباطن لا بلطافة : الباطن :

الخفي . و الباطن من الأشياء ما كان لطيفا ، إمّا لصغره ، أو لطافة قوامه كالهواء ، و قد تنزّه عن ذلك كلّه .

[4] بان . . . : انفصل . بالقهر لها : بالغلبة عليها ، و التمكن منها .

و بانت : انفصلت . بالخضوع : بالاستسلام الى مشيئته .

من الأشياء بالقهر لها ، و القدرة عليها ، و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرّجوع إليه ، من وصفه فقد حدّه ، و من حدّه فقد عدّه ، و من عدّه فقد

أبطل أزله ، و من قال « كيف ؟ » فقد استوصفه ،

و من قال « أين ؟ » فقد حيّزه [1] ، عالم إذ لا معلوم ، و ربّ إذ لا مربوب ، و قادر إذ لا مقدور .

منها : قد طلع طالع ، و لمع لامع ، و لاح لائح [2] ، و اعتدل مائل ، و استبدل اللّه بقوم قوما ، و بيوم يوما ، و انتظرنا الغير انتظار المجدب [3] المطر ، و إنّما الأئمّة قوّام اللّه على

[1] من وصفه فقد حدّه . . . : من وصفه بالصفات التي توصف بها الأجسام فقد جعل له حدودا . و من حدّه فقد عدّه : جعله له اجزاء . و من عدّه فقد أبطل أزله . الأزل : القديم ، و المعدود محدث و ليس بقديم . و من قال : كيف ؟ فقد استوصفه :

طلب وصفه بصفات المخلوقين . و من قال : أين ؟ فقد حيّزه : الحيز : الجهة . و المراد : جعله في جهة معيّنة .

[2] لاح : بدا .

[3] الغير . . . : تقلّبات الزمان و تغيّراته : و المجدب الذي انقطع عنه المطر .

[62]

خلقه ، و عرفاؤه على عباده [1] ، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم و عرفوه ، و لا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم و أنكروه .

إنّ اللّه تعالى خصّكم بالإسلام ،

و استخلصكم له [2] ، و ذلك لأنّه اسم سلامة و جماع كرامة [3] ، اصطفى اللّه تعالى منهجه [4] ،

و بيّن حججه ، من ظاهر علم ، و باطن حكم ،

[1] انما الأئمة قوام اللّه على خلقه . . . : يقومون بأمر اللّه تعالى ،

تنصيبهم و تعليمهم يكون من قبل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، فهم يخلفونه في إقامة معالم الدين ، و ما يلزم لمصالح العباد . و العريف : القيّم بأمور الجماعة من الناس ، يلي أمورهم ، و يتعرّف الغير منه أحوالهم .

[2] استخصّكم له : أعدّكم له من بين سائر الأمم .

[3] جماع كرامة : به تنال كرامة الدنيا و الآخرة .

[4] اصطفى اللّه تعالى منهجه : اختاره لكم منهجا تنتهجوه ،

و طريقا تسلكوه .

[63]

لا تفنى غرائبه ، و لا تنقضي عجائبه [1] ، فيه مرابيع النّعم [2] و مصابيح الظّلم ، لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه ، و لا تكشف الظّلمات إلاّ بمصابيحه ، قد أحمى حماه ، و أرعى مرعاه [3] ، فيه شفاء المشتفي ، و كفاية المكتفي .

[1] لا تفنى غرائبه ، و لا تنقضي عجائبه : جعله سبحانه و تعالى ملائما لجميع العصور و الأجيال .

[2] فيه مرابيع النعم : هي الأمطار التي تأتي زمن الربيع ، فتحيي الأرض بعد موتها و جدبها . و المراد : وصف ما جعله اللّه جلّ جلاله في الاسلام من حياة القلوب ، و تهذيب النفوس ، التي بها يصل الانسان الى الدرجات الرفيعة ، و المراتب السامية .

[3] قد أحمى حماه . . . : جعله حمى لا يقرب ، و لا يحقّ لأحد أن يرعى فيه . و المراد : النهي عن الاقدام على المحرّمات .

و أرعى مرعاه : السماح بما أذن فيه و أباحه من الحلال .

[64]

(149) و من خطبة له عليه السلام

و هو في مهلة من اللّه يهوي مع الغافلين [1] و يغدو مع المذنبين ، بلا سبيل قاصد ، و لا إمام قائد [2] :

منها : حتّى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم ، و استخرجهم من جلابيب [3] غفلتهم ،

[1] في مهلة من اللّه . . . : هي فسحة العمر المقدرة للانسان .

و يهوي : يسقط . و الغافلين : المتباعدين عن اللّه تعالى .

[2] بلا سبيل قاصد . . . : لم يسلك طريقا موصلا للنجاة . و لا امام قائد : و لا يتبع أماما يقوده للصلاح .

[3] الجلباب : الملحفة التي تتحجب بها المرأة . و المراد : تشبيه حال العصاة حين ينكشف لهم ما أعدّ لهم من العذاب انكشاف المرأة اذا ألقت جلبابها .

[65]

استقبلوا مدبرا ، و استدبروا مقبلا [1] ، فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم ، و لا بما قضوا من وطرهم [2] و إنّي أحذّركم و نفسي هذه المنزلة ،

فلينتفع امرؤ بنفسه ، فإنّما البصير من سمع فتفكّر ، و نظر فأبصر ، و انتفع بالعبر [3] ، ثمّ سلك جددا واضحا يتجنّب فيه الصّرعة في المهاوي ،

و الضّلال في المغاوي [4] و لا يعين على نفسه

[1] استقبلوا مدبرا . . . : أهوال يوم القيامة . و استدبروا مقبلا : ما كانوا فيه من نعيم الدنيا .

[2] فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبهم ، و لا بما قضوا من وطرهم : لم ينفعهم هناك ما حصلوا عليه من دنيا ، و ما تنعّموا به من ملاذ .

[3] انتفع بالعبر : اتّعظ و انزجر عن المعاصي .

[4] جددا . . . : طريقا . و الصرعة : الغلبة . و المهاوي : جمع مهواة : ما بين الجبلين . و الضلال : الانحراف عما أمر اللّه تعالى به . و غوى : أمعن في الضلالة . و المراد : يتجنب السقوط في الرذيلة ، و البعد عن طريق الحق و النجاة .

[66]

الغواة بتعسّف في حقّ ، أو تحريف في نطق [1] ، أو تخوّف من صدق . فأفق أيّها السّامع من سكرتك ، و استيقظ من غفلتك و اختصر من عجلتك ، و أنعم الفكر فيما جاءك على لسان النّبيّ الأمّيّ ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، ممّا لا بدّ منه ، و لا محيص عنه [2] ، و خالف من خالف ذلك إلى غيره ، و دعه و ما رضي لنفسه ،

[1] و لا يعين على نفسه . . . : بما يعود ضرره عليه . و الغواة :

الذين يحملون الناس على الغواية و الجهل . و التعسف :

الظلم ، و الأخذ على غير الطريق . و تحريف في نطق : تغيير الكلام و صرفه عن معانيه . و المراد : مصانعتهم بلسانه .

و الجملة في التحذير من مقاربة الظالمين ، و التعاون معهم .

[2] لا محيص عنه : لا مفرّ منه .

[67]

و ضع فخرك ، و احطط كبرك [1] ، و اذكر قدرك ،

فإنّ عليه ممرّك ، و كما تدين تدان [2] ، و كما تزرع تحصد ، و كما قدّمت اليوم تقدم عليه غدا ،

فامهد لقدمك [3] و قدّم ليومك . فالحذر الحذر أيّها المستمع ، و الجدّ الجدّ أيّها الغافل وَ لاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ .

إنّ من عزائم اللّه [4] في الذّكر الحكيم الّتي

[1] ضع فخرك ، و احطط كبرك : أترك التفاخر و الكبرياء ، و اجعل الموت نصب عينيك .

[2] و كما تدين تدان : بما تعمل تجازى .

[3] فامهد لقدمك : أعدّ و هيّىء ما تقدم عليه . و يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « ان العمل الصالح ليذهب الى الجنة فيمهّد لصاحبه ، كما يبعث الرجل غلامه فيفرش له ، ثم قرأ : و الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلأنفسهم يمهّدون .

[4] عزائم اللّه : الأحكام التي لا يجوز مخالفتها مهما كانت الضرورة .

عليها يثيب و يعاقب ، و لها يرضى و يسخط ، أنّه لا ينفع عبدا و إن أجهد نفسه و أخلص فعله أن يخرج من الدّنيا لاقيا ربّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها : أن يشرك باللّه فيما افترض عليه من عبادته ، أو يشفي غيظه بهلاك نفس ، أو يعزّ بأمر فعله غيره ، أو يستنجح حاجة إلى النّاس بإظهار بدعة في دينه [1] ، أو يلقى النّاس

[1] يشفي غيظه بهلاك نفس . . . : ان حقده و ثورته لا تهدأ إلا بقتل نفس . أو يقرّ بأمر فعله غيره : ينقل كلاما أو فعلا قبيحا ارتكبه غيره ، يريد بذلك توهينه . أو يستنجح الى الناس :

يتوسّل و يطلب نجاح حاجته . و البدعة : ما استحدث من أمر الدين ما لم يكن على عهد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) .

و المراد : انّه يتوسّل بالسبل المحرّمة في سبيل الحصول على زعامة ، شأن أهل المذاهب الفاسدة .

بوجهين ، أو يمشي فيهم بلسانين [1] ، اعقل [2] ذلك فإنّ المثل دليل على شبهه .

إنّ البهائم همّها بطونها ، و إنّ السّباع همّها العدوان على غيرها ، و إنّ النّساء همّهنّ زينة الحياة الدّنيا و الفساد فيها ، إنّ المؤمنين مستكينون إنّ المؤمنين مشفقون [3] ، إنّ المؤمنين خائفون .

[1] يلقى الناس بوجهين : يظهر لهم غير ما يبطن . يمدحهم اذا حضروا ، و يذمّهم اذا غابوا . يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « من لقي المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامة و له لسانان من النار » .

[2] أعقل : أفهم .

[3] مستكينون . . . : خاضعون . مشفقون : خائفون .

(150) و من خطبة له عليه السلام

و ناظر قلب اللّبيب : به يبصر أمده ، و يعرف غوره و نجده [1] ، داع دعا و راع رعا [2] ،

فاستجيبوا للدّاعي ، و اتّبعوا الرّاعي .

قد خاضوا بحار الفتن ، و أخذوا بالبدع دون

[1] ناظر القلب . . . : بصيرة القلب . و اللبيب : العاقل . و الغور :

ما انخفض من الأرض . و النجد : ما ارتفع منها . و المراد : ان العاقل يدرك مخبيّات الأمور و لا ينخدع .

[2] داع دعا . . . : هو رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، دعا الناس الى طريق الهدى و الاستقامة . و راع رعى : يريد به نفسه المقدّسة ، لأنّ الأئمّة (عليهم السلام) رعاة الخلق و ولاتهم .

[71]

السّنن [1] ، و أرز المؤمنون [2] و نطق الضّالّون المكذّبون . نحن الشّعار و الأصحاب ، و الخزنة و الأبواب [3] و لا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقا .

[1] خاضوا بحار الفتن . . . : يشير الى قوم انغمسوا بالفتن ،

و تركوا طريق الحقّ . و أخذوا بالبدع دون السنن : البدع : ما استحدث في الدين مما ليس له أصل في كتاب اللّه و لا ورد عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) . و السنن : ما وجد عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) قولا و فعلا .

[2] أرز : انقبض و سكت . و المراد : سكوتهم لشدّة صولة الباطل .

[3] الشعار . . . : ما تحت الدثار من اللباس ، و هو ما يلي الجسد . و المراد : نحن خاصة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) . و الخزنة : للعلوم التي تعلموها من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، حتى قال (عليه السلام) : علّمني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ألف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب ألف باب . و الأبواب : إشارة الى ما رواه الخاص و العام : « أنا مدينة العلم و عليّ بابها » .

[72]

منها : فيهم كرائم القرآن ، و هم كنوز الرّحمن [1] ، إن نطقوا صدقوا ، و إن صمتوا لم يسبقوا [2] ، فليصدق رائد أهله [3] ، و ليحضر عقله ، و ليكن من أبناء الآخرة فإنّه منها قدم ،

[1] فيهم كرائم القرآن . . . : نزلت فيهم آيات من القرآن الكريم . روى الاربلي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : نزل القرآن أرباعا : فربع فينا ، و ربع في عدوّنا ، و ربع سير و أمثال ،

و ربع فرائض و أحكام ، و لنا كرائم القرآن . و يقول الشيخ محمد عبده : و القرآن كريم كله ، و هذه كرائم من كرائم . و هم كنوز الرحمن : خزائن علمه .

[2] ان صمتوا لم يسبقوا : ان سكوتهم لا يكون عن جهل منهم فيكون غيرهم قد سبقهم بالعلم ، بل بمقتضى الحكمة و المصلحة

[3] فليصدق رائد أهله : الرائد : الذي يرسله أهل الماشية يستعلم لهم موضع الكلاء ، يتعيّن عليه أن يصدقهم الخبر . و المراد :

ان الواجب على أهل العلم و المعرفة أن يصدقوا الناس و يرشدوهم الى مع علموه من فضل أهل البيت (عليهم السلام) .

[73]

و إليها ينقلب ، فالنّاظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدا عمله أن يعلم : أعمله عليه أم له [1] ؟ فإن كان له مضى فيه ، و إن كان عليه وقف عنه ، فإنّ العامل بغير علم كسائر في غير طريق ، فلا يزيده بعده عن الطّريق إلاّ بعدا من حاجته ، و العامل بالعلم كسائر على الطّريق الواضح ، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع .

و اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا على مثاله ، فما طاب ظاهره طاب باطنه ، و ما خبث ظاهره خبث باطنه ، و قد قال الرّسول الصّادق ، (صلّى اللّه عليه و سلم) : « إنّ اللّه يحبّ العبد و يبغض عمله ، و يحبّ العمل و يبغض بدنه » [2] . و اعلم

[1] عليه أم له : هل ينفعه في الآخرة أو يضرّه .

[2] ان اللّه يحبّ العبد . . . : المؤمن لإيمانه . و يبغض عمله اذا كان مخالفا للشريعة . و يحبّ العمل : الحسن و ان صدر من كافر . و يبغض بدنه : لكفره .

أنّ لكلّ عمل نباتا ، و كلّ نبات لا غنى به عن الماء ، و المياه مختلفة : فما طاب سقيه طاب غرسه و حلت ثمرته ، و ما خبث سقيه خبث غرسه و أمرّت ثمرته .

(151) و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفّاش [1]

الحمد للّه الّذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته ، و ردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا

[1] الخفاش : حيوان ثديي ، قادر على الطيران ، و لا يطير إلاّ في الليل .

إلى بلوغ غاية ملكوته [1] ، هو اللّه الملك الحقّ المبين [2] ، أحقّ و أبين ممّا تراه العيون ، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّها ، و لم تقع عليه الأوهام [3] بتقدير فيكون ممثّلا ، خلق الخلق على غير تمثيل ، و لا مشورة مشير ، و لا معونة معين ،

فتمّ خلقه بأمره ، و أذعن لطاعته فأجاب و لم

[1] انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته . . . : انقطعت . و المعنى :

عجز الواصفون عن صفته . و ردعت عظمته : منعت .

و المساغ : المسلك . و ملكوته : ملكه و سلطانه . و المراد : ان عظمته حجزت العقول عن الاهتداء و الوصول الى منتهى عزّه و سلطانه .

[2] المبين : البيّن الواضح .

[3] لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها . . . : لا تستطيع العقول أن تحدّه : أي تجعل لذاته حدودا و نهايات لأن ذلك من لوازم الأجسام ، و هو منزّه عن ذلك كله . و لم تقع عليه الأوهام : و حتى الأوهام و التخيّلات عاجزة عن إدراكه .

يدفع [1] و انقاد و لم ينازع .

و من لطائف صنعته ، و عجائب حكمته ، ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش الّتي يقبضها الضّياء الباسط لكلّ شيء ، و يبسطها الظّلام [2] القابض لكلّ حيّ ، و كيف عشيت أعينها [3] عن أن تستمدّ من الشّمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها [4] ، و تصل بعلانية برهان الشّمس إلى معارفها ، و ردعها [5] تلألؤ ضيائها

[1] لم يدفع : لم يمتنع .

[2] يقبضها الضياء الباسط . . . : يجعلها تختفي و تلازم أوكارها .

و يبسطها الظلام : يجعلها تخرج و تنتشر .

[3] عشيت أعينها : العشاء : سوء البصر بالنهار ، أو العمى .

[4] مذاهبها : مسالكها (طرقها) .

[5] ردعها : منعها .

[77]

عن المضيّ في سبحات إشراقها [1] و أكنّها [2] في مكامنها عن الذّهاب في بلج ائتلاقها [3] فهي مسدلة الجفون بالنّهار على أحداقها ، و جاعلة اللّيل سراجا تستدلّ به في التماس أرزاقها ، فلا يردّ أبصارها إسداف ظلمته ، و لا تمتنع من المضيّ فيه لغسق دجنّته [4] ، فإذا ألقت الشّمس قناعها [5] ، و بدت أوضاح نهارها ، و دخل من

[1] سبحات اشراقها : نورها و بهاؤها .

[2] أكنها : سترها .

[3] يلج . . . : الصبح : أسفر فأنار . و الإئتلاق : اللمعان .

و المراد : أنها تختفي عند نور الشمس .

[4] أسدف . . . : الليل : اذا أظلم ، و غسق الليل : أظلم .

و الدجنة : الظلمة . و المراد : ان ظلمة الليل لا تحجبها عن الإنطلاق .

[5] القناع : ما يستر به الوجه . و المراد : ظهور بياض الصبح .

[78]

إشراق نورها على الضّباب في وجارها [1] أطبقت الأجفان على مآقيها ، و تبلّغت [2] بما اكتسبت من فيء ظلم لياليها . فسبحان من جعل اللّيل لها نهارا و معاشا ، و النّهار سكنا و قرارا ، و جعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطّيران كأنّها شظايا [3] الآذان غير ذوات ريش و لا قصب [4] ، إلاّ أنّك ترى مواضع العروق بيّنة

[1] الضباب : جمع ضب : حيوان من جنس الزواحف ،

غليظ الجسم خشنه ، له ذنب عريض ملتوي ، يكثر في صحاري الأقطار العربية . و الوجار : حجره (بيته) و المراد من ذكره هنا لمعاكسته للخفاش ، فانه يخرج عند شروق الشمس .

[2] مآقيها . . . : جمع ماق : طرف العين مما يلي الأنف .

و تبلغت : اكتفت .

[3] الشظية : الفلقة من الشيء . و المراد : أن أجنحتها كأنّها مؤلّفة من قطع الآذان .

[4] القصبة : عمود الريش .

[79]

أعلاما [1] لها جناحان لمّا يرقّا فينشقّا ، و لم يغلظا فيثقلا [2] ، تطير و ولدها لاصق بها ، لاجىء إليها : يقع إذا وقعت ، و يرتفع إذا ارتفعت ، لا يفارقها حتّى تشتدّ أركانه ، و يحمله للنّهوض جناحه ، و يعرف مذاهب عيشه [3] و مصالح نفسه ،

فسبحان الباري لكلّ شيء على غير مثال خلا [4] من غيره .

[1] أعلاما : رسوما واضحة .

[2] لم يرقا فينشقا ، و لم يغلظا فيثقلا : لم يكونا رقيقين فيسرع لهما العطب ، و لا سميكين فيجهداها في الطيران .

[3] يعرف مذاهب عيشه : الطرق التي يكسب منها قوته .

[4] فسبحان . . . : تنزيها له . و الباري : المنشىء للخلق . و خلا :

تقدّم . و المراد : لم يسبقه خالق فيقلده في صنعه .

(152) و من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه [1] على اللّه فليفعل فإن أطعتموني فإنّي حاملكم إن شاء اللّه على سبيل الجنّة ، و إن كان ذا مشقّة شديدة ، و مذاقة مريرة .

و أمّا فلانة فأدركها رأي النّساء ، و ضغن غلا في صدرها كمرجل القين [2] و لو دعيت لتنال من

[1] يعتقل نفسه : يحبسها ، و يقصر بها على الطاعات .

[2] فلانة . . . : عائشة بنت أبي بكر . و الظغن : الحقد . و غلا جاوز الحدّ . و المرجل : القدر . و القين : الحداد . شبهها بقدر الحداد لأنها دائمة الغليان .

غيري ما أتت إليّ لم تفعل . و لها بعد حرمتها الأولى ، و الحساب على اللّه .

منه : سبيل أبلج [1] المنهاج ، أنور السّراج ، فبالإيمان يستدلّ على الصّالحات ،

و بالصّالحات يستدلّ على الإيمان [2] ، و بالإيمان يعمر العلم ، و بالعلم يرهب الموت [3] ،

[1] السبيل . . . : الطريق . و بلج الصبح أسفر و أنار . و المراد :

الطريق الى اللّه تعالى واضح المعالم ، نيّر المسالك .

[2] فبالإيمان يستدل على الصالحات . . . : وجوده باعث و محفز للعبد على الطاعة . و بالصالحات يستدل على الإيمان : يتبيّن و يستدل عليه بالأعمال المقرّبة الى اللّه تعالى .

[3] و بالعلم يرهب الموت : لأن العلم يدعو الى العمل ، و من مستلزمات العالم العامل الاستعداد للموت و لما بعده .

و بالموت تختم الدّنيا ، و بالدّنيا تحرز الآخرة [1] و إنّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة ، مزقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى [2] .

و منه : قد شخصوا من مستقرّ الأجداث ،

و صاروا إلى مصائر الغايات [3] ، لكلّ دار أهلها :

[1] و بالدنيا تحرز الآخرة : بالأعمال الصالحة التي يعملها العبد في الدنيا يحصّل بها المقامات الرفيعة في الآخرة .

[2] لا مقصر لهم . . . : لا مستقر لهم ، أي لا بدّ لهم من الأنتقال إلى الآخرة ، و بها يسعدوا أو يشقوا . مرقلين : مسرعين .

و المضمار : المكان الذي تعدّ فيه الخيل للسباق ، و محلّ تسابقها . و المراد : أن الدنيا محلّ تسابق العباد بالأعمال الصالحة . و الغاية القصوى : النتيجة الحتمية للسعادة و الشقاء .

[3] قد شخصوا من مستقر الأجداث ، و صاروا الى مصائر الغايات : الجدث : القبر . و المصير : ما ينتهي إليه الأمر .

و المراد : انتقلوا من قبورهم الى مصيرهم النهائي ، من سعادة أو شقاء .

لا يستبدلون بها ، و لا ينقلون عنها ، و إنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لخلقان من خلق اللّه سبحانه ، و إنّهما لا يقرّبان من أجل ، و لا ينقصان من رزق [1] ، و عليكم بكتاب اللّه فإنّه الحبل المتين ، و النور المبين ، و الشّفاء النّافع ، و الرّيّ النّاقع ، و العصمة للمتمسّك [2] ، و النجاة للمتعلّق لا يعوجّ فيقام ، و لا يزيع فيستعتب ، و لا تخلقه

[1] الأمر بالمعروف . . . : الأمر بالأعمال الحسنة . و النهي عن المنكر : النهي عن الأعمال السيّئة . لخلقان من خلق اللّه :

محبوبان عنده ، أمر بهما عباده ، و أحبّ من أتى بهما منهم .

و انّهما لا يقرّبان من أجل . . الخ : لا يجلبان للعامل بهما موتا ، و لا يحرمانه رزقا .

[2] الحبل المتين . . . : السبيل القوي للنجاة ، تشبيها بالحبل الذي ينجو المتعلق به في الخروج من البئر . الري الناقع : المزيل للعطش . و أعتصم به أمتنع به ، و لجأ إليه .

و المتمسك : العامل بأحكامه . و المراد : ان الذي يسير على نهج القرآن معتصم على سبيل نجاة .

كثرة الرّدّ [1] و ولوج السّمع . من قال به صدق ،

و من عمل به سبق .

و قام إليه رجل و قال : أخبرنا عن الفتنة [2] ،

و هل سألت عنها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ؟ فقال (عليه السلام) :

لمّا أنزل اللّه سبحانه قوله : أَلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لاَ يُفْتَنُونَ [3]

[1] لا يعوج . . . : لا ينحرف فيحتاج الى مقوّم . و لا يزيغ :

يميل عن الحق . فيستعتب : يطلب منه العتبى و الرجوع الى الحقّ . و الخلق بكسر اللام : البالي . و كثرة الردّ : كثرة التكرار و التلاوة . و المراد : ان القرآن لما كان كلام اللّه جلّ جلاله ، و معجزة الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) ، لا يزيده تكرار القراءة إلاّ رغبة فيه ، و تعلّقا به ، خلافا لغيره من الكلام فانّه يملّ بالتكرار .

[2] الفتنة : الإبتلاء و الإمتحان و الإختبار .

[3] أيظنّ الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا : إنّا مؤمنون فقط ،

و يقتصر منهم على هذا القدر ، و لا يمتحنون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم ؟ هذا لا يكون .

[85]

علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، بين أظهرنا ، فقلت : يا رسول اللّه ،

ما هذه الفتنة الّتي أخبرك اللّه بها ؟ فقال : « يا عليّ ، إنّ أمّتي سيفتنون [1] من بعدي » فقلت : يا رسول اللّه ، أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين و حيزت عنّي الشّهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي « أبشر ، فإنّ الشّهادة من ورائك [2] » ؟ فقال لي « إنّ ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذا ؟ » فقلت : يا رسول اللّه ، ليس هذا من مواطن الصّبر ، و لكن من

[1] سيفتنون : يبتلون في أنفسهم و أموالهم .

[2] انحاز . . . : عدل . و المراد : لم أظفر بها : فشقّ : صعب .

من ورائك : امامك .

[86]

مواطن البشرى و الشّكر [1] ، و قال « يا عليّ ، إنّ القوم سيفتنون بعدي بأموالهم ، و يمنّون بدينهم على ربّهم [2] و يتمنّون رحمته ، و يأمنون سطوته [3] ، و يستحلّون حرامه بالشّبهات [4] الكاذبة

[1] من مواطن البشرى و الشكر : مما استبشر و أفرح بها ، و أشكر اللّه تعالى عليها ، لأنّها النعمة الكبرى وَ لاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .

فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لم يَلحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ألاّ خَوفٌ عَلَيْهِم وَ لاَ هُمْ يَحزَنُونَ 3 :

. 170

[2] يمنون بدينهم على ربّهم : كأن لهم المنّة عليه يَمُنُّونَ عَلَيكَ أَن أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيكُمْ أَنْ هَداكُم لِلإِيمَانِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ 49 : 17 .

[3] سطوته : بطشه و قهره .

[4] يستحلّون حرامه بالشبهات : الشبهة : الالتباس في الشرع ،

و سميت شبهة لأنّها تشبه الحق . و الأهواء : ما تهواه النفس ،

و هو محذّر منه في الشريعة . و الساهية : الغافلة ، و المراد :

أنّهم يجرجرون بالشريعة تبعا لأهوائهم و رغباتهم ، فان لامهم لائم اعترضوا بتلك الشبه .

[87]

و الأهواء السّاهية ، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ ،

و السّحت [1] بالهديّة ، و الرّبا بالبيع » فقلت : يا رسول اللّه ، بأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك ؟

أ بمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة [2] ؟ فقال : « بمنزلة فتنة » .

(153) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الّذي جعل الحمد مفتاحا لذكره ،

و سببا للمزيد من فضله ، و دليلا على آلائه [3] و عظمته .

[1] السحت : ما خبث و قبح من المكاسب ، و لزم منه العار ،

كالرشوة و غيرها .

[2] الردّة . . . : الإرتداد عن الإسلام . و المراد بالفتنة : البلية في الدين ، و هي دون الكفر .

[3] مفتاحا لذكره : به تفتتح الصلاة ، و به يبدأ الدعاء ، و هو أحبّ الأعمال الى اللّه تعالى . و سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن أحبّ الأعمال الى اللّه عزّ و جلّ ، فقال : أن تحمده . و آلائه :

نعمه .

[88]

عباد اللّه ، إنّ الدّهر يجري بالباقين كجريه بالماضين ، لا يعود ما قد ولّى منه ، و لا يبقى سرمدا [1] ما فيه . آخر فعاله كأوّله ، متسابقة أموره ، متظاهرة أعلامه [2] ، فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزّاجر بشوله [3] ، فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظّلمات ، و ارتبك في

[1] سرمدا : دائما لا ينقطع .

[2] متسابقة أموره . . . : متوالية مصائبه و نكباته ، فهي تجري مجرى التسابق ، فلا يكاد يفرغ من واحدة حتى تحلّ به الأخرى . متظاهرة أعلامه : يعمل بالمتأخرين كعمله بالأولين من الهلاك و الإبادة .

[3] تحدوكم . . . : حدا الإبل : ساقها و حثّها على السير .

و الزاجر : السائق . و الشول من الابل التي مضى من حملها أو وضعها سبعة أشهر .

[89]

الهلكات ، و مدّت به شياطينه في طغيانه [1] ،

و زيّنت له سيّء أعماله ، فالجنّة غاية السّابقين ،

و النّار غاية المفرّطين [2] .

اعلموا عباد اللّه ، أنّ التّقوى دار حصن عزيز ، و الفجور دار حصن ذليل : لا يمنع أهله ،

و لا يحرز من لجأ إليه [3] . ألا و بالتّقوى تقطع حمة الخطايا ، و باليقين تدرك الغاية القصوى [4] .

[1] شغل نفسه بغير نفسه : اهتم بما لا ينفعه و ينجيه في الآخرة . و مدت له شياطينه في طغيانه : زادته الشياطين ضلالا و طغيانا .

[2] الغاية . . . : النهاية و الآخر . و المفرطين : المقصّرين في طاعة اللّه تعالى .

[3] التقوى . . . : هي العمل بما أمر اللّه تعالى به ، و الانتهاء عمّا نهى عنه . و الحصن : الموضع المنيع . و المراد : ان المتقي أحرز النجاة ، و أمن من المخاوف . و لا يحرز : و لا يحفظ . و لجأ إليه : اعتصم به .

[4] الحمة . . . : إبرة العقرب . و المراد : ان التقوى الحصانة المانعة للإنسان من ارتكاب المآثم . و اليقين : العلم و زوال الشكّ ، و فسّر بالتوكّل على اللّه تعالى ، و التسليم لأمره ،

و الرضا بقضائه ، و التفويض إليه . و الغاية القصوى : النهاية التي ليس بعدها شيء ، و المراد بها الجنة .

[90]

عباد اللّه ، اللّه اللّه في أعزّ الأنفس عليكم ،

و أحبّها إليكم ، فإنّ اللّه قد أوضح لكم سبيل الحقّ [1] و أنار طرقه . فشقوة لازمة ، أو سعادة دائمة ، فتزوّدوا في أيّام الفناء لأيّام البقاء [2] ، قد دللتم على الزّاد ، و أمرتم بالظّعن ، و حثثتم على المسير ، فإنّما أنتم كركب وقوف ، لا تدرون متى تؤمرون بالمسير [3] .

[1] سبيل الحق : طريقه .

[2] تزوّدوا . . . : حصّلوا فيها ما ينفعكم . و أيام الفناء : الدنيا .

لأيام البقاء : الآخرة .

[3] الظعن : المسير . و متى يؤمرون بالمسير : المراد بذلك الموت .

[91]

ألا فما يصنع بالدّنيا من خلق للآخرة ؟ و ما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه ، و تبقى عليه تبعته و حسابه [1] ؟ .

عباد اللّه ، إنّه ليس لما وعد اللّه من الخير مترك ، و لا فيما نهى عنه من الشّرّ مرغب [2] عباد اللّه ، احذروا يوما تفحص فيه الأعمال ، و يكثر فيه الزّلزال ، و تشيب فيه الأطفال [3] .

[1] تبعته : مسؤوليته ، و المحاسبة عليه .

[2] ليس لما وعد اللّه من الخير مترك . . . : لا يسعك ترك شيء منه . و لا فيما نهى عنه من الشرّ مرغب : لا يمكن لعاقل أن يختاره و يرغب فيه .

[3] تفحص فيه الأعمال . . . : يدقق النظر فيها لينال الجزاء عليها . و يكثر فيها الزلزال : الهول و البلية و الشدة يَومَ تَرَونَهَا تَذهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَت وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَملَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارى وَ مَا هُمْ بِسُكَارى و لكِنَّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيد 22 : 2 . و تشيب فيه الأطفال : و هذه نهاية الشدّة التي يشيب فيها حتى الطفل فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إن كَفَرتُم يَوماً يَجعَلُ الوِلدَانَ شيباً 73 : 17 .

[92]

اعلموا عباد اللّه ، أنّ عليكم رصدا من أنفسكم ، و عيونا من جوارحكم ، و حفّاظ صدق يحفظون أعمالكم [1] و عدد أنفاسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، و لا يكنّكم منهم باب ذو رتاج [2] و إنّ غدا من اليوم قريب .

يذهب اليوم بما فيه ، و يجيء الغد لاحقا

[1] الرصد . . . : الرقيب . و العين : الجاسوس . و المراد : ان جوارح الانسان عيون تشهد عليه يوم القيامة يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيهِمْ أَلْسِنَتَهُم و أَيْدِيهِمْ و أَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 24 :

24 . و حفاظ صدق : المراد بهم الملائكة مَا يَلفِظُ مِن قَولٍ إلاّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيد 50 : 18 .

[2] ليل داج . . . : شديد الظلمة . و لا يكنكم : و لا يستركم . باب ذو رتاج : باب عظيم مغلق . و المراد : أن ما يستتر به المجرمون عن الناس حال ارتكابهم للجرائم هو مكشوف و مشاهد للملائكة .

[93]

به [1] ، فكأنّ كلّ امرىء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته [2] ، و مخطّ حفرته ، فياله من بيت وحدة ، و منزل وحشة ، و مفرد غربة و كأنّ الصّيحة قد أتتكم ، و السّاعة قد غشيتكم و برزتم لفصل القضاء [3] ، قد زاحت عنكم الأباطيل ،

و اضمحلّت عنكم العلل ، و استحقّت بكم الحقائق ، و صدرت بكم الأمور مصادرها [4] ،

[1] و ان غدا من اليوم قريب . . . : المراد من الغد هو الموت ،

و ليس بيننا و بينه إلاّ انقطاع النفس . و يجيء لاحقا به : يشير الى سرعة مرور الزمن ، فالأيام تمرّ سريعة .

[2] منزل وحدته : القبر .

[3] و كأن الصيحة قد أتتكم . . . : هي نفخة اسرافيل التي يقوم فيها الخلائق للحساب . و الساعة : القيامة . و غشيتكم :

أدركتكم ، و لا محيص لكم منها . و برزتم لفصل القضاء :

حوسبتم على أعمالكم .

[4] قد زاحت عنكم الأباطيل . . . : هي الأعذار التي يعتذر بها المسيؤون . و اضمحلّت عنكم العلل : ما يتعللون به أمام من يلومهم . و استحقت بكم الحقائق : وجب و حقّ ما كنتم توعدون به من شدّة ذلك اليوم و أنتم في الدنيا . و صدرت بكم الأمور مصادرها : رجوع كل امرىء الى ثمرة ما قدّم .

[94]

فاتّعظوا بالعبر ، و اعتبروا بالغير ، و انتفعوا بالنّذر [1] .

[1] فاتّعظوا بالعبر : الموعظة : ما يوعظ به من قول و فعل .

و العبرة : الاتعاظ و الاعتبار بما مضى . و الغير : تغيرات الدهر ، و تبدلات الزمن ، و ما يشاهد من مصائب الدنيا و تقلباتها . و انتفعوا بالنذر : بما أنذركم و خوّفكم به اللّه جلّ جلاله ، و رسوله (صلّى اللّه عليه و آله) .

[95]

محتويات الكتاب

133 و من كلام له عليه السلام في معنى طلحة و الزبير 3

134 و من خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم 7

135 و من كلام له عليه السلام في وقت الشورى 11

136 و من كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس 12

137 و من كلام له عليه السلام 14

138 و من كلام له عليه السلام 15

139 و من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء 17

140 و من كلام له عليه السلام 21

141 و من خطبة له عليه السلام 25

142 و من كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب و قد استشاره في غزو الفرس بنفسه 28

143 و من خطبة له عليه السلام 31

144 و من كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة 38

145 و من كلام له عليه السلام قبل موته 40

146 و من خطبة له عليه السلام في الملاحم 44

147 و من خطبة له عليه السلام 50

148 و من خطبة له عليه السلام 58

149 و من خطبة له عليه السلام 64

150 و من خطبة له عليه السلام 70

151 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش 74

152 و من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم 80

153 و من خطبة له عليه السلام 87

الحلقة 15 16

بسم الله الرحمن الرحيم

(154) و من خطبة له عليه السلام

أرسله على حين فترة من الرّسل ، و طول هجعة من الأمم ، و انتقاض من المبرم [1] ،

[1] فترة من الرسل . . . : هي المدة التي بينه و بين عيسى (عليه السلام) . و الهجعة : النوم ليلا . و انتقاض من المبرم :

الانتقاض : الانتقاض . و أبرمت الأمر أحكمته . و المراد : ما أسسه و أحكمه النبيون قد خرّبه و نقضه أهل الجاهلية .

[4]

فجاءهم بتصديق الّذي بين يديه [1] ، و النّور المقتدى به : ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق ،

و لكن أخبركم عنه ، ألا إنّ فيه علم ما يأتي ،

و الحديث عن الماضي ، و دواء دائكم ، و نظم ما بينكم [2] .

منها : فعند ذلك لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلاّ

[1] بتصديق الذي بين يديه : ما قبله من الكتب وَ أَنزَلنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ 5 : 48 . و المراد : جاء بتصديقهم و بالنهج الذي أتوا به ، لأن الدين عند الله الإسلام ، و هو رسالة جميع الأنبياء مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَ لاَ نَصرَانِيّاً وَ لكِن كانَ حَنِيفاً مُسلِماً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ 3 : 67 .

[2] دواء دائكم . . . : علاج أمراضكم النفسية . و نظم ما بينكم :

المراد بذلك أنظمته و قوانينه التي تحفظ حقوق الفرد و الجماعة ، و تأخذ بيد العالم أجمع الى حياة سلمية .

[5]

و أدخله الظّلمة ترحة ، و أولجوا فيه نقمة [1] ،

فيومئذ لا يبقى لكم في السّماء عاذر ، و لا في الأرض ناصر ، أصفيتم ، بالأمر غير أهله ،

و أوردتموه غير مورده [2] ، و سينتقم الله ممّن ظلم :

مأكلا بمأكل ، و مشربا بمشرب : من مطاعم العلقم ، و مشربا بمشرب : من مطاعم العلقم ، و مشارب الصّبر و المقر ، و لباس شعار الخوف ، و دثار السّيف [3] ، و إنّما هم مطايا

[1] بيت مدر و لا وبر . . . : المدر : الحجر . و المراد بذلك بيوت المدن . و الوبر : ما يعلو جلد البعير . و المراد بذلك بيوت القرى . و المعنى : ان ظلمهم يشمل أهل المدن و القرى .

ترحة : حزن . و أولجوا : أدخلوا فيه نقمة : عقوبة .

[2] اصفيتم الأمر . . . : آثرتم به ، و خصصتم به . و هذا أحد الموارد الكثيرة التي يشير فيها الى حقه الشرعي بالخلافة .

و أوردتموه غير مورده : أعطيتم الخلافة الى غير أهلها المنصوص عليهم .

[3] مأكلا بمأكل . . . : يبد لهم مأكلا مرارته كالعلقم ، و مشربا مرارته كالصبر و السم . و العلقم : نبت مرّ . و المقرّ : السم .

و المراد : وصف ما يصيبهم من القتل و التشريد . و الشعار : ما يلي الجسد من الثياب . و الدثار : الثوب الذي يكون فوق الشعار . و المراد : وصف ما يصيبهم من خوف ، و ما ينالهم من القتل : و قد تحقق ذلك بما نالهم من العباسيين .

[6]

الخطيئات ، و زوامل الآثام [1] ، فأقسم ثمّ أقسم لتنخمنّها أميّة من بعدي كما تلفظ النّخامة ، ثمّ لا تذوقها و لا تطعم بطعمها أبدا ما كرّ الجديدان [2] .

(155) و من خطبة له عليه السلام

و لقد أحسنت جواركم ، و أحطت بجهدي من

[1] مطايا الخطيئات . . . : المطية ما يمتطى من الدواب .

و الخطايا : الذنوب . و المراد : وصف كثرة ذنوبهم . و الزاملة :

ما يحمل عليه من الابل و غيرها . و الآثام : الذنوب . و المراد :

وصف عظم جرائمهم .

[2] لتنخمنّها أمية . . . : لتلفظنّ النخامة . و النخامة : البلغم يلفظه الإنسان من حلقه . و الجديدان : الليل و النهار . وكّرا :

عادا مرّة بعد أخرى . و المراد : بيان انقطاع ملكهم .

[7]

ورائكم ، و أعتقتكم من ربق الذّلّ ، و حلق الضّيم [1] ، شكرا منّي للبرّ القليل و إطراقا [2] عمّا أدركه البصر ، و شهده البدن من المنكر الكثير .

[1] و أحطت بجهدي من ورائكم . . . : بذلت مجهودي لحمايتكم . و أعتقتكم من ربق الذلّ : العتق : تحرير العبد من العبودية . و الربق : حبل فيه عدّة عرى يشدّ به الحيوانات ،

و كل عروة منه ربقة . و حلق جمع حلقة : كلّ شيء استدار كحلقة الباب و نحوها . و الضيم : الذل . و المراد : وصف ما كانوا يعانونه من الذل .

[2] شكرا منّي للبر القليل : البر : المعروف . و المراد : تثمينه لاحسانهم و ان قلّ . و اطراقا . . . : سكوتا . و المراد : بيان جهوده الإصلاحية في تقويمهم و هدايتهم للنجاة من ذلّ الآخرة و أهوالها .

[8]

(156) و من خطبة له عليه السلام

أمره قضاء و حكمة ، و رضاه أمان و رحمة [1] ،

يقضي بعلم ، و يعفو بحلم [2] . اللّهمّ لك الحمد على ما تأخذ و تعطي ، و على ما تعافي و تبتلي ،

حمدا يكون أرضى الحمد لك ، و أحبّ الحمد إليك ، و أفضل الحمد عندك ، حمدا يملأ ما خلقت ، و يبلغ ما أردت ، حمدا لا يحجب

[1] أمره قضاء و حكمة . . . : القضاء : الحتم . و حكمة : طبقا للمصلحة و ان خفيت : و رضاه أمان و رحمة : أمان : من العذاب و الهوان . و رحمة : يدرك به السعادة الكبرى .

[2] يقضي بعلم . . . : يحكم بمقتضى علمه بما يصلح به عباده . و يعفو بحلم : يصفح عنهم مع الاقتدار على أخذهم ، حلما منه و تكرّما .

عنك ، و لا يقصر دونك [1] ، حمدا لا ينقطع عدده ، و لا يفنى مدده ، فلسنا نعلم كنه [2] عظمتك ، إلاّ أنّا نعلم أنّك حيّ قيّوم لا تأخذك سنة [3] و لا نوم ، لم ينته إليك نظر [4] ، و لم يدركك بصر ، أدركت الأبصار ، و أحصيت الأعمار ، و أخذت بالنّواصي [5] و الأقدام ، و ما الّذي نرى من خلقك و نعجب له من قدرتك ،

[1] لا يقصر دونك : لا يحجب عنك . و المراد : تنزيه العمل من الرياء و العجب و غير ذلك من الآفات التي ترد بها الأعمال .

[2] الكنه : جوهر الشيء و حقيقته . و المراد : لسنا نعلم حقيقة عظمتك .

[3] حيّ . . . : لا يعتريك فناء . و القيوم : القائم بتدبير خلقه من انشائهم ، و إيصال أرزاقهم إليهم . و السنة : النعاس .

و المراد : لا يغفل عن خلقه .

[4] لم ينته إليك نظر : تنزّهت أن تراك العيون لاَ تُدرِكُهُ الأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ 6 : 103 .

[5] النواصي جمع ناصية : مقدّم الرأس .

و نصفه من عظيم سلطانك ، و ما تغيّب عنّا منه ،

و قصرت أبصارنا عنه ، و انتهت عقولنا دونه ،

و حالت ستور الغيوب بيننا و بينه ، أعظم [1] فمن فرّغ قلبه ، و أعمل فكره ، ليعلم كيف أقمت عرشك ، و كيف ذرأت [2] خلقك ، و كيف علّقت في الهواء سمواتك ، و كيف مددت على مور [3] الماء أرضك ، رجع طرفه حسيرا ، و عقله مبهورا ، و سمعه والها [4] ، و فكره حائرا .

[1] و حالت سواتر الغيوب بيننا و بينه أعظم : ما غاب عنّا من عظم مخلوقاتك أكبر مما نشاهده . و مصداق كلامه (عليه السلام) اكتشاف العلماء في عصرنا لكواكب أكبر حجما من الشمس ملايين المرّات ، و بيننا و بينها ملايين السنين الضوئية ، تعالى الخلاّق العليم .

[2] ذرأت : خلقت .

[3] المور : الموج .

[4] حسيرا . . . : كالا من كثرة المراجعة يَنقَلِب إِلَيكَ البَصَر خَاسِئاً وَ هُوَ حَسِير 67 : 4 . مبهورا : مغلوبا . والها : فاقدا للشعور .

منها : يدّعي بزعمه أنّه يرجو اللّه كذب و العظيم ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله ، فكلّ من رجا عرف رجاؤه في عمله [1] ، إلاّ رجاء اللّه فإنّه مدخول ، و كلّ خوف محقّق ، إلاّ خوف اللّه فإنّه معلول [2] : يرجو اللّه في الكبير ، و يرجو العباد في الصّغير ، فيعطي العبد ما لا يعطي الرّبّ [3] ، فما بال اللّه ، جلّ ثناؤه ، يقصّر به عمّا

[1] لا يتبين رجاؤه في عمله : ان الراجي لنوال شخص و احسانه يمتثل أمره ، و يجتهد في كسب رضاه ، بينما أعمالكم تدل على عدم رجائكم ، لمخالفتكم لمن ترجونه .

[2] مدخول . . . : فيه شبهة و ريبة وَ لاَ تَتَّخِذُوا أَيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلّ قَدَمُ بَعدَ ثُبُوتِهَا 16 : 94 . معلول : غير خالص .

[3] يرجو اللّه في الكبير . . . : لنعيم الآخرة الذي لا يزول .

و يرجو العباد في الصغير : في بعض أمور الدنيا الفانية فيعطي العبد ما لا يعطي الربّ : يجتهد في ارضاء من رجاه من المخلوقين ، و لا يهتمّ بتحصيل رضاء الخالق .

[12]

يصنع لعباده ؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذبا ، أو تكون لا تراه للرّجاء موضعا ، و كذلك إن هو خاف عبدا من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه ، فجعل خوفه من العباد نقدا ، و خوفه من خالقهم ضمارا [1] و وعدا و كذلك من عظمت الدّنيا في عينه و كبر موقعها في قلبه آثرها على اللّه فانقطع إليها ، و صار عبدا لها .

و قد كان في رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله) ، كاف لك في الأسوة [2] و دليل لك على ذمّ الدّنيا و عيبها ، و كثرة مخازيها و مساويها ، إذ قبضت عنه أطرافها ، و وطّئت لغيره أكنافها ، و فطم

[1] الضمار : هو الذي لا يرجى من الموعود .

[2] الأسوة : الاقتداء .

[13]

عن رضاعها ، و زوي عن زخارفها [1] ، و إن شئت ثنّيت بموسى كليم اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله) ،

إذ يقول : رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ و اللّه ما سأله إلاّ خبزا يأكله ، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض . و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاف بطنه لهزاله و تشذّب لحمه [2] و إن شئت ثلّثت بداود ، (صلّى اللّه عليه و سلّم) ،

صاحب المزامير ، و قارىء أهل الجنّة ، فلقد كان يعمل سفائف الخوص [3] بيده و يقول لجلسائه :

[1] قبضت عنه أطرافها . . . : قبض عليه الرزق ضيّقه .

و أكنافها : جوانبها . ففطم عن رضاعها : استغنى عنها .

و زوى الشيء : طواه و جمعه و قبضه . و الزخرف : الذهب .

[2] من شفيف صفاق بطنه : الشفيف : ما رقّ منه فلم يحجب البصر عن إدراك ما رآه . و صفاق بطنه : الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر . و تشذب لحمه : تفرّقه .

[3] سفائف الخوص : ما يعمل من خوص النخل من حصر و غيرها .

[14]

أيّكم يكفيني بيعها ؟ و يأكل قرص الشّعير من ثمنها ، و إن شئت قلت في عيسى ابن مريم ،

(عليه السلام) ، فلقد كان يتوسّد الحجر و يلبس الخشن ، و يأكل الجشب و كان إدامه الجوع ،

و سراجه باللّيل القمر ، و ظلاله [1] في الشّتاء مشارق الأرض و مغاربها ، و فاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه [2] ، و لا ولد يحزنه ، و لا مال يلفته ، و لا طمع يذلّه ، دابّته رجلاه ، و خادمه يداه .

فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر (صلّى اللّه عليه

[1] جشب . . . الرجل : غلظ مأكله و خشن . و الأدام : الطعام الذي يؤكل مع الخبز . و ظلاله : ما يستظلّ به من الشمس .

[2] تفتنه . . . : يبتلى بها وَ اعلَمُوا أَنَّما أَمْوَالكُم وَ أَولادُكُمْ فِتْنَةٌ 8 : 28 . و لفت الشيء : لواه الى غير وجهه ، و صرفه ذات اليمين و ذات الشمال .

[15]

و آله) ، فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى ، و عزاء لمن تعزّى ، و أحبّ العباد إلى اللّه المتأسّي بنبيّه ،

و المقتصّ لأثره [1] : قضم الدّنيا قضما [2] و لم يعرها طرفا ، أهضم أهل الدّنيا كشحا ، و أخمصهم من الدّنيا بطنا [3] ، عرضت عليه الدّنيا فأبى أن يقبلها ، و علم أنّ اللّه سبحانه أبغض شيئا فأبغضه ، و حقر شيئا فحقره ، و صغّر شيئا فصغّره ، و لو لم يكن فينا إلاّ حبّنا ما أبغض اللّه

[1] فتأس بنبيك . . . : أقتد به لَقَد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسوةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَ اليَوْمَ الآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثيراً 33 :

21 . المقتصّ لأثره : يأخذ ذلك للعمل و التطبيق .

[2] قضم الشيء : كسره باطراف أسنانه . و المراد : بيان قلة تناوله منها .

[3] هضم هضما : خمص بطنه ، و لطف كشحه ، و قلّ اتّساع جنبيه . و الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف .

و أخمصهم : أخلاهم .

[16]

و رسوله ، و تعظيمنا ما صغّر اللّه و رسوله ، لكفى به شقاقا للّه ، و محادّة [1] عن أمر اللّه و لقد كان ،

(صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، يأكل على الأرض ، و يجلس جلسة العبد ، و يخصف بيده نعله ، و يرقع بيده ثوبه ، و يركب الحمار العاري ،

و يردف خلفه [2] ، و يكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التّصاوير فيقول : يا فلانة لإحدى أزواجه غيّبيه عنّي ، فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت

[1] و لو لم يكن فينا إلاّ حبّنا ما أبغض اللّه و رسوله . . . : لو لم يكن في حبّ الدنيا ، و الاهتمام بها ، و السعي لها ، إلاّ أنّها مبغوضة عند اللّه و رسوله لكفى في ذلك عيبا . و شقاقا :

مخالفا وَ مَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَ يَتَّبع غَيرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرا 4 : 115 . و محادّة : مخالفة في عناد .

[2] يخصف نعله . . . : يصلحها . و يردف خلفه : يركب معه آخر .

[17]

الدّنيا و زخارفها [1] فأعرض عن الدّنيا بقلبه ،

و أمات ذكرها من نفسه ، و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتّخذ منها رياشا ، و لا يعتقدها قرارا [2] ، و لا يرجو فيها مقاما ، فأخرجها من النّفس ، و أشخصها [3] عن القلب ، و غيّبها عن البصر ، و كذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه ، و أن يذكر عنده .

و لقد كان في رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، ما يدلّك على مساوي الدّنيا و عيوبها ، إذ جاع فيها مع خاصّته ، و زويت عنه

[1] زخارفها : زينتها .

[2] رياشا . . . : لباسا فاخرا . و عقد قلبه على الشيء : لزمه .

و قرارا : مستقرا .

[3] اشخصها : أبعدها .

[18]

زخارفها مع عظيم زلفته [1] . فلينظر ناظر بعقله أكرم اللّه محمّدا بذلك أم أهانه ؟ فإن قال :

« أهانه » فقد كذب و أتى بالإفك العظيم ، و إن قال : « أكرمه » فليعلم أنّ اللّه قد أهان غيره حيث بسط الدّنيا له ، و زواها عن أقرب النّاس منه ، فتأسّى متأسّ بنبيّه و اقتصّ أثره ، و ولج مولجه [2] و إلاّ فلا يأمن الهلكة ، فإنّ اللّه جعل محمّدا ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، علما

[1] خاصته . . . : أهل بيته الذين خرج بهم لمباهلة نصارى نجران ، و هم عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و زويت : صرفت . و الزلفى : المنزلة و الدرجة الرفيعة .

[2] التأسي . . . : الاقتداء . و اقتصّ أثره : اتّبع منهجه . و ولج مولجه : دخل مدخله .

[19]

للسّاعة [1] و مبشّرا بالجنّة ، و منذرا [2] بالعقوبة :

خرج من الدّنيا خميصا [3] و ورد الآخرة سليما ، لم يضع حجرا على حجر [4] حتّى مضى لسبيله ،

و أجاب داعي ربّه ، فما أعظم منّة اللّه عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتّبعه ، و قائدا نطأ عقبه [5] و اللّه

[1] علما للساعة : دليلا على قربها يَسئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إنَّما عِلمُهَا عِنْدَ اللّهِ وَ مَا يُدرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قرِيباً 33 : 63 .

[2] مبشّرا بالجنّة إنَّا أَرسَلنَاكَ شَاهداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً 48 : 8 .

[3] خميصا : جائعا .

[4] لم يضع حجرا على حجر : لم يبن بيتا ، و لم يتخذ عقارا ،

و كذلك كانت سيرة الامام (عليه السلام) ، فلما سكن الكوفة ، و جعلها عاصمة له ، نزل في بيت ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي .

[5] سلفا نتبعه . . . : سلف الانسان من تقدمه بالموت من آبائه و ذوي قرابته ، و المراد : انتهاج سيرته ، و ترسم خطاه . و نطأ عقبه : العقب : مؤخّر القدم . و المراد : نسلك سلوكه ،

و نتبع أثره .

[20]

لقد رقّعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها و لقد قال لي قائل : ألا تنبذها عنك ؟ فقلت :

اغرب عنّي « فعند الصّباح يحمد القوم السّرى » [1] .

(157) و من خطبة له عليه السلام

بعثه بالنّور المضيء ، و البرهان الجليّ ،

و المنهاج البادي [2] و الكتاب الهادي : أسرته خير

[1] المدرعة . . . : ثوب من صوف . و تنبذها : تطرحها .

و اعزب : اذهب . فعند الصباح يحمد القوم السرى : ان القوم يسيرون ليلا فيحمدون عاقبة ذلك اذا أصبحوا . و المراد : بذل الجهد اليوم من أجل الراحة و النعيم في الآخرة .

[2] المنهاج البادي : الظاهر . و بعض المذاهب فيها استتار و تكتّم بمبادئها و ما ذلك إلاّ بما فيها من تخليط و تدليس و بعد عن طريق الاستقامة .

[21]

أسرة ، و شجرته خير شجرة : أغصانها معتدلة ،

و ثمارها متهدّلة [1] مولده بمكّة ، و هجرته بطيبة [2] علا بها ذكره ، و امتدّ بها صوته [3] . أرسله بحجّة كافية ، و موعظة شافية ، و دعوة متلافية [4] أظهر به الشّرائع المجهولة ، و قمع به البدع المدخولة ،

و بيّن به الأحكام المفصولة [5] ، فمن يتّبع غير

[1] اسرته . . . : أهله و عشيرته . و يصف الجاحظ عبد المطلب جدّ الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) فيقول : لم يكن لعبد المطلب في قريش نظير ، كما أنه ليس في العرب لقريش نظير ، و كما أنه ليس في الناس للعرب نظير . متهدلة :

متدلية .

[2] طيبة : المدينة المنوّرة .

[3] امتدّ بها صوته : انتشر فيها الاسلام ، و امتد منها نور الإيمان .

[4] و دعوة متلافية : متداركة لما كانوا فيه من فساد و جاهلية ،

و بعد عن الحضارة و المدنية .

[5] اظهر به الشرائع المجهولة . . . : لا شكّ أن جميع الأنبياء بعثوا بالإسلام بدلالة الآية الكريمة إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسلام 3 : 19 . لكن بمرور الزمن ، و كثرة المخرّبين تتغيّر معالم الدين ، و تجهل الشرائع ، و برسالته (صلّى اللّه عليه و آله ظهر ما كان مجهولا من الحنيفية السمحاء . و قمع :

تغيّب و دخل وراء ستر . و البدع : ما أحدثوه من النسيء و عبادة الأصنام و غير ذلك . و المدخولة : الدخيلة . و بيّن به الأحكام المفصولة : ما فصّله و بيّنه من أحكام الشريعة .

[22]

الإسلام دينا تتحقّق شقوته ، و تنفصم عروته ،

و تعظم كبوته [1] ، و يكن مآبه إلى الحزن الطّويل ،

و العذاب الوبيل [2] .

و أتوكّل على اللّه توكّل الإنابة إليه [3] ،

و أسترشده السّبيل المودّية إلى جنّته ، القاصدة إلى

[1] تتحقق شقوته . . . : في الآخرة وَ مَن يبتَغِ غَيرَ الإسلامِ ديناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنهُ وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ 3 : 85 .

و تنفصم : تنقطع . و المراد بالعروة ما يستمسك به و يستعصم . و كبوته : عثرته .

[2] مآبه . . . : مرجعه . و الوبيل : الوخيم .

[3] أتوكل على اللّه . . . : استسلم له ، و افوض أمري إليه .

و الانابة : الرجوع إليه .

[23]

محلّ رغبته . أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه [1] و طاعته ، فإنّها النّجاة غدا ، و المنجاة أبدا ، رهّب فأبلغ ، و رغب فأسبغ [2] و وصف لكم الدّنيا و انقطاعها و زوالها و انتقالها ، فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها [3] . أقرب دار من سخط اللّه ، و أبعدها من رضوان اللّه ، فغضّوا عنكم عباد اللّه غمومها و أشغالها لما أيقنتم به من فراقها و تصرّف حالها [4] ، فاحذروها حذر الشّفيق

[1] تقوى اللّه : العمل بأوامره ، و الانتهاء عمّا نهى عنه .

[2] رهّب . . . : خوّف . فأبلغ : لم يبق عذرا لأحد . رغّب :

فيما عنده من نعيم . فأسبغ : أتمّه بقرآنه ، و برسوله .

[3] فاعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها : قلّلوا الالتفات إليها ، و الاهتمام بها ، و السعي لها ، لأنه لا يبقى معكم منها سوى الكفن .

[4] فغضّوا عنكم . . . : ادفعوا عن أنفسكم . غمومها :

أحزانها . و المراد : لا تلتفتوا إليها ، و لا تحزنوا على ما فاتكم منها . و تصرّف حالاتها : تقلّبها .

[24]

النّاصح و المجدّ الكادح [1] ، و اعتبروا [2] بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم : قد تزايلت أوصالهم [3] و زالت أبصارهم و أسماعهم ، و ذهب شرفهم و عزّهم ، و انقطع سرورهم و نعيمهم ،

فبدّلوا بقرب الأولاد فقدها ، و بصحبة الأزواج مفارقتها ، لا يتفاخرون ، و لا يتناسلون ، و لا يتزاورون ، و لا يتجاورون . فاحذروا عباد اللّه حذر الغالب لنفسه [4] ، المانع لشهوته ، النّاظر

[1] الشفيق . . . : الخائف . و نصح قلبه : خلا من الغش .

و المجد : المجتهد . و الكادح : المبالغ في سعيه . و المراد :

احذروا الدنيا حذر الخائف على نفسه منها ، المجد في الابتعاد عنها ، المبالغ في السعي لغيرها .

[2] اعتبروا : اتّعظوا .

[3] تزايلت . . . : تفرّقت . و أوصالهم : مفاصلهم . و المراد وصف حالهم في القبور .

[4] الغالب لنفسه : حاول أن تغلبها قبل أن تغلبك ، فانها كما وصفها جلّ جلاله إِنَّ النَّفسَ لأمَّارَةٌ بِالسُّوءِ 12 : 53 .

بعقله ، فإنّ الأمر واضح ، و العلم قائم ، و الطّريق جدد ، و السّبيل قصد [1] .

(158) و من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه

و قد سأله : كيف دفعكم [2] قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به ؟ فقال :

يا أخا بني أسد ، إنّك لقلق الوضين ، ترسل

[1] الطريق جدد . . . : الأرض المستوية و ليس فيها عثار .

و السبيل : الطريق . و قصد الطريق : استقام . و المراد : ان الطريق الى اللّه تعالى ، و السلوك إليه مهيّىء لكم .

[2] كيف دفعكم : كيف استأثروا بالخلافة و أخذوها منكم و أنتم الأقرب من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، و الأعلم بشريعته و سنّته .

في غير سدد [1] و لك بعد ذمامة الصّهر [2] و حقّ المسألة ، و قد استعلمت فاعلم : أمّا الإستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسبا ،

و الأشدّون برسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ،

نوطا [3] فإنّها كانت أثرة شحّت [4] عليها نفوس قوم ، و سخت عنها نفوس آخرين ، و الحكم اللّه و المعود إليه يوم القيامة .

[1] القلق : المضطرب . و الوضين : بطان منسوج يشدّ به الرحل على البعير ، فاذا قلق تأذّى البعير و ارتبك في سيره . ترسل في غير سدد : الارسال : الاطلاق بدون توجيه . في غير سدد : بدون صواب . و المراد : تتكلم في غير موضع الكلام تشبيها بالبعير المضطرب .

[2] الذمامة . . . : الحرمة . و الصهر : الصلة و القرابة بين عائلة الزوج و عائلة الزوجة . و المراد بالمصاهرة زينب بنت جحش الأسدية ، زوجة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) .

[3] نوطا : تعلّقا .

[4] الأثرة . . . : الاستبداد و الاستيثار . و شحّت : بخلت .

[27]

و دع عنك نهبا صيح في حجراته [1] و هلمّ الخطب [2] في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه ، و لا غرو [3] و اللّه فيا له خطبا يستفرغ العجب و يكثر الأود [4] ،

حاول القوم إطفاء نور اللّه من مصباحه ، و سدّ

[1] البيت لامرىء القيس و عجزه : و هات حديثا ما حديث الرواحل ، و موضوعه : ان امرأ القيس نزل بجوار خالد بن سدوس ، فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بإبله ، فطلب منه خالد أن يعيره رواحله ليسترجع له إبله ، فأعطاه ، فأدرك القوم و كلمهم فأبوا عليه ، و أخذوا أيضا الرواحل . و المراد : اترك الكلام في النهب الأول و تعال و تكلّم في الرواحل التي هي أدهى و أمرّ . و مراد الامام (عليه السلام) : ان منازعة معاوية معي أ صعب و أشدّ عليّ من السابقين .

[2] و هلم . . . : اذكر . و الخطب : عظيم الأمر و عجيبه .

[3] و لا غرو : و لا عجب .

[4] الأود : الاعوجاج .

[28]

فوّاره من ينبوعه [1] . و جدحوا بيني و بينهم شربا وبيئا [2] . فإن ترتفع عنّا و عنهم محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه ، و إن تكن الأخرى [3] فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ،

إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ [4] .

[1] فوّاره . . . : الثقب الذي يفور منه الماء . و ينبوعه : عين الماء . و المراد : لم تكن الخلافة هي المستهدفة ، بل مسخ الشريعة ، و إعادة الجاهلية .

[2] جدحوا . . . : مزجوا . و بيئا : يكثر فيه الوباء . و الوباء : كل مرض فاش عام . و المراد : ما أحدثوه من تشريع و غيره يعرقل مسيرة الاصلاح .

[3] فان ترتفع عنّا و عنهم محن البلوى : ما ابتلينا به من الانقسام . و المحض : الخالص . و المراد : اسير فيهم على نهج الحق . و ان تكن الأخرى : و ان لم تمكنني الظروف .

[4] فلا تذهب نفسك عليهم حسرات : قال المفسّر : لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة ، و لا يغمّك حالهم إذ كفروا و استحقوا العقاب . و هو مثل قوله : فلعلّك باخعٌ نفسكَ ألاّ يكونُوا مؤمنين و الحسرة : شدّة الحزن على ما فات .

[29]

(159) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه خالق العباد ، و ساطح المهاد و مسيل الوهاد ، و مخصب النّجاد [1] ليس لأوّليّته ابتداء ، و لا لأزليّته انقضاء ، هو الأوّل لم يزل ،

و الباقي بلا أجل [2] خرّت له الجباه ، و وحّدته

[1] ساطح . . . : باسط . و المهاد : الأرض المستوية . و الوهاد جمع وهدة : الأرض المنخفظة . و النجاد : ما ارتفع من الأرض و صلب .

[2] ليس لأوليته ابتداء . . . : هو السابق لجميع الموجودات ،

لأنّه قديم ، و ما عداه محدث ، و القديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الأوقات . و لا لأزليته انقضاء : الأزل :

القدم . و المراد : انه قديم دائم لا انقضاء لملكه ، و لا أمد لسلطانه . لم يزل : دائما . بلا أجل : بلا نهاية ، فهو الذي يفني الأجسام كلها و ما فيها من الاعراض و يبقى وحده .

[30]

الشّفاه [1] ، حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها [2] لا تقدّره الأوهام بالحدود و الحركات [3] ،

و لا بالجوارح و الأدوات ، لا يقال له : « متى ؟ » [4] و لا يضرب له أمد بحتّى ، الظّاهر لا يقال « ممّا » ، و الباطن لا يقال « فيما » [5] ، لا شبح

[1] خرّت له الجباه . . . : سجدت له و خضعت . و وحدته الشفاه : نطقت بتوحيده .

[2] حدّ الأشياء عند خلقه لها . . . : جعل لكل شيء حدّا ينتهي عنده . ابانة : تمييزا . من شبها : مشابهتها . و المراد : تنزهه جلّ جلاله عن مشابهة مخلوقاته .

[3] لا تقدّره الأوهام بالحدود و الحركات : كما أن البصر لا يدركه لا تُدرِكهُ الأَبصَارُ وَ هُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ 6 : 103 كذلك لا تحيط به الأوهام .

[4] لا يقال له متى . . . : لا يسئل عنه متى كان . و لا يضرب أمد بحتى : كذلك لا يقال له : حتى متى يكون .

[5] ظهر . . . : تبيّن و برز . لا يقال مما : من أيّ شيء ، بل هو موجد الأشياء . و بطن : خفي . لا يقال فيما : بطن .

و المراد : ان اتصافه بالظهور و البطون بغير الكيفية المعهودة في الخلق ، و ان معنى ظهوره : علمه بما ظهر ، و معنى بطونه : علمه بما بطن ، فهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السماء .

[31]

فيتقضّى ، و لا محجوب فيحوى [1] . لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، و لم يبعد عنها بافتراق [2] ، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ، و لا كرور لفظة ، و لا ازدلاف ربوة ، و لا انبساط خطوة في ليل داج ، و لا غسق ساج [3] ، يتفيّأ عليه القمر

[1] لا شبح فيتقضى . . . : المراد بالشبح الوصف بالجسمية .

فيتقضى : يسرع إليه الفناء ، تنزّه عن ذلك . و لا محجوب :

و لا مستور . فيحوى : يحويه الحجاب و يستره .

[2] لم يقرب . . الخ : ان قربه و بعده ليس بالكيفية المعهودة في الأجسام ، بل المراد بذلك علمه و احاطته ، فعلمه بمن في السماء السابعة كعلمه بمن في الأرض السفلى .

[3] شخوص لحظة . . . : مدّ البصر دون الجفن . و لا كرور لفظة : تكرار كلمة . و الازدلاف : التقدّم و الاقتراب .

و الربوة : ما ارتفع من الأرض . و المراد : وقوع النظر عليها أو تخطّيها . و داج : مظلم . و الغسق : ظلمة الليل . و ساج :

ساكن لا حركة فيه . و المراد : أحاط علمه جلّ جلاله بمخلوقاته في جميع أحوالهم و تصرّفاتهم .

المنير ، و تعقبه الشّمس ذات النّور ، في الأفول و الكرور [1] و تقلّب الأزمنة و الدّهور ، من إقبال ليل مقبل ، و إدبار نهار مدبر ، قبل كلّ غاية و مدّة و كلّ إحصاء و عدّة [2] ، تعالى عمّا ينحله المحدّدون من صفات الأقدار ، و نهايات الأقطار ، و تأثّل المساكن [3] و تمكّن الأماكن :

[1] يتفيأ عليه القمر المنير . . . : الفيء : كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه . و المراد : تشبيه نور القمر الناسخ للظلام بالفيء الذي ينسخ نور الشمس . و تعقبه : تأتي بعده .

و الافول : المغيب . و الكدور : الشروق .

[2] و قبل كل غاية و مدّة . . . : الغاية : النهاية . و المدّة : المقدار من الزمن . و اللّه جلّ جلاله خالق الزمن و غيره ، فهو قبل كل شيء و بعده . و كل احصاء و عدّة : أحصى الشيء : عرف قدره . و عدّه : عرف مقداره .

[3] نحله . . . : نسبه إليه . و المحددون : الذين جعلوا له حدودا و هم المشبهة . و صفات الأقدار : المقادير من الطول و العرض و العمق . و نهايات الأقطار : نهايات الأبعاد المتقدّمة . و تأثل المساكن : اكتسابها .

فالحدّ لخلقه مضروب [1] ، و إلى غيره منسوب ،

لم يخلق الأشياء ، من أصول أزليّة ، و لا من أوائل أبديّة ، بل خلق ما خلق فأقام حدّه ، و صوّر ما صوّر فأحسن صورته [2] ليس لشيء منه امتناع ،

و لا له بطاعة شيء انتفاع [3] . علمه بالأموات

[1] فالحدّ لخلقه مضروب : جعل لكل من خلقه حدودا و نهايات لا يستطيع تجاوزها .

[2] لم يخلق الأشياء من أصول أزلية . . . : الأزل : القدم .

و المراد : ان مخلوقاته لم تكن على مثال سابق فيكون أصلا ، بل أوجدها على سبيل الابداع و الاختراع . و لا أوائل أبدية : لم تكن للمخلوقات أوليات و مشابهات فنسج عليها .

بل خلق ما خلق فأقام حدّه : جعل له حدودا . فأحسن صورته وَ صَوَّرَكُم فَأَحسَنَ صُوَرَكُمْ 40 : 64 .

[3] ليس لشيء منه امتناع : لا يمتنع عليه شيء إنّما قَولُنَا لِشَيءٍ .

إِذَا أَرَدنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون 16 : 40 . و لا له بطاعة شيء انتفاع : لا تنفعه طاعة من أطاعه ، و لا معصية من عصاه ، بل نفع ذلك و مضرته تعود على العبد في دنياه و آخرته .

[34]

الماضين كعلمه بالأحياء الباقين ، و علمه بما في السّموات العلى كعلمه بما في الأرض السّفلى .

منها : أيّها المخلوق السّويّ ، و المنشأ المرعيّ [1] في ظلمات الأرحام ، و مضاعفات الأستار [2] ، بدئت من سلالة من طين ، و وضعت في قرار مكين [3] إلى قدر معلوم ، و أجل

[1] المخلوق السوي . . . : كامل الخلقة ، بلا نقص و لا تشويه .

و المنشأ المرعي : المعتنى به .

[2] مضاعفات الاستار : هي التي عبّر عنها القرآن الكريم فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ 39 : 6 . هي ظلمة البطن ، و ظلمة الرحم ،

و ظلمة المشيمة .

[3] بدئت من سلالة من طين . . . : وَ لَقَدْ خَلَقنَا الإنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ 23 : 12 . قال الطبرسي : المراد بالإنسان :

ولد آدم (عليه السلام) ، و هو اسم الجنس فيقع على الجميع ، و أراد بالسلالة : الماء يسل من الظهر سلاّ ، من طين : أي من طين آدم ، لأنها تولّدت من طين خلق آدم منه .

في قرار مكين : الرحم .

[35]

مقسوم ، تمور في بطن أمّك جنينا : لا تحير [1] دعاء ، و لا تسمع نداء ، ثمّ أخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها ، و لم تعرف سبل منافعها ، فمن هداك لاجترار الغذاء [2] من ثدي أمّك ؟ و عرّفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك ؟ هيهات إنّ من يعجز عن صفات ذي الهيئة و الأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز ، و من تناوله بحدود المخلوقين أبعد [3] .

[1] تمور . . . : تتحرك . و لا تجير : لا تقدر على نطق و لا سمع .

[2] اجترار الغذاء : جذبه .

[3] ذي الهيئة . . . : الانسان . و الأدوات : الحواس و الجوارح .

و المراد : انه عاجز عن وصف نفسه و ما أودع فيها الخلاّق من أعضاء و أجهزة ، فهو بالأحرى عاجز عن وصف خالقه . و من تناوله بحدود المخلوقين أبعد : و من وصفه بحدود معينة ،

و بالأوصاف التي توصف بها المخلوقات ، فقد أبعد عن وصفه ، و ضلّ في حديثه .

[36]

(160) و من كلام له عليه السلام

لما اجتمع الناس عليه و شكوا مما نقموه على عثمان ، و سألوه مخاطبته عنهم و استعتابه [1] لهم ،

فدخل عليه فقال :

إنّ النّاس ورائي ، و قد استسفروني [2] بينك و بينهم ، و و اللّه ما أدري ما أقول لك ؟ ما أعرف شيئا تجهله ، و لا أدلّك على شيء لا تعرفه . إنّك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، و لا خلونا بشيء فنبلغكه ، و قد رأيت كما

[1] عتب عليه : لامه و راجعه فيما كرهه منه .

[2] استسفروني : جعلوني سفيرا .

رأينا ، و سمعت كما سمعنا ، و صحبت رسول اللّه كما صحبنا ، و ما ابن أبي قحافة و لا ابن الخطّاب أولى بعمل الحقّ منك ، و أنت أقرب إلى رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، وشيجة [1] رحم منهما ، و قد نلت من صهره ما لم ينالا ،

فاللّه اللّه في نفسك فإنّك ، و اللّه ، ما تبصّر من عمى [2] ، و لا تعلم من جهل ، و إن الطّرق لواضحة ، و إنّ أعلام الدّين لقائمة . فاعلم أنّ أفضل عباد اللّه عند اللّه إمام عادل هدي و هدى ،

فأقام سنّة معلومة ، و أمات بدعة مجهولة ، و إنّ السّنن لنيّرة لها أعلام ، و إنّ البدع [3] لظاهرة لها

[1] الوشيجة : الرحم المشتبكة المتصلة .

[2] ما تبصّر من عمى . . الخ : تعلم بالأمر ، فلا حاجة بك الى من يعلّمك .

[3] السنة . . . : ما أوثر عن الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) من قول و فعل . و نيّرة : واضحة . و البدعة : ما أحدث في الدين ما لم يكن له أصل في كتاب و لا سنّة .

أعلام . و إنّ شرّ النّاس عند اللّه إمام جائر [1] ضلّ و ضلّ به ، فأمات سنّة مأخوذة ، و أحيا بدعة متروكة ، و إنّي سمعت رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، يقول : « يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر [2] ، يلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى : ثمّ يرتبط في قعرها [3] و إنّي أنشدك اللّه أن لا تكون إمام هذه الأمّة المقتول ، فإنّه كان يقال : يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة ، و يلبس [4] أمورها عليها ، و يثبّت الفتن

[1] جائر : ظالم .

[2] عاذر : يقبل منه العذر .

[3] يرتبط . . . : يشدّ . و قعرها : عمقها .

[4] لبّس عليه الأمر : خلطه حتى لا يعرف حقيقته . و يقول جلّ جلاله ناقما على اليهود تصرفاتهم وَ لاَ تلبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَ تَكتُمُوا الحَقَّ وَ أَنْتُم تَعلَمُونَ 2 : 42 .

فيها ، فلا يبصرون الحقّ من الباطل ، يموجون فيها موجا ، و يمرجون فيها مرجا [1] ، فلا تكوننّ لمروان سيّقة [2] يسوقك حيث شاء بعد جلال السّنّ ، و تقضّي العمر فقال له عثمان رضي اللّه عنه : كلّم الناس في أن يؤجّلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم ، فقال عليه السلام :

ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه .

[1] يموجون . . . : اختلفت امورهم و اضطربت . و يمرجون :

يختلطون و يضطربون .

[2] السيقة : ما استاقه العدو من الدواب . و المراد : لا تعط زمامك بيده فيوجهك حسب رغباته .

[40]

(161) و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان و موات [1] ،

و ساكن و ذي حركات ، فأقام من شواهد البيّنات [2] على لطيف صنعته ، و عظيم قدرته ، ما انقادت له العقول معترفة به ، و مسلّمة له ، و نعقت [3] في أسماعنا دلائله على وحدانيّته ، و ما ذرأ من مختلف

[1] الموات من الأرض : هي التي لم تزرع و لم تعمر ، و لا جرى عليها ملك أحد .

[2] شواهد البيّنات : الأدلة و الحجج الواضحة .

[3] نعق : صاح . و المراد : بيان ما سمعناه من أدلة التوحيد ،

و عجائب المخلوقات .

و في كلّ شيء له آية
تدلّ على انّه واحد

[41]

صور الأطيار الّتي أسكنها أخاديد الأرض ،

و خروق فجاجها ، و راسي أعلامها [1] ، من ذات أجنحة مختلفة ، و هيئات متباينة ، مصرّفة في زمام التّسخير [2] و مرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوّ المنفسح و الفضاء المنفرج ، كوّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة ، و ركّبها في حقاق مفاصل محتجبة [3] و منع بعضها بعبالة خلقه

[1] ذرأ . . . : خلق . و اخاديد جمع اخدود : الشق المستطيل في الأرض . و الفج : الطريق الواسع البعيد .

و الرواسي : الثوابت . و اعلامها : المراد بها الجبال ، لذا يقال : الجبال الرواسي .

[2] مصرّفة . . . : متقلبة . و التسخير : التذليل أَلَم يَرَوا إلى الطَّيرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمسكُهُنَّ إلاّ اللّهُ إنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ 16 : 79 .

[3] الحقاق . . . : مجتمع المفصلين . و المفصل : ملتقى كل عظمين من الجسم . و محتجبه : بما عليها من لحم و غيره .

[42]

أن يسمو في السّماء خفوفا ، و جعله يدفّ [1] دفيفا ، و نسقها على اختلافها في الأصابيغ [2] بلطيف قدرته ، و دقيق صنعته ، فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ، و منها مغموس في لون صبغ قد طوّق بخلاف ما صبغ به [3] .

و من أعجبها خلقا الطّاووس الّذي أقامه في أحكم تعديل ، و نضّد ألوانه في أحسن تنضيد [4] ،

[1] العبالة . . . : الضخم من كل شيء . و يسمو : يرتفع .

و المراد به النعامة و غيرها من الطيور الكبيرة التي لا يمكنها الارتفاع و التحليق في الجوّ . و دف الطائر : حرك جناحيه و رجليه في الأرض .

[2] نسقها . . . : نظمها . و الاصابيغ جمع صبغ : ما يصبغ به . و المراد : اختلاف الألوان .

[3] مغموس في قالب لون لا يشوبه . . . : المراد به اللون الواحد قد طوّق بخلاف ما صبغ به : كالطيور التي يحيط عنقها لون غير لونها .

[4] نضد الشيء : ضمّ بعضه الى بعض منسّقا .

بجناح أشرج قصبه [1] ، و ذنب أطال مسحبه ، إذا درج إلى الأنثى نشره من طيّه ، و سما به مظلاّ [2] على رأسه كأنّه قلع داريّ عنجه نوتيّه ، يختال بألوانه ، و يميس بزيفانه [3] يفضي كإفضاء الدّيكة و يؤرّ بملاقحة أرّ الفحول المغتلمة في الضّراب [4] أحيلك من ذلك على معاينة [5] لا كمن يحيل على ضعيف إسناده ، و لو كان كزعم

[1] شرجت اللبن شرجا : نضدته ، أي نظمت بعضه الى بعض . و القصب الفارسي : صلب غليظ يسقّف فيه البيوت . و المراد : التفكير في القدرة التي ركبت عروق جناحيه و أصولها تركيبا محكما أنيقا .

[2] درج . . . : مشى . و طوى الشيء : ضمّ بعضه الى بعض .

و سما به : رفعه . و مطلا : مشرفا .

[3] يختال . . . : يتكبّر . و يميس : يتبختر . و زيفانه : تمايله و تبختره .

[4] يفضي . . . : يسفد (ينكح) . و الفحول المغتلمة : الشديدة الشهوة . و ضرب الفحل الناقة : نزا عليها .

[5] احيلك من ذلك على معاينة : شاهد ذلك بعينك .

من يزعم أنّه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفّتي جفونه ، و إنّ أنثاه تطعم ذلك ثمّ تبيض لا من لقاح فحل سوى الدّمع المنبجس [1] لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب [2] تخال قصبه مداري من فضّة [3] و ما أنبت عليه من عجيب داراته و شموسه خالص العقيان ، و فلذ الزّبرجد [4] ،

[1] المنبجس : المنفجر .

[2] مطاعمة الغراب : ذكر (عليه السلام) رأيا للعرب ، و هو أن الطاووس تدمع عينه فتلتقطها الأنثى ، فتلقح منها ، و قال :

ان ذلك ليس بأعجب مما زعموا من أن الغربان تتناكح بالمطاعمة بالمناقير . و الامام (عليه السلام) عبّر عن ذلك بالزعم ، و هو كنية الكذب ، و لم يطل في تفنيده باعتبار لو صحّ ذلك دلّ أيضا على عظمة القدرة الإلهية .

[3] تخال . . . : تظنّ و قصبه : عظام أجنحته . و مدارى جمع مدري : شيء من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط و أطول منه ، يسرّح به الشعر المتلبّد . و من فضة :

في بياضها .

[4] داراته . . . : جمع دارة : هالة القمر . و العقيان : الذهب الخالص . و الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرّد .

[45]

فإن شبّهته بما أنبتت الأرض قلت : جنى جني من زهرة كلّ ربيع [1] ، و إن ضاهيته بالملابس فهو كموشيّ الحلل ، أو مونق عصب اليمن [2] ، و إن شاكلته بالحليّ فهو كفصوص ذات ألوان قد نطّقت باللّجين المكلّل [3] ، يمشي مشي المرح المختال [4] ، و يتصفّح ذنبه و جناحيه فيقهقه

[1] جنيّ . . . : ملتقط . جني من زهر كل ربيع : هو في ألوانه يشابه أزهار الربيع و نضارتها و بهجتها .

[2] ضاهيته . . . : شبهته . و الموشى : المنقوش . و الحلة :

الثوب الجيد الجديد . و الأنيق : الذي راع حسنه و اعجب .

و عصب اليمن : كساء يصبغ غزله ثم ينسج .

[3] شاكلته . . . : شبهته و ماثلته . و الحلي : ما يتزين به من المصوغات الذهبية و شبهها . و الفصوص : الأحجار الكريمة . و اللجين : الفضة . و المكلل : المزيّن .

[4] المرح . . . : شدّة الفرح . و المختال : المعجب بنفسه .

[46]

ضاحكا لجمال سربال ، و أصابيغ وشاحه [1] .

فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا [2] معولا يكاد بصوت يبين عن استغاثته . و يشهد بصادق توجّعه ، لأنّ قوائمه حمش كقوائم الدّيكة الخلاسيّة [3] و قد نجمت من ظنبوب ساقه صيصيّة خفيّة [4] ، و له في موضع العرف قنزعة خضراء موشّاة [5] و مخرج عنقه كالإبريق ، و مغرزها إلى

[1] السربال . . . : القميص . و المراد من الأصابيغ وصف ألوانه و رشاقته . و الوشاح : نسيج عريض يرصّع بالجواهر ، تشدّه المرأة بين عاتقها و كشحيها .

[2] زقا الطائر : صاح . و المعول : الصارخ .

[3] احمش الساقين : أدقهما . و الخلاسية : المتولدة بين الدجاج الهندي و الفارسي .

[4] نجمت . . . : نبتت . و الظنبوب : حرف الساق من امام .

و الصيصية : شوكة تكون في رجل الديك .

[5] القنزعة . . . : الريش المجتمع في رأس الديك . و موشاة :

منقوشة .

[47]

حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانيّة ، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال [1] ، و كأنّه ملفّع بمعجر أسحم [2] إلاّ أنّه يخيل لكثرة مائه و شدّة بريقه أنّ الخضرة النّاضرة ممتزجة به . و مع فتق سمعه خطّ كمستدقّ القلم في لون الأقحوان أبيض يقق [3] ،

فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق [4] و قلّ صبغ إلاّ و قد أخذ منه بقسط [5] و علاه بكثرة صقاله

[1] مغرزها . . . : موضع عنقه . و الوسمة : شجر العظلم يخضب به . و المراد : وصف عنقه و بطنه بالسواد . و ذات صقال :

مصقولة .

[2] متلفع . . . : ملتحف . و اعتجر فلان بالعمامة : لفّها على رأسه و ردّ طرفها على رأسه . و اسحم : اسود .

[3] و مع فتق سمعه . . . : عند أذنه . و الاقحوان : نبت زهرة أصفر أو أبيض ، و ورقه كأسنان المنشار . و يقق : خالص البياض .

[4] يأتلق : يلمع .

[5] بقسط : بنصيب .

[48]

و بريقه ، و بصيص ديباجه و رونقه [1] فهو كالأزاهير المبثوثة [2] لم تربّها [3] أمطار ربيع ، و لا شموس قيظ ، و قد ينحسر [4] من ريشه و يعرى من لباسه فيسقط تترى ، و ينبت تباعا ، فينحتّ من قصبه [5] انحتات أوراق الأغصان ثمّ يتلاحق ناميا حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه : لا يخالف سالف ألوانه [6] ، و لا يقع لون في غير مكانه . و إذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة

[1] صقاله . . . : جلائه . و البصيص : البريق . و الديباج : ثياب من حرير . و رونقه : حسنه .

[2] كالأزاهير المبثوثة : كالأزهار المنثورة .

[3] تربّها : تربّيها و تنميها . و المراد : ان الأزهار تنمو بالمطر و الشمس ، بينما الوان الطاووس نمّتها يد القدرة الإلهية .

[4] يتحسّر : يتعرّى و يتساقط ريشه .

[5] ينحت . . . : يتساقط . و قصبه : ريشه .

[6] لا يخالف سالف ألوانه : يعود بمثل ألوانه الأولى .

[49]

ورديّة ، و تارة خضرة زبرجديّة ، و أحيانا صفرة عسجديّة [1] فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن ، أو تبلغه قرائح العقول ، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين ، و أقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام [2] أن تدركه ، و الألسنة أن تصفه ؟ فسبحان الّذي بهر العقول [3] عن وصف خلق جلاّه للعيون فأدركته محدودا مكوّنا ، و مؤلّفا ملوّنا ، و أعجز الألسن عن تلخيص صفته [4] و قعد بها عن تأدية نعته . و سبحان من أدمج قوائم الذّرّة و الهمجة إلى

[1] عسجدية : ذهبية .

[2] الفطن من الناس : الحذق الماهر . و القريحة : ملكة يستطيع بها الانسان ابتداع الكلام ، و ابداء الرأي . و الوهم :

ما يقع في الذهن من الظنون و الخواطر .

[3] بهر العقول . . . : ادهشها و حيّرها . و جلاه للعيون : أظهره لها . فأدركته محدودا مكوّنا : له حدود و اجزاء .

[4] نعته : صفته .

ما فوقها من خلق الحيتان و الفيلة [1] ، و وأى [2] على نفسه أن لا يضطرب شبح ممّا أولج فيه الرّوح إلاّ و جعل الحمام [3] موعده ، و الفناء غايته .

منها في صفة الجنّة

فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك [4] من بدائع ما أخرج إلى الدّنيا من

[1] ادمج . . . : أودعها فيها . و الذرة : النملة الصغيرة .

و الهمجة : ذبابة صغيرة كالبعوضة . و الأفيلة : جمع فيل .

و المراد : الانتباه الى ما أودع مخلوقاته من الدقة ، و لطافة الصنع ، فقد أعطى البعوضة جميع ما أعطى الفيل ، بل زادها بالأجنحة .

[2] وأى : هو الوعد الذي يوثقه المرء على نفسه .

[3] الشبح . . . : الشخص . و أولج : ادخل . و الحمام :

الموت . و المراد : جميع الكائنات مصيرها الى الموت .

[4] عزفت نفسك . . . : عافته و زهدت فيه . و المراد : لو تأملت نعيم الجنة ، و ما أودع فيها جلّ جلاله من نعيم لزهدت في الدنيا و ما فيها .

شهواتها و لذّاتها و زخارف مناظرها ، و لذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار غيّبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها ، و في تعليق كبائس اللّؤلؤ الرّطب في عساليجها و أفنانها [1] و طلوع تلك الثّمار مختلفة في غلف أكمامها [2] تجنى من غير تكلّف فتأتي على منية [3] مجتنيها ،

و يطاف على نزّالها في أفنية قصورها بالأعسال

[1] الزخرف . . . : الذهب و كل مزيّن حسن . و ذهل في الأمر : نسيه و غفل عنه . و اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم . و كثبان جمع كثيب : الرمل المستطيل المحدودب . و المسك : طيب معروف . و افنان جمع فنن :

الغصن المستقيم من الشجرة .

[2] غلف جمع غلاف : و الاكمام جمع كم : وعاء الطلع .

[3] تجنّى من غير تكلف . . . : تؤخذ من دون جهد وَ جَنَا الجَنَّتَينِ دَانٍ 55 : 54 . قال المفسّر : ثمار الجنتين دانية الى أفواه أربابها ، فيتناولونها ان شاءوا متكئين أو مضطجعين .

و المنية : ما يتمناه الانسان . و مجتنيها : قاطفها .

[52]

المصفّقة و الخمور المروّقة [1] ، قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتّى حلّوا دار القرار [2] و أمنوا نقلة الأسفار . فلو شغلت قلبك أيّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة [3] لزهقت نفسك [4] شوقا إليها ،

و لتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالا بها ، جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن سعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته .

[1] فناء البيت : المتسع الذي أمامه . و المصفقة : المصفاة .

و روّق الشراب : صفاه وَ أَنهَار مِن خَمرٍ لذَّةٍ للشاربينَ 47 : 15 .

[2] تتمادى بهم . . . : ممتدة لهم . حتى حلّوا دار القرار : لم يزالوا يتقلبون في النعم حتى وصلوا مقرّهم الأخير في جنان الخلد .

[3] يهجم . . . : يدخل عليه بغتة . و المناظر جمع منظر : ما ينظر إليه ، و المونقة : التي راع حسنها و أعجب .

[4] زهقت نفسك : خرجت .

[53]

قال الشريف : تفسير بعض ما جاء فيها من الغريب .

« يؤر بملاحقة » الأرّ : كناية عن النكاح ،

يقال : أرّ المرأة يؤرّها ، أي : نكحها ، و قوله « كأنّه قلع داري عنجه نوتيه » القلع : شراع السفينة ، « و داري » منسوب الى دارين ، و هي بلدة على البحر يجلب منها الطيب . و « عنجه » أي : عطفه ، يقال : عنجت الناقة كنصرت أعنجها عنجا ، إذا عطفتها و النوتى : الملاح ،

و قوله « ضفتي جفونه » أراد جانبي جفونه ،

و الضفتان : الجانبان ، و قوله « و فلذ الزبرجد » الفلذ : جمع فلذة ، و هي القطعة . و قوله « كبائس اللؤلؤ الرطب » الكباسة . العذق . و العساليج :

الغصون واحدها عسلوج .

[54]

(162) و من خطبة له عليه السلام

ليتأسّ [1] صغيركم بكبيركم ، و ليرأف كبيركم بصغيركم ، و لا تكونوا كجفاة الجاهليّة : لا في الدّين يتفقّهون [2] ، و لا عن اللّه يعقلون ، كقيض بيض [3] في أداح يكون كسرها وزرا ، و يخرج حضانها شرّا

[1] ليتأس : ليقتد .

[2] جفاة جمع جافي : هو الذي غلظ خلقه ، و ساء طبعه .

و يتفقون : يتعلمون أحكام الشريعة .

[3] كقيض بيض . . . : الكسرة العليا اليابسة على البيضة .

و الأداح جمع أدحى : الموضع الذي تفرّخ فيه النعامة .

و كسرها وزرا : اثما ، لاحتمال أن يكون بيض نعام و ادخال أذى عليه . و حضانها شرّا : لأنّها تخرج أفاعي . و المعنى :

ان البيض الذي يشاهده الانسان في الأداحي لا يجوز كسره لاحتمال أن يكون بيضا لبعض الطيور ، و بتركه و ربما كان بيض حيات تخرج أفاعي ، و كذلك من وصفهم من الجفاة لا يجوز قتلهم بالشريعة ، و بتركهم ينشأ جيل فاسد .

[55]

منها : افترقوا بعد ألفتهم ، و تشتّتوا عن أصلهم : فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه ،

على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أميّة كما تجتمع قزع الخريف [1] يؤلّف اللّه بينهم ثمّ يجعلهم ركاما [2] كركام السّحاب ، ثمّ يفتح اللّه لهم أبوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين [3]

[1] قزع الخريف : القطع المتفرّقة من السحاب .

[2] الركام : ما اجتمع من الأشياء و تراكم بعضه فوق بعض .

[3] يسيلون . . . : يخرجون . و مستثارهم : موضع ثورانهم .

كسيل الجنتين : اللتين ذكرهما سبحانه و تعالى في كتابه العزيز لَقَد كانَ لِسَبإٍ فِي مَسكنِهِم آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يمينٍ وَ شِمَالٍ 34 : 15 . كانت ديارهم على وتيرة واحدة ،

و البساتين عن يمينهم و شمالهم متصلة ، بعضها ببعض ، كانت المرأة تمشي و المكتل على رأسها فيمتلىء بالفواكه من غير أن تقطف بيدها شيئا ، فعاقبهم اللّه على كفرهم و عصيانهم بسيل العرم (الصعب) ، فأغرق بساتينهم ، و خرّب دورهم .

[56]

حيث لم تسلم عليه قارّة ، و لم تثبت عليه أكمة [1] ، و لم يردّ سنته رصّ طود ، و لا حداب أرض [2] ، يذعذعهم اللّه في بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم [3] ، و يمكّن لقوم في ديار قوم ،

و ايم اللّه ليذوبنّ ما في أيديهم [4] بعد العلوّ

[1] قارة . . . : المستقر الثابت من الأرض . و الاكمة : التل .

[2] سننه . . . : طريقه . و رصّ : انضمّ بعضه الى بعض و تقارب .

و الطود : الجبل العظيم . و حداب الأرض : ما ارتفع و غلظ منها .

[3] يذعذعهم . . . : يحركهم بشدّة . ثم يسلكهم ينابيع : تشبيها بالماء المتجمع في جوف الأرض ثم يخرج ينابيع فتحيا به البلاد ، و كذلك هؤلاء ، فبعد تفرّقهم و استتارهم يخرجون .

يأخذ : اللّه سبحانه . من قوم : ظالمين . حقوق قوم :

مظلومين .

[4] ليذوبن ما في أيديهم : يذهب ما بأيديهم من الأموال .

و التّمكين كما تذوب الألية على النّار .

أيّها النّاس ، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ ،

و لم تهنوا عن توهين الباطل ، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ، و لم يقو من قوي عليكم ، لكنّكم تهتم متاه بني إسرائيل [1] و لعمري ليضعّفنّ لكم التّيه من بعدي أضعافا [2] بما خلّفتم الحقّ وراء

[1] تهتم . . . : تحيرتم . متاه بني إسرائيل : و ذلك بعد انتصارهم و هلاك فرعون ، أمرهم موسى (عليه السلام) بدخول الأرض المقدّسة ، فكان ردّهم إِنَّا لَنْ ندخُلَهَا أَبداً مَا دَامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنتَ وَ رَبّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدون 5 : 24 فأوحى اللّه إليه قَالَ فَإِنَّها مُحَرَّمةٌ عَلَيهِم أَربَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفاسِقِين 5 : 26 . فمكثوا في ستّة عشر فرسخا أربعين سنة لا يهتدون طريقهم ، فكانوا إذا قاربوها أمر اللّه سبحانه الأرض فدارت بهم ، فأصبحوا في منزلهم الأول .

[2] و لعمري . . . : قسم . ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا :

تزدادون تيها و حيرة ، و بعدا عن طريق النجاة و الخلاص .

ظهوركم ، و قطعتم الأدنى ، و وصلتم الأبعد [1] و اعلموا أنّكم إن اتّبعتم الدّاعي لكم [2] سلك بكم منهاج الرّسول ، و كفيتم مؤونة الإعتساف ، و نبذتم الثّقل الفادح [3] عن الأعناق .

(163) و من خطبة له عليه السلام في أوّل خلافته

إنّ اللّه تعالى أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير

[1] بما خلفتم الحق وراء ظهوركم . . . : تركتم العمل به .

و قطعتم الأدنى و وصلتم الأبعد : القطيعة : الهجران .

و الأدنى : الأقرب من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) .

و الأبعد : البعيد من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) .

[2] الداعي لكم : يريد نفسه المقدّسة .

[3] كفيتم مؤنة . . . : احتمل عنكم مؤنته ، و قام بكفايته .

و عسف الطريق : سار فيه على غير هدى . و نبذتم : تركتم .

و الفادح : المثقل .

و الشّرّ ، فخذوا نهج الخير تهتدوا ، و اصدفوا عن سمت الشّرّ تقصدوا [1] ، الفرائض الفرائض أدّوها إلى اللّه تؤدّكم إلى الجنّة [2] . إنّ اللّه حرّم حراما غير مجهول ، و أحلّ حلالا غير مدخول [3] و فضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها ، و شدّ بالإخلاص و التّوحيد حقوق المسلمين في معاقدها [4] فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه

[1] أصدفوا . . . : اعرضوا . و السمت : الجهة . و تقصدوا :

يقال : هو على قصد السبيل إذا كان راشدا وَ عَلَى اللّهِ قَصدُ السَّبِيلِ 16 : 9 .

[2] الفرائض . . . : ما افترض اللّه عليكم من صلاة و صيام و زكاة و خمس و حجّ و غير ذلك . أدّوها : واظبوا على القيام بها .

تؤدّكم الى الجنّة : تتوصلون بأدائها الى الجنّة .

[3] مدخول : لا عيب فيه و لا شبهة .

[4] حرمة المسلم . . . : ما لا يجوز انتهاكه ، و هي حرمة دمه و ماله و عرضه . على الحرم كلها : انتهاكه من أعظم المحرّمات . و شدّ بالاخلاص و التوحيد في معاقدها : معاقد جمع عقد : العهد . و المراد : ما أخذ عليهم من عهود في الحفاظ و رعاية حقوق بعضهم البعض .

و يده [1] إلاّ بالحقّ . و لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب ، بادروا أمر العامّة و خاصّة أحدكم و هو الموت [2] فإنّ النّاس أمامكم ، و إنّ السّاعة تحدوكم [3] من خلفكم . تخفّفوا تلحقوا فإنّما

[1] فالمسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه : هذا تعريف للمسلم الصحيح ، يجب أن لا يعتدي على أحد بلسانه بسب أو اغتياب أو نميمة أو شهادة زور و ما شابه ذلك ، و لا يضرب و لا يسرق و لا يقتل .

[2] بادروا . . . : سارعوا . و أمر العامة : أي الى إرشادهم و تهذيبهم و توعيتهم . و خاصة أحدكم و هو الموت : ما يخصّه و يعنيه و نازل به .

و المراد : استغلال فسحة العمر بالاعمال التي تنفعه في تلك العوالم وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَى 2 : 197 .

[3] فان الناس أمامكم . . . : سبقوكم الى الآخرة . و الساعة تحدوكم : حدا الابل : ساقها و حثّها على السير بالحداء .

و المراد : الاستعداد لها بتقديم الطاعات ، و اجتناب المعاصي .

ينتظر بأوّلكم آخركم [1] . اتّقوا اللّه في عباده و بلاده فإنّكم مسؤولون حتّى عن البقاع و البهائم [2] ، و أطيعوا اللّه و لا تعصوه ، و إذا رأيتم الخير فخذوا به [3] ، و إذا رأيتم الشّرّ فأعرضوا عنه .

[1] تخففوا تلحقوا . . . : قللوا من السعي للدنيا ، و الاهتمام بها ، لتسعدوا بمرافقة أولياء اللّه في منازلهم . و هذه الجملة لا يقوى على مثلها البلغاء . فانّما ينتظر بأولكم آخركم : ينتظر المتقدمون منكم المتأخرين تمهيدا لقيام الساعة .

[2] اتقوا اللّه في عباده . . . : راقبوه و اخشوه في الاساءة الى عباده . و البقاع : الأماكن . و البهائم : الحيوانات . و المراد :

تحاسبون على أذى الحيوان ، و على الجلوس في مكان لا ينبغي للمسلم أن يجلس فيه .

[3] إذا رأيتم الخير . . الخ : اسرعوا و بادروا لكل عمل خيّر لعلّ فيه نجاتكم ، و اعرضوا عن كل عمل قبيح لعلّ فيه هلاككم .

[62]

(164) و من كلام له عليه السلام

بعد ما بويع بالخلافة ، و قد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت قوما ممن أجلب [1] على عثمان ؟ فقال (عليه السلام) :

يا إخوتاه ، إنّي لست أجهل ما تعلمون ،

و لكن كيف لي بقوّة و القوم المجلبون على حدّ شوكتهم ، يملكوننا و لا نملكهم [2] ؟ و ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، و التفّت إليهم

[1] اجلب القوم : اجتمعوا و تألّبوا .

[2] شوكتهم . . . : قوتهم . و يملكوننا : بيدهم القوّة و زمام الأمر .

[63]

أعرابكم ، و هم خلالكم يسومونكم [1] ما شاءوا ،

و هل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه ؟ و إنّ هذا الأمر أمر جاهليّة ، و إنّ لهؤلاء القوم مادّة [2] ، إنّ النّاس من هذا الأمر إذا حرّك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، و فرقة ترى ما لا ترون ، و فرقة لا ترى هذا و لا ذاك . فاصبروا حتّى يهدأ النّاس ، و تقع القلوب مواقعها ، و تؤخذ الحقوق مسمحة [3] ، فاهدأوا عنّي ، و انظروا ما ذا يأتيكم به أمري ، و لا تفعلوا فعلة تضعضع قوّة و تسقط منة ، و تورث وهنا [4] و ذلّة ، و سأمسك الأمر ما

[1] و التفت إليهم . . . : انضمت إليهم . خلالكم : بقربكم .

يسومونكم : يلزمونكم .

[2] مادة : اعوان و أنصار .

[3] تقع القلوب مواقعها : تهدأ الثورة ، و يرجع الناس الى حالتهم الطبيعية . و تؤخذ الحقوق مسمحة : بيسر و سهولة .

[4] المنّة . . . : القوّة . و الوهن : الضعف .

[64]

استمسك [1] ، و إذا لم أجد بدّا فآخر الدّواء الكيّ [2] .

(165) و من خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة

إنّ اللّه بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق ، و أمر قائم ، لا يهلك عنه إلاّ هالك [3] ، و إنّ

[1] سأمسك الأمر ما استمسك : اكف نفسي عن محاربتهم ،

و ابذل جهدي في استصلاحهم .

[2] فآخر الدواء الكيّ : آخر علاج يتعالج به . و المراد : اني احاول اصلاح الأمور بكل ما أتمكّن ، و أجعل الحرب آخر الحلول .

[3] لا يهلك عنه إلاّ هالك : إن الدعوة الإسلامية ، و القرآن الكريم معجزة نبيّنا (صلّى اللّه عليه و آله) الخالدة ، و معالم الشريعة الواضحة ، لا يتباعد منها ، و ينحرف عنها إلاّ من استحوذ عليه الشيطان ، و ارتكس في الشقاء .

[65]

المبتدعات المشبّهات هنّ المهلكات [1] ، إلاّ ما حفظ اللّه منها ، و إنّ في سلطان اللّه عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوّمة و لا مستكره بها [2] . و اللّه لتفعلنّ أو لينقلنّ اللّه عنكم سلطان الإسلام [3] ، ثمّ لا ينقله إليكم أبدا حتّى يأرز [4] الأمر إلى غيركم .

[1] البدعة . . . : ما أحدث في الشريعة ، و ليس له أصل في كتاب و لا سنّة . و المشبهات : الأمور الملتبسة التي يتشبث بها المبطلون . من المهلكات : يدخل الناس بها النار .

[2] السلطان . . . : الملك . و سلطان اللّه : الخلافة . عصمة لأمركم : انتظام أموركم . و غير ملومة : لا لوم على صاحبها لاتصافه بنفاق أو رياء . و لا مستكره بها : ليس بها اكراه .

و المراد : الطاعة الصحيحة التي ينتصر بها القائد ، و يحقق أهدافه الإصلاحية .

[3] سلطان الاسلام : الخلافة .

[4] يأرز : ينحاز .

[66]

إنّ هؤلاء قد تمالأوا [1] على سخطة إمارتي ،

و سأصبر ما لم أخف على جماعتكم ، فإنّهم إن تمّموا على فيالة هذا الرّأي [2] انقطع نظام المسلمين ، و إنّما طلبوا هذه الدّنيا حسدا لمن أفاءها اللّه عليه [3] ، فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها ، و لكم علينا العمل بكتاب اللّه تعالى و سيرة رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، و القيام بحقّه ، و النّعش لسنّته [4] .

[1] تمالأوا : اتفقوا .

[2] فيالة هذا الرأي : ضعفه .

[3] أفاءها اللّه عليه : ردّها إليه .

[4] نعش الشيء . . . : نشطه و اقامه . و سنة النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) : ما صدر عنه من قول و فعل .

[67]

(166) و من كلام له عليه السلام كلّم به بعض العرب

و قد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب (عليه السلام) منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبيّن له (عليه السلام) من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له :

بايع فقال : إني رسول قوم و لا أحدث حدثا حتى أرجع إليهم ، فقال (عليه السلام) :

أ رأيت لو أنّ الّذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث ، فرجعت إليهم و أخبرتهم عن

[68]

الكلإ [1] و الماء فخالفوا إلى المعاطش و المجادب [2] ، ما كنت صانعا ؟ قال : كنت تاركهم و مخالفهم الى الكلإ و الماء ، فقال (عليه السلام) :

فامدد إذا يدك فقال الرجل : فو اللّه ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليّ [3] ،

فبايعته (عليه السلام) (و الرجل يعرف بكليب الجرمي) .

[1] الرائد . . . : من يتقدم القوم يفتّش لهم عن الكلإ . و مساقط الغيث : المطر . و الكلإ : العشب ، رطبه و يابسه .

[2] المعاطش . . . : الأرض التي لا ماء فيها . و جدب المكان جدبا : يبس لاحتباس الماء عنه .

[3] قيام الحجّة عليّ : لزمني الدليل و البرهان .

[69]

(167) و من خطبة له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع ، و الجوّ المكفوف [1] ، الّذي جعلته مغيضا للّيل و النّهار [2] ، و مجرى للشّمس و القمر ، و مختلفا للنّجوم السّيّارة ، و جعلت سكّانه سبطا من

[1] السقف المرفوع . . . : السماء . و الجوّ : ما بين السماء و الأرض . و المكفوف : المضموم بعضه الى بعض .

و المراد : العوالم التي بين السماء و الأرض من شمس و قمر و نجوم ، و ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى .

[2] مغيضا لليل و النهار : غاض الماء : نقص : و المراد : محل لنقصان كل منهما مع زيادة الآخر ، لأن حدوثهما و ما يطرأ على كل منهما من زيادة و نقصان متولد من حركة الشمس ،

و الشمس جرم من أجرام الجوّ .

[70]

ملائكتك ، لا يسأمون [1] من عبادتك ، و ربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قرارا للأنام ، و مدرجا للهوامّ و الأنعام [2] ، و ما لا يحصى ممّا يرى و ممّا لا يرى ، و ربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلتها للأرض أوتادا ، و للخلق اعتمادا [3] إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي ، و سدّدنا [4] للحقّ ، و إن

[1] سبطا . . . : امة . و لا يسأمون : لا يملّون .

[2] قرارا . . . : مأوى و موضع استقرار . و الأنام : جميع ما على الأرض من الخلق . و مدرجا : طريقا . و الهوام : الحشرات .

و الانعام : الإبل و الغنم و البقر .

[3] الرواسي . . . : جمع الراسي : الثابت الراسخ . أوتادا جمع وتد : ما ثبت في الأرض أو الحائط من خشب وَ الجِبَالَ أَوتَاداً 78 : 7 لئلاّ تميد بأهلها . و اعتمادا :

يعتمدون عليها في منافعهم لما فيها من معادن و مياه و أشجار مثمرة و مراعي .

[4] البغي . . . : تجاوز الحدّ في الاعتداء . و السداد : الاستقامة و القصد ، و الصواب من القول و الفعل .

[71]

أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهادة ، و اعصمنا من الفتنة [1] .

أين المانع للذّمار و الغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ [2] ؟ العار وراءكم ، و الجنّة أمامكم [3] .

[1] و اعصمنا من الفتنة : العصمة : منحة إلهيّة تمنع من فعل المعصية و الميل إليها . و فتن فلانا فتونا : عذّبه ليحوله عن دينه .

[2] الذمار . . . : ما يلزم حفظه من الأهل و المال . و غار الرجل على امرأته : ثارت نفسه لابدائها زينتها و محاسنها لغيره .

و الحقائق : عظائم الأمور و شدائدها . و الحفاظ : الذبّ عن المحارم ، و المنع عند الحروب .

[3] العار وراءكم . . . : ما يلحقكم من عار في الفرار . و الجنّة أمامكم : قد أعدّها اللّه جلّ جلاله و هيّأها للمجاهدين .

[72]

(168) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الّذي لا تواري [1] عنه سماء سماء و لا أرض أرضا .

منها : و قد قال قائل : إنّك على هذا الأمر [2] يا ابن أبي طالب لحريص فقلت : بل أنتم و اللّه لأحرص و أبعد ، و أنا أخصّ و أقرب و إنّما طلبت حقّا لي و أنتم تحولون بيني و بينه ، و تضربون وجهي دونه [3] فلمّا قرعته بالحجّة [4] في الملأ

[1] لا تواري : لا تحجب .

[2] انك على هذا الأمر : المراد بذلك الخلافة .

[3] تضربون وجهي دونه : تردّوني و تمنعوني من حقّي .

[4] قرعته . . . : غلبته . و الحجّة : الدليل و البرهان .

[73]

الحاضرين هبّ كأنّه [بهت] لا يدري ما يجيبني به اللّهمّ إنّي أستعينك [1] على قريش و من أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي ، و صغّروا عظيم منزلتي ، و أجمعوا على منازعتي أمرا هو لي ، ثمّ قالوا : ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه ، و في الحقّ أن تتركه [2] .

منها في ذكر أصحاب الجمل

فخرجوا يجرّون حرمة رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله) ، كما تجرّ الأمة عند شرائها ،

[1] استعينك : اطلب منك العون و المساعدة .

[2] في الحق أن تأخذه . . . : لك تمام الحق فيه . و في الحق أن تتركه : يجب عليك تركه أيضا إذا انتخبنا غيرك . قال الشيخ محمد عبده : فتناقض حكمهم في القضيتين ، و لا يكون الحق في الأخذ إلاّ لمن توافرت فيه شروطه .

[74]

متوجّهين بها إلى البصرة : فحبسا نساءهما في بيوتهما و أبرزا حبيس رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) [1] ، لهما و لغيرهما في جيش ما منهم رجل إلاّ و قد أعطاني الطّاعة ، و سمح لي بالبيعة ،

طائعا غير مكره ، فقدموا على عاملي بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها : فقتلوا طائفة صبرا ، و طائفة غدرا [2] فو اللّه لو لم يصيبوا

[1] حرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) . . . : عائشة . و الأمة :

الوصيفة . شبّه خروجهم بعائشة بالنخاس الذي يعرض جواريه في البلدان . و حبسا نساءهما : منعا زوجاتهم من الخروج و شهود الحرب صيانة لهنّ ، و لم يراعوا حرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) في إخراج زوجته . و حبيس رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) : عائشة ، فهي حبيسة له حتى بعد وفاته ،

لتحريم زواج نساء النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) من بعده .

[2] صبرا . . . : بعد أسرهم . و غدر الرجل : نقض عهده و ترك الوفاء به . ذكر كل المؤرخين قتلهم لخزّان بيت المال صبرا ،

كما غدرهم بأهل البصرة بعد الهدنة التي اتفقوا عليها ، و من سبر التاريخ وجد خروج القادة عن الشريعة : من نقض العهد ، و الخروج على إمام الحق ، و قتل قوم مسلمين مسالمين ، و الغدر بعد الاتفاق على الهدنة ، و استتباب الأمن في البلد .

[75]

من المسلمين إلاّ رجلا واحدا معتمدين لقتله ، بلا جرم [1] جرّه ، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه ،

إذ حضروه فلم ينكروا ، و لم يدفعوا عنه بلسان و لا بيد . دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة [2] الّتي دخلوا بها عليهم .

(168) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الّذي لا تواري [1] عنه سماء سماء و لا أرض أرضا .

منها : و قد قال قائل : إنّك على هذا الأمر [2] يا ابن أبي طالب لحريص فقلت : بل أنتم و اللّه لأحرص و أبعد ، و أنا أخصّ و أقرب و إنّما طلبت حقّا لي و أنتم تحولون بيني و بينه ، و تضربون وجهي دونه [3] فلمّا قرعته بالحجّة [4] في الملأ

[1] لا تواري : لا تحجب .

[2] انك على هذا الأمر : المراد بذلك الخلافة .

[3] تضربون وجهي دونه : تردّوني و تمنعوني من حقّي .

[4] قرعته . . . : غلبته . و الحجّة : الدليل و البرهان .

الحاضرين هبّ كأنّه [بهت] لا يدري ما يجيبني به اللّهمّ إنّي أستعينك [1] على قريش و من أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي ، و صغّروا عظيم منزلتي ، و أجمعوا على منازعتي أمرا هو لي ، ثمّ قالوا : ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه ، و في الحقّ أن تتركه [2] .

منها في ذكر أصحاب الجمل

فخرجوا يجرّون حرمة رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله) ، كما تجرّ الأمة عند شرائها ،

[1] استعينك : اطلب منك العون و المساعدة .

[2] في الحق أن تأخذه . . . : لك تمام الحق فيه . و في الحق أن تتركه : يجب عليك تركه أيضا إذا انتخبنا غيرك . قال الشيخ محمد عبده : فتناقض حكمهم في القضيتين ، و لا يكون الحق في الأخذ إلاّ لمن توافرت فيه شروطه .

متوجّهين بها إلى البصرة : فحبسا نساءهما في بيوتهما و أبرزا حبيس رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آلهو سلّم) [1] ، لهما و لغيرهما في جيش ما منهم رجل إلاّ و قد أعطاني الطّاعة ، و سمح لي بالبيعة ،

طائعا غير مكره ، فقدموا على عاملي بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها : فقتلوا طائفة صبرا ، و طائفة غدرا [2] فو اللّه لو لم يصيبوا

[1] حرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) . . . : عائشة . و الأمة : الوصيفة . شبّه خروجهم بعائشة بالنخاس الذي يعرض جواريه في البلدان . و حبسا نساءهما : منعا زوجاتهم من الخروج و شهود الحرب صيانة لهنّ ، و لم يراعوا حرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) في إخراج زوجته . و حبيس رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) : عائشة ، فهي حبيسة له حتى بعد وفاته ، لتحريم زواج نساء النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) من بعده .

[2] صبرا . . . : بعد أسرهم . و غدر الرجل : نقض عهده و ترك الوفاء به . ذكر كل المؤرخين قتلهم لخزّان بيت المال صبرا ،

كما غدرهم بأهل البصرة بعد الهدنة التي اتفقوا عليها ، و من سبر التاريخ وجد خروج القادة عن الشريعة : من نقض العهد ، و الخروج على إمام الحق ، و قتل قوم مسلمين مسالمين ، و الغدر بعد الاتفاق على الهدنة ، و استتباب الأمن في البلد .

من المسلمين إلاّ رجلا واحدا معتمدين لقتله ، بلا جرم [1] جرّه ، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه ،

إذ حضروه فلم ينكروا ، و لم يدفعوا عنه بلسان و لا بيد . دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة [2] الّتي دخلوا بها عليهم .

(169) و من خطبة له عليه السلام

أمين وحيه ، و خاتم رسله ، و بشير رحمته ،

[1] معتمدين . . . : قاصدين . و بلا جرم : بلا ذنب .

[2] العدّة : الجماعة . و المراد : قتلوا من أهل البصرة و من خزّان بيت المال بعدد جيشهم الذي أقبلوا به .

[76]

و نذير نقمته [1] .

أيّها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه ، و أعلمهم بأمر اللّه [2] فيه ، فإن شغب شاغب استعتب [3] فإن أبى قوتل . و لعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامّة النّاس فما إلى ذلك سبيل ، و لكن أهلها يحكمون على

[1] أمين وحيه . . . : المؤتمن على الكتاب و الشريعة ، عصمه اللّه جلّ جلاله من النسيان و الكتمان و التبديل و التحريف .

و خاتم رسله : آخرهم ، و به ختمت النبوة ، و انقطع الوحي .

بشير : المؤمنين بالجنة . و نذير للعصاة من النار إِنّا أَرْسَلنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً 48 : 8 .

[2] بهذا الأمر . . . : الخلافة . أقواهم عليه : أقدرهم على تحمّلها . بأمر اللّه : بأحكام الشريعة .

[3] شغب . . . : أحدث فتنة . استعتب : طلب منه الرجوع الى الحق .

[77]

من غاب عنها [1] ، ثمّ ليس للشّاهد أن يرجع ،

و لا للغائب أن يختار .

ألا و إنّي أقاتل رجلين : رجلا ادّعى ما ليس له ، و آخر منع الّذي عليه [2] .

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه [3] ، فإنّها خير ما تواصى العباد به ، و خير عواقب الأمور [4] عند اللّه ، و قد فتح باب الحرب بينكم و بين أهل القبلة ، و لا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر

[1] يحكمون على من غاب عنها : يلزم الغائبين ما لزم الحاضرين من الوفاء بها .

[2] ادعى ما ليس له . . . : من الطلب بدم عثمان ، فلم يكونوا ورثته ، و لا مخوّلين من قبلهم . منع الذي عليه : من البيعة و الاستقامة ، و المراد به معاوية .

[3] التقوى : العمل بأوامر اللّه تعالى ، و الانتهاء عمّا نهى عنه .

[4] عواقب الأمور : أواخرها .

[78]

و الصّبر [1] و العلم بمواقع الحقّ ، فامضوا لما تؤمرون به ، و قفوا عند ما تنهون عنه ، و لا تعجلوا في أمر حتّى تتبيّنوا ، فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غيرا [2] .

ألا و إنّ هذه الدّنيا الّتي أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فيها ، و أصبحت تغضبكم و ترضيكم ،

ليست بداركم [3] و لا منزلكم الّذي خلقتم له و لا الّذي دعيتم إليه ، ألا و إنّها ليست بباقية لكم ،

[1] البصر . . . : المعرفة و العقل . و الصبر : على تحمّل المشاق .

[2] غيرا : تغييرا ، طبقا لما فيه المصلحة . و المراد : استعداده عليه السلام لتغيير ما يطلبونه مما لا يمس الشريعة و أحكامها ، من عزل وال ، و إيقاف حرب ، و ما شابه ذلك .

[3] تغضبكم و ترضيكم . . . : تغضبون و ترضون من أجلها .

ليست بداركم : المعدّة لإقامتكم . و لا منزلكم الذي خلقتم له : لأنّكم خلقتم للآخرة و الدنيا طريق للسلوك إليها .

[79]

و لا تبقون عليها ، و هي و إن غرّتكم منها فقد حذّرتكم [1] شرّها . فدعوا غرورها لتحذيرها ،

و إطماعها لتخويفها [2] ، و سابقوا فيها إلى الدّار الّتي دعيتم إليها ، و انصرفوا بقلوبكم عنها [3] و لا يخنّ أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها [4] ، و استتمّوا نعمة اللّه عليكم بالصّبر على

[1] غرّتكم . . . : خدعتكم . و حذّرتكم : خوّفتكم .

[2] أطماعها . . . : الطمع فيها ، و التمكّن منها . لتخويفها : لما فيها من مخاوف و أذى تلحقكم منها .

[3] سابقوا فيها الى الدار التي دعيتم إليها . . . : استغلّوها للعمل لما يسعدكم في داركم التي ستنتقلون إليها . و انصرفوا بقلوبكم عنها : فبعد أن نهاهم عن الرغبة فيها ، و العمل لها ، طلب منهم الإنصراف القلبي عنها ، و عدم التفكير فيها ، و هذا نهاية التحذير .

[4] يخنن . . . : يرفع صوته بالبكاء . و الامة : الوصيفة ، فانه يكثر بكاؤها لما يلحقها من الأذى . و زوي منها : طوي و قبض منها . و المراد : لا تتأسّفوا على ما فاتكم منها .

[80]

طاعة اللّه ، و المحافظة على ما استحفظكم [1] من كتابه . ألا و إنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم . ألا و إنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم [2] ، أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ و ألهمنا [3] و إيّاكم الصّبر .

[1] استتموا . . . : اطلبوا من اللّه تعالى أن يتمّ عليكم نعمه .

بصبركم : على أداء ما كلفكم به . و المحافظة على ما استحفظكم : طلب منكم حفظه ، و القيام به ، و العمل بموجبه .

[2] ألا و انه لا يضركم . . الخ : لا يضرّكم انتقاص دنياكم إذا سلم لكم دينكم ، و لا تنفعكم دنياكم و ان ملكتم ما بين المشرق و المغرب إذا انتقص دينكم .

[3] أخذ اللّه بقلوبنا و قبوبكم الى الحق . . . : هدانا لسبيل الحق و نهجه . و ألهمنا : الإلهام : ما يلقى في الروع ، يقال : ألهمه اللّه خيرا ، أي لقّنه .

[81]

(170) و من كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيد اللّه

قد كنت و ما أهدّد بالحرب ، و لا أرهب [1] بالضّرب ، و أنا على ما قد وعدني ربّي من النّصر ، و اللّه ما استعجل متجرّدا للطّلب بدم عثمان إلاّ خوفا من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته ،

و لم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر [2] و يقع الشّكّ

[1] قد كنت و ما أهدد بالحرب . . . : ردّ عليهم حينما هددوه و خوّفوه بالحرب ، و هو مما يعاب به عليهم ، فمثله لا تجهل بطولته . و ارهّب : اخوّف .

[2] متجرّدا . . . : مجدّا فيه . و مظنّة الشيء : موضعه و مألفه الذي يظنّ كونه فيه . و احرص عليه : على قتله . و المغالطة :

استدلال زائف . و جلب : جمع و ألّب . ليلبس الأمر :

يخلطه . و المعنى : ان سبب طلبه بدم عثمان هو الخوف من أن يطالب به ، لأنّه السبب الرئيسي في قتله ، و حتى في أيام الحصار منع عنه الماء .

و و اللّه ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث :

لئن كان ابن عفّان ظالما ، كما كان يزعم ، لقد كان ينبغي له أن يؤازر [1] قاتليه أو أن ينابذ ناصريه ،

و لئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه و المعذرين فيه [2] و لئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله و يركد [3] جانبا و يدع النّاس معه ، فما فعل واحدة من

[1] يوازر . . . : يقوّي و يعين . و نابذ فلانا : فارقه عن خلاف و بغض .

[2] نهنه فلانا عن الشيء : كفّه عنه و زجره . و المعذرين فيه :

المعتذرين عنه .

[3] ركد : سكن و هدأ . و المراد : يعتزل .

الثّلاث ، و جاء بأمر لم يعرف بابه ، و لم تسلم معاذيره [1] .

(171) و من خطبة له عليه السلام

أيّها الغافلون غير المغفول عنهم ، و التّاركون المأخوذ منهم مالي أراكم عن اللّه ذاهبين ، و إلى غيره راغبين [2] ؟ كأنّكم نعم أراح بها سائم إلى

[1] لم يعرف بابه . . . : لم يدر المبرر لدخوله فيه . و لم تسلم معاذيره : ليس عنده ما يعتذر به أمام اللّه . و ذكر المؤرخون انه قال بعد ما ضربه مروان بن الحكم بالسهم ، و أخذه نزف الدم ، قال : و اللّه ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا .

[2] الغافلون غير المغفول عنهم . . . : قد ضبطت تصرفاتهم و حركاتهم مَا يَلفِظُ مِن قَولٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد 50 : 18 . و التاركون : لما كلّفوا به . و المأخوذ منهم : أعمارهم و أموالهم . و ذاهبين : معرضين . و راغبين : منهمكين في طلب الدنيا .

مرعى وبيّ ، و مشرب دويّ [1] إنّما هي كالمعلوفة للمدى ، لا تعرف ما ذا يراد بها : إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها ، و شبعها أمرها [2] ، و اللّه لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه [3] و جميع شأنه لفعلت ، و لكن أخاف

[1] نعم . . . : ابل ، غنم ، بقر . و السائم : الراعي . و مرعى وبيّ : ذو وباء . و دوي : ذو داء . و المراد : ان هذا المرعى و الماء يورث المرض .

[2] المعلوفة . . . : التي يقدّم لها العلف . و المدى جمع مدية : سكين . و تحسب : تظنّ . و يومها دهرها : هي في حالة شبعها تظنّ أنّ دنياها كلها كذلك ، و لا تعرف ما يراد بها بعد ذلك . و شبعها أمرها : شأنها الوحيد .

[3] مولجه : دخوله . و المراد : علمه بتصرفاته ، و هذا مما علمه به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، فقد ذكر الخاص و العام قوله (عليه السلام) : علّمني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب .

[85]

أن تكفروا فيّ [1] برسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، ألا و إنّي مفضيه إلى الخاصّة [2] ممّن يؤمن ذلك منه . و الّذي بعثه بالحقّ و اصطفاه [3] على الخلق ، ما أنطق إلاّ صادقا ، و قد عهد إليّ بذلك كلّه ، و بمهلك من يهلك ، و منجى من ينجو ،

و مآل هذا الأمر ، و ما أبقى شيئا يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أذنيّ و أفضى به إليّ [4] .

أيّها النّاس ، إنّي و اللّه ما أحثّكم على طاعة

[1] تكفروا بي : تغلوا فيّ ، فيكون ذلك منكم كفرا برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ، و خروجا من الإسلام .

[2] مفضية . . . : موصله . الى الخاصة : خلّص أصحابي .

و المراد : الطبقة العليا من المؤمنين .

[3] اصطفاه : اختاره و اجتباه .

[4] عهد إلي . . . : أوصاني به . مآل هذا الأمر : ما يصير إليه أمر الخلافة . يمر على رأسي : ما يجري عليّ . أفضى به إليّ : أعلمني به .

[86]

إلاّ أسبقكم إليها ، و لا أنهاكم عن معصية إلاّ أتناهى قبلكم عنها [1] .

(172) و من خطبة له عليه السلام

انتفعوا ببيان اللّه [2] ، و اتّعظوا بمواعظ اللّه ،

و اقبلوا نصيحة اللّه . فإنّ اللّه قد أعذر إليكم

[1] ما احثّكم على طاعة . . الخ : و هذا هو المطلوب من كل مسلم ، ان يعمل بأوامر اللّه تعالى قبل أن يأمر بها غيره ،

و ينتهي عمّا نهى عنه قبل أن ينهى الآخرين . يقول النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) : يطلع قوم من أهل الجنّة الى قوم من أهل النار فيقولون : ما ادخلكم النار و انّما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم و تعليمكم ؟ فيقولون : إنّا كنّا نأمركم بالخير و لا نفعله .

[2] انتفعوا ببيان اللّه . . الخ : المراد ببيان اللّه ، و مواعظه و نصيحته القرآن الكريم .

بالجليّة ، و أخذ عليكم الحجّة [1] ، و بيّن لكم محابّه من الأعمال و مكارهه [2] منها ، لتتّبعوا هذه و تجتنبوا هذه ، فإنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، كان يقول : « حفّت الجنّة بالمكاره و حفّت النّار بالشّهوات » [3] . و اعلموا أنّه ما من

[1] أعذر إليكم . . . : ازال عذركم ، و لم يبق لكم موضعا للاعتذار . و الجلية : الواضحة . و المراد بذلك آيات القرآن الكريم . و اتخذ عليكم الحجّة : البيّنة الصحيحة . و المراد :

قد علموا أوامره و نواهيه فلا حجّة لهم في تركها قُل فَلِلّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ 6 : 149 .

[2] محابه من الأعمال . . . : ما أمركم به . و مكارهه : الأعمال التي يكرهها . و المراد : ما حرّمه عليكم .

[3] حفت الجنة بالمكاره . الخ : الأعمال التي تؤدّي بكم إلى الجنّة كريهة لكم ، و فيها بعض المشاق عليكم ، كالوضوء و الغسل في الشتاء ، و الصوم في الصيف ، و الأعمال التي تؤدّي بكم الى النار هي ما تشتهيه أنفسكم ، و تهواه قلوبكم ،

كالغناء ، و الغيبة ، و حبس الحقوق الشرعية .

طاعة اللّه شيء إلاّ يأتي في كره ، و ما من معصية اللّه شيء إلاّ يأتي في شهوة . فرحم اللّه رجلا نزع عن شهوته ، و قمع هوى نفسه ، فإنّ هذه النّفس أبعد شيء منزعا [1] ، و إنّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى .

و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن لا يمسي و لا يصبح إلاّ و نفسه ظنون عنده [2] فلا يزال زاريا عليها ، و مستزيدا لها . فكونوا كالسّابقين قبلكم و الماضين أمامكم ، قوّضوا من الدّنيا تقويض

[1] نزع عن شهوته . . . : كفّ و انتهى . و قمع : قلع . و هوى نفسه : ما تهواه من المحرّمات . و ابعد شيء منزعا : رجوعا عن المعصية إِنَّ النَّفسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي 12 : 53 .

[2] نفسه ظنون عنده . . . : متّهمة عنده ، يظنّ بها التقصير .

زاريا عليها : عائبا لها . مستزيدا لها : من أعمال الخير .

الرّاحل ، و طووها [1] طيّ المنازل . و اعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يغشّ ، و الهادي الّذي لا يضلّ ، و المحدّث الّذي لا يكذب ، و ما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ، و نقصان من عمى .

و اعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، و لا لأحد قبل القرآن من غنى [2] ، فاستشفوه من أدوائكم ، و استعينوا به على لأوائكم [3] فإنّ فيه شفاء

[1] قوّض البناء : هدمه . و الراحل : المسافر . و طووها :

قطعوها و جاوزوها . و المراد : قطعوا علائقهم بالدنيا ،

و الاهتمام بها .

[2] ليس على أحد بعد القرآن من فاقة . . . : فقر . و المراد : أن أهل القرآن استكفوا به مرشدا و دليلا الى الكمال و الرقي ،

و استغنوا به عن غيره . و لا لأحد قبل القرآن من غنى : ليس في البشرية أحد قبل نزول القرآن مستغن عنه .

[3] فاستشفوه . . . : اطلبوا فيه الشفاء لجميع أسقامكم و أدوائكم : أمراضكم . و استعينوا : اطلبوا منه العون .

و لأوائكم : شدائدكم .

[90]

من أكبر الدّاء ، و هو الكفر و النّفاق و الغيّ [1] و الضّلال . فاسألوا اللّه به ، و توجّهوا إليه بحبّه ، و لا تسألوا به خلقه [2] . إنّه ما توجّه العباد إلى اللّه بمثله ، و اعلموا أنّه شافع و مشفّع [3] ، و قائل و مصدّق ، و أنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه ، و من محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ،

فإنّه ينادى مناد يوم القيامة : « ألا إنّ كلّ حارث

[1] ألغي : الضلال .

[2] فاسألوا اللّه به . . . : اطلبوا نجاح حوائجكم من اللّه باتباعكم لكتابه ، و عملكم بأحكامه . و توجّهوا إليه بحبّه : اجعلوا وسيلتكم الى اللّه تعالى حبّكم لكتابه . و لا تسألوا به خلقه :

تطلبوا معروفهم لأنّكم من قرّائه و حملته .

[3] شافع مشفّع : يطلب النجاة لقارئيه ، و العاملين بأحكامه ،

فيشفّعه اللّه تعالى فيهم .

[91]

مبتلى في [1] حرثه ، و عاقبة عمله غير حرثة القرآن » [2] فكونوا من حرثته و أتباعه ، و استدلّوه على ربّكم ،

و استنصحوه على أنفسكم ، و اتّهموا عليه آراءكم ،

و استغشّوا فيه أهواءكم [3] ، العمل العمل ، ثمّ النّهاية النّهاية ، و الإستقامة الإستقامة ، ثمّ الصّبر

[1] محل به : سعى به الى السلطان . و المراد : أنّه يسعى بالمسلم الى اللّه جلّ جلاله اذا قصّر بالعمل به .

[2] كل حارث مبتلى في حرثه . . . : الحرث : الكسب . يقال :

فلان يحرث لعياله : يكتسب لهم . و حرثة القرآن : مستثيروا دفائنه و كنوزه . و مبتلى : مسؤول و محاسب على علمه ،

و حرثة القرآن بمنجى من ذلك كله .

[3] و استدلوه على ربّكم : اتخذوه دليلا يوصلكم الى رضاء اللّه تعالى . و استنصحوه : خذوا نصائحه لاستصلاح نفوسكم .

و اتهمو عليه آراءكم : اذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ . و استغشّوا فيه أهواءكم : ظنّوا فيها الغشّ ، و ارجعوا الى أحكام القرآن .

[92]

الصّبر ، و الورع الورع [1] ، إنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، و إنّ لكم علما فاهتدوا بعلمكم ،

و إنّ للإسلام غاية [2] فانتهوا إلى غايته ، و اخرجوا إلى اللّه بما افترض عليكم من حقّه ، و بيّن لكم من

[1] العمل العمل . . . : بما يسعدكم غدا . و التكرار في الألفاظ للتأكيد عليها . و نهاية الشيء : آخره . و المراد : مراقبة الأعمال و ملاحظة نهايتها ، فربّ عمل بدء بخير و ختم بشرّ ،

لتداخل الرياء فيه و العجب و غير ذلك . و الاستقامة الاستقامة : استمرّوا على طاعة اللّه ، و أداء ما كلّفكم به .

و الصبر الصبر : على الطاعة ، و عن المعصية . و الورع الورع : التحرّج عن الإقدام على ما نهى اللّه عنه .

[2] ان لكم نهاية . . . : المراد بذلك المصير الأخير ، و ما أعدّه اللّه لكم من الجنان ، مما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت بمثله . فاهتدوا بعلمكم : هو القرآن الكريم . و عند الشارح البحراني هو الامام (عليه السلام) . و الغاية العلّة التي يقع لأجلها . و المراد : أن للإسلام هدفا في السموّ و الرفعة و الفضيلة ، يجب على المسلم السعي له .

[93]

وظائفه [1] . أنا شهيد لكم و حجيج يوم القيامة عنكم [2] .

ألا و إنّ القدر السّابق قد وقع ، و القضاء الماضي قد تورّد [3] و إنّي متكلّم بعدة اللّه و حجّته [4] ، قال اللّه تعالى : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

[1] و اخرجوا الى اللّه بما افترض عليكم من حقّه . . . : خرج الإنسان من دينه : قضاه و أدّاه . و المراد : أدّوا ما أمركم بأدائه من عبادات و أموال . و بيّن لكم من وظائفه : رتّبه و قدّره .

و المراد : ما رتّبه عليكم من العبادات .

[2] أنا شاهد لكم . . . : أشهد لكم عند اللّه تعالى بأداء حقوقه وَ نَزَعنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً 28 : 75 . و حجيج يوم القيامة عنكم : أقيم الحجج عند اللّه تعالى سعيا في خلاصكم .

[3] القدر السابق . . . : المقدّر في علم اللّه تعالى ، الذي كتب في اللوح المحفوظ . و القضاء الماضي : المحتوم . قد تورّد : ورد و دخل . و المراد بذلك الأحداث التي سبقت خلافته و التي رافقتها .

[4] متكلّم بعدة اللّه . . . : وعده للمؤمنين المشار إليهم بالآية الكريمة . و حجّته : القرآن الكريم ، فهو الحجّة البالغة على العالم أجمع .

[94]

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَنْ لاَ تَخَافُوا وَ لاَ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ و قد قلتم ربّنا اللّه ، فاستقيموا [1] على كتابه و على منهاج أمره ، و على الطّريقة الصّالحة من عبادته ، ثمّ لا تمرقوا منها ، و لا تبتدعوا فيها ،

و لا تخالفوا عنها ، فإنّ أهل المروق منقطع بهم [2] عند اللّه يوم القيامة ، ثمّ إيّاكم و تهزيع الأخلاق و تصريفها [3] و اجعلوا اللّسان واحدا ، و ليخزن

[1] فاستقيموا : سيروا على نهجه و لا تنحرفوا عنه فتهلكوا .

[2] لا تمرقوا . . . : لا تخرجوا . و البدعة : ما أحدث في الدين ما لم يكن له أصل في كتاب اللّه ، و لا سنّة نبيّه . و منقطع بهم ، حيل بينهم و بين ما يتوخّون . و المراد : عدم وصولهم الى رضوان اللّه تعالى .

[3] تهزيع الشيء . . . : تكسيره و تفريقه . و المراد : التدرج بالانحطاط الخلقي . و تصريفها : نقلها من حال الى حال ،

و عدم ثبات صاحبها على حالة واحدة .

[95]

الرّجل لسانه فإنّ هذا اللّسان جموح [1] بصاحبه ،

و اللّه ما أرى عبدا يتّقي تقوى [2] تنفعه حتّى يخزن لسانه ، و إنّ لسان المؤمن من وراء قلبه ، و إنّ قلب المنافق من وراء لسانه ، لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه : فإن كان خيرا أبداه ، و إن كان شرّا و اراه ، و إنّ المنافق يتكلّم

[1] و اجعلوا اللسان واحدا . . . : على وتيرة واحدة من الصدق ،

و قول الحق . و ليخزن الرجل لسانه : يحفظه من القول بغير الحق ، و يقلل من كلامه . و جمح الفرس جمحا : عصا أمر صاحبه حتى غلبه . و المراد : النهي عن كثرة الكلام لأنّه يؤدّي بالإنسان الى الهلاك ، فكم من كلمة جلبت لمتكلمها قتلا و عذابا .

[2] ما أرى عبدا يتّقي تقوى . . الخ : ان التقوى مقرونة بحفظ اللسان .

[96]

بما أتى على لسانه : لا يدري ما ذا له ، و ما ذا عليه و لقد قال رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) : « لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه ، و لا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه » [1] فمن استطاع منكم أن يلقى اللّه و هو نقيّ الرّاحة [2] من دماء المسلمين و أموالهم ، سليم اللّسان من أعراضهم ، فليفعل .

[1] معنى الحديث : الإيمان : هو التصديق باللّه و برسوله ، و بما جاء به من عند اللّه ، و محل ذلك القلب ، فهو مستودع العقائد ، و استقامته : ثباته على العقيدة الصحيحة ، و ان استقامة اللسان ، و عدم الخوض فيما لا يعنيه يرسّخ هذه العقيدة و يدعمها .

[2] النقي . . . : الخالص . و الراحة : الكفّ . و المراد : يجب على المسلم أن يجدّ و يجتهد في السلامة من دماء المسلمين و أموالهم ، و النيل من كرامتهم .

[97]

و اعلموا ، عباد اللّه ، أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل ، و يحرّم العام ما حرّم عاما أوّل [1] ، و إنّ ما أحدث النّاس [2] لا يحلّ لكم شيئا ممّا حرّم عليكم ، و لكن الحلال ما أحلّ اللّه ، و الحرام ما حرّم اللّه ، فقد جرّبتم الأمور و ضرّستموها [3] و وعظتم بمن كان قبلكم ،

و ضربت لكم الأمثال ، و دعيتم إلى الأمر

[1] يستحل العام ما استحلّ عاما أوّل . . . : ان حلال محمد حلال الى يوم القيامة ، فلا يجوز لمسلم أن يجتهد و يقيس فيحرّم ما ورد عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) حلاله .

و يحرّم العام ما حرّم عاما أوّل : ان حرام محمد (صلّى اللّه عليه و آله) حرام الى يوم القيامة ، فلا يجوز لمسلم أن يجتهد و يقيس ، و يجرجر بالشريعة في تحليل شيء حرّمه صاحب الشريعة .

[2] و ان ما أحدث الناس : من بدع .

[3] ضرسته الحروب و الخطوب : جربته و أحكمته .

الواضح ، فلا يصمّ عن ذلك إلاّ أصمّ ، و لا يعمى عن ذلك إلاّ أعمى [1] و من لم ينفعه اللّه بالبلاء و التّجارب لم ينتفع بشيء من العظة ، و أتاه التّقصير من أمامه حتّى يعرف ما أنكر و ينكر ما عرف [2] ، فإنّ النّاس رجلان : متّبع شرعة ،

[1] دعيتم الى النهج الواضح . . . : النهج البيّن المستقيم ،

و المراد : أحكام الشريعة الإسلامية . فلا يصم عن ذلك إلاّ أصمّ : الأصم : الذي لا يسمع . و المراد : الغافل الذي بلغ في غفلته النهاية . و لا يعمى عن ذلك إلاّ أعمى : و المراد :

أن معالم الشريعة الإسلامية واضحة ، و منار الإسلام بيّنة ،

و القرآن الكريم الحجّة على البشريّة جمعاء ، فمن ابتغى وراء ذلك فهو ممن لا يرجى خيره .

[2] و من لم ينفعه اللّه بالبلاء و التجارب . . . : فهو إن لم يستفد بما مرّ به من تجارب و محن و بلاء ، و ما شاهده من تقلّبات الزمن ، لم تنفعه المواعظ ، لأنّ التجارب و المحن أقوى أثرا ، و أشدّ وقوعا في النفس ، و مع ذلك لم تؤثّر فيه . و أتاه التقصير في امامه : من جهته ، لأنّه بلغ الغاية في البعد .

و حتى يعرف ما انكر ، و ينكر ما عرف : يؤول به الأمر الى الاختلاط ، و يتغيّر مفهومه ، حتى يعرف ما أنكر من الأمور و الحقائق ، و ينكر ما عرف سابقا من آراء و علوم .

و مبتدع بدعة ، ليس معه من اللّه برهان سنّة ، و لا ضياء حجّة [1] ، و إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن ، فإنّه حبل اللّه المتين ، و سببه الأمين [2] ، و فيه ربيع القلب ، و ينابيع العلم [3] ،

[1] متبع شرعة . . . : ملتزم بأحكام الشريعة . و مبتدع بدعة :

مدخل على الدين ما ليس فيه . ليس معه من اللّه سبحانه برهان سنة : السنة : ما ورد عن الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و آله) من قول أو فعل . و المراد : بعده عن ذلك كله .

و لا ضياء حجّة : و لا نور يهتدي به . و المراد به أنوار القرآن الكريم .

[2] حبل اللّه . . . : شبهه بالحبل ، لأنّ التمسّك به ينجي من الردى ، كذلك الممسك بالحبل ينجو و يسلم . و المتين القوي . و سببه الأمين : الذي يوصل الى رضاه .

[3] ربيع القلب . . . : كما أن بالربيع تحيا الأرض و تزهر ،

كذلك بالقرآن تحيا القلوب و تستقيم . و الينبوع : عين الماء .

و المراد : أنّه مصدر العلوم . و ما للقلب جلاء غيره : به تذهب شكوكه و أحزانه .

[100]

و ما للقلب جلاء غيره ، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون ، و بقي النّاسون أو المتناسون . فإذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه ، و إذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه ، فإنّ رسول اللّه ، (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ، كان يقول : « يا ابن آدم اعمل الخير و دع الشّرّ فإذا أنت جواد قاصد » . [1] ألا و إنّ الظّلم ثلاثة : فظلم لا يغفر ، و ظلم لا يترك ، و ظلم مغفور لا يطلب : فأمّا الظّلم الّذي لا يغفر فالشّرك باللّه ، قال اللّه : إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ و أمّا الظّلم الّذي يغفر فظلم

[1] الجواد . . . : النجيب من الخيل . و القاصد من الأسفار :

السهل . و المراد : اذا عملت الخير ، و انتهيت عن الشر ،

فقد وصلت بيسر الى رضوان اللّه تعالى ، و حصلت السعادة الأبدية في جنّة الخلد .

[101]

العبد نفسه عند بعض الهنات [1] ، و أمّا الظّلم الّذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا [2] ،

القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ، و لا ضربا بالسّياط ، و لكنّه ما يستصغر ذلك معه [3] .

فإيّاكم و التّلوّن [4] في دين اللّه ، فإنّ جماعة فيما تكرهون من الحقّ خير من فرقة فيما تحبّون من الباطل ، و إنّ اللّه سبحانه لم يعط أحدا بفرقة

[1] الهنات : الشيء الصغير . و المراد به الذنوب الصغيرة .

[2] لا يترك . . . : لا يتسامح فيه ، و أمر موكول الى المظلوم .

ظلم العباد بعضهم بعضا : من اعتداء باليد أو اللسان ، أو تجاوز على الأموال ، بل جميع المظالم ، و ورد ان اللّه جلّ جلاله يغفر للشهيد جميع ذنوبه ما عدا حقوق الناس .

[3] القصاص هناك شديد . . . : يقتصّ من الجاني بمثل جنايته ،

فالضارب يضرب ، و القاتل يقتل ، و المدى جمع مدية :

سكينة . و لكنه ما يستصغر ذلك معه : هو أعظم من أن يوصف .

[4] إياكم . . . : أحذركم . و التلوّن : عدم الثبات على خلق .

[102]

خيرا [1] : ممّن مضى و لا ممّن بقي .

يا أيّها النّاس ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس ، و طوبى لمن لزم بيته و أكل قوته ،

و اشتغل بطاعة ربّه ، و بكى على خطيئته [2] فكان من نفسه في شغل ، و النّاس منه في راحة [3]

[1] فان جماعة فيما تكرهون . الخ : اجتماع على الحق و ان كانت النفس تأباه ، خير من افتراق على الباطل و ان كان ذلك مما تحبه النفس . لم يعط أحد بفرقة خيرا : لم ينل أحد قطّ خيرا بالافتراق ، و يد اللّه مع الجماعة .

[2] شغله عيبه عن عيوب الناس . . . : أهتم بالتفتيش عن عيوب نفسه فأصلحها . و لزم بيته : المراد بذلك العزلة ، فبعض الظروف تمرّ على المسلم تتطلّب منه ذلك حفاظا على دينه .

و خطيئته : ذنبه . و البكاء من أكبر موجبات المغفرة ، و في بعض الأحاديث : لو بكى باك في امّة لرحم اللّه تلك الأمّة ، و هو علامة الندم و الاستغفار .

[3] فكان من نفسه في شغل . . . : مشغول بنفسه و اصلاحها و الناس منه في راحة : قد كفّ شرّه عنهم .

محتويات الكتاب

154 و من خطبة له عليه السلام 3

155 ومن خطبة له عليه السلام 6

156 و من خطبة له عليه السلام 8

157 و من خطبة له عليه السلام 20

158 و من كلام له عليه السلام 25

159 و من خطبة له عليه السلام 29

160 و من كلام له عليه السلام 36

161 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقه الطاووس 40

162 و من خطبة له عليه السلام 54

163 و من خطبة له عليه السلام في اول خلافته 58

164 و من كلام له عليه السلام 62

165 و من خطبة له عليه السلام عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة 64

166 و من كلام له عليه السلام 67

167 و من خطبة له عليه السلام لما عزم على لقاء العدو بصفين 69

168 و من خطبة له عليه السلام 72

169 و من خطبة له عليه السلام 75

170 و من كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيد اللّه 81

171 و من خطبة له عليه السلام 83

172 و من خطبة له عليه السلام 86

الحلقة 17 18

[5]

بسم الله الرحمن الرحيم

(173) و من كلام له عليه السلام في معنى الحكمين [1]

فأجمع رأي ملئكم [2] على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يجعجعا [3] عند القرآن و لا يجاوزاه ، و تكون ألسنتهما معه ، و قلوبهما تبعه ، فتاها [4] عنه ، و تركا الحقّ و هما يبصرانه ،

[1] الحكمين : هما أبو موسى الأشعري ، و عمرو بن العاص .

[2] ملئكم : جماعتكم ، و اشراف القوم و سراتهم وَ قَالَ فِرعَون يَا أَيُّهَا المَلأُ 28 : 38 .

[3] الجعجاع : الأرض . و جعجعوا : اذا لزموا الأرض . و المراد :

نحن ألزمنا الحكمين على الاقتصار على حكم القرآن و لا يتجاوزاه .

[4] تاه : ضلّ و ذهب متحيّرا .

[6]

و كان الجور هواهما ، و الإعوجاج رأيهما ، و قد سبق استثناؤنا [1] عليهما في الحكم بالعدل و العمل بالحقّ سوء رأيهما ، و جور حكمهما و الثّقة في أيدينا لأنفسنا [2] حين خالفا سبيل الحقّ ، و أتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم .

(174) و من خطبة له عليه السلام

لا يشغله شأن ، و لا يغيّره زمان ، و لا يحويه مكان ، و لا يصفه لسان لا يعزب [3] عنه عدد قطر

[1] استثناه : أخرجه من قاعدة عامة أو حكم عام . و المراد :

شرطنا عليهما الحكم بالعدل و لا يتجاوزاه الى سوء رأيهما .

[2] و الثقة في أيدينا لأنفسنا : نحن على يقين و حجّة في رفض حكمهما .

[3] لا يشغله شأن . . . : أمر عن أمر ، و أن نظره لمن في السماء السابعة ، و الأرض السفلى لواحد . و يغيّره : يبدله . و التغيير مما يعتري الأشياء ، و تنزّه خالق الأشياء أن يعتريه تغيير .

و لا يحويه مكان : جلّ و تعالى عن مشابهة الأجسام . و لا يصفه لسان : تقصر الألسن عن وصفه ، و أمرت بذكره و شكره ، و وصف آلائه ، و التحدّث عن نعمه . و لا يعزب :

و لا يخفى .

[7]

الماء و لا نجوم السّماء ، و لا سوافي الرّيح في الهواء ، و لا دبيب النّمل على الصّفا ، و لا مقيل الذّرّ [1] في اللّيلة الظّلماء . يعلم مساقط الأوراق ،

و خفيّ طرف الأحداق [2] و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه غير معدول به و لا مشكوك فيه ، و لا مكفور دينه ،

و لا مجحود تكوينه [3] شهادة من صدقت نيّته ،

[1] سفت الريح التراب : ذرته أو حملته . و دبّ دبيبا : مشى مشيا رويدا . و الصفا جمع صفاة : الحجر العريض الأملس . و مقيل : استراحة . و الذر : صغار النمل .

[2] الحدقة : السواد المستدير وسط العين ، و المراد بها العين ،

و انه جلّ جلاله يعلم بانطباق أحد الجفنين على الآخرة يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُور 40 : 19 .

[3] غير معدول به . . . : العدل : المثل و النضير . و المراد : اني أنزهه من أن أجعل له مثيلا و عديلا . و لا مشكوك فيه : شهادة خالية من الشكوك و الوساوس . و لا مكفور دينه : غير كافر بدينه . و لا مجحود تكوينه : و لا منكر لما خلق من كائنات .

و المراد بذلك : العقيدة السليمة من جميع الشوائب المنافية للتوحيد .

[8]

وصفت دخلته ، و خلص يقينه و ثقلت موازينه [1] و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله المجتبى من خلائقه ، و المعتام لشرح حقائقه و المختصّ بعقائل كراماته ، و المصطفى لكرائم رسالاته [2] ،

[1] صدقت نيّته . . . : سلمت نواياه . و صفت دخلته : حسنت سريرته . و خلص يقينه : من الشكوك . و ثقلت موازينه :

بالأعمال الصالحة فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيةٍ 101 : 7 .

[2] المجتبى . . . : المصطفى . و المعتام : المختار . لشرح حقائقه : لبيان التوحيد و معالم الشريعة . و عقائل الشيء :

نفائسه . و المراد : بيان مواهب اللّه جلّ جلاله لنبيّه (صلّى اللّه عليه و آله) من الكمالات ، و معالي الأمور . و المصطفى لكريم رسالاته : اختاره و اجتباه لتبليغ رسالاته .

[9]

و الموضّحة به أشراط الهدى و المجلوّ به غربيب العمى [1] .

أيّها النّاس ، إنّ الدّنيا تغرّ المؤمّل لها ،

و المخلد إليها [2] ، و لا تنفس بمن نافس فيها ،

و تغلب من غلب عليها [3] . و ايم اللّه ما كان قوم قطّ في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها [4] ، لأنّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد . و لو

[1] الموضّحة . . . : المبينة . و اشراط الهدى : طريق الهداية و الصلاح . و الغربيب : الأسود . و المراد : به تنكشف ظلم الجهالة .

[2] تغرّ . . . : تخدع . و المؤمل لها : الذي طال أمله فيها .

و الحديث : ان اخوف ما أخاف عليكما اثنان : اتّباع الهوى ،

و طول الأمل . و المخلد لها : المطمئن إليها .

[3] تنفس . . . : تضن و تبخل . و نافس فيها : بذل جهده في الحصول عليها . و تغلب من غلب : تقهر من اشتمل عليها .

و المراد : انها تكافي الحريصين عليها بالحرمان منها .

[4] و ايم اللّه . . . : قسم . في غضّ نعمة . . . : في سعة و رفاهية و اجترحوها : اكتسبوها .

[10]

أنّ النّاس حين تنزل بهم النّقم و تزول عنهم النّعم فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم و وله من قلوبهم ، لردّ عليهم كلّ شارد [1] ، و أصلح لهم كلّ فاسد . و إنّي لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة [2] و قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم

[1] النقم . . . : العقوبة . و تزول : تنتقل . و النعم : الخير و العافية و الرفاه و سعة العيش . و فزعوا : استغاثوا . و وله زيد : اشتدّ حزنه حتى ذهب عقله . و شرد البعير : نفر و استعصى .

و المراد : ينبغي لمن واجهته المصائب ، و ألمّت به النكبات ،

أن يتوجّه الى اللّه تعالى ، و يستغفر من ذنوبه ، و يغيّر سيّء أعماله ، كما حصل لأمّة يونس (عليه السلام) .

[2] الفترة : المدّة التي تقع بين زمنين يَا أَهلَ الكِتَابِ قَد جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم عَلَى فَترَةٍ مِنَ الرُّسُلِ 5 : 19 . قال الطبرسي : أي على انقطاع من الرسل ، و دروس من الدين و الكتب . و مراد كلامه (عليه السلام) : تشبيه حالهم و بعدهم عن الشريعة بالذين عاشوا في أدوار جاهلية ، و بعد عن مناهج السماء .

[11]

فيها عندي غير محمودين ، و لئن ردّ عليكم أمركم إنّكم لسعداء و ما عليّ إلاّ الجهد و لو أشاء أن أقول لقلت [1] ، عفا اللّه عمّا سلف .

(175) و من كلام له عليه السلام

و قد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين ؟ فقال (عليه السلام) :

أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : و كيف تراه ؟ فقال :

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، و لكن

[1] ملتم . . . : زلتم وحدتم . و غير محمودين : استوجبتم الذم .

و ردّ عليكم أمركم : ما كنتم عليه من دين و صلاح . و ما عليّ إلاّ الجهد : السعي و بذل المجهود في تقويمكم . و لو أشاء أن أقول لقلت : في ظلم من تقدّمني .

[12]

تدركه القلوب بحقائق الإيمان [1] قريب من الأشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين ، متكلّم لا برويّة ، مريد لا بهمّة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ،

بصير لا يوصف بالحاسّة ، رحيم لا يوصف بالرّقّة [2] . تعنو الوجوه لعظمته ، و تجب [3] القلوب من مخافته .

[1] لا تراه العيون بمشاهدة العيان . . . : تنزّه من أن تراه العيون ، فانّها غير قادرة على النظر الى بعض مخلوقاته كالروح و قرص الشمس . و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان : العقائد المستقيمة الراسخة باليقين .

[2] قريب من الأشياء . . . : المراد بذلك علمه و احاطته بها . غير ملامس : ان قربه منها لا يستوجب الدنوّ و الملامسة كما هو الحال في الأجسام . و بيانه : فارقه . و المراد : فهو مع بعده منّا عالم بأحوالنا ، مطلع على أعمالنا وَ مَا يَعزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأرضِ وَ لاَ فِي السَّمَاءِ وَ لاَ أصغَرَ مِن ذَلِكَ وَ لاَ أَكْبَرَ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ 10 : 61 . و الرويّة : التفكير و التروّي . و الهمّة : العزم و الاهتمام . صانع لا بجارحة :

مصنوعاته ليست ناشئة عن استخدام جارحة ، و انّما هي ناشئة عن أمره إنَّما قَولُنَا لِشَيءٍ إذَا أَرَدنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 16 : 40 . و اللّطيف : ما اتصف بالخفاء و الرّقة ، و قد تنزّه عن ذلك . و المراد : انّه اللاطف بعباده بسبوغ النعم ،

بصير . . . الخ : ليس الغرض مشابهة المخلوقين بالجوارح ،

و انّما المراد من بصره علمه و احاطته بالخلائق لاَ تُدْرِكهُ الأبصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ 6 : 103 .

و الرّقة : الانفعال النفساني ، و رقّة القلب ، و قد تنزّه عن ذلك .

و المراد : رحمته بالمؤمنين .

[3] تعنو . . . : تخضع . و تجب : تخفق و تضطرب .

[13]

(176) و من خطبة له عليه السلام في ذمّ أصحابه

أحمد اللّه على ما قضى من أمر ، و قدّر من فعل ، و على ابتلائي بكم أيّتها الفرقة الّتي إذا

[14]

أمرت لم تطع ، و إذا دعوت لم تجب ، إن أمهلتم خضتم [1] و إن حوربتم خرتم و إن اجتمع النّاس على إمام طعنتم ، و إن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم [2] . لا أبا لغيركم [3] ما تنظرون بنصركم ربّكم ، و الجهاد على حقّكم : الموت أو الذّلّ لكم [4] فو اللّه لئن جاء يومي و ليأتينّي ليفرّقنّ

[1] امهله . . . : رفق به و أخّره . و خضتم : تكلمتم بما لا ينبغي لكم . و الخور : الضعف .

[2] المشاقة . . . : العمل الشاق . و المراد به الحرب . و نكص :

رجع . و المراد : وصفهم بالجبن و الهزيمة .

[3] لا أبا لغيركم : الأصل : لا أبا لكم : دعاء عليهم بفقد الأب ، أو التعيير . و الإمام (عليه السلام) أتى بلطيف العبارة .

[4] ما تنتظرون نصركم ؟ : ما الذي أخّر نصرتكم للدين ،

و دفاعكم عن شريعة سيّد المرسلين . و الجهاد على حقّكم :

لاسترجاعه . الموت أو الذلّ لكم : مصيركم الى القتل أو الذلّ . و قد حصل ذلك لهم من بعده .

[15]

بيني و بينكم و أنا لكم قال و بكم غير كثير [1] . للّه أنتم أما دين يجمعكم ، و لا حميّة تشحذكم [2] ؟ أو ليس عجبا أنّ معاوية يدعو الجفاة الطّغام فيتّبعونه على غير معونة و لا عطاء [3] ، و أنا أدعوكم و أنتم تريكة الإسلام ، و بقيّة النّاس إلى

[1] ليفرقنّ بيني و بينكم . . . : أفارقكم . و قال : كاره . و بكم غير كثير : ان وجودكم حولي لا يزيدني كثرة لما أنتم فيه خلاف و ضعف .

[2] شحذ السكين : حدّها .

[3] الجفاة جمع جافي : من غلظ و ساء خلقه . و الطغام : اراذل الناس و أوغادهم . و المعونة : الاعانة ، و هي المساعدات الخارجة عن الراتب . و المراد : ربما سارع اتباع الباطل ببذل أنفسهم بدون مقابل ، كما حصل لأهل الكوفة في قتلهم الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقد قال لهم ابن مرجانة : ان أمير المؤمنين أمرني أن أزيدكم مائة مائة . و العطاء : ما يعطى . و المراد به الرواتب الثابتة .

[16]

المعونة و طائفة من العطاء فتتفرّقون [1] عنّي ،

و تختلفون عليّ ؟ إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه و لا سخط فتجتمعون عليه [2] ، و إن أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت . قد دارستكم الكتاب و فاتحتكم الحجاج ، و عرّفتكم ما أنكرتم ،

و سوّغتكم ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ [3] أو

[1] التريكة . . . : بيضة النعام بعد أن يخرج منها الفرخ ، تتركها في محلها . و بقية الناس : بقايا السلف الصالح . و المراد :

الخيار و عمدة المسلمين . فتفرقون : تجزعون و يشتد خوفكم .

[2] لا يخرج إليكم من أمري . . الخ : انكم جبلتم على الخلاف و العصيان ، فلا يصدر منّي شيء مرضي كالعطاء و شبهه فيرضيكم ، و لا مسخط من تأهب لحرب و نحوه فتجتمع كلمتكم عليه .

[3] دارستكم الكتاب . . . : علّمتكم . و فاتحتكم : حاكمتكم .

و المراد : سلكت معكم طريق المحاججة و الجدل ، و أقمت عليكم الحجج . و عرفتكم ما أنكرتم : من كنتم تجهلونه .

و ساغ الشراب : دخل في الحلق بسهولة . و المراد تقسيمه عليهم العطاء . و مج الماء من فيه : لفظه . و المراد : ما كانوا فيه من الحرمان . و لحظه : نظر إليه بمؤخّر العين . و المراد :

اتباعه في اصلاحهم كل الطرق المجدية .

[17]

النّائم يستيقظ و أقرب بقوم من الجهل باللّه قائدهم معاوية و مؤدّبهم ابن النّابغة [1] .

(177) و من كلام له عليه السلام

و قد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة قد همّوا باللّحاق بالخوارج ، و كانوا على خوف منه (عليه السلام) ، فلما عاد إليه الرجل قال له : أمنوا

[1] و اقرب بقوم من الجهل . . . : ما أقربهم منه . و مؤدبهم :

معلمهم . و ابن النابغة : قال في مجمع البحرين : نبغ الشيء ينبغ نبوغا : أي ظهر ، و منه (ابن النابغة) لعمرو بن العاص لظهورها و شهرتها في البغي .

[18]

فقطنوا أم جبنوا فظعنوا [1] ؟ فقال الرجل : بل ظعنوا يا أمير المؤمنين . فقال :

بعدا لهم كما بعدت ثمود [2] ، أما لو أشرعت الأسنّة إليهم ، و صبّت السّيوف [3] على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ، إنّ الشّيطان اليوم قد استفلّهم و هو غدا متبرّىء منهم [4] ، و متخلّ

[1] قطن في المكان : أقام به . و ظعن : سار و ارتحل .

[2] بعدا لهم . . . : ابعدهم اللّه من رحمته فبعدوا بعدا . و ثمود :

قبيلة من العرب ، و هم قوم صالح (عليه السلام) ، و في القرآن الكريم : أَلاَ بُعداً لِمَديَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ 11 : 95 .

[3] اشرع نحوه الرمح : سدده . و الأسنّة : الرماح . و صبت السيوف : أرسلت . و هاماتهم جمع هامة : الرأس .

[4] الفل . . . : التفرق و الانهزام . و المراد : حبّذ لهم الهزيمة و زيّنها لهم . و متبرّىء منهم : يبرأ منهم وَ إِذ زَيَّنَ لهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُم وَ قَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ اليَومَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُم فَلَمَّا تَرَاءتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَونَ إِنِّي أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ 8 : 48 .

[19]

عنهم ، فحسبهم بخروجهم من الهدى ،

و ارتكاسهم في الضّلال و العمى ، و صدّهم عن الحقّ ، و جماحهم في التّيه [1] .

(178) و من خطبة له عليه السلام

روى عن نوف البكالي قال : خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين (عليه السلام) و هو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، و عليه مدرعة من صوف و حمائل

[1] فحسبهم . . . : يكفيهم ذلك هوانا . خروجهم من الهدى :

من الرشاد . و ارتكاسهم : انقلابهم . و الضلال : العدول عن الطريق المستقيم . و المراد بالعمى : ذهاب البصيرة ، و عدم الاهتداء الى خير . و جمح الفرس جموحا : عصا أمر صاحبه حتى غلبه . و المراد : ركبوا هواهم فلا يمكن ردّهم . و التيه :

الضلال .

[20]

سيفه ليف ، و في رجليه نعلان من ليف ، و كأنّ جبينه ثفنة [1] بعير . فقال (عليه السلام) :

الحمد للّه الّذي إليه مصائر الخلق و عواقب الأمر [2] ، نحمده على عظيم إحسانه ، و نيّر برهانه ، و نوامي فضله و امتنانه [3] حمدا يكون لحقّه قضاء ، و لشكره أداء ، و إلى ثوابه مقرّبا ،

و لحسن مزيده موجبا ، و نستعين به استعانة راج

[1] مدرعة . . . : ثوب من صوف . و الحمائل : علاقة السيف .

و ثفنة البعير : الأثر الذي في ركبته و صدره من كثرة مماسة الأرض . و من ذلك تسمية الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بذي الثفنات ، لما في جبهته من أثر السجود سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُودِ 48 : 29 .

[2] مصائر الخلق . . . : في يوم القيامة ، عند ما يصيرون الى حكمه . و عواقب الأمور : أواخرها .

[3] نيّر . . . : مضيء . و البرهان : الحجّة البيّنة الفاصلة .

و نوامي جمع نام : زاد و كثر . و امتنانه : إحسانه و إنعامه .

لفضله ، مؤمّل لنفعه ، واثق بدفعه ، معترف له بالطّول ، مذعن [1] له بالعمل و القول . و نؤمن به إيمان من رجاه موقنا ، و أناب إليه مؤمنا ، و خنع له مذعنا ، و أخلص له موحّدا ، و عظّمه ممجّدا ،

و لاذ به راغبا مجتهدا [2] : لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركا ، و لم يلد [3] فيكون موروثا هالكا ،

[1] واثق . . . : متيقّن . بدفعه : بحمايته و انتصاره إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا 22 : 38 . بالطول : بالفضل . و مذعن له : منقاد لأمره .

[2] رجاه . . . : أمّل فضله . و موقنا : متيقنا لعظيم قدرته .

و أناب : رجع . و خشع : ذلّ و خضع . و مذعنا : منقادا .

و اخلص : له العمل خاليا من شوائب النفاق و الرياء .

و موحدا : مقرّا بأنه واحد أحد ، فرد صمد . و عظّمه : اذعن له بالكبرياء و العظمة . و ممجدا : أثنى عليه . و لاذ به : لجأ إليه . و راغبا : فيما عنده . و مجتهدا : في طاعته .

[3] لم يولد . . . : ليس له والد فيكون شريكه في العزّ ، لأن الوالد مشارك لولده في الشرف و الرفعة . و لم يلد : و ليس له ولد فيرثه ، بل هو الحيّ القيوم الباقي الدائم لَم يَلِدْ وَ لَمْ يُولَد 112 : 3 .

و لم يتقدّمه وقت و لا زمان ، و لم يتعاوره زيادة و لا نقصان [1] ، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّدبير المتقن ، و القضاء المبرم [2] .

و من شواهد خلقه خلق السّموات موطّدات بلا عمد ، قائمات بلا سند [3] ، دعاهنّ فأجبن

[1] و لم يتقدّمه وقت . . . : هو قبل كل شيء ، و خالق كل شيء هُوَ الأَوَّلُ وَ الآخِرُ و الظَّاهِرُ وَ البَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ 57 : 3 . و لم يتعاوره : لم يختلف و لم يتناوب عليه .

و المراد : تنزيهه عما يلحق الكائنات الحيّة من الزيادة و النقصان .

[2] ظهر للعقول . . . : ببدائع خلقه ، و عجائب صنعه . و المراد بالتدبير : حسن القيام على شؤون الخلق . و المتقن : المحكم صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ 27 : 88 . و المراد بالقضاء : الحكم و الفصل . و المبرم : المحكم .

[3] شواهد خلقه . . . : ما يشهد على الابداع . و وطّد الشيء :

أرساه و قوّاه . و بلا سند : بلا عماد يرفعها اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَونَها 13 : 2 .

طائعات مذعنات ، غير متلكّئات و لا مبطئات [1] .

و لو لا إقرارهنّ له بالرّبوبيّة و إذعانهنّ له بالطّواعية [2] لما جعلهنّ موضعا لعرشه و لا مسكنا لملائكته ،

و لا مصعدا للكلم الطّيّب [3] و العمل الصّالح من خلقه . جعل نجومها أعلاما يستدلّ بها الحيران في مختلف فجاج [4] الأقطار ، لم يمنع ضوء

[1] فأجبن طائعات . . . : مذعنات فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوعاً أَو كَرهاً قَالَتا أَتَيْنَا طَائِعِين 41 : 11 . و غير متلكئات : بلا توقّف و لا ابطاء إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 16 : 40 .

[2] بالطواعية : بالطاعة .

[3] مصعدا للكلم الطيّب : تمجيده و تقديسه و تحميده إِلَيْهِ يصعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعهُ 35 : 10 و لعلّ أفضله كلمة لا إله إلاّ اللّه .

[4] اعلاما جمع علم : الراية التي يهتدي بها الجيش . و المراد :

بها يهتدي المسافرون ، و يعلمون الجهة التي يقصدونها ،

سواء في البرّ كانوا أو في البحر وَ عَلاَماتٍ وَ بِالنَّجمِ هُم يَهْتَدُونَ 16 : 16 . و الفجاج : الطرق بين الجبال .

نورها ادلهمام سجف اللّيل المظلم ، و لا استطاعت جلابيب سواد الحنادس [1] أن تردّ ما شاع في السّموات من تلألؤ نور القمر ، فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ، و لا ليل ساج [2] في بقاع الأرضين المتطأطئات ، و لا في يفاع السّفع [3] المتجاورات ، و ما يتجلجل به الرّعد في أفق السّماء ، و ما تلاشت عنه بروق

[1] اسجف الليل : أظلم . و جلابيب جمع جلباب : ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها . و الحنادس جمع حندس : الليل المظلم . و المراد : بيان استيعاب الظلام .

[2] فسبحان . . . : تنزّه . و غسق الليل : أظلم . و دجا : عمّت ظلمته و البس كل شيء . و ساج : ساكن .

[3] المتطأطئات . . . : الأماكن المنخفضة كالوديان . و يفع الشيء : علا و ارتفع . و السفع جمع سفعاء : سوداء يضرب الى الحمرة . و المراد بذلك ألوان الجبال .

الغمام ، و ما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء و انهطال السّماء [1] ، و يعلم مسقط القطرة و مقرّها ، و مسحب الذّرّة [2] و مجرّها ، و ما يكفي البعوضة من قوتها ، و ما تحمل الأنثى في بطنها .

الحمد للّه الكائن [3] قبل أن يكون كرسيّ أو عرش ، أو سماء أو أرض ، أو جانّ أو إنس ، لا

[1] الجلجلة . . . : صوت الرعد . و تلاشت : فنيت . و الانواء جمع نوء : النجم . و الانواء ثمانية و عشرون نجما ، يسقط في كل ثلاثة عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ،

و يطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، و كلاهما معروف مسمى ، و هكذا طيلة السنة . و ربط العواصف بها من جهة ان العرب تضيف الرياح و الأمطار و الحرّ و البرد إليها . و انهطال السماء : بالمطر .

[2] مسقط القطرة . . . : من المطر . و مقرّها : مكان سقوطها .

و مسحب الشيء : جرّه على الأرض ، و الذر : صغار النمل .

[3] الكائن : الموجود .

يدرك بوهم ، و لا يقدّر بفهم [1] ، و لا يشغله سائل ، و لا ينقصه نائل [2] و لا ينظر بعين ، و لا يحدّ بأين [3] ، و لا يوصف بالأزواج ، و لا يخلق بعلاج ، و لا يدرك بالحواسّ [4] ، و لا يقاس

[1] لا يدرك بوهم . . . : و كما لا تدركه الحواس كذلك لا تحيط به الأوهام و التصورات ، و انّما ينبغي التفكير في عظيم قدرته ،

و جميل آلائه . و لا يقدّر بفهم : العقول .

[2] لا يشغله سائل . . . : عن سائل ، و لا شأن عن شأن ، و ان علمه بمن في المشرق كعلمه بمن في المغرب . و النائل :

الجود و العطية .

[3] لا يبصر بعين . . . : ليس إدراكه بحاسة البصر ، تنزّه عن مشابهة المخلوقين . و لا يحدّ بأين : لا تحدّه العقول بالأمكنة لتنزّهه عن التحيّز .

[4] الأزواج . . . : الاشكال و الأمثال . و المراد : نفي التعدد عنه .

و لا يخلق بعلاج : بدون مزاولة آلة ، و معالجة سبب ، بل كن فيكون . و لا يقاس بالناس : لا مشابهة بينه و بين مخلوقاته لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 42 : 11 . و لا يدرك بالحواس : لا يتوصل الى معرفته بحاسة و شبهها ، بل يهتدى الى معرفته ببدائع مصنوعاته .

بالنّاس . الّذي كلّم موسى تكليما ، و أراه من آياته عظيما [1] ، بلا جوارح و لا أدوات ، و لا نطق و لا لهوات [2] . بل إن كنت صادقا أيّها المتكلّف لوصف ربّك ، فصف جبرائيل و ميكائيل و جنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدس مرجحنّين [3] متولّهة عقولهم أن يحدّوا [4] أحسن

[1] كلّم موسى تكليما : ان كلامه و أوامره الى أنبيائه عن طريق الوحي ، باستثناء موسى (عليه السلام) ، فانّه جلّ جلاله خلق بقدرته كلاما أودعه الشجرة ، سمعه موسى (عليه السلام) .

و أراه من آياته عظيما : هي النار ، و استماع الكلام من الجهات الستّ ، و العصا .

[2] بلا جوارح و لا أدوات . . . : لم يكن الكلام منبعثا عن جارحة نطق و شبهها ، بل عن طريق الإعجاز و القدرة . و اللهواة جمع لهاة : قطعة اللحم المشرفة على الحلق .

[3] حجرات . . . : جمع حجرة : غرفة . و القدس : الطهر .

و المراد : منازل الكرامة التي هم فيها . و مرجحنين : مائلين الى جهة تحت . و المراد : بيان انحنائهم و خضوعهم لعظمة الخالق جلّ شأنه .

[4] متولهه . . . : متحيّرة . و يحدّوا : يجعلوا له حدودا . و المراد :

انهم مع سموّ مرتبتهم و قربهم و معرفتهم ، لا يجعلون لخالقهم حدودا ، و لا يصفونه بصفات المصنوعين .

[28]

الخالقين . فإنّما يدرك بالصّفات ذوو الهيئات و الأدوات ، و من ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء [1] فلا إله إلاّ هو أضاء بنوره كلّ ظلام ،

و أظلم بظلمته كلّ نور .

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه [2] ، الّذي

[1] و من ينقضي اذا بلغ أمد حدّه بالفناء : لما بيّن العجز عن وصف الخالق الجبّار ، بل حتّى عن وصف الملائكة ، بيّن أن الوصف ممكن للأجسام المتلاشية بالموت ، المعرّضة للفناء .

[2] أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه : و كلمة التقوى وردت في القرآن الكريم و نهج البلاغة ، و أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) آلاف المرّات ، اهتماما بها ، و حثّا عليها ، و المراد منها :

العمل بأوامر اللّه تعالى ، و الانتهاء عمّا نهى عنه .

[29]

ألبسكم الرّياش ، و أسبغ [1] عليكم المعاش ، و لو أنّ أحدا يجد إلى البقاء سلّما أو إلى دفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه السّلام :

الّذي سخّر له ملك الجنّ و الإنس مع النّبوّة ،

و عظيم الزّلفة ، فلمّا استوفى طعمته ، و استكمل مدّته ، رمته قسيّ الفناء بنبال [2] الموت ،

و أصبحت الدّيار منه خالية ، و المساكن معطّلة ،

و ورثها قوم آخرون ، و إنّ لكم في القرون السّالفة لعبرة [3] أين العمالقة و أبناء العمالقة ؟ أين

[1] الرياش . . . : اللباس الفاخر . و اسبغ نعمه : أكملها و أتمّها .

[2] عظيم الزلفة . . . : المنزلة الرفيعة ، و الدرجة العالية .

و استوفى : أخذه وافيا تاما . و طعمته : كل ما يطعم .

و المراد : نفاذ ما قسم له من الرزق . و قسي جمع قوس :

آلة على هيئة الهلال ترمى بها السهام . و النبال : السهام .

[3] عبرة : عظة و معتبر تعتبرون بها .

[30]

الفراعنة و أبناء الفراعنة [1] ؟ أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قتلوا النّبيّين . و أطفأوا سنن المرسلين [2] ، و أحيوا سنن الجبّارين ؟ أين الّذين ساروا بالجيوش ، و هزموا بالألوف ، و عسكروا العساكر ، و مدّنوا المدائن ؟ منها : قد لبس للحكمة جنّتها ، و أخذها بجميع أدبها : من الإقبال عليها ، و المعرفة بها ،

[1] العمالقة . . . : ملوك اليمن و الحجاز ، و الفراعنة : ملوك مصر ، منهم فرعون موسى عليه السلام ، اسمه الوليد بن مصعب .

[2] مدائن الرس . . . : هي اثنتا عشرة مدينة ، على نهر يقال له :

(الرس) في أذربيجان ، كانوا يعبدون شجرة ، فأرسل اللّه لهم نبيّا ، فقتلوه بأبشع قتلة ، فأهلكهم بريح عاصفة كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ و أَصحابُ الرَّسِّ و ثَمُودُ 50 : 12 .

و سنن جمع سنة : ما أوثر عن الأنبياء من قول و فعل .

و المرسلين : الأنبياء . و المراد : سعيهم الحثيث لتخريب معالم الدين .

و التّفرّغ [1] لها ، و هي عند نفسه ضالّته الّتي يطلبها [2] ، و حاجته الّتي يسأل عنها . فهو مغترب إذا اغترب الإسلام و ضرب بعسيب ذنبه ، و ألصق الأرض بجرانه [3] ، بقيّة من بقايا حجّته [4] ،

[1] الحكمة . . . : هي العقل و العلم و العمل به ، و الاصابة في الأمور وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ 31 : 12 . و الجنّة : كل ما يقي من سلاح و غيره . و المراد : وصفه بجميع صفات الكمال ، و التهيّىء لقبول الفيض الإلهي ، تشبيها بمن يلبس الدرع للتأهّب للحرب . و المراد بذلك الإمام المهدي عليه السلام . بجميع أدبها : بكل ما يلزم بها من آداب و سلوك .

من الإقبال عليها : التوجّه لها . و المعرفة بها : التفهّم لها .

و التفرّغ لها : التوجّه الكلّي إليها .

[2] الضالة : كل ما ضلّ و ضاع . و نشد الضالة : طلبها .

و المراد : انها مطلوبه .

[3] فهو مغترب . . . : مختفي . اذا اغترب الإسلام : إذا تباعدوا عن أحكامه ، و نبذوا تعاليمه . و عسيب ذنبه : طرفه .

و جرانه : صدره . هذا وصف للبعير إذا أعيى و برك .

و المراد : تشبيه الإسلام في هذه الفترة التي تباعد فيها المسلمون عن تعاليمه بالبروك لعدم الأخذ بتعاليمه ، و الحكم بأحكامه ، و الاهتداء بأنواره .

[4] بقيّة من بقايا حججه . . . : هو الحجّة على الخلق .

و الخليفة : الامام : و خلفاء النبي اثنا عشر . فقد روى الخاص و العام عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يقول : يكون لهذه الأمة إثنا عشر خليفة . روى الحديث الإمام أحمد في مسنده عن أربع و ثلاثين طريقا ،

و رواه البخاري و مسلم بألفاظ متقاربة . و الحديث لا ينطبق إلاّ على أئمّة أهل البيت الاثني عشر ، أوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام ، و آخرهم الإمام المهدي عليه السلام . و كلام الامام عليه السلام نصّ صريح في ذلك .

خليفة من خلائف أنبيائه .

ثم قال عليه السلام :

أيّها النّاس ، إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أممهم ، و أدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم ، و أدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا ، و حدوتكم بالزّواجر فلم

[33]

تستوسقوا [1] للّه أنتم ، أ تتوقّعون إماما غيري يطأ بكم الطّريق ، و يرشدكم السّبيل [2] ؟ ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا ، و أقبل منها ما كان مدبرا [3] ، و أزمع التّرحال عباد اللّه الأخيار ، و باعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى بكثير من

[1] أدّبتكم بسوطي . . . : كان عليه السلام يطوف أسواق الكوفة و بيده الدّرة (السوط) يأمرهم بالمعروف ، و ينهاهم عن المنكر . . و حدا الابل : ساقها و حثّها على السير . و المراد بالزواجر : المواعظ التي تزجر المرء و تمنعه عن سيّىء الأعمال وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ ما فِيهِ مزدَجَر 54 : 4 .

فلم تستوثقوا : لم تنتظموا و تجتمعوا .

[2] يطأ بكم الطريق . . . : يسلك بكم طريقا مستقيما .

و السبيل : الطريق .

[3] أدبر من الدنيا ما كان مقبلا . . . : من الإيمان و التقى ،

و جميع معالم الخير التي كانت تسود العالم الإسلامي . و أقبل منها ما كان مدبرا : من الفساد ، و خصال الشر .

[34]

الآخرة لا يفنى [1] ، ما ضرّ إخواننا الّذين سفكت دماؤهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ، و يشربون الرّنق [2] ؟ قد و اللّه لقوا اللّه فوفّاهم أجورهم ، و أحلّهم دار الأمن [3] بعد خوفهم ، أين إخواني الّذين ركبوا

[1] أزمع الأمر : عزم و ثبت و جدّ في إمضائه . و رحل عن المكان رحلا و رحيلا و ترحالا : سار و مضى . و باعوا قليلا من الدنيا الخ : قدّموا من المال و غيره قليلا نفي ،

فحصّلوا به الكثير الباقي ، مما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر .

[2] سفكت دماؤهم . . . : أريقت (قتلوا) . و يسيغون :

يتجرّعون . و الغصّة : ما اعترض في الحلق من طعام و شراب . و المراد معاناتهم للأذى . و رنق الماء : كدر و ذهب صفاؤه .

[3] فوفاهم أجورهم . . . : أعطاهم ثواب أعمالهم و جهادهم .

و أحلّهم دار الأمن : أنزلهم منزلا يأمنون فيه من جميع المكاره وَ جَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمَواتُ وَ الأَرضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ 3 :

133 .

[35]

الطّريق و مضوا على الحقّ [1] ؟ أين عمّار ؟ و أين ابن التّيّهان ؟ و أين ذو الشّهادتين ؟ و أين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة [2] ، و أبرد

[1] ركب الشيء : علاه . و المراد : سيرهم في الطريق الذي أمر اللّه به أن يسلك . و عمّار بن ياسر : أبو اليقظان ،

صحابي عظيم الشأن ، قديم الإسلام ، قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : تقتلك الفئة الباغية . استشهد بين يدي الإمام عليه السلام في صفّين . و ابن التيهان : أبو الهيثم ،

مالك بن التيهان : أحد النقباء ليلة العقبة ، من عظماء الصحابة ، استشهد بين يدي الإمام عليه السلام في صفّين .

و ذو الشهادتين : خزيمة بن ثابت الأنصاري ، جعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شهادته بشهادة رجلين و هو الذي كان يحمل راية بني خطمه يوم فتح مكّة . استشهد بين يدي الإمام عليه السلام يوم صفّين .

[2] تعاقد القوم : تعاهدوا . و المنية : الموت . و المراد :

تعاهدهم و اتفاقهم على الشهادة ، نظير ما حصل يوم بدر ،

فقد تعاهد الإمام عليه السلام ، و حمزة بن عبد المطلب ،

و عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، و نزل فيهم : مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً 33 : 23 .

برؤوسهم إلى الفجرة ؟ قال : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أوه على إخواني الّذين قرأوا القرآن فأحكموه ، و تدبّروا الفرض فأقاموه [2] أحيوا

[1] و أبرد برؤوسهم الى الفجرة : أرسلت رؤوسهم بالبريد الى الكافرين إمعانا بالفجور ، و تنكيلا بالصالحين .

[2] أوه . . . : كلمة توجّع . و أحكموه : فهموا مقاصده ، و عملوا بأحكامه . و تدبروا : نظروا فيه و تفكّروا . و الفرض :

الفرائض المطلوبة . فأقاموه : عملوا به . و المراد : تفكيرهم فيها و في أهدافها ، و العطاء الإلهي المدّخر فيها . و من هذا الباب حديث الإمام الصادق عليه السلام : كان أكثر عبادة أبي ذرّ رحمه اللّه خصلتين : التفكّر و الاعتبار .

السّنّة ، و أماتوا البدعة [1] ، دعوا للجهاد فأجابوا ،

و وثقوا بالقائد فاتّبعوه .

ثمّ نادى بأعلى صوته :

الجهاد الجهاد عباد اللّه ألا و إنّي معسكر في يومي هذا ، فمن أراد الرّواح إلى اللّه [2] فليخرج .

قال نوف : و عقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ، و لقيس بن سعد رحمه اللّه في عشرة

[1] السنة . . . : ما صدر عن الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله من قول و فعل . و احياؤها : العمل بها ، و دعوة الناس الى اتباعها . و البدعة : ما أحدث في الدين ما لم يكن على عهد الرسول صلّ اللّه عليه و آله . و إماتتها : عدم العمل بها ،

و دعوة الناس الى اجتنابها .

[2] الرواح . . . : المسير : و الى اللّه : الى رضوانه ، و الفوز بما أعدّه للمجاهدين .

[38]

آلاف ، و لأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ،

و لغيرهم على أعداد أخر ، و هو يريد الرجعة الى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه اللّه ، فتراجعت العساكر فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان .

(179) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه المعروف من غير رؤية ، الخالق من غير منصبة [1] ، خلق الخلائق بقدرته ،

[1] من غير رؤية . . . : لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ 6 : 103 . و انّما ترى العيون ،

و تهتدي العقول الى بدائع صنعه ، و إتقان خلقه . و المنصبة :

التعب ، و تنزّه عن ذلك ، و انّما يخلق بكن فيكون .

[39]

و استعبد الأرباب بعزّته ، و ساد [1] العظماء بجوده . و هو الّذي أسكن الّدنيا خلقه ، و بعث إلى الجنّ و الإنس رسله [2] ، ليكشفوا لهم عن غطائها ، و ليحذّروهم من ضرّائها ، و ليضربوا لهم أمثالها ، و ليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف

[1] استعبد . . . : اتخذهم عبيدا . و الأرباب جمع رب ،

و تطلق على السيّد و المربّي ، و المنعم و الصاحب و المالك ،

و القيّم . و المرادى هنا : عبادة الملوك و خضوعهم له . بعزّته :

بغلبته و قدرته . و ساد القوم : صار سيّدهم . و المراد : بيان خضوع العظماء لعظمته ، و حاجتهم الى رحمته : و فيها الاشارة الى أن الجود من عوامل السيادة .

[2] و بعث الى الجن و الإنس رسله : الجن جيل رقاق الاجسام خفيفة ، على صورة مخصوصة بخلاف صورة الانسان و الملائكة ، فان الملك مخلوق من النور ، و الانس من الطين ، و الجنّ من النار ، و هم مخاطبون بالرسالات ،

مطالبون بالفرائض و الأحكام . حكى اللّه سبحانه قولهم :

وَ أَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَ مِنَّا القَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئكَ تَحَرّوا رَشَداً . وَ أَمّا القَاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً 72 : 15 .

[40]

مصاحّها و أسقامها [1] ، و ليبصروهم عيوبها و حلالها و حرامها ، و ما أعدّ اللّه للمطيعين منهم و العصاة من جنّة و نار و كرامة و هوان .

أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه [2] ،

[1] الغطاء . . . : ما يجعل فوق الشيء فيواريه و يستره .

و المراد : كشف حقيقتها ، و انّها خدّاعة يجب الحذر منها .

و ضرائها : شدائدها . و المثل : الشبه و النظير . و المراد : ما جاء في القرآن الكريم و الحديث من أوصاف الدنيا ، و انّها كالظلّ الزائل و غير ذلك إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الأَنْعَامُ 10 : 24 . و هجم عليه : دخل عليه بغتة . بمعتبر :

بمتّعظ . و مصاحها جمع مصحّة : الصحة . و أسقامها جمع سقم : المرض . و المراد : بيان مفاجئة الناس بالرسل ليعرفوهم حقيقة الدنيا ، و الاتعاظ بتقلّب حالاتها .

[2] الحمد . . . : هو الثناء الجميل على قصد التعظيم و التبجيل . الى نفسه : ارفعه إليه جلّ شأنه امتثالا لما أمر به ، و رجاء لقبوله . كما استحمد الى خلقه : طلب منهم أن يحمدوه .

و جعل لكلّ شيء قدرا ، و لكلّ قدر أجلا ، و لكلّ أجل كتابا [1] .

منها : [في ذكر القرآن] : فالقرآن آمر زاجر ، و صامت ناطق [2] ، حجّة [3] اللّه على خلقه :

[1] قدرا . . . : مقدارا . و المراد : قدّر لكل شيء مقدارا و أجلا لا زيادة فيه و لا نقصان قَد جَعَل اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدراً 65 :

3 . و لكل قدر أجلا : وقتا لفنائه و لكل أجل كتاب : كتبه في اللوح المحفوظ .

[2] آمر . . . : بالفضائل و معالي الأمور . و زاجر : عن الرذائل و القبيح . و صامت : لأنّه كلام مؤلّف من حروف . و ناطق :

لما تضمّنه من أحكام و شرائع و أوامر و نواهي .

[3] حجّة . . . بضمّ الحاء : الاسم من الاحتجاج ، قال تعالى : لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ 4 :

165 . و المراد : أن اللّه تعالى يحتجّ على البشرية جمعاء بهذا القرآن ، فقد قامت به عليهم الحجّة و لزمهم اتباعه ،

لتحدّيه لهم على أن يأتوا بسورة من مثله ، و عجزهم عن ذلك . و الميثاق : العهد . و المراد : ما أودع عندهم من عقل لزمهم به الاقرار بكتابه وَ إِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ اَلَستُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ 7 :

. 173

أخذ عليهم ميثاقه ، و ارتهن [1] عليه أنفسهم ، أتمّ نوره ، و أكمل به دينه [2] ، و قبض نبيّه ، صلّى اللّه عليه و آله ، و قد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به [3] ، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه [4] ،

فإنّه لم يخف عنكم شيئا من دينه ، و لم يترك شيئا

[1] رهن الشيء : حبسه عنده بدين . و المراد : ان نفوسكم مرهونة ، و خلاصها العمل بأحكام القرآن .

[2] أتمّ نوره . . . : جعله تاما كافيا للخلق دستورا و نظاما .

و أكمل به دينه : جعله بالقرآن كاملا ناسخا للأديان .

[3] و قد فرغ الى الخلق من أحكام الهدى به : أدّى الى الخلق جميع أحكام اللّه تعالى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً 5 : 3 .

[4] فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه : وصفوه بما وصف به نفسه في القرآن الكريم ، و لا تتجاوزوا ذلك فتهلكوا .

[43]

رضيه أو كرهه ، إلاّ و جعل له علما باديا ، و آية محكمة تزجر [1] عنه أو تدعو إليه ، فرضاه فيما بقي واحد ، و سخطه فيما بقي واحد [2] .

و اعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم [3] ، و لن يسخط عليكم بشيء

[1] علما باديا . . . : علامة ظاهرة . و آية محكمة : ظاهرة لا شبهة فيها و لا تحتاج الى تأويل . تزجر : تمنع .

[2] فرضاه . . . : ما ارتضاه . فيما بقي : من الدنيا . واحد : هو نفسه الذي ارتضاه للأمم السالفة . و سخطه : ما كرهه و غضب عليه و لم يرضه . فيما بقي : من الدنيا . واحد : هو الذي حرّمه على الأمم الماضية . و المراد لا تغيير لنهجه و لا تبديل .

[3] انّه لن يرضى عنكم . . الخ : ان ما أوجبه على هذه الأمّة كان واجبا في الشرائع المتقدمة ، و ما نهى عنه هذه الأمة كان محرّما في الشرائع المتقدّمة ، و يؤيّد هذا قوله تعالى : إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإِسلام و كلام الحواريين لعيسى عليه السلام : نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ 3 : 52 . و وصيّة يعقوب عليه السلام لأولاده أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذَا حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ و إِسْحَاقَ إِلهاً وَاحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ 2 : 133 . فما بعث اللّه نبيّا إلاّ بالإسلام .

[44]

رضيه ممّن كان قبلكم ، و إنّما تسيرون في أثر بيّن ، و تتكلّمون برجع قول [1] قد قاله الرّجال من قبلكم ، قد كفاكم مؤونة دنياكم ، و حثّكم على الشّكر [2] ، و افترض من ألسنتكم الذّكر [3] ،

[1] تسيرون في أثر بيّن . . . : واضح . و تتكلّمون برجع قول :

تردّدون ما قاله السابقون من كلمات التوحيد .

[2] المؤونة . . . : القوت . و المراد : تعهد لكم بإيصال أرزاقكم . و حثّكم على الشكر : طلب منكم الشكر لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ 14 : 7 . علما أن جميع العبادات و الطاعات يعود نفعها للإنسان دنيا و آخرة .

[3] و افترض من السنتكم الذكر : أوجب عليكم ذكره وَ اذكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِفْيَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالغُدُوِّ وَ الآصَالِ وَ لاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ 7 : 205 .

[45]

و أوصاكم بالتّقوى و جعلها منتهى رضاه و حاجته من خلقه [1] ، فاتّقوا اللّه الّذي أنتم بعينه ، و نواصيكم بيده ، و تقلّبكم في قبضته [2] : إن أسررتم علمه ،

و إن أعلنتم كتبه [3] ، قد وكّل بكم حفظة كراما ،

لا يسقطون حقّا ، و لا يثبتون باطلا ، و اعلموا أنّ

[1] أوصاكم بالتقوى . . . : هي العمل بأوامره ، و الانتهاء عمّا نهى عنه . و المنتهى : الغاية و النهاية . و رضاه : ما يرتضيه .

و المراد : أن التقوى أهم شيء طلبه اللّه من العباد . و حاجته من خلقه : مطلوبه منهم .

[2] أنتم بعينه . . . : ينظر إليكم و إلى أعمالكم ، لا تغيبون عنه لحظة واحدة . و الناصية : مقدم الرأس أو الشعر الذي في مقدّمه إذا طال . و قبض الشيء : أخذه بقبضة يده .

و المراد : بيان تمكّنه من عباده ، و خضوعهم لسلطانه .

[3] ان أسررتم علمه . . . : يَعْلَمُ السِّرَّ و أخفَى 20 : 7 . قال ابن عباس : السرّ ما حدّث به في خفية ، و أخفى منه ما أضمره في نفسه ، ما لم يحدّث به غيره . و إن أعلنتم كتبه مَا يلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد .

[46]

من يتّق اللّه يجعل له مخرجا من الفتن ، و نورا من الظّلم ، و يخلده فيما اشتهت نفسه ، و ينزله منزلة الكرامة عنده [1] ، في دار اصطنعها لنفسه [2] :

ظلّها عرشه ، و نورها بهجته ، و زوّارها ملائكته ،

و رفقاؤها رسله [3] . فبادروا المعاد ، و سابقوا

[1] يتّق اللّه . . . : يحذره و يخافه . يجعل له مخرجا من الفتن :

يحفظه من الوقوع فيها . وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً .

وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوكَّل عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ 65 : 3 . و نورا من الظلم : ضياء يهتدي به في ظلمات الجهل . و يخلّده فيما اشتهت نفسه : يسكنه دار الخلد التي أعدّها لأوليائه . و ينزله منزل الكرامة عنده : الذي أكرم أهله بجميع الكرامات .

[2] اصطنعها لنفسه : اختصّها بكرامته و عنايته .

[3] ظلها عرشه . . . : هي فوق السماوات و تحت العرش .

و بهج الشيء : حسن و نضر . و المراد : أنّها مستنيرة بأنواره . زوارها : يزورون أهلها تكريما لهم ، و حفاوة بهم .

رفقائها : رافقهم و صاحبهم فيها وَ مَن يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً 4 : 69 .

[47]

الآجال [1] ، فإنّ النّاس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ، و يرهقهم الأجل ، و يسدّ عنهم باب التّوبة [2] ، فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرّجعة من كان قبلكم [3] ، و أنتم بنو سبيل على

[1] فبادروا المعاد . . . : سارعوا بالأعمال التي تنفعكم في المعاد . و سابقوا الآجال : الأجل : الموت . و المراد :

اسبقوه بالأعمال الصالحة .

[2] ينقطع بهم الأمل . . . : انقطع الشيء : انقضى زمنه .

و المراد : ذهبت و تلاشت آمالهم ، و يرهقهم : يلحقهم ما لا يطيقون من المكروه . و يسد عنهم باب التوبة : بمعاينة الموت .

[3] قد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم : ان الميّت يسأل اللّه تعالى الرجعة ليعمل الصالحات حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ 23 : 100 . و المراد : تصوّروا أنّكم متّم و سألتم الرجعة فأجبتم إليها ، فكيف يكون عملكم و جدّكم في الطاعة ؟

[48]

سفر من دار ليست بداركم ، و قد أوذنتم منها بالإرتحال ، و أمرتم فيها بالزّاد [1] ، و اعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرّقيق صبر على النّار ، فارحموا نفوسكم فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدّنيا .

أ فرأيتم جزع أحدكم من الشّوكة تصيبه ، و العثرة تدميه ، و الرّمضاء [2] تحرقه ؟ فكيف إذا كان بين

[1] ابن السبيل . . . : المسافر المنقطع به ، و هو يريد الرجوع الى بلده و لا يجد ما يتبلغ به . و المراد : أنتم ضيوف في غير الدار المعدّة لكم . قد أوذنتم منها بالارتحال : علمتم و تيقّنتم . و أمرتم فيها بالزاد : بإعداده و تهيئته في الدنيا لدار الآخرة ، كمن يريد سفرا يعد في بيته ما يلزمه من طعام و غيره لرحلته وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبَابِ 2 : 197 .

[2] الرمضاء : الأرض التي حميت من شدّة الحرّ .

[49]

طابقين من نار ، ضجيع حجر ، و قرين [1] شيطان ؟ أعلمتم أنّ مالكا [2] إذا غضب على النّار حطّم بعضها بعضا لغضبه ، و إذا زجرها توثّبت [3] بين أبوابها جزعا من زجرته ؟ ؟ أيّها اليفن الكبير الّذي قد لهزه القتير كيف أنت إذا التحمت أطواق النّار بعظام الأعناق ،

و نشبت الجوامع حتّى أكلت لحوم السّواعد [4] ؟ فاللّه اللّه ، معشر العباد ، و أنتم سالمون في

[1] ضجيع الرجل الذي يصاحبه . و قرن الشيء بغيره :

اتصل به و صاحبه وَ مَن يَعشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّض لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين 43 : 36 .

[2] مالك : الملك الموكّل بالنار ، كما أن رضوان الملك الموكّل بالجنان .

[3] زجر . . . : صاح بشدّة و انتهار . و توثبت : ظفرت و قفزت .

[4] اليفن . . . : الشيخ الكبير . و لهزه : خالطه . و القتير :

الشيب .

[50]

الصّحّة قبل السّقم و في الفسحة [1] قبل الضّيق ، فاسعوا في فكاك رقابكم [2] من قبل أن تغلق رهائنها [3] : أسهروا عيونكم . و أضمروا بطونكم ، و استعملوا أقدامكم ، و أنفقوا أموالكم ،

و خذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم [4]

[1] التحمت . . . : التصقت . و اطواق جمع طوق : شيء مستدير يحيط بالعنق . و الأعناق جمع عنق : الرقبة .

و الجوامع جمع جامعة : تجمع اليدين الى العنق . و نشبت :

علقت فيه . و الساعد : ما بين المرفق و الكفّ من أعلى .

[2] في الفسحة : المراد بها فسحة العمر .

[3] فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها : استغلق الرهن : لم يمكن تخليصه . و المراد : بالموت تنقطع الأعمال ، و تسد باب التوبة ، فيلزم كل منّا أن يجدّ و يجتهد ،

و يبادر بالأعمال الصالحة ، و يقدّم التوبة من قبل أن يفاجأ بالموت .

[4] اسهروا عيونكم . . . : في قراءة القرآن ، و الصلاة المستحبّة ،

و كل عمل مرضي عند اللّه تعالى . و اضمروا بطونكم :

ضمر : هزل و قلّ لحمه . و المراد بذلك الصوم . و استعملوا أقدامكم : امشوا بها في مرضاة اللّه تعالى . و خذوا من أجسادكم و جودوا بها على أنفسكم : اتعبوها بالعمل و الجدّ بالطاعة ، لتغنموا بذلك السلامة من أهوال القيامة .

[51]

و لا تبخلوا بها عنها ، فقد قال اللّه سبحانه : إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ و قال تعالى : مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ؟ ، فلم يستنصركم من ذلّ ، و لم يستقرضكم من قلّ ، استنصركم و له جنود السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم ،

و استقرضكم و له خزائن السّموات و الأرض و هو الغنيّ الحميد ، و إنّما أراد أن يبلوكم [2] أيّكم

[1] لم يستنصركم من ذلّ ، و لم يستقرضكم من قلّ [1] : ان الغاية التي لأجلها طلب منكم النصرة و القرض هي أن تسعدوا و تتنعّموا بداره التي أعدّها لأوليائه .

[2] يبلوكم : يختبركم .

[52]

أحسن عملا ، فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران اللّه في داره [1] رافق بهم رسله ، و أزارهم ملائكته [2] ، و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا و صان أجسادهم أن تلقى لغوبا و نصبا [3] ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . أقول ما تسمعون ، و اللّه المستعان

[1] فبادروا . . . : أسرعوا . و جيران اللّه : أولياؤه . و داره :

جنّته .

[2] رافقه . . . : صاحبه . و المراد بأن أهل الجنّة صحبوا فيها الأنبياء و الصدّيقين ، و لو لم يكن في الجنّة إلاّ ذلك لكفى به شرفا ، كما أنّ أهل النار صحبوا فيها المردة و الشياطين ، و لو لم يكن فيها إلاّ ذلك لكفى به هوانا لهم . و أزارهم ملائكته :

جعل زوارهم الملائكة وَ الملائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ 13 : 23 .

[3] أكرم أسماعهم . . . : نزّهها . و الحسيس : الصوت الخفي .

و لغب : تعب و أعيى . و النصب : التعب .

[53]

على نفسي و أنفسكم . و هو حسبي و نعم الوكيل [1] .

(180) و من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي

و قد قال له بحيث يسمعه : « لا حكم إلاّ للّه » [2] و كان من الخوارج أسكت قبّحك اللّه يا أثرم [3] فو اللّه لقد ظهر

[1] و هو حسبي . . . : هو كافيني . و الوكيل على الشيء : هو القائم بحفظه ، و الذي يدفع الضرر عنه .

[2] لا حكم إلاّ للّه : هو شعار الخوارج ، رفعوه بعد التحكيم ،

و الجدير بالذكر أنّهم الذين طلبوا التحكيم و أبى عليهم الإمام عليه السلام ذلك ، ثم أجابهم مكرها ، و بعد نتائج التحكيم السيّئة تغيّر اتجاههم . نعوذ باللّه من تلاعب الشيطان و غروره .

[3] ثرم : انكسرت سنّه .

الحقّ فكنت فيه ضئيلا شخصك ، خفيّا صوتك [1] ، حتّى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز [2] .

(181) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الّذي لا تدركه الشّواهد ، و لا تحويه المشاهد ، و لا تراه النّواظر ، و لا تحجبه السّواتر [3] ، الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه ،

[1] الضئيل . . . : الصغير الحقير . و خفيّا صوتك : ليس لك ذكر و موقف . و المراد : لم يكن لك دور تحت راية الحقّ .

[2] نعر . . : صاح . و نجمت : برزت . و المعز : ما له شعر من الغنم بخلاف الضأن . و قرن الماعز : مادة صلبة ناشئة بجوار الاذن ، يظهر بغتة . و المراد : تشبيه نبوغه فجأة في سماء الباطل .

[3] الشواهد . . . : الحواس . و المشهد : المجمع من الناس .

و المراد : تنزّه من أن تراه العيون ، و يحويه مكان دون مكان . و لا تحجبه السواتر : لا يستخفى منه بستر ، و لا يحتجب عنه بحجاب .

و بحدوث خلقه على وجوده ، و باشتباههم على أن لا شبه له [1] ، الّذي صدق في ميعاده ، و ارتفع عن ظلم عباده ، و قام بالقسط [2] في خلقه ،

و عدل عليهم في حكمه ، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته ، و بما وسمها به من العجز على قدرته ، و بما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه [3] . واحد لا بعدد ، دائم لا بأمد ، و قائم لا

[1] الدال على قدمه بحدوث خلقه . . . : ان سلالات الانسان و الحيوان تشهد على أن لها خالقا موجدا لها ، موجودا قبلها .

و بحدوث خلقه على وجوده : لاستحالة أن يكون بناء من غير بان . و باشتباههم : تشابههم في الخلقة . لا شبه له : لا مثيل له و لا شبيه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 42 : 11 .

[2] ميعاده . . . : وعده . و القسط : العدل .

[3] مستشهد بحدوث الأشياء . . . : ان مخلوقاته شاهدة على وجود صانع لها ، قد أتقن صنعها هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ 31 :

11 . و أزليته : قدمه . وسمها : وصفها . و العجز : الضعف و عدم القدرة على الشيء . و المراد : وصف عجزهم عن الاقتدار على شيء اختصّ به . و اضطرّها : ألجأها . و فنى الشيء : باد و انتهى وجوده . و دوامه : بقائه .

بعمد [1] . تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة ، و تشهد له المرائي لا بمحاضرة [2] . لم تحط به الأوهام بل

[1] واحد لا بعدد . . . : ليس له ثاني ، و لا يشاركه في الوحدانية غيره . و الدائم : الباقي الذي لا يبيد و لا يفنى . و الأمد :

الغاية . و عماد الشيء : ما يقوم به و يثبت و لولاه لزال .

و المراد : تنزّه عن الاستعانة بشيء ، بل كل خلقه محتاج الى معونته .

[2] تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة . . . : شواعر الانسان و مشاعره حواسه . و المراد : تتقبّله العقول و تؤمن به بلا حاجة الى استخدام حاسة . و المرائي جمع مرآة : المنظر . و المراد :

تشهد له المناظر بالخلق ، و الابداع ، مستغنية عن المشاهدة . لا بمحاضرة : لا بمشاهدة .

تجلّى لها و بها امتنع منها ، و إليها حاكمها [1] ليس بذي كبر [2] امتدّت به النّهايات فكبّرته تجسيما ،

و لا بذي عظم تناهت به الغايات فعظّمته تجسيدا [3] ، بل كبر شأنا ، و عظم سلطانا [4] .

[1] لم تحط به الأوهام . . . : امتنع على الأوهام الاحاطة به ،

و معرفة كنه ذاته . و تجلّى لها : للعقول . و بها : ان العقول السليمة اهتدت الى معرفته و الأيمان به . و بها امتنع منها :

و بالعقول امتنع ان تحيط به العقول ، و تعلم كنه ذاته . و إليها حاكمها : حكمت العقول السليمة بامتناع رؤيته .

[2] ليس بذي كبر . . . : حجم و مقدار . و امتدت به : طولا و عرضا . و النهايات : حدود الجسمية . فعظمته : فكبرته ،

و تجسيدا : مجسدا . و المراد : تنزّهه عن ذلك ، و انه من مستلزمات الأجسام ، و عند ما يوصف جلّ جلاله بالكبير المراد به رفيع القدر ، عظيم الشأن .

[3] و لا بذي عظم . . . : المراد به الحجم و شبهه . و تناهت :

أبعاده في الطول و العرض . و الغايات : النهايات و الحدود .

فكبرته : فعظمته . تجسيما : مجسّدا .

[4] كبر شأنا . . . : منزلة و قدرة . و عظم سلطانا : قوة و قهرا وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ 6 : 18 .

و قال الطريحي في معنى عظيم : جلّ عن حدود العقول حتى لا يتصوّر الإحاطة بكنهه و حقيقته .

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله الصّفيّ ، و أمينه الرّضيّ [1] ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، أرسله بوجوب الحجج ، و ظهور الفلج ، و إيضاح المنهج [2] ، فبلّغ الرّسالة صادعا بها ، و حمل على المحجّة دالاّ عليها ، و أقام أعلام الإهتداء ،

و منار الضّياء [3] ، و جعل أمراس الإسلام متينة ،

[1] الصفي . . . : اصطفاه و اختاره . و امينه : على وحيه و تبليغ رسالته . و الرضي : المرضي .

[2] أرسله بوجوب الحجج . . . : إقامة للحجّة على الخلق .

و الفلج : الظهور بالحجّة . و إيضاح المنهج : النهج الذي يتبعه الخلق .

[3] صادعا بها . . . : بيّنها ، و جهر بتبليغها . و المحجّة : الطريق المستقيم . و دالا عليها : مرشدا إليها . و منار الضياء :

العلامات التي يهتدى بها في البرّ و البحر .

و عرى الإيمان وثيقة [1] .

منها : في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات :

و لو فكّروا في عظيم القدرة ، و جسيم النّعمة [2] ، لرجعوا إلى الطّريق ، و خافوا عذاب الحريق ، و لكنّ القلوب عليلة ، و البصائر مدخولة [3] ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف

[1] أمراس جمع مريسة : الحبل وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لاَ تَفَرَّقُوا 3 : 102 . و متينة : قوية . و عرى جمع عروة : ما يستمسك به و يستعصم . وثيقة : محكمة .

[2] و لو فكّروا في عظيم القدرة . . . : حثّ الإسلام على التفكّر ، فبه ينتبه الى بدائع المخلوقات و ما أودع فيها الخالق من عجائب القدرة ، و عظيم الصنعة وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ وَ الأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ 3 : 191 . و جسيم النعمة : عظيمها .

[3] عليلة . . . : مريضة . و البصائر جمع بصيرة : قوة الإدراك و الفطنة . و مدخولة : فسد داخلها .

أحكم خلقه ، و أتقن تركيبه ، و فلق له السّمع و البصر ، و سوّى له العظم و البشر [1] ؟

أنظروا إلى النّملة في صغر جثّتها ، و لطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، و لا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على أرضها ، و صبت [2] على رزقها تنقل الحبّة إلى جحرها [3] ، و تعدّها في مستقرّها ، تجمع في حرّها لبردها ، و في ورودها لصدرها [4] مكفولة برزقها ، مرزوقة بوفقها [5] ، لا

[1] أتقن تركيبه . . . : أحكمه صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ 27 : 88 . و فلق : شقّ . و البشر : الجلد .

[2] دبّت . . . : مشت مشيا رويدا . وصبت : بعثت عليه .

[3] الجحر : حفرة تأوي إليها الهوام و صغار الحيوانات .

[4] في ورودها لصدورها : عبّر عن الأيّام التي تظهر فيها بالورود ، و الأيام التي تختفي فيها بالصدود .

[5] بوفقها : بما يوافقها و يلائمها من الرزق .

[61]

يغفلها المنّان ، و لا يحرمها الدّيّان [1] ، و لو في الصّفا اليابس ، و الحجر الجامس [2] ، و لو فكّرت في مجاري أكلها ، في علوها و سفلها ، و ما في الجوف من شراسيف [3] بطنها ، و ما في الرّأس من عينها و أذنها ، لقضيت من خلقها عجبا ، و لقيت من وصفها تعبا ، فتعالى [4] الّذي أقامها على قوائمها ، و بناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها [5] فاطر ، و لم يعنه في خلقها قادر . و لو

[1] يغفلها . . . : يتركها اهمالا من غير نسيان . و المنّان : هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال . و الديّان القهّار . و المراد :

تحصيلها رزقها في المواضع التي لا يكون فيها عادة ما يصلحها من الغذاء .

[2] الصفا . . . : الحجر . و الجامس : الجامد .

[3] الشراسيف : أطراف الأضلاع المشرفة على البطن .

[4] فتعالى : تنزّه عمّا لا يليق بشأنه .

[5] فطرتها : خلقها .

[62]

ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته [1] ما دلّتك الدّلالة إلاّ على أنّ فاطر النّملة هو فاطر النّخلة ،

لدقيق تفصيل كلّ شيء ، و غامض اختلاف كلّ حيّ [2] و ما الجليل و اللّطيف [3] ، و الثّقيل و الخفيف ، و القويّ و الضّعيف ، في خلقه إلاّ سواء و كذلك السّماء و الهواء ، و الرّياح و الماء .

فانظر إلى الشّمس و القمر ، و النّبات و الشّجر ،

و الماء و الحجر ، و اختلاف هذا اللّيل و النّهار ،

[1] مذاهب فكرك . . . : قصارى تفكيرك في الكائنات الحيّة لتبلغ غاياته : النهاية فيه .

[2] الدقيق . . . : الأمر الغامض . و غامض اختلاف كل حي : ما اشتمل عليه كل كائن من أجزاء غامضة . و المراد : التفكّر بما امتاز به كل مخلوق من دقّة الصنعة ، و عجائب الإبداع و القدرة .

[3] الجليل . . . : العظيم . و لطف الشيء : صغر حجمه ،

و دقّ وصفه .

[63]

و تفجّر هذه البحار ، و كثرة هذه الجبال ، و طول هذه القلال [1] ، و تفرّق هذه اللّغات ، و الألسن المختلفات ، فالويل [2] لمن جحد المقدّر ، و أنكر المدبّر . زعموا أنّهم كالنّبات ما لهم زارع ، و لا لإختلاف صورهم صانع [3] و لم يلجأوا إلى حجّة [4] فيما ادّعوا ، و لا تحقيق لما أوعوا ، و هل

[1] القلال جمع قلّة : رأس الجبل . و جحد : أنكر .

[2] الويل : كلمة تقال عند الهلكة . و ويل : واد في جهنّم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حرّه وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ 45 : 7 .

[3] و لاختلاف صورهم صانع : و أعظم فنّان و مصوّر لا يستطيع أن يرسم مائة صورة لا يشبه بعضها البعض ، و هذه ملايين البشر لا تجد اثنين منهما تتحد صورتهما ، و يتماثل شكلهما ،

فسبحان الخلاّق العليم .

[4] لم يلجأوا . . . : لم يستندوا . الى حجّة : الى دليل و برهان .

يكون بناء من غير بان [1] ، أو جناية من غير جان ؟

و إن شئت قلت في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين ، و أسرج لها حدقتين قمراوين [2] ،

و جعل لها السّمع الخفيّ ، و فتح لها الفم السّويّ [3] ، و جعل لها الحسّ القويّ ، و نابين بهما تقرض ، و منجلين بهما تقبض [4] يرهبها الزّرّاع في

[1] و هل يكون بناء من غير بان ؟ : و هذا شيء يحسّه كلّ أحد ،

فيستحيل وجود بناء و غيره من دون صانع له ، و هذه السماوات مرفوعات بلا عمد ، و ما فيها من شمس و قمر و نجوم ، و هذه أجهزة البدن و ما فيها من دقيق التصميم ، و عظيم القدرة ،

و غير ذلك من عجائب المخلوقات التي تكاد تنطق انّ لها خالقا و مصوّرا .

[2] أسرج لها . . . : جعلها كالسراج (المصباح) و الحدقة :

السواد المستدير وسط العين . قمراوين : شبههما بالليلة المنيرة بالقمر و المراد : وصف قوّة الباصرة عندها .

[3] سوّى الشيء : قوّمه و عدّله . و المراد : المناسب لخلقتها .

[4] المنجل . . . : آلة من الحديد تستعمل لحصد الزرع .

و المراد بذلك رجليها . و قبض الشيء : أخذه بقبضة يده .

زرعهم ، و لا يستطيعون ذبّها ، و لو أجلبوا بجمعهم ، حتّى ترد الحرث في نزواتها [1] و تقضي منه شهواتها و خلقها كلّه لا يكون إصبعا مستدقّة [2] .

فتبارك اللّه الّذي يسجد له من في السّموات و الأرض طوعا و كرها ، و يعنو له خدّا و وجها ،

و يلقي إليه بالطّاعة سلما و ضعفا ، و يعطي له القياد [3] رهبة و خوفا . فالطّير مسخّرة لأمره ،

[1] ذبّها . . . : دفعها . و الجلب : الصياح و الصخب . و نزا :

وثب . مصداق ذلك اهتمام حكومات العالم بمكافحة الجراد ، و تجهيز فرق خاصة لذلك مستخدمة للطيران .

[2] المستدق من كلّ شيء : ما كان دقيقا رقيقا .

[3] تبارك اللّه . . . : عظمت بركاته و كثرت . و طوعا :

المؤمنون . و كرها : الكافرون عند اضطرارهم إليه وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَ الأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً 13 : 15 .

و يعنو : يخضع و يذل . و يلقي إليه بالطاعة : يطيعه . سلما و ضعفا : مستسلما مطيعا خاضعا . و يعطي له القياد : ينقاد و يخضع له .

[66]

أحصى عدد الرّيش منها و النّفس ، و أرسى قوائمها على النّديّ و اليبس [1] ، و قدّر أقواتها ،

و أحصى أجناسها : فهذا غراب ، و هذا عقاب ،

و هذا حمام ، و هذا نعام . دعا كلّ طائر باسمه ،

و كفل له برزقه ، و أنشأ السّحاب الثّقال فأهطل ديمها [2] و عدّد قسمها ، فبلّ الأرض بعد جفوفها ،

و أخرج نبتها بعد جدوبها [3] .

[1] مسخّرة . . . : ذليلة منقادة . و أرسى : ثبّت . و الندي :

المبتل . و اليبس : الجاف .

[2] السحاب . . . : الغيم . و الثقال : بالماء . و أهطل المطر :

تتابع متفرّقا . و الديمة : المطر يطول زمانه في سكون .

[3] جدب المكان : لاحتباس الماء عنه .

[67]

(182) و من خطبة له عليه السلام في التوحيد

و تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها ما وحّده من كيّفه ، و لا حقيقته أصاب من مثّله ، و لا إيّاه عنى من شبّهه ، و لا صمده من أشار إليه و توهّمه [1] . كلّ معروف بنفسه مصنوع ،

[1] ما وحده من كيّفه . . . : ما آمن بتوحيده من جعل له كيفية و هيئة . و لا حقيقته أصاب من مثله : و لا أدرك صفته من جعل له مثيلا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ 42 :

11 . و لا إياه عنى من شبهه : بتشبيهه خرج عن نعته و وصفه . و لا صمده من أشار إليه و توهّمه : صمده : قصده .

و المراد : تنزّهه من أن تراه العيون ، أو تحيط به الأوهام ،

و انّما تدركه العقول السليمة بالفطرة الصحيحة ، مستدلّة بآلائه ، و عجائب مخلوقاته .

[68]

و كلّ قائم في سواه معلول [1] ، فاعل لا باضطراب آلة ، مقدّر لا بجول فكرة ، غنيّ لا باستفادة [2] .

لا تصحبه الأوقات ، و لا ترفده الأدوات [3] ، سبق

[1] كل معروف بنفسه مصنوع . . . : كل من تعرف حقيقته تعرف أجزاؤه ، و كل ذي جزء مركّب ، و المركّب محتاج الى صانع خالق . و كل قائم في سواه معلول : ان جميع الكائنات قائمة بعلّة ، أي بمقوّم يقيمها ، فالبدن بالهيكل العظمي ، و الخيمة بالعمود ، و السقف بالجدران ، و هكذا ، أما هو جلّ شأنه فقائم بذاته ، و جميع ما في الوجود قائم به وَ يُمسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاّ بِإِذْنِهِ 22 : 65 .

[2] فاعل لا باضطراب آلة . . . : تنزّه عن مشابهة المخلوقين في استعانتهم بأعمالهم و صنعهم بآلة ، و اللّه تعالى شأنه اذا أراد شيئا قال له : كن فيكون . مقدّر لا بجول فكرة : تنزّه عن صفات المخلوقين في جولان الفكر ، و عمل الرأي تمهيدا لأعمالهم . غنيّ لا باستفادة : غنيّ بذاته ، بينما العباد غناهم مكتسب ، و هم مفتقرون إليه .

[3] لا تصحبه الأوقات . . . : تنزّه من أن يوصف و يقرن بزمان ،

لأن الزمان حادث و هو قديم ، بل هو خالق الزمن و سائر المخلوقات . و لا ترفده : تدعمه . الأدوات : جمع أداة :

آلة . و المراد : استغناؤه عن استخدام آلة و شبهها في خلقه .

الأوقات كونه ، و العدم وجوده ، و الإبتداء أزله [1] .

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له [2] ،

و بمضادّته بين الأمور عرف أن لا ضدّ له ،

و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له [3] ، ضادّ

[1] سبق الأوقات كونه . . . : هو الأوّل فلا شيء قبله . و العدم وجوده : هو الباقي الدائم الذي لا يعتريه عدم و لا فناء .

و الابتداء أزله . الأزل : القديم . و المراد : سبق وجوده كل شيء .

[2] بتشعيره . . . : اعداده لها ، و لما يصلح كل منها . و المشاعر :

الحواس . لا مشعر له : لعدم مشابهته لخلقه .

[3] و بمضادته بين الأمور . . . : كالذي بين الطبائع و الماهيات .

عرف ان لا ضدّ له : كما قال عليه السلام : لو كان لربّك شريك لأتتك رسله . و بمقارنته بين الأشياء : المقارنة :

المصاحبة و الملازمة كما اقتضته حكمته من استحالة انفكاك بعضها عن بعض كالحرارة للنار . عرف أن لا قرين له : لا شبيه له .

النّور بالظّلمة ، و الوضوح بالبهمة ، و الجمود بالبلل ، و الحرور بالصّرد [1] . مؤلّف بين متعادياتها ، مقارن بين متباياتها ، مقرّب بين متباعداتها ، مفرّق بين متدانياتها [2] . لا يشمل

[1] ضاد النور بالظلمة . . . : جعل أحدهما مزيلا للآخر .

و الوضوح : البياض . بالبهمة : بالسواد . و الجمود :

اليبوسة . بالبلل : بالرطوبة . و الحرور : الحر : ، بالصرد :

بالبرد .

[2] مؤلف بين متعادياتها . . . : مختلفاتها مع ما فيها من تضاد و اختلاف اقتضت الحكمة الإلهية جمعها ، كما هو الحال في الجسم ، فقد جمع فيه اليبوسة و الرطوبة ، و الحرارة و البرودة ، بنسب معيّنة ، لو تغيّرت قليلا لاختلّ الجسم ،

انظر الى الرأس فقد جمع على صغره المياه المختلفة : فماء العين مالح ، حفظا لها من التأثّر بالحرارة ، لأنّها أشبه ما تكون بالشحم ، و ماء الفم حلو ، ليتهنّأ بمطعمه و مشربه ،

و ماء الأذن مرّ ، حفظا لها من الهوام الوافدة عليها ، و ماء الأنف بارد ، لأنّه بمنزلة جهاز التبريد للسيارة . مقارن :

جامع . بين متبايناتها : مغايراتها ، كما مرّ آنفا . مقرب بين متباعداتها : كجمعه في الجسم الواحد بين الأمور المتضادة .

مفرّق بين متدانياتها : كتفريقه بين الروح و البدن بالموت .

بحدّ و لا يحسب بعدّ ، و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، و تشير الآلات إلى نظائرها [1] .

منعتها منذ القدميّة ، و حمتها قد الأزليّة ،

و جنّبتها لو لا التّكملة [2] ، بها تجلّى صانعها

[1] لا يشمل بحدّ . . . : لأن الحدود للأجسام ، و قد تنزّه عن الجسمية . و لا يحسب بعد : لا يلحقه الحساب و العدّ .

و انّما تحدّ الأدوات أنفسها : الأدوات التي يعدّ بها كالأصابع و اللسان ، فهي لا تستطيع إلاّ أن تعدّ الأجسام المماثلة لها .

و تشير الآلة : التي يعدّ بها . الى نظائرها : من الأجسام .

[2] منعتها منذ القدمة . . الخ : الضمائر المتصلة بالأفعال الثلاثة تعود الى الآلات و الأدوات ، فقولنا : هذه الآلات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة أزلية ، و كذلك قولنا : وجدت هذه الآلات وقت كذا ، يحكم بقربها من الحال ، و عدم أزليتها ،

كما أن اطلاق لفظ لو لا على هذه الآلات يجنبها التكملة (الكمال) نقول : ما أحسن هذا لو لا أن فيه كذا .

للعقول [1] ، و بها امتنع عن نظر العيون ، لا يجري عليه السّكون و الحركة و كيف يجري عليه ما هو أجراه [2] ، و يعود فيه ما هو أبداه ، و يحدث فيه ما هو أحدثه ؟ إذا لتفاوتت ذاته ، و لتجزّأ كنهه ،

و لامتنع من الأزل معناه ، و لكان له وراء إذ وجد له امام و لالتمس التّمام إذ لزمه النّقصان و إذا لقامت آية المصنوع فيه ، و لتحوّل

[1] بها تجلّى صانعها للعقول . . . : بالأدوات الحواس و المشاعر ، و عجائب المخلوقات ظهر الصانع للعقول . و بها امتنع عن نظر العيون : العقول السليمة قطعت عن امتناع النظر إليه .

[2] لا يجري عليه السكون و الحركة . . . : لا يوصف بذلك ،

لأنّها من صفات الجسمية . و كيف يجري عليه ما هو أجراه :

كيف يتّصف بالصفات التي أحدثها في خلقه ، و جعلها دلالة على نقصهم و حاجتهم إليه ؟

[73]

دليلا بعد أن كان مدلولا عليه ، و خرج بسلطان الإمتناع [1] من أن يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره .

الّذي لا يحول ، و لا يزول ، و لا يجوز عليه الأفول [2] ، و لم يلد فيكون مولودا ، و لم يولد فيصير

[1] لتفاوتت ذاته . . . : بين الحركة و السكون . و الكنه : جوهر الشيء و حقيقته . و لامتنع من الأزل معناه : الأزل : القدم .

و المراد : لو صحّ عليه السكون و الحركة كان محدثا ، و ذهب عنه معنى الأزليّة . و لكان له وراء اذا وجد له امام : لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرّك إليه ، كما يلزم من ذلك أن يكون له وراء لتلازم ما بينهما . و لالتمس التمام إذا لزمه النقصان : لأن السكون نقص ، و الحركة كمال ، و لكان في حركته ملتمسا للكمال ، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا . و اذا لقامت آية المصنوع : هي التغيير و الانتقال من حال الى حال .

و لتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه : صار بحركته و سكونه دليلا على وجود خالق له . و خرج بسلطان الامتناع : هو سلطان الربوبية و القدرة .

[2] الذي لا يحول و لا يزول . . . : لا يعتريه تغيير . و لا يجوز عليه الأفول : يستحيل عليه الغيبة .

[74]

محدودا [1] . جلّ عن اتّخاذ الأبناء ، و طهر عن ملامسة النّساء [2] ، لا تناله الأوهام فتقدّره ، و لا تتوهّمه الفطن فتصوّره ، و لا تدركه الحواسّ فتحسّه ، و لا تلمسه الأيدي فتمسّه [3] . لا يتغيّر بحال ، و لا يتبدّل بالأحوال ، و لا تبليه اللّيالي

[1] لم يلد فيكون مولودا . . . : لو جعلنا له ولدا لزمنا القول بأن له والدا ،

بل مولودا لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَد 112 : 3 . و لم يولد فيصير محدودا : لأن لكل جسم اجزاء و حدود و نهاية .

[2] جلّ عن اتخاذ الأبناء . . . : تنزّه عن ذلك . و طهر عن ملامسة النساء : لأن ذلك من خواص الأجسام وَ لم تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ 6 : 101 .

[3] لا تناله الأوهام فتقدره . . . : كما امتنع عن الأبصار من أن تراه ، كذلك امتنع عن الأوهام أن تتوهّمه ، و تتصوّر كنهه .

و لا تتوهّمه الفطن فتصوّره : الفطنة : الحذق و المهارة .

و المراد : أن العقول الحاذقة قاصرة عن الإحاطة بكنهه . و لا تدركه الحواس فتحسّه : لأنّها لا تدرك إلا الأجسام . و لا تلمسه الأيدي فتمسّه : لأنّه ليس بجسم .

[75]

و الأيّام ، و لا يغيّره الضّياء و الظّلام ، و لا يوصف بشيء من الأجزاء [1] و لا بالجوارح و الأعضاء ،

و لا بعرض من الأعراض ، و لا بالغيريّة و الأبعاض [2] . و لا يقال له حدّ و لا نهاية ، و لا انقطاع و لا غاية [3] . و لا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه

[1] لا يتغيّر بحال . . . : لا يطرأ عليه تغيير . و لا يتبدّل بالأحوال : لا ينتقل من حال الى حال . و لا تبليه : و لا تفنيه . و لا يغيّره الضياء و الظلام : بيان مخالفته للأجسام ،

لأنّها بالضياء تدرك حاجتها .

[2] و لا يوصف بشيء من الأجزاء : ليس بمركّب من أجزاء . و لا بالجوارح و الأعضاء : لأن ذلك من مستلزمات الجسمية . و لا بعرض من الأعراض : كالكمّ و الكيف . و لا بالغيرية و الابعاض : ليس له ابعاض و لا اجزاء بعضها مغاير للآخر .

[3] و لا يقال له حدّ و لا نهاية . . . : ليس لأوّليته حدّ و نهاية ، لأنّ الحدود و النهايات من صفات الأجسام . و لا انقطاع و لا غاية : ليس له آخرية و نهاية ، فهو الأَوَّلُ و الآخرُ وَ الظَّاهِرُ وَ البَاطِنُ 57 : 3 .

أو تهويه ، أو أنّ شيئا يحمله فيميله أو يعدله [1] .

ليس في الأشياء بوالج و لا عنها بخارج [2] . يخبر لا بلسان و لهوات ، و يسمع لا بخروق و أدوات [3] .

يقول [4] و لا يلفظ ، و يحفظ و لا يتحفّظ ، و يريد و لا

[1] و لا أن الأشياء تحويه . . . : تضمّه . فتقله : ترفعه . أو تهويه : الى جهة تحت . و المراد : ليس له مكان يحويه . أو أن شيئا يحمله : لأن ذلك من صفات الأجسام . فيميله :

الى جانب . أو يعدله : بالنسبة الى جميع الجوانب .

[2] ليس في الأشياء بوالج . . . : بداخل . و لا عنها بخارج :

بعيد منها ، لا يعلم أمرها ، بل لاَ يَعزُبُ عَنْهُ مثقَالُ ذَرَّةٍ 34 : 3 أي لا يغيب عن علمه ، و لا يخفى عليه .

[3] يخبر لا بلسان و لهوات . . . : جمع لهاة : اللحمة التي في أقصى الفم . و يسمع لا بخروق و أدوات : المراد بالخروق :

تجويفات الأذن ، و بالأدوات : الأذنين . و المراد : أن نطقه و سمعه ليس بالكيفية المعهودة في الأجسام ، بل بالقدرة .

[4] يقول . . . : تكرّر في القرآن الكريم كلمة القول له سبحانه .

و لا يلفظ : لأن اللفظ من صفات الأجسام . و المراد : أن قوله ليس بالكيفية المعهودة في خلقه ، بل بالكيفية التي لا يعلمها إلاّ هو . و يحفظ : المراد بالحفظ إحاطته بعباده ، و حفظه لأعمالهم يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُم 2 : 255 .

و التحفّظ : تكلّف الحفظ الذي يحصل بالتكرار و المذاكرة ،

و قد تنزّه عن ذلك . و يريد و لا يضمر : الاضمار : العزم على الفعل و التفكير في الاقدام عليه ، و اللّه سبحانه إذا أراد شيئا قال له : كن فيكون .

يضمر ، يحبّ و يرضى من غير رقّة ، و يبغض و يغضب من غير مشقّة [1] يقول لمن أراد كونه « كن » فيكون [2] لا بصوت يقرع ، و لا بنداء يسمع ، و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ،

و مثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ، و لو كان قديما

[1] يحب . . . : المطيعين . و يرضى : عنهم . من غير رقّة :

تنزّه عن مشابهة المخلوقين في الرقّة القلبية . و يبغض :

العصاة . و يغضب من غير مشقّة : تنزيها له عن صفات الأجسام و ما يحدث لها من انزعاج و انفعال عند الغضب .

[2] يقول لمن أراد كونه : المراد : انقياد الكائنات له جلّ شأنه ،

و استجابتها لمشيئته من غير توقّف .

[78]

لكان إلها ثانيا [1] .

لا يقال كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصّفات المحدثات و لا يكون بينها و بينه فصل و لا له عليها فضل [2] ، فيستوي الصّانع و المصنوع ،

و يتكافأ المبتدع و البديع [3] . خلق الخلائق على

[1] لا بصوت يقرع ، و لا بنداء يسمع . . . : قد يتبادر للذهن من الآية الكريمة أن هناك أمر كلامي منه سبحانه ، فوضّح بهذه الجملة ، و المراد بالآية إرادة التكوين الصادرة عن القدرة الإلهية . و انّما كلامه سبحانه : تنزيها له . فعل منه أنشأه :

بالكيفية التي لا يعلمها إلاّ هو . لم يكن من قبل ذلك كائنا :

من قبل خلقه له و إيجاده . و لو كان قديما لكان إلها ثانيا : ان كلامه محدث و لا قديم إلاّ هو .

[2] لا يقال كان بعد أن لم يكن . . . : انه موجود قديم لم يسبقه عدم . فتجري عليه الصفات المحدثات : من عدم و وجود .

و لا يكون بينها و بينه فصل : يتساوى حينئذ معها . و لا له عليها فضل : لأنّهما مفتقران الى صانع .

[3] فيستوي الصانع و المصنوع . . . : لأن كلاّ منهما مرّ بدور العدم ، فلزم من هذا أن يكون الخالق أزلي قديم . و يتكافأ المبتدع : الخالق . و البديع : المخلوق .

[79]

غير مثال خلا من غيره [1] ، و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه ، و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال ، و أرساها على غير قرار ، و أقامها بغير قوائم ، و رفعها بغير دعائم ، و حصّنها من الأود و الإعوجاج ، و منعها من التّهافت [2] و الإنفراج . أرسى أوتادها ، و ضرب أسدادها ،

[1] على غير مثال خلا من غيره : لم تكن مخلوقات لخلاّق غيره فأنشأ مخلوقاته على غرارها .

[2] أنشأ الأرض فأمسكها . . . : على الماء . من غير اشتغال :

لم يشغله خلقها عن غيرها من العوالم وَ لاَ يؤُدُهُ حِفْظَهُمَا وَ هُوَ العَلِيُّ العَظِيم 2 : 255 . و أرساها : ثبّتها . على غير قرار : مستقر . و أقامها بغير قوائم : تحملها . و المراد : ليس تحتها ما يمسكها سوى القدرة . و رفعها بغير دعائم : ترتكز عليها . و حصنها : جعلها منيعة . من الأود : الاعوجاج .

و منعها من التهافت : التساقط .

[80]

و استفاض عيونها ، و خدّ أوديتها [1] ، فلم يهن ما بناه ، و لا ضعف ما قوّاه [2] .

هو الظّاهر عليها بسلطانه و عظمته ، و هو الباطن لها بعلمه و معرفته ، و العالي على كلّ شيء منها بجلاله و عزّته [3] و لا يعجزه شيء منها طلبه ،

[1] أرسى الشيء : أنبته و الراسي : الثابت الراسخ . و الوتد : ما ثبت في الأرض أو الحائط من خشب . و أوتاد الأرض الجبال وَ الجِبَالَ أَوتَاداً 78 : 7 . و أسدادها جمع سدّ : و المراد به الحدود التي تفصل بعضها عن بعض من جبال و انّهار و غير ذلك . و استفاض عيونها : جعلها فائضة . و خدّ : شقّ .

و أوديتها جمع وادي : كل منفرج بين الجبال و التلال و الآكام .

[2] فلم يهن ما بناه . . . : لم يضعف . و لا ضعف ما قواه : من جبال و غيرها عبر السنين المتطاولة .

[3] هو الظاهر . . . : الغالب العالي على كل شيء . بسلطانه :

بقوته و قهره . و عظمته : كبريائه . الباطن : العالم بكل شيء فلا أحد أعلم منه . العالي : فلا شيء فوقه في الرتبة .

بجلاله : بتنزّهه عن صفات المخلوقين . و عزّته : قهره و سلطانه .

و لا يمتنع عليه فيغلبه ، و لا يفوته السّريع منها فيسبقه ، و لا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه . خضعت الأشياء له ، و ذلّت مستكينة [1] لعظمته ، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه و ضرّه ، و لا كفء له فيكافيه [2] ، و لا نظير له فيساويه ، هو المفني لها بعد وجودها ، حتّى يصير موجودها كمفقودها .

و ليس فناء الدّنيا بعد ابتداعها ، بأعجب من إنشائها و اختراعها [3] و كيف و لو اجتمع جميع

[1] مستكينة : خاضعة ذليلة .

[2] و لا كفء له فيكافيه : لا نظير له و لا مثيل .

[3] و ليس فناء الدنيا . . . الخ : لا داعي للعجب لما ورد من فناء الدنيا ، لأن إنشاءها و ما فيها من بدائع المخلوقات أعجب من الفناء ، و عملية الهدم أيسر من عملية البناء .

حيوانها من طيرها و بهائمها ، و ما كان من مراحها و سائمها و أصناف أسناخها و أجناسها و متبلّدة أممها و أكياسها [1] ، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ، و لا عرفت كيف السّبيل إلى إيجادها ،

و لتحيّرت عقولها في علم ذلك و تاهت ، و عجزت قواها و تناهت ، و رجعت خاسئة حسيرة [2] ، عارفة بأنّها مقهورة ، مقرّة بالعجز عن إنشائها ، مذعنة بالضّعف عن إفنائها .

و إنّ اللّه سبحانه يعود بعد فناء الدّنيا وحده لا شيء معه : كما كان قبل ابتدائها ، كذلك

[1] مراح الابل : مأواها . و سائمها : راعيها . و اسناخها جمع سنخ : الأصل من كل شيء . و أجناسها : أنواعها . و متبلدة أممها : الأغنياء منهم . و أكياسها : عقلائها .

[2] خاسئة : ذليلة ، صغيرة ، بعيدة عن نيل المراد . حسيرة :

كالة من كثرة المراجعة .

[83]

يكون بعد فنائها ، بلا وقت و لا مكان ، و لا حين و لا زمان ، عدمت عند ذلك الآجال و الأوقات [1] و زالت ، و السّنون و السّاعات ، فلا شيء إلاّ الواحد القهّار الّذي إليه مصير جميع الأمور . بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ، و بغير امتناع منها كان فناؤها [2] ، و لو قدرت على الإمتناع دام بقاؤها . لم يتكأّده صنع شيء منها إذ صنعه ، و لم يؤده منها خلق ما خلقه و برأه [3] ، و لم يكوّنها

[1] عدمت عند ذلك الآجال و الأوقات : ان الزمن نتيجة لحركات الفلك ، فمن دوران الأرض حول الشمس يحدث الليل و النهار ، و مسيرة القمر في جميع بروجه و منازله يستوعب سنة كاملة ، فاذا انعدمت الأفلاك انعدم الزمن .

[2] بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها . . . الخ : لم تكن المكوّنة لنفسها ، كذلك لم يكن لها ان تمتنع عن إرادة فنائها .

[3] لم يتكأّده . . . : لم يصعب عليه . و لم يؤده : لم يشق عليه . برأه : خلقه .

[84]

لتشديد سلطان ، و لا لخوف من زوال و نقصان ،

و لا للإستعانة بها على ندّ مكاثر ، و لا للإحتراز بها من ضدّ مثاور [1] ، و لا للإزدياد بها في ملكه ، و لا لمكاثرة شريك في شركه ، و لا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها . ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها ، لا لسأم دخل عليه في تصريفها [2] و تدبيرها ، و لا لراحة واصلة إليه ، و لا لثقل شيء منها عليه . لم يملّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها ، لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه ،

و أمسكها بأمره ، و أتقنها بقدرته ، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ، و لا استعانة بشيء

[1] الندّ . . . : المثل و النظير . و كاثرة : غالبة بالكثرة . و مثاور :

محارب .

[2] سأم الشيء : ملّه . و تصريفها : تدبيرها و توجيهها .

[3] و لا استعانة بشيء منها عليها : لا يستعين على الاعادة بشيء من الدنيا ، بل يعيدها بالقدرة التي بدأها أولا ، ثم أفناها آخرا .

[85]

منها عليها ، و لا لإنصراف من حال وحشة إلى حال استئناس ، و لا من حال جهل و عمى إلى حال علم و التماس ، و لا من فقر و حاجة إلى غنى و كثرة ، و لا من ذلّ و ضعة إلى عزّ و قدرة .

(183) و من خطبة له عليه السلام تختصّ بذكر الملاحم

ألا بأبي و أمّي هم من عدّة ، أسماؤهم في السّماء معروفة ، و في الأرض مجهولة [1] ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار أموركم ، و انقطاع

[1] أسماؤهم في السماء معروفة . . . : هم الأئمة الإثنا عشر ،

هو و أولاده سلام اللّه عليهم ، فهم معروفون عند الملأ الأعلى من الملائكة . و في الأرض مجهولة : لا يعرفهم إلاّ القليل .

[86]

وصلكم ، و استعمال صغاركم [1] ذاك حيث تكون ضربة السّيف على المؤمن أهون من الدّرهم من حلّه ذاك [2] ، حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطي [3] ، ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النّعمة و النّعيم ،

و تحلفون من غير اضطرار ، و تكذبون من غير إحراج [4] ، و ذلك إذا عضّكم البلاء كما يعضّ

[1] ادبار أموركم . . . : معاكستها لطريق الرشاد و السداد . و انقطاع وصلكم : افتراق كلمتكم ، و عدم انتظام أموركم . و استعمال صغاركم : تكون الولايات و الزعامات لأطفال تنقصهم الخبرة و التجارب ، فينشأ من ذلك ارتباك أمور المجتمع .

[2] من حله : من طريق مشروع .

[3] المعطى أعظم أجر من المعطي : لأن المعطي اكتسب ماله من وجوه لا تحلّ ، فذهب أجر صدقته و معروفه ، و المعطى صرف المال في حاجته فكسب الأجر .

[4] تسكرون من غير شراب . . . : ان النعم و الترف و العافية تجعل البعض ساهيا لاهيا ، معرضا عمّا أمر به ، شأن شارب الخمر . و تحلفون من غير اضطرار : من غير ضرورة تلجئكم لذلك ، بل هي العادة السيئة عند البعض يجعل مع كل كلمة يمينا ، و مع كل حديث قسما . و تكذبون من غير إحراج :

فاذا تعوّد الكذب فيما يحسبه نفعا جرّه ذلك الى الكذب ،

بدون ضرورة ، و لا مبرّر ، و لا تنس أن الخير عادة ، و الشرّ عادة ، فعوّد نفسك الخير ، و احذر من تعوّد الشرّ .

القتب [1] غارب البعير ، ما أطول هذا العناء [2] ، و أبعد هذا الرّجاء .

أيّها النّاس ، ألقوا هذه الأزمّة الّتي تحمل ظهورها [3] الأثقال من أيديكم ، و لا تصدّعوا على

[1] عضكم البلاء . . . : اشتدّت عليكم المصائب و النكبات .

و القتب : الرحل . و الغارب : ما بين العنق و السنام .

[2] العناء : التعب .

[3] القوا هذه الأزمة جمع زمام : مقود البعير . التي تحمل ظهورها : الإبل المزمومة . شبّه الذنوب بالأثقال المحمّلة على الإبل اقتباسا من قوله تعالى : وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ 6 : 31 . و دعا الناس الى إلقاء هذا الزمام من أيديهم و نبذه طلبا للنجاة .

سلطانكم فتذمّوا غبّ [1] فعالكم ، و لا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة ، و أميطوا عن سننها و خلّوا قصد السّبيل لها [2] ، فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ، و يسلم فيها غير المسلم [3] .

[1] و لا تصدعوا . . . : و لا تتفرّقوا . عن سلطانكم : عن إمامكم . و المراد به نفسه صلوات اللّه عليه . فتذمّوا :

فتندموا . و الغبّ من كل شيء : عاقبته و آخره . و المراد :

أن تفرّقكم عنّي يعقبكم الذمّ و الندم .

[2] اميطوا . . . : تنحّوا . عن سننها : عن طريقها . و خلّوا قصد السبيل لها : السبيل : الطريق . و المراد : اتركوها تسلك طريقها و لا تتعرّضوا لها .

[3] يهلك في لهبها المؤمن . . . : المتعرّض لها . و يسلم فيها غير المسلم : المسالم لها . و المراد : الاعتزال عند نشوب الفتن و اجتنابها .

[89]

إنّما مثلي بينكم مثل السّراج [1] في الظّلمة ليستضيء به من ولجها ، فاسمعوا أيّها النّاس وعوا ، و أحضروا آذان قلوبكم تفهموا .

(184) و من خطبة له عليه السلام

أوصيكم أيّها النّاس بتقوى اللّه ، و كثرة حمده على آلائه إليكم ، و نعمائه عليكم ، و بلائه لديكم [2] . فكم خصّكم بنعمة ، و تداركك

[1] انّما مثلي بينكم . . الخ : أنا فيكم مثل مصباح في ظلمة ،

أنير لكم طريق الأمن و السلامة ، و كذلك هو اليوم بأولاده الأحد عشر عليهم السلام ، و ما أوثر من علومهم ، و دوّن من تعاليمهم ، و هذا نهج البلاغة ، سراج ينير طريق السالكين الى اللّه تعالى . ولجها : دخلها .

[2] تقوى اللّه . . . : العمل بأوامره ، و الانتهاء عمّا نهى عنه .

و آلائه : نعمه . و نعمائه : عطائه . و بلائه لديكم : إحسانه عليكم .

[90]

برحمة أعورتم [1] له فستركم ، و تعرّضتم لأخذه فأمهلكم ، و أوصيكم بذكر الموت و إقلال الغفلة عنه ، و كيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم ، و طمعكم فيمن ليس يمهلكم [2] ؟ فكفى واعظا بموتى عاينتموهم ، حملوا إلى قبورهم غير راكبين ،

و أنزلوا فيها غير نازلين فكأنّهم لم يكونوا للدّنيا عمّارا ، و كأنّ الآخرة لم تزل لهم دارا ، أوحشوا

[1] أعورتم له : المراد بالعورة كل ما يستحيى منه .

[2] أوصيكم بذكر الموت . . . : ان المسلم اذا جعل الموت نصب عينيه يمتنع عن ارتكاب المحرمات . و كيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم : ليس من العقل التغافل عن الموت و عن الاستعداد له في حين أنّه يسير نحونا بخطى سريعة .

و طمعكم فيمن ليس يمهلكم : فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لاَ يَسْتَقْدِمُونَ 7 : 34 .

[91]

ما كانوا يوطنون ، و أوطنوا [1] ما كانوا يوحشون ،

و اشتغلوا بما فارقوا ، و أضاعوا ما إليه انتقلوا [2] ، لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ، و لا في حسنة يستطيعون ازديادا أنسوا بالدّنيا فغرّتهم ، و وثقوا بها فصرعتهم . فسابقوا رحمكم اللّه إلى منازلكم الّتي أمرتم أن تعمروها ، و الّتي رغّبتم فيها ،

و دعيتم إليها ، و استتمّوا نعم اللّه عليكم بالصّبر

[1] أوحشوا ما كانوا يوطنون . . . : أوحش المكان : صار قفرا و خلا من الناس . و أوطنوا ما كانوا يوحشون : أوطن المكان : اتخذه وطنا . و المراد : تخلّوا عن مساكنهم و استبدلوا بها القبور

و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم
فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

[2] اشتغلوا بما فارقوا . . . : كان اهتمامهم للدنيا ، و سعيهم لها ، فلم يصحبهم منها إلاّ الكفن . و أضاعوا : أهملوا . ما إليه انتقلوا : لم يأخذوا ما يصلحهم لمثواهم الأخير ،

و دارهم الباقية .

على طاعته [1] ، و المجانبة لمعصيته ، فإنّ غدا من اليوم قريب ، ما أسرع السّاعات في اليوم [2] ،

و أسرع الأيّام في الشّهور ، و أسرع الشّهور في السّنة ، و أسرع السّنين في العمر .

(185) و من كلام له عليه السلام

فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرّا في القلوب ، و منه ما يكون عواري [3] بين القلوب

[1] استتموا نعم اللّه عليكم بالصبر على طاعته الخ : اطلبوا منه تعالى أن يتمّ نعمه عليكم ، و يسبغ عليكم آلاءه بأدائكم ما افترضه عليكم ، و أمركم به ، و انتهائكم عمّا نهاكم عنه .

[2] فإنّ غدا من اليوم قريب . . . : المراد بغد القيامة ، و باليوم الحياة . ما أسرع الساعات في اليوم . . الخ : المراد سرعة مرور الزمن على الانسان ، و دنوّه من أجله .

[3] عواري جمع عارية : ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك .

الى أجل معلوم : الى وقت معيّن . و المراد : أن البعض إيمانهم راسخ ثابت لا يتزلزل ، و البعض الآخر قلق معرّض للزوال .

و الصّدور إلى أجل معلوم ، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه [1] حتّى يحضره الموت ، فعند ذلك يقع حدّ البراءة ، و الهجرة قائمة [2] على حدّها الأوّل . ما كان للّه في أهل الأرض حاجة من مستسرّ الأمّة و معلنها [3] لا يقع اسم الهجرة على

[1] براءة . . . : تباعد و تخلّي عنه . فقفوه : اجعلوه موقوفا الى حال الموت . و هذا معنى رفيع يدعو الى التواصل و عدم التقاطع ، كما هو يساعد المتباعد الى الرجوع الى حظيرة الإيمان ، بخلاف البراءة فانّها تزيده بعدا .

[2] الهجرة قائمة : الهجرة : ترك الوطن الى غيره . . و المهاجر في الإسلام : من ترك وطنه و التحق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . و مراد الإمام عليه السلام : أن الهجرة لا تزال باقية الى أئمّة الحقّ و الرشاد .

[3] مستسر الأمة . . . : المستخفي بدينه . و معلنها : المظهر له . و المراد : أن اللّه سبحانه مستغن عن الخلائق ، سواء منهم المظهر لدينه ، المدافع عنه ، أو المتكتّم به ، المغلوب على أمره ، و ليست التكاليف الإسلامية إلاّ لفائدة المسلم نفسه .

[94]

أحد إلاّ بمعرفة الحجّة في الأرض ، فمن عرفها و أقرّ بها فهو مهاجر ، و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه ، و وعاها قلبه .

إنّ أمرنا صعب مستصعب ، لا يحمله إلاّ عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه [1] للإيمان ، و لا يعي حديثنا

[1] إنّ أمرنا . . . : شأننا . صعب : عسر . و استصعب الأمر :

عدّه صعبا . و المراد : أنّه صلوات اللّه عليه و الأئمة من أولاده عليهم السلام ميّزوا على الناس بمميزات كثيرة ، كالقرب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و العلم ، و الفهم ، حتى استفاضت الأخبار بأخبارهم عن المغيبات ، و أجوبتهم على أسئلة لا يستطيع الجواب عليها غيرهم ، و هذا و غيره يدعو الى التسليم لأمرهم ، مع عدم الغلوّ فيهم ، لأنّ كل ما صدر عنه مرجعه الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، فقد روى الخاص و العام كلمة أمير المؤمنين عليه السلام (علّمني رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ألف باب من العلم ، يفتح لي من كلّ باب ألف باب) امتحن اللّه قلبه : اختبره أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى 49 : 3 . و المراد : عانوا الشدائد فاستعانوا عليها بالصبر فخرجوا ظافرين .

[95]

إلاّ صدور أمينة ، و أحلام رزينة [1] .

أيّها النّاس ، سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السّماء [2] أعلم منّي بطرق الأرض ، قبل أن تشغر برجلها فتنة ، تطأ في خطامها ، و تذهب

[1] يعي . . . : يحفظ . احلام رزينة : الحلم : الاناة و ضبط النفس . و رزن : وقر و حلم و سكن .

[2] سلوني قبل أن تفقدوني . . . : و هذه الكلمة ما قالها غيره إلاّ و افتضح ، و عجز عن الإجابة عن أسئلة بسيطة ، فقد سئل أحدهم بعد أن قالها : كم مرقاة للمنبر الذي تعلوه ؟ فلم يعرف ، و سئل آخر عن النملة التي كلّمت سليمان عليه السلام أذكر كانت أم أنثى ؟ فلم يجب . و طرق السماء : ما فيها من عوالم و كائنات ، و ما يخصّ أهل الأرض من أحداث و فتن يعرفها أهل السماء و يجهلها أهل الأرض .

[96]

بأحلام قومها [1] .

(186) و من خطبة له عليه السلام

أحمده شكرا لإنعامه ، و أستعينه على وظائف حقوقه [2] . عزيز الجند ، عظيم المجد . و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، دعا إلى طاعته ، و قاهر [3] أعداءه جهادا على دينه . لا يثنيه [4] عن ذلك اجتماع على تكذيبه ، و التماس لإطفاء نوره .

[1] تشغر برجلها . . . : ترفعها . تطأ في خطامها : الخطام :

الزمام الذي يقاد به البعير ، شبهها بالناقة الشرود ، تفسد كل شيء مرّت به . تذهب بأحلام قومها : هي لشدّة وقعها على الناس تذهب بعقولهم .

[2] استعينه على وظائف حقوقه : أطلب منه العون و المساعدة على أداء ما أوجب من أعمال و حقوق .

[3] قاهر : غالب .

[4] لا يثنيه : لا يصرفه .

[97]

فاعتصموا بتقوى اللّه [1] فإنّ لها حبلا وثيقا عروته ،

و معقلا منيعا ذروته [2] ، و بادروا الموت في غمراته ، و امهدوا له [3] قبل حلوله ، و أعدّوا له قبل نزوله ، فإنّ الغاية القيامة [4] و كفى بذلك واعظا لمن عقل ، و معتبرا [5] لمن جهل . و قبل بلوغ

[1] اعتصم به . . . : امتنع به و لجأ إليه . تقوى اللّه : العمل بأوامره ، و الانتهاء عمّا نهى عنه .

[2] حبلا . . . : استعار لها الحبل لأن التمسّك بها سبب للنجاة من الردى ، كما أن التمسّك بالحبل سبب للخلاص و النجاة . وثيقا عروته : فقد تعلّق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى انفصامها . معقلا : ما يعتصم به . منيعا : قويّا .

ذروته : أعلاه .

[3] بادروا الموت . . . : سارعوا بالأعمال الصالحة من قبل أن يدهمكم . و غمراته : شدائده . و امهدوا له : اتخذوا له المهاد : الفراش وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأنْفُسِهِم يَمهَدُونَ 30 : 44 .

[4] الغاية القيامة : النهاية التي ينتهي إليها الناس .

[5] كفى بذلك واعظا لمن عقل . . . : ان الموت الذي ليس بيننا و بينه إلاّ توقّف القلب ، و انقطاع النفس ، يكفي المرء موعظة و مزدجرا عن ارتكاب الذنوب ، و حرصا على عمل الخير .

معتبرا : متّعظا .

[98]

الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس ، و شدّة الإبلاس ، و هول المطّلع ، و روعات الفزع ،

و اختلاف الأضلاع ، و استكاك الأسماع ، و ظلمة اللّحد ، و خيفة الوعد ، و غمّ الضّريح ، و ردم الصّفيح [1] .

[1] و قبل بلوغ الغاية . . . : من أهوال القبر و عذابه . من ضيق الارماس جمع رمس : القبر . و شدّة الابلاس : الحيرة أَخَذْنهُمْ بَغْتَةً فَإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ 6 : 44 . آيسون من النجاة و الرحمة . و الهول : الفزع ، و الأمر الشديد . و هول المطلع : مواقف القيامة و شدائدها التي تنتظره بعد الموت .

و روعات الفزع : الخوف و الذعر . و اختلاف الأضلاع : عند ضغطة القبر . و استكاك الأسماع : صممها من شدّة الأصوات التي يسمعها في تلك العوالم المذهلة . و خيفة الوعد :

الخوف الذي يلحقه بالوعيد الذي سبق أن سمعه في القرآن الكريم للعصاة . و الغمّ : الكرب . و الضريح : القبر .

و ردم المكان : سدّه . و الصفيح : الحجر الذي يسدّ به اللحد .

[99]

فاللّه اللّه عباد اللّه ، فإنّ الدّنيا ماضية بكم على سنن ، و أنتم و السّاعة في قرن [1] و كأنّها قد جاءت بأشراطها ، و أزفت بأفراطها ، و وقفت بكم على صراطها . و كأنّها قد أشرفت بزلازلها ،

و أناخت بكلاكلها [2] و انصرمت الدّنيا بأهلها ،

[1] على سنن . . . : على طريقة و مثال من سار قبلكم من أهليكم و معارفكم . و أنتم و الساعة في قرن : القرن : الحبل الذي يقرن به البعيران . و المراد : قربها منكم ، و الحديث النبوي (بعثت و الساعة كهاتين) مشيرا بإصبعيه .

[2] قد جاءت بأشراطها . . . : علاماتها فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْراطُهَا 47 : 18 . و أزفت :

دنت . و الفرط : الذي يتقدّم الإنسان من أجر و عمل .

و المراد : قربت منكم بمجيء مقدماتها . و اناخ بالمكان :

برك . و الكلكل : الصدر . و المراد داهمتكم بأهوالها و شدائدها ، تشبيها بالجمل الملقي بثقله على الأرض .

[100]

و أخرجتهم من حضنها ، فكانت كيوم مضى ، أو شهر انقضى ، و صار جديدها رثّا و سمينها غثّا [1] ،

في موقف ضنك المقام [2] ، و أمور مشتبهة عظام ، و نار شديد كلبها ، عال لجبها ، ساطع لهبها ، متغيّظ زفيرها ، متأجّج سعيرها ، بعيد خمودها ، ذاك وقودها ، مخيف وعيدها ، غمّ قرارها [3] ، مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ،

فظيعة أمورها وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ

[1] رثّا . . . : باليا . و غثّا : مهزولا .

[2] الضنك . . . : الضيق . و المراد بالمقام : يوم القيامة ، حيث يجتمع الأولون و الآخرون .

[3] كلب الدهر على أهله : اشتدّ . و لجب البحر : اضطرب موجه و متغيّظ : يسمع لها صوت إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظاً وَ زَفِيراً 25 : 12 . و زفرت النار :

سمع لاتقادها صوت . و أجج النار : ألهبها . و السعير :

النار . و ذكت النار : اشتدّ لهبها . و غمّ الشيء : غطّاه .

و قرارها : قعرها . و المراد : هي مطبقة لا يدرك عمقها .

[101]

زُمَراً [1] قد أمن العذاب ، و انقطع العتاب ،

و زحزحوا [2] عن النّار ، و اطمأنّت بهم الدّار ،

و رضوا المثوى و القرار [3] ، الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية ، و أعينهم باكية ، و كان ليلهم في دنياهم نهارا ، تخشّعا و استغفارا ، و كان نهارهم ليلا [4] توحّشا و انقطاعا فجعل اللّه لهم الجنّة مآبا [5] ، و الجزاء ثوابا ، و كانوا أحقّ بها و أهلها [6]

[1] زمرا : فوجا بعد فوج .

[2] زحزحوا : بوعدوا عن النار و نجوا منها فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ 3 : 185 .

[3] المثوى . . . : المقام . و القرار : المقرّ .

[4] كان ليلهم نهارا . . . : في تحركهم و قيامهم لصلاة الليل ،

و قراءة القرآن ، و الاستغفار . و كان نهارهم ليلا : لانقطاعهم عن الناس و عزلتهم .

[5] مآبا : مرجعا يرجعون إليه .

[6] و كانوا أحقّ بها . . . : بالجنّة . و أهلها : من الحور العين .

[102]

في ملك دائم ، و نعيم قائم .

فارعوا عباد اللّه ما برعايته يفوز فائزكم [1] ،

و بإضاعته يخسر مبطلكم ، و بادروا آجالكم بأعمالكم فإنّكم مرتهنون بما أسلفتم ، و مدينون بما قدّمتم ، و كأنّ قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ، و لا عثرة تقالون [2] . استعملنا اللّه و إيّاكم

[1] فارعوا . . . الخ : حافظوا على ما بحفظه تفوزون غدا و تتنعّمون ، و بتركه تخسرون و تعذّبون . و المراد بذلك اتباع أوامر اللّه تعالى ، و الانتهاء عمّا نهى عنه . و بادروا :

أسرعوا . و رهن الشيء : حبسه عنده بدين . و المراد :

لا سبيل الى خلاصكم من العذاب إلاّ بالأعمال الصالحة كُلُّ امرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ 52 : 21 . مدينون :

مجزيّون .

[2] المخوف : الموت . فلا رجعة تنالون : حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ 23 : 100 . و عثر : زلّ و كبا . و أقاله : وافقه على نقض البيع و سامحه . و المراد : عدم قبول المعذرة ، و سدّ باب التوبة .

[103]

بطاعته و طاعة رسوله ، و عفا عنّا و عنكم بفضل رحمته .

إلزموا الأرض و اصبروا على البلاء ، و لا تحرّكوا بأيديكم و سيوفكم في هوى ألسنتكم ، و لا تستعجلوا بما لم يعجّله اللّه لكم [1] ، فإنّه من مات منكم على فراشه و هو على معرفة حقّ ربّه و حقّ رسوله و أهل بيته مات شهيدا ، و وقع أجره على اللّه ، و استوجب ثواب ما نوى من صالح عمله ،

[1] الزموا الأرض . . . الخ : المراد بذلك السكون ، و ترك الحرب ، و الصبر على تحمّل الغصص . في هوى ألسنتكم :

ما تهواه من السباب و الشتم . و لا تستعجلوا بما لم يعجله اللّه لكم : لا تسرعوا بإتيان ما لم يفرض عليكم ، و لم تكلّفوا به .

[104]

و قامت النّيّة مقام إصلاته لسيفه [1] ، و إنّ لكلّ شيء مدّة و أجلا .

[1] و قامت النيّة مقام اصلاته لسيفه : المؤمن الذي وطّن نفسه على حمل السلاح ، و القتال في سبيل اللّه ، ثم اقتضت الحال منه السكون و الدعة ، فقد حصّل بنيّته أجر المجاهدين .

و يقول ابن أبي الحديد : أمر أصحابه أن يتثبّتوا و لا يعجلوا في محاربة من كان مخالفا لهم من ذوي العقائد الفاسدة كالخوارج ، و من كان يبطن هوى معاوية ، و ليس خطابه هذا تثبيطا لهم عن حرب أهل الشام ، كيف و هو لا يزال يقرّعهم و يوبّخهم عن التقاعد و الإبطاء في ذلك ، و لكنّ قوما من خاصّته كانوا يطّلعون على من عند قوم من أهل الكوفة ،

و يعرفون نفاقهم و فسادهم ، و يرومون قتلهم و قتالهم ، فنهاهم عن ذلك ، و كان يخاف فرقة جنده ، و انتشار حبل عسكره ،

فأمرهم بلزوم الأرض ، و الصبر على البلاء .

[105]

محتويات الكتاب

التسلسل الصفحة

173 و من كلام له عليه السلام في معنى الحكمين 5

174 و من خطبة له عليه السلام 6

175 و من كلام له عليه السلام 11

176 و من خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه 13

177 و من كلام له عليه السلام 17

178 و من خطبة له عليه السلام 19

179 و من خطبة له عليه السلام 38

180 و من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي 53

181 و من خطبة له عليه السلام 54

182 و من خطبة له عليه السلام في التوحيد ، و تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها 67

183 و من خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم 85

[106]

184 و من خطبة له عليه السلام 89

185 و من خطبة له عليه السلام 92

186 و من خطبة له عليه السلام 96

الحلقة 19 20

[5]

بسم الله الرحمن الرحيم

(187) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الفاشي في الخلق حمده ، و الغالب جنده ، و المتعالي جدّه [1] أحمده على نعمه التؤام ، و آلائه [2] العظام ، الّذي عظم حلمه فعفا ، و عدل في كلّ ما قضى ، و علم ما يمضي و ما مضى ، مبتدع الخلائق بعلمه ، و منشئهم بحكمه بلا اقتداء و لا تعليم ، و لا احتذاء لمثال صانع حكيم ، و لا إصابة خطإ ، و لا حضرة

[1] المتعالي . . . : جلّ عن كل وصف . و جدّه : جلاله و عظمته وَ اَنَّهُ تَعَالى جدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لاَ وَلَداً 72 : 3 .

[2] التؤام . . . : جمع توءم : الولد المقارن أخاه في بطن واحد . و المراد : بيان كثرة النعم على العباد و ترادفها .

و آلائه : نعمه .

[6]

ملأ [1] . و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ابتعثه و النّاس يضربون في غمرة ، و يموجون في حيرة .

قد قادتهم أزمّة الحين ، و استغلقت على أفئدتهم أقفال الرّين [2] .

[1] احتذاء لمثال . . . : سار على مثاله . و المراد : لم يكن هناك خلق لخالق سبقه فيحذو حذوه في الخلق و الابداع ، بل هو الخالق المصوّر لخلقه . و لا اصابة خطأ : لم يحصل فيما خلقه خطأ فيعود لتلافيه و اصلاحه ، بل هو الخلاّق العليم .

و لا حضره ملأ : الملأ : الجماعة من الناس . و المراد : لم يعاونه أو يشير عليه في خلقه و ابداعه أحد .

[2] يضربون في غمرة . . . : ضرب في الأرض : سار و أبعد .

و الغمرة : الشدّة . و المراد : ما كانوا فيه قبل البعثة من بؤس و مصاعب ، فالأمن مفقود ، و الفقر منتشر ، و الجهل يسود المجتمع . يموجون في حيرة : ماج القوم : اختلفت أمورهم و اضطربت . و المراد : وصف ما كانوا فيه من الاختلاف و الاضطراب . قد قادتهم أزمة الحين : أزمة جمع زمام : ما تقاد به الدابة . و الحين : الهلاك . و المراد :

انجرارهم للهلاك بما يحصل بينهم من حروب و غارات استغلقت أقفال الرين : الرين : الدنس . و المراد : أن دنس الذنوب و آثارها السيئة قد استحكمت عليهم فكانت شبيهة بالأقفال المغلقة .

[7]

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه [1] فإنّها حقّ اللّه عليكم ، و الموجبة على اللّه حقّكم [2] ، و أن تستعينوا عليها باللّه ، و تستعينوا بها على اللّه [3] ، فإنّ التّقوى في اليوم الحرز و الجنّة [4] ، و في غد

[1] أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه : سئل الامام الصادق عليه السلام عن التقوى فقال : ان لا يفقدك اللّه حيث أمرك ، و لا يراك حيث نهاك .

[2] الموجبة على اللّه حقكم : بها تستوجبون جنانه ، و ما أعدّه لأوليائه .

[3] و ان تستعينوا عليها باللّه . . . : تطلبون منه جلّ جلاله أن يوفّقكم لها ، و يعينكم على تحصيلها . و تستعينوا بها على اللّه : في بلوغ رضاه ، و تحصيل ثوابه .

[4] حرز حرازة : امتنع و تحصن . و الجنّة : كل ما وقي من سلاح و غيره . و المراد : بالتقوى يصون المسلم نفسه عمّا يشينها .

[8]

الطّريق إلى الجنّة : مسلكها واضح ، و سالكها رابح ، و مستودعها حافظ [1] ، لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين و الغابرين [2] لحاجتهم إليها غدا إذا أعاد اللّه ما أبدى . و أخذ ما أعطى .

و سأل عمّا أسدى . فما أقلّ من قبلها و حملها حقّ حملها [3] ، أولئك الأقلّون عددا . و هم أهل صفة

[1] مستودعها . . . : المودعة عنده . حافظ : لها ، لا تضيع عنده . و المراد به اللّه جلّ جلاله ، و هي مدخرة عنده يجزيه عنها أحسن الجزاء .

[2] لم تبرح . . . : لم تزل . عارضة نفسها : تدعو الى التمسّك بها ، و ترغّب بالأجر الذي يحصل عليه الملتزمون بها .

الغابرين . الغابر ها هنا الباقي ، و هو من الأضداد ، يستعمل بمعنى الباقي و بمعنى الماضي .

[3] أعاد ما أبدى . . . : أحياهم للحساب . و أسدى : أعطى .

و المراد : حاسبهم على ما أعطاهم ، فسأل كلاّ منهم عن ماله من أين اكتسبه ، و فيما أنفقه . فما أقل من قبلها و حملها حق حملها : المراد : قلّة المتّقين .

[9]

اللّه سبحانه إذ يقول : وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ . فأهطعوا بأسماعكم إليها ، و كظّوا بجدّكم عليها ، و اعتاضوها من كلّ سلف خلفا ،

و من كلّ مخالف موافقا [1] ، أيقظوا بها نومكم ،

و اقطعوا بها يومكم ، و أشعروا بها قلوبكم ،

و ارحضوا بها ذنوبكم . و داووا بها الأسقام ،

و بادروا بها الحمام [2] ، و اعتبروا بمن أضاعها ،

[1] فاهطعوا . . . : اسرعوا . و كظّوا : الزموا الأمر و داوموا عليه .

و الجدّ : الاجتهاد ، و بلوغ الغاية في الاحسان . و اعتاض :

أخذ العوض ، و هو البدل . و سلف : مضى . و خلفا :

عوضا . و المراد : هي العوض النافع عن كل محبوب لنا في الدنيا مضى . و من كل مخالف موافقا : و هي أيضا العوض عن كل مخالف خسرته في سبيل الحق .

[2] أيقظوا بها نومكم . . . : انتبهوا لصلاة الليل . و اقطعوا بها يومكم : اجعلوا جميع تصرفاتكم و معاملاتكم تجري على مجرى التقوى ، فلا كذب ، و لا غشّ ، و لا سرقة . . . الخ .

و الشعار : ما يلي جسد الانسان من الثياب . و المراد :

اجعلوا التقوى شعارا لقلوبكم . و ارحضوا : اغسلوا .

و بادروا : عجّلوا . و الحمام : الموت .

[10]

و لا يعتبرنّ بكم من أطاعها [1] ألا و صونوها و تصوّنوا بها [2] . و كونوا عن الدّنيا نزّاها ، و إلى الآخرة ولاّها [3] ، و لا تضعوا من رفعته التّقوى [4] ، و لا ترفعوا من رفعته الدّنيا ، و لا

[1] و اعتبروا بمن أضاعها . . الخ : خذوا العبر و الدروس بمن مضى منكم مضيّعا للتقوى ، و إيّاكم أن تكونوا المضيّعين لها فيعتبر بكم .

[2] صان الشيء . . . : حفظه في مكان أمين . و المراد المحافظة عليها من عوارض قد تصيب المتقين فتفسد عملهم ، من عجب و غيره . و تصوّنوا بها : تجمّلوا بها عن كل ما يشين المتّقين ، و ينافي كرامتهم ، حتّى في الأمور الغير المحرّمة ، كالاستعانة بمخلوق و طلب معروفه ، الى غير ذلك .

[3] نزاها . . . : النزاهة : البعد عن السوء ، و ترك الشبهات .

و الوله : شدّة الحزن حتّى ذهاب العقل .

[4] و لا تضيّعوا من رفعته التقوى : لا تهملوا المتّقين و الاعتناء بهم ، و الاهتمام بأمرهم

[11]

تشيموا بارقها و لا تسمعوا ناطقها ، و لا تجيبوا ناعقها ، و لا تستضيئوا بإشراقها ، و لا تفتنوا بأعلاقها [1] ، فإنّ برقها خالب و نطقها كاذب ،

و أموالها محروبة ، و أعلاقها [2] مسلوبة ، ألا و هي

[1] و لا تشيموا بارقها . . . : البارق : السحاب . و شام البرق :

اذا نظر إليه انتظارا للمطر . و المراد : لا تنظروا الى أهل الدنيا ، فإنّ نعيمها زائل . و لا تسمعوا ناطقها : هم المحبّون لها ، الراغبون فيها ، المعجبون بها . و لا تجيبوا ناعقها : نعق في الفتنة : رفع فيها صوته . و المراد :

اعرضوا عن الدعاة إليها ، و المقبلين عليها . و لا تستضيئوا بإشراقها . استضاء : استنار . و اشراقها : نورها . و المراد :

عدم البحث عن الطرق المؤدّية للحصول عليها . و لا تفتنوا :

لا تقعوا في الإثم . باعلاقها : جمع علق : الشيء النفيس . و المراد : لا تفتنكم بنفائسها و زخرفها ، فان ذلك الى الزوال .

[2] برقها . . . : سحابها . و خالب : خادع ليس فيه مطر . و نطقها كاذب : ان دواعي الرغبة فيها ، و الحرص عليها كاذبة ،

لمجانبتها الواقع . و أموالها محروبة : منهوبة ، فهي ان سلمت من المعتدين و السراق ، فلا بدّ من تركها يوما ما لآخرين . و اعلاقها : نفائسها . . .

[12]

المتصدّية العنون ، و الجامحة الحرون ، و المائنة الخؤون ، و الجحود الكنود ، و العنود الصّدود ،

و الحيود الميود [1] : حالها انتقال ، و وطأتها زلزال [2] ، و عزّها ذلّ ، و جدّها هزل ، و علوها

[1] العنون . . . : الدابة المتقدمة في السير . و الجامحة : هي التي تغلب الفارس فلا يملكها . و الحرون : التي اذا اشتدّ بها السوق وقفت . و المائنة : الكاذبة . و الخؤون : الخائنة .

و الجحود : الناكر للنعم . و الكنود : الكفور للنعمة إنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودُ 100 : 6 . و الصدود : المعرضة عمّن طلبها . و حاد عن الشيء : مال عنه . و ماد الشيء :

تحرّك و اضطرب . و المراد : وصف تبدل حالاتها و اضطرابها .

[2] وطأتها زلزال . . . : وطأ الشيء : داسه . و الزلزلة : شدّة الاضطراب . و المراد : اضطراب حال أهلها . و علوها سفل : إن الحصول على الرتب الرفيعة فيها موجب لتأخر المنزلة في الدار الآخرة .

[13]

سفل ، دار حرب و سلب و نهب و عطب [1] ، أهلها على ساق و سياق [2] ، و لحاق و فراق ، قد تحيّرت مذاهبها ، و أعجزت مهاربها [3] . و خابت مطالبها ،

فأسلمتهم المعاقل ، و لفظتهم المنازل ، و أعيتهم

[1] دار حرب و سلب . . . : أهلها دائما في حرب و سلب ، و حتى في القرن العشرين ، و المدنيّة و الحضارة في أوج عظمتها ،

تجد مصداق كلام الامام عليه السلام ، فالحروب قائمة ،

و الدول الكبرى تسلب و تنهب خيرات الدول الضعيفة .

و العطب : الهلاك .

[2] أهلها على ساق و سياق . . . : السوق : الشدّة . و السياق :

نزع الروح . و المراد : يكابد أهلها الشدائد مع انّهم مساقون الى الدار الآخرة . و لحاق و فراق : يلحقون بالأموات ،

و يفارقون الأحياء .

[3] قد تحيّرت مذاهبها . . . : تحيّر أهلها في الاهتداء الى خيرها ، و اجتناب شرّها . و اعجزت مهاربها : موضع الهرب و النجاة منها . و المراد : لا مهرب منها .

[14]

المحاول [1] فمن ناج معقور ، و لحم مجزور ،

و شلو مذبوح ، و دم مسفوح ، و عاضّ على يديه ، و صافق بكفّيه ، و مرتفق بخدّيه ، و زار على رأيه ، و راجع عن عزمه [2] ، و قد أدبرت الحيلة ،

[1] فأسلمتهم المعاقل جمع معقل : الحصن . و المراد : لم تحميهم حصونهم عن الموت . و لفظتهم المنازل : أخرجتهم الى القبور . و أعيتهم المحاول : أعيا عليه الأمر : أعجزه ،

فلم يهتد لوجه الحيلة فيه . و المحاول جمع محاولة : و هي الحيلة . و المراد : لم يهتدوا السبيل الى المخرج من مآزقها .

[2] فمن ناج معقور . . . : مجروح . وصف الأحياء بمن شهد حربا فنجا من القتل بعد ما جرح . و المراد بالجراح مصائب الدنيا و أحزانها . و لحم مجزور : جزر الشيء :

قطّعه . و المراد : وصف لمن قتل منهم و تقطّعت أوصاله ، أو صار جزرا للسباع . و شلو مذبوح : الشلو : العضو . و يقول الشارح البحراني : و أراد ذي شلو مذبوح ، أي قد صار بعد الذبح أشلاء . و دم مسفوح : مسفوك . و عاض على يديه :

ندما . و صافق بكفّيه : حزنا و أسفا . و مرتفق بخدّيه : مستند على مرفقيه ، قد وضع كفّيه تحت خدّيه ، متأسف حزين .

و زار على رأيه : عائب على نفسه و ما كانت عليه من رأي و عمل . و راجع عن عزمه : عن قصده .

[15]

و أقبلت الغيلة [1] و لات حين مناص [2] ، هيهات

[1] قد أدبرت الحيلة . . . : لا سبيل الى تدارك ذلك . و أقبلت الغيلة : الشر .

[2] و لات حين مناص : المناص : المهرب . و المراد : ليس الوقت وقت مزار .

تنبيه هذه الخطبة و غيرها كثير من كلام الامام عليه السلام في ذمّ الدنيا ، و الانصراف عنها ، و ليس الغرض من ذلك ترك العمل ، و الانقطاع عن التجارة و الزراعة و غيرها ، بل الغرض عدم التوجّه الكلّي الى الدنيا ، و السعي المجد في حصولها لأن ذلك مشغلا عن الآخرة ، مفوّتا لتحصيلها ، و سمع بعض الأثرياء يتكلّم في نومه قائلا : كيف صار موضوع الذهب ؟

و بعد برهة قال : القمح حتى الآن ما وصل . . إلخ فكلّمه فاذا هو يغطّ في نومه ، فعرف ان هذا الرجل لانغماسه في الدنيا فهو حينما ينام ينشغل عقله الباطني بها . فهذا الذي يأباه الامام عليه السلام و يحذّر منه .

[16]

هيهات قد فات ما فات ، و ذهب ما ذهب ،

و مضت الدّنيا لحال بالها فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ .

(188) و من خطبة له عليه السلام تسمّى القاصعة [1]

و هي تتضمّن ذمّ إبليس (لعنه اللّه) على استكباره و تركه السجود لآدم عليه السلام و أنّه أوّل

[1] قصعه قصعا : صغّره و حقّره . و المراد : أنّها في تحقير إبليس و المتكبّرين . و السبب في هذه الخطبة أن أهل الكوفة فسدت أخلاقهم في آخر خلافة الإمام عليه السلام ، فكان الرجل منهم يمرّ في غير قبيلته فيستصرخ بقبيلته ، فمثلا : يكون من بكر بن وائل ، و يمرّ بمذحج فيصيح : يا آل بكر بن وائل قاصدا الفتنة فيجتمع عليه المذحجيون فيضربونه ، فيأتي قبيلته يستصرخهم ، فتجيش الفتنة ، و تشهر السيوف بلا سبب ، و هكذا .

[17]

من أظهر العصبية و تبع الحمية ، و تحذير الناس من سلوك طريقته .

الحمد للّه الّذي لبس العزّ و الكبرياء ،

و اختارهما لنفسه دون خلقه ، و جعلهما حمى و حرما على غيره [1] ، و اصطفاهما لجلاله ، و جعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده . ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين ، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب ، و محجوبات الغيوب : إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ

[1] حمى و حرما على غيره : الحمى : موضع فيه كلأ ، يحمى من الناس أن يرعى . و حرم فلانا الشيء حرمانا : منعه إياه . و المراد : أن ذلك مختصّ به جلّ جلاله ، لا يسمح به لأحد من خلقه .

[18]

أَجْمَعُونَ إلاّ إبْلِيسَ اعترضته الحميّة [1] فافتخر على آدم بخلقه ، و تعصّب عليه لأصله ، فعدوّ اللَّه إمام المتعصّبين ، و سلف المستكبرين ، الّذي وضع أساس العصبيّة ، و نازع اللَّه رداء الجبريّة وادّرع [2] لباس التّعزّز ، و خلع قناع التّذلّل [3] .

ألا ترون كيف صغّره اللَّه بتكبّره ؟ و وضعه اللَّه بترفّعه ؟ فجعله في الدّنيا مدحورا [4] ، و أعدّ له في

[1] الحمية : الأنفة و الغضب .

[2] الامام . . . : الذي يأتمّ به الناس فيتبعونه . و المراد : هو المنشأ لرذيلة العصبية و الافتخار بالأصل الذي نعاني منها اليوم . و السلف : المتقدّم .

[3] رداء الجبرية . . . : التجبّر (الكبرياء) و ادرع : لبس الدرع . لباس التعزز : العزّة و الجلال . و القناع : ما تغطّي به المرأة رأسها . و المراد : أن عدوّ اللَّه تعدّى طوره ، و ادعى ما ليس له ، و ترك ما أمر به .

[4] مدحورا : مطرودا مبعّدا قَالَ اخْرُج مِنْهَا مَذْؤُماً مَدحُوراً 7 : 18 .

[19]

الآخرة سعيرا .

و لو أراد اللَّه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ، و يبهر العقول رواؤه ، و طيب يأخذ الأنفاس عرفه [1] لفعل ، و لو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة ، و لخفّت البلوى فيه على الملائكة ، و لكنّ اللَّه سبحانه ابتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزا بالإختبار لهم ،

و نفيا للإستكبار عنهم ، و إبعادا للخيلاء [2] منهم .

فاعتبروا بما كان من فعل اللَّه بإبليس إذ

[1] الرواء . . . : حسن المنظر . و العرف : الرائحة الطيبة .

و المراد : لو أن اللَّه تعالى خلق آدم عليه السلام من نور باهر ، و منظر خلاّب يبهر العقول ، و روائح ذكيّة ، لخفّ التكليف على المكلفين بالسجود لما يرون من عظمته و بهائه ، و لكن اللَّه تعالى يختبر عباده تمييزا للمطيع من العاصي .

[2] الخيلاء : الكبرياء .

[20]

أحبط [1] عمله الطّويل ، و جهده الجهيد ، و كان قد عبد اللَّه ستّة آلاف سنة لا يدري أمن سنيّ الدّنيا أم سنيّ الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد إبليس يسلم على اللَّه بمثل معصيته [2] ؟ كلاّ ما كان اللَّه سبحانه ليدخل الجنّة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا ، إنّ حكمه في أهل السّماء و أهل الأرض لواحد ، و ما بين اللَّه و بين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى [3] حرّمه على العالمين .

[1] حبط عمله : ذهب ثوابه .

[2] فمن ذا بعد إبليس يسلّم على اللَّه بمثل معصيته : ان إبليس و منزلته الرفيعة في العالم العلوي ، و عبادته ستّة آلاف سنة ،

هوى الى الحضيض لتكبّره ، فهل يستطيع متكبر بعد هذا النجاة من سخط اللَّه و عذابه .

[3] الهوادة . . . : اللين و الرفق . و المباح : خلاف المحذور ،

أي فيه الرخصة ، و الحمى : مرّ معناه . و المراد : لا يمكن أن يسمح اللَّه لعبد بعمل و قد حرّمه على الناس .

[21]

فاحذروا عدوّ اللَّه أن يعديكم بدائه ،

و أن يستفزّكم بندائه ، و أن يجلب عليكم بخيله و رجله [1] ، فلعمري [2] لقد فوّق لكم سهم الوعيد ، و أغرق لكم بالنّزع الشّديد [3] ، و رماكم من مكان قريب ، و قال : رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ قذفا

[1] يعديكم بدائه . . . : تصيبكم منه العدوى ، و ينتقل إليكم مرض الكبرياء ، و ان يستفزكم بندائه : يستزلّكم و يستخفّكم بوسوسته . و يجلب عليكم بخيله و رجله : يجمع عليكم ما قدر عليه من مكائده و اتباعه و ذريته وَ استَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ اجْلِب عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ 17 : 64 .

[2] فلعمري : قسم .

[3] فوّق لكم سهم الوعيد . . . : فوّق السهم : جعل له فوقا ،

و هو موضع الوتر منه . و المراد : تهيّأ و استعد ، و أعدّ ما يلزمه لغوايتكم . و أغرق القوس نزعا : مدّها في نزعها لتكون سهامه أشدّ وقعا .

[22]

بغيب بعيد ، و رجما بظنّ مصيب ، صدّقه به أبناء الحميّة ، و إخوان العصبيّة [1] ، و فرسان الكبر و الجاهليّة . حتّى إذا انقادت له الجامحة منكم ،

و استحكمت الطّماعية منه فيكم [2] ، فنجمت الحال من السّرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ [3]

[1] صدّقه به أبناء الحمية . . . الخ : استجاب لندائه أهل الأنفة و العصبية و الكبرياء ، فكانوا عند حسن ظنّه بهم ، و طمعه فيهم .

[2] انقادت له الجامحة منكم . . . : جمح الفرس : عصا أمر صاحبه حتى غلبه . و المراد : تمكّن حتى من القوم الذين كانوا بعيدين منه . و استحكمت الطماعية منه فيكم :

استحكم الشيء : توثق و صار محكما . و الطمع : الرغبة في الشيء . و المراد : حققتم له آماله فيكم ، و طمعه في إغوائكم وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِم إبلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ 34 :

. 20

[3] فنجمت الحال . . . : ظهرت . من السر الخفيّ الى الأمر الجليّ : تدرّج بهم في الاغواء من الوسوسة حتى خرج بهم الى حيّز العمل ، و من التفكير في الجريمة الى تنفيذها .

[23]

استفحل سلطانه عليكم ، و دلف بجنوده نحوكم [1] ، فأقحموكم و لجات الذّلّ ، و أحلّوكم و رطات القتل ، و أوطأوكم إثخان الجراحة [2] :

طعنا في عيونكم ، و حزّا في حلوقكم ، و دقّا لمناخركم ، و قصدا لمقاتلكم [3] ، و سوقا بخزائم القهر إلى النّار [4] المعدّة لكم ، فأصبح أعظم في

[1] استفحل سلطانه . . . : قوي و اشتدّ . و دلف بجنوده : تقدّم بهم .

[2] فاقحموكم . . . : ادخلوكم قهرا . و لجات الذلّ جمع ولجة : كهف يحتمى به من المطر و شبهه . و احلوكم :

أنزلوكم . و ورطات الهلكة : القتل . و أوطأوكم أثخان الجراحة : وطىء الشيء : داسه . و أثخن في الأمر : بالغ فيه . و المراد : بمساعي الشيطان حصل لكم ذلك .

[3] طعنا في عيونكم . . . : و هو أشدّ الطعن . و حزّا في حلوقكم : قطعا . و المراد به القتل . و دقّا لمناخركم :

لأنوفكم . و قصدا لمقاتلكم : قاصدين لقتلكم .

[4] و سوقا بخزائم القهر الى النار : جمع خزامة : حلقة من شعر توضع في أنف البعير يشدّ فيها الزمام . و المراد : ساقوكم أذلاّء الى النار .

[24]

دينكم جرحا ، و أورى في دنياكم قدحا ، من الّذين أصبحتم لهم مناصبين ، و عليهم متألّبين [1] فاجعلوا عليه حدّكم ، و له جدّكم [2] فلعمر اللّه لقد فخر على أصلكم ، و وقع في حسبكم ، و دفع في نسبكم ، و أجلب بخيله عليكم ، و قصد برجله

[1] فأصبح أعظم في دينكم جرحا . . . : ما أصبتم به في دينكم أعظم مما أصبتم به من القتل و الجراحة . و أورى في دنياكم قدحا : أورى النار : أوقدها و اشعلها . و ناصبه العداوة :

أظهرها له . و متألبين : مجتمعين . و المراد : ان هذا العدوّ اللدود الذي أفسد دينكم و دنياكم هو أولى بالعداوة و المقاطعة من اخوانكم الذين ناصبتموه العداء .

[2] فاجعلوا عليه حدّكم . . . : شدّتكم . و المراد : توجّهوا لهذا العدوّ اللدود بكلّ قواكم . و له جدّكم : اجتهدوا في دفعه و ابعاده عنكم .

[25]

سبيلكم [1] : يقتنصونكم بكلّ مكان ، و يضربون منكم كلّ بنان [2] لا تمتنعون بحيلة ، و لا تدفعون بعزيمة [3] في حومة ذلّ [4] و حلقة ضيق ،

و عرصة موت ، و جولة بلاء . فأطفئوا ما كمن في

[1] وقع في حسبكم . . . : وقع فيه : سبّه و عابه . و الحسب :

ما يعدّه المرء من مناقبه و شرف آبائه . و دفع في نسبكم :

و المراد : امتناعه عن السجود لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ 15 : 33 . و اجلب بخيله . . الخ : المراد بهم جنوده و أعوانه من شياطين الجنّ و الإنس ، و دعاة الضلالة . و سبيلكم : طريقكم . و المراد :

طريق الحقّ و السلامة و النجاة . قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُستَقِيمَ 7 : 16 .

[2] يقتنصونكم . . . : يتصيّدونكم . و البنان : اطراف الأصابع .

[3] بعزيمة : هي إرادة الفعل ، و القطع عليه ، و الجدّ في الأمر .

و المراد : ادفعوا إبليس بقوّة و جدّ .

[4] حومة ذلّ : الحومة من القتال : أشدّ موضع فيه ، و من البحر : معظمه .

[26]

قلوبكم من نيران العصبيّة ، و أحقاد الجاهليّة فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشّيطان و نخواته ، و نزغاته و نفثاته [1] و اعتمدوا وضع التّذلّل على رؤوسكم ، و إلقاء التّعزّز تحت أقدامكم ، و خلع التّكبّر من أعناقكم ، و اتّخذوا التّواضع مسلحة [2] بينكم و بين عدوّكم : إبليس و جنوده ، فإنّ له من كلّ أمّة جنودا و أعوانا ، و رجلا و فرسانا . و لا تكونوا كالمتكبّر على ابن أمّه [3] من

[1] خطرات الشيطان . . . : وساوسه . و نخواته : افتخاره و تعظمه : و نفثاته : هو ما يلقيه في قلب الإنسان ، و يوقعه في باله مما يصطاده به .

[2] المسلحة : خيل و رجال معدّة على الحدود للطوارىء .

و المراد : ادفعوا ابليس و أعوانه بالتواضع ، كما تدفع المسالح جنود العدو .

[3] و لا تكونوا كالمتكبّر على ابن امّه . . الخ : المراد به قابيل الذي قتل أخاه هابيل حسدا و تكبّرا على الإذعان بالحقّ .

[27]

غير ما فضل جعله اللّه فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد ، و قدحت الحميّة في قلبه من نار الغضب ، و نفخ الشّيطان في أنفه من ريح الكبر الّذي أعقبه اللّه به النّدامة ، و ألزمه آثام القاتلين [1] إلى يوم القيامة .

ألا و قد أمعنتم في البغي [2] ، و أفسدتم في الأرض ، مصارحة للّه بالمناصبة [3] ، و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة فاللّه اللّه في كبر الحميّة ،

[1] عاقبة كل شيء : آخره . و ألزمه آثام القاتلين : لأنّه سنّ سنّة ضلال ، و من سنّ سنّة هدى فله أجرها و أجر من عمل بها الى يوم القيامة ، من دون أن ينقص من أجرهم ، و من سنّ سنّة ضلال فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة ،

من دون أن ينقص من أوزارهم .

[2] أمعن فلان في الأمر : جدّ . و البغي : الظلم .

[3] مصارحة للّه بالمناصبة : صارح بما في نفسه : بيّنه و أظهره . و ناصبه : نصب له حربا شنّها عليه .

[28]

و فخر الجاهليّة فإنّه ملاقح الشّنآن [1] ، و منافخ الشّيطان ، الّتي خدع بها الأمم الماضية ،

و القرون الخالية ، حتّى أعنقوا في حنادس جهالته و مهاوي ضلالته ، ذللا على سياقه ، سلسا في قياده [2] ، أمرا تشابهت القلوب فيه ، و تتابعت القرون عليه ، و كبرا تضايقت الصّدور به .

ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم و كبرائكم

[1] ملاقح جمع لقاح : ماء الفحل ، و ما يلقح به الشجر و النبات . و الشنآن : العداوة و البغضاء . و المراد : أن الكبر و الفخر و الحميّة يولّد البغضاء ، و سبيل الشيطان في التسلّط على الانسان .

[2] أعنقوا في حنادس جهالته . . . : أعنق الجمل : مدّ عنقه و أوسع خطوته . و حنادس جمع حندس : الليل المظلم .

و مهاوي جمع مهوى : ما بين الجبلين و نحو ذلك . ذللا على سياقه : أذلاء منقادين له . سلسا في قياده : سهل عليه انقيادهم . و المراد : ما زال بهم الشيطان حتى أدخلهم سراعا الى ظلمة الباطل ، و مهوى عميق يصعب الخروج منه .

[29]

الّذين تكبّروا عن حسبهم ، و ترفّعوا فوق نسبهم ،

و ألقوا الهجينة على ربّهم [1] ، و جاحدوا اللّه على ما صنع بهم ، مكابرة لقضائه ، و مغالبة لآلائه [2] فإنّهم قواعد أساس العصبيّة ، و دعائم أركان الفتنة ، و سيوف اعتزاء الجاهليّة ، فاتّقوا اللّه و لا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ، و لا لفضله عندكم حسّادا [3] و لا تطيعوا الأدعياء الّذين

[1] الهجينة : العيب و القبيح . و المراد : انّهم في تفاخرهم و تكبّرهم ، و ذمّهم لغيرهم بأن يقولوا : أنا عربي ، و أنت أعجمي علما أن ليس للإنسان في ذلك صنع . فكأنّهم بذلك ألقوا بهذا العيب على الخالق جلّ جلاله .

[2] مكابرة . . . : مجاحدة و مغالبة لما قضى به . و لآلائه :

لنعمه .

[3] اعتزاء الجاهلية . . . : هو نداؤهم : يا لفلان ، فوصف استصراخهم لقبائلهم بما كان يفعله أهل الجاهلية في تهييج الفتن . و لا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا : لا تقابلوا النعم بالجحود فتنفر عنكم ، فبالشكر تدوم النعم . و لا لفضله حسّادا : انّكم تقومون بدور الحاسد في إزالة النعم .

[30]

شربتم بصفوكم كدرهم [1] ، و خلطتم بصحّتكم مرضهم و أدخلتم في حقّكم باطلهم و هم أساس الفسوق ، و أحلاس العقوق [2] اتّخذهم إبليس مطايا ضلال ، و جندا بهم يصول على النّاس ،

و تراجمة ينطق على ألسنتهم استراقا لعقولكم ،

و دخولا في عيونكم ، و نفثا في أسماعكم [3]

[1] و لا تطيعوا الأدعياء : المنتسبين لغير آبائهم . شربتم بصفوكم كدرهم : الصفو : خالص الشراب . و كدر الماء : صار غير صافي . و المراد : مزجتم إيمانكم الخالص بنفاقهم .

[2] أحلاس . . . : جمع حلس : كساء رقيق يلازم ظهر البعير ،

فقيل لكلّ ملازم لأمر : هو حلس كذا . وعق أباه : استخفّ به و عصاه ، و رحمه قطعها .

[3] استراقا لعقولكم . . . : كمن هو يسرق مستخفيا . و دخولا في عيونكم : مزيّنا لهم المحرمات . و نفثا في أسماعكم :

النفث : النفخ . و المراد بذلك الوساوس ، و الإيحاء بالباطل قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ 7 : 17 .

[31]

فجعلكم مرمى نبله ، و موطىء قدمه [1] ، و مأخذ يده . فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس اللَّه و صولاته ، و وقائعه و مثلاته [2] ، و اتّعظوا بمثاوي خدودهم ، و مصارع جنوبهم [3] . و استعيذوا باللَّه من لواقح الكبر كما تستعيذون به من طوارق الدّهر [4] فلو رخّص اللَّه

[1] فجعلكم مرمى نبله . . . : هدفا لنباله . و موطىء قدمه :

المراد : وصف تمكّنه الكلي منهم .

[2] فاعتبروا . . . : خذو العبرة و الموعظة بما حلّ بمن كان قبلكم . البأس : العذاب الشديد جَاءَهُم بَأْسُنَا 6 :

43 . و الصولة : السطوة في الحرب و نحوها . و الوقعة :

النازلة الشديدة . و المثلات : العقوبات .

[3] ثوى بالمكان : أقام و استقر . و صرعه : طرحه على الأرض . و جنب الانسان : شقّه .

[4] استعيذوا باللَّه . . . : اطلبوا منه أن يعينكم و يجنّبكم . من لواقح الكبر : أسبابه و دواعيه . و طوارق الدهر جمع طارق : الآتي ليلا . و المراد بذلك : نكبات الدهر التي تأتي على غفلة .

في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه و أوليائه ، و لكنّه سبحانه كرّه إليهم التّكابر ،

و رضي لهم التّواضع ، فألصقوا بالأرض خدودهم ، و عفّروا في التّراب وجوههم ، و خفضوا أجنحتهم [1] للمؤمنين ، و كانوا أقواما مستضعفين و قد اختبرهم اللَّه بالمخمصة ، و ابتلاهم بالمجهدة ،

و امتحنهم بالمخاوف ، و مخضهم بالمكاره [2] ،

[1] العفر . . . : التراب . و عفّروا في التراب وجوههم : مرّغوها به . و خفضوا أجنحتهم : المراد : وصف ما كانوا فيه من تواضع ، و لين الجانب ، تشبيها بالطائر إذا أراد أن ينزل كسر جناحه و خفضه وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَة 17 : 24 .

[2] المخمصة . . . : الجوع . و المجهدة : المشقّة . و مخض اللبن : حرّكه ليخرج زبده . و المكاره : المشاق . و المراد :

وصف ما تعرّضوا له من الشدّة و العسر .

فلا تعتبروا الرّضا و السّخط بالمال و الولد جهلا بمواقع الفتنة ، و الإختبار في مواضع الغنى و الإقتدار [1] ، و قد قال سبحانه و تعالى أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ، بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ فإنّ اللَّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم ، بأوليائه المستضعفين في أعينهم [2] .

[1] فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد . . . : ليست كثرة المال و الأولاد دليلا على رضاء اللَّه تعالى ، و لا حرمانهما دليلا على غضبه . جهلا بمواقع الفتنة و الاختبار في مواضع الغنى و الإقتار : الاقتار : الفقر . و المراد : أن الغنى و الفقر و الأولاد ، و جميع ما في الحياة من حسن و سيّىء ، جعله اللَّه جلّ جلاله اختبارا و امتحانا لعباده .

[2] يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم : و هو كما مرّ اختبار للمتكبّر بإغداق النعم ليتبيّن شكره من كفره ، و ابتلاء للولي ليتبيّن صبره ، و ترتفع درجته .

و لقد دخل موسى بن عمران و معه أخوه هارون ، عليهما السّلام ، على فرعون و عليهما مدارع [1] الصّوف ، و بأيديهما العصيّ ، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ، و دوام عزّه فقال : « ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر و الذّلّ ، فهلاّ ألقي عليهما أساور [2] من ذهب ؟ » إعظاما للذّهب و جمعه ، و احتقارا للصّوف و لبسه . و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز

[1] مدارع جمع مدرعة : ثوب من صوف .

[2] أساور جمع سوار : حلية من الذهب مستديرة كالحلقة تلبس في اليد .

الذّهبان ، و معادن العقيان ، و مغارس الجنان [1] ،

و أن يحشر معهم طير السّماء ، و وحوش الأرض لفعل و لو فعل لسقط البلاء ، و بطل الجزاء [2] ،

و اضمحلّت الأنباء ، و لما وجب للقابلين أجور المبتلين ، و لا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين ، و لا لزمت الأسماء معانيها [3] و لكنّ

[1] الذهبان جمع ذهب . و العقيان : الذهب الخالص .

و مغارس الجنان : الحدائق و البساتين .

[2] و لو فعل ذلك لسقط البلاء . . . : زالت الشدائد التي يعانيها الأنبياء عليهم السلام و المؤمنون من الجبابرة الطغاة ، و بطل الجزاء : الأجر الذي يحصل لهم جزاء و عوضا عمّا أصابهم .

و اضمحلّت الأنباء : أخبار الأنبياء و ما في حياتهم من مواعظ و عبر ، و دروس مستفادة من سيرتهم الغرّاء .

[3] و لا لزمت الأسماء معانيها : لو نظرت الى كتب الأخلاق و السلوك وجدت فهرسا مطوّلا لأبوابها : الإسلام ، الإيمان ،

الصبر ، الشكر ، الرضا ، الجهاد ، الى عشرات الأسماء ،

و لو لم يبعث اللّه سبحانه الأنبياء عليهم السلام بالكيفية التي بعثهم بها ، و بجعلهم تارة غالبين ، و أخرى مغلوبين ،

لبطلت هذه المسميات كلها .

اللّه سبحانه جعل رسله أولي قوّة في عزائمهم و ضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم ، مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنى ، و خصاصة تملأ الأبصار و الأسماع أذى [1] .

و لو كانت الأنبياء أهل قوّة لا ترام ، و عزّة لا تضام ، و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرّجال ، و تشدّ إليه عقد الرّحال [2] لكان ذلك أهون على

[1] العزم . . . : الصبر و الجدّ . مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنى : يعيشون بقناعة تامة ، بحيث لا تميل قلوبهم و لا عيونهم الى شيء من زخارف الدنيا و بهجتها . و خصاصة :

جوع . تملأ الأبصار و الأسماع أذى : بيان وصف ما كانوا فيه من جوع كان تأثيره على الحواس واضحا .

[2] لا ترام . . . : لا تطلب . و لا تضام : لا يصيبهم ظلم .

و المراد : لو كانوا أهل قوّة لا يمكن أن تدحر . و ملك تمد نحوه أعناق الرجال . . الخ : أهل دنيا عريضة يقصدون لغناهم .

[37]

الخلق في الإعتبار ، و أبعد لهم في الإستكبار [1] ،

و لآمنوا عن رهبة قاهرة لهم ، أو رغبة مائلة [2] بهم ، فكانت النيّات مشتركة ، و الحسنات مقتسمة [3] ، و لكنّ اللَّه سبحانه أراد أن يكون الإتّباع لرسله ، و التّصديق بكتبه ، و الخشوع

[1] لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار . . . : لكانوا أسرع استجابة لهم . و أبعد لهم من الاستكبار عليهم ،

و مخالفتهم .

[2] و لآمنوا عن رهبة قاهرة لهم . . . : لدخلوا في دينهم خوفا من بطشهم . أو رغبة مائلة بهم : بأمل الحصول على دنياهم .

[3] فكانت النيّات مشتركة . . . : تكون الدوافع حينئذ منقسمة من الخوف من بأسهم ، و الحصول على دنياهم ، و الإيمان بربّهم ، بينما المطلوب من المسلم أن يكون إيمانه من أجل اللَّه وحده . و الحسنات مقتسمة : حسب الدوافع .

[38]

لوجهه ، و الإستكانة [1] لأمره ، و الإستسلام لطاعته أمورا له خاصّة لا يشوبها [2] من غيرها شائبة و كلّما كانت البلوى و الإختبار أعظم ، كانت المثوبة و الجزاء أجزل .

ألا ترون أنّ اللَّه سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم ، صلوات اللَّه عليه ، إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار [3] لا تضرّ و لا تنفع ، و لا تسمع و لا تبصر . فجعلها بيته الحرام الّذي جعله للنّاس قياما [4] ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض

[1] الاستكانة : الخضوع و الذلّ .

[2] يشوبها : يخالطها .

[3] بأحجار : هي الكعبة المعظّمة .

[4] جعله للناس قياما : مقيما لدينهم يطوفون به ، و يتوجّهون إليه في صلاتهم و ذبائحهم ، و مقيما لدنياهم لما يحصل لهم من الأمن و السلامة ببركته ، فكانوا لا يتعرضون عنده حتى لقاتل آبائهم و أبنائهم ، و أيضا فهو أعظم سوق لهم يتبادلون فيه تجاراتهم .

[39]

حجرا ، و أقلّ نتائق الأرض مدرا [1] . و أضيق بطون الأودية قطرا : بين جبال خشنة ، و رمال دمثة ، و عيون وشلة [2] ، و قرى منقطعة ، لا يزكو بها خفّ ، و لا حافر و لا ظلف [3] . ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه [4] ، فصار مثابة

[1] النتائق . . . : البقاع المرتفعة . و المدر : قطع الطين اليابس .

[2] دمثة . . . : لا تصلح للنبات و الرعي . و عيون وشلة : قليلة المياه .

[3] لا تزكو . . . : لا تنمو لقلة التغذية ، و عدم صلاح التربة .

خف : كالابل . و لا حافر : كالخيل . و لا ظلف : كالبقر و الغنم .

[4] يثنوا . . . : يميلوا . و عطف : مال و انحنى . و المراد :

يتوجّهون إليه بالحجّ و الصلاة .

[40]

لمنتجع [1] أسفارهم ، و غاية لملقى رحالهم .

تهوي إليه ثمار الأفئدة [2] من مفاوز قفار سحيقة .

و مهاوي فجاج عميقة [3] ، و جزائر بحار منقطعة ،

حتّى يهزّوا مناكبهم ذللا [4] يهلّلون للّه حوله ،

و يرملون على أقدامهم شعثا غبرا [5] له ، قد نبذوا

[1] مثابة . . . : مرجعا . و المنجع : الموضع الذي يقصد لما فيه من كلأ و ماء .

[2] تهوي إليه ثمار الأفئدة : تتوجّه إليه القلوب قبل الابدان فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ 14 : 37 .

[3] مفاوز جمع مفازة : الموضع المهلك . و قفار : أرض لا نبات فيها و لا ماء . و سحيقة : بعيدة . و مهاوي جمع مهوى : ما بين جبلين و نحوه . و فجاج : الطريق الواسع البعيد مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ 22 : 27 .

[4] يهزّوا مناكبهم ذللا : وصف لطوافهم حوله .

[5] يهلّلون . . . : يرفعون أصواتهم بالتهليل (لا إله إلاّ اللّه) يرمّلون : يهرولون . شعثا : قد تغيّر شعرهم و تلبّد . غبرا :

علاهم الغبار .

[41]

السّرابيل وراء ظهورهم ، و شوّهوا بإعفاء الشّعور محاسن خلقهم [1] ، ابتلاء عظيما ، و امتحانا شديدا ، و اختبارا مبينا ، و تمحيصا بليغا [2] ،

جعله اللّه سببا لرحمته ، و وصلة إلى جنّته [3] . و لو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ، و مشاعره العظام [4] ، بين جنّات و أنهار ، و سهل و قرار [5] ،

[1] قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم . . . : خلعوا ملابسهم و لبسوا ثوبي الإحرام . و شوّهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم : تركوا شعرهم بدون قصّ و ادهان لأن المحرم لا يجوز له قصّ شعره و لا تمشيطه و ادهانه .

[2] اختبارا مبينا . . . : امتحانا بيّنا . و تمحيصا بليغا : ابتلاء منه سبحانه لهم ، و تكفيرا لذنوبهم وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا و يَمحَقَ الْكَافِرِينَ 3 : 141 .

[3] وصلة الى جنّته : سببا للوصول الى الجنّة .

[4] مشاعره العظام : مواضع أعمال الحج .

[5] السهل . . . : الأرض المنبسطة . وقرّ بالمكان قرارا : سكن و اطمأنّ .

[42]

جمّ الأشجار [1] ، داني الثّمار ، ملتفّ البنى ،

متّصل القوى ، بين برّة سمراء ، و روضة خضراء ، و أرياف محدقة ، و عراص مغدقة ،

و رياض ناضرة [2] ، و طرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء [3] ، و لو كان الإساس المحمول عليها ، و الأحجار المرفوع بها بين زمرّدة خضراء ، و ياقوتة حمراء [4] ، و نور

[1] جمّ الأشجار : كثيرها .

[2] البرّة . . . : الحنطة . و السمراء : الجيّد منها . و الروضة الخضراء : البستان . و أرياف جمع ريف : أرض فيها زرع و خصب . و غدقت الأرض غدقا : كان فيها الماء . و رياض ناضرة : بساتين زاهرة .

[3] صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء : يكون الأجر قليلا لقلّة الأتعاب ، فان الأجر على قدر المشقّة .

[4] الأساس المحمول عليها . . . : أصل البناء . و الزمرد و الياقوت : أحجار كريمة يتزيّن بها .

و ضياء لخفّف ذلك مسارعة الشّكّ في الصّدور ، و لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ،

و لنفى معتلج الرّيب [1] من النّاس ، و لكنّ اللَّه يختبر عباده بأنواع الشّدائد ، و يتعبّدهم بأنواع المجاهد ، و يبتليهم بضروب المكاره ، إخراجا للتّكبّر من قلوبهم ، و إسكانا للتّذلّل في نفوسهم ، و ليجعل ذلك أبوابا فتحا إلى فضله ،

و أسبابا ذللا لعفوه [2] .

[1] لخفف ذلك مسارعة الشكّ في الصدور . . . : لامتنع تسرّب الشكوك الى النفس . و لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب :

لو كان البيت المعظّم من الأحجار الكريمة لكانت النفوس أدعى الى تعظيمه . و لنفى معتلج الريب من الناس : علج :

اضطرب . و الريب : الظنّ و الشكّ . و المراد : لزالت الشكوك من الناس ، و لم تعان من الشيطان ما عانته .

[2] ذللا لعفوه : ان هذا التشديد في المحنة سبب للحصول على علوّ المنزلة ، و سمّو المرتبة .

فاللَّه اللَّه في عاجل البغي ، و آجل و خامة الظّلم ، و سوء عاقبة [1] الكبر فإنّها مصيدة إبليس العظمى ، و مكيدته الكبرى ، الّتي تساور قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة ، فما تكدي أبدا ، و لا تشوي أحدا [2] : لا عالما لعلمه ، و لا مقلاّ في طمره [3] ، و عن ذلك ما حرس اللَّه عباده المؤمنين بالصّلوات [4] و الزّكوات ، و مجاهدة

[1] البغي . . . : الظلم . و الآجل : المؤخّر . و خمّ الأمر : ثقل و صار رديئا . و العاقبة : مصير كل شيء .

[2] تساور . . . : تواثب . و المراد : ان الكبر في مغالبة و مصاولة مع القوى العقلية ، و يحاول من طريق و آخر ان يدخل النفوس . و تشبه قوّة تأثيره في النفوس بالسموم القاتلة . ما تكدي : ما ترد عن تأثيرها و لا تشوي أحدا : لا تخطىء المقتل .

[3] الطمر : الثوب الخلق .

[4] و عن ذلك ما حرس اللَّه عباده المؤمنين بالصلوات . . . الخ :

ان هذه العبادة جعلها اللّه سبحانه حراسة للمسلم تمنع عنه الكبرياء . و جاء في خطبة الزهراء عليها السلام : و جعل الصلاة تنزيها لكم عن الكبر .

[45]

الصّيام في الأيّام المفروضات ، تسكينا لأطرافهم [1] ، و تخشيعا لأبصارهم ، و تذليلا لنفوسهم ، و تخفيضا لقلوبهم ، و إذهابا للخيلاء [2] عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتّراب تواضعا ، و التصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغرا ، و لحوق البطون بالمتون [3] من

[1] تسكينا . . . : خضوعا و ذلاّ . و الأطراف : الأعضاء و الجوارح .

[2] الخيلاء : الكبرياء و العجب .

[3] العفر . . . : التراب . و عفّر جوارحه : مرّغها بالتراب .

و المراد بذلك السجود على الأرض . و عتاق جمع عتيقة :

كرائم الوجوه . و كرائم الجوارح : الأعضاء التي تلامس الأرض حال السجود ، و هي الجبهة و الكفّان و الركبتان و ابهاما الرجلين . و لحوق البطن بالمتون : وصف لما يعتريه من هزال بسبب الجوع .

[46]

الصّيام تذلّلا ، مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض ، و غير ذلك إلى أهل المسكنة [1] و الفقر . انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر و قدع طوالع الكبر [2] .

و لقد نظرت فما وجدت أحدا من العالمين يتعصّب لشيء من الأشياء إلاّ عن علّة تحتمل تمويه الجهلاء ، أو حجّة تليط [3] بعقول

[1] المسكنة : الفقر و الضعف .

[2] قمع . . . : تغيّب و دخل وراء ستر . نجم الشيء : طلع و ظهر . و قذع عن الشيء : كفّه و منعه . و طوالع الكبر :

بواديه و آثاره .

[3] التمويه . . . : التلبيس . و الحجّة : الدليل و البرهان .

و تليط : تلتصق . و المراد : أن المتعصبين من غيركم لهم وجهة نظر و ان كانت تافهة ، أما أنتم فتتعصّبون بدون سبب و لا موجب . و هذا النمط من الكلام أدعى لقبول النصيحة و الرجوع الى طريق الاستقامة .

[47]

السّفهاء غيركم فإنّكم تتعصّبون لأمر لا يعرف له سبب و لا علّة ، أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله ، و طعن عليه في خلقته ، فقال : (أنا ناريّ و أنت طينيّ) و أمّا الأغنياء من مترفة الأمم [1] فتعصّبوا لآثار مواقع النّعم فقالوا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَ أَوْلاَداً ، وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ .

فإن كان لا بدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ، و محامد الأفعال ، و محاسن الأمور الّتي تفاضلت فيها المجداء و النّجداء [2] من بيوتات العرب ، و يعاسيب القبائل [3] بالأخلاق

[1] مترفة الأمم : المتنعمين منهم .

[2] المجداء جمع مجيد : الكريم الشريف الفعال . و النجداء جمع نجيد : الشجاع .

[3] يعاسيب جمع يعسوب : أمير النحل و ذكرها . و المراد :

رؤساء القبائل و سادتها .

[48]

الرّغيبة ، و الأحلام العظيمة ، و الأخطار الجليلة [1] ، و الآثار المحمودة . فتعصّبوا لخلال [2] الحمد : من الحفظ للجوار ، و الوفاء بالذّمام ، و الطّاعة للبرّ ، و المعصية للكبر ،

و الأخذ بالفضل ، و الكفّ عن البغي ، و الإعظام للقتل ، و الإنصاف للخلق ، و الكظم للغيظ [3] ،

و اجتناب الفساد في الأرض .

[1] الأخلاق الرغيبة . . . : التي رغّب فيها الإسلام ، و حثّ المسلمين عليها ، و سيأتي ذكرها . و الأحلام : العقول .

و الأخطار الجليلة : المنازل الرفيعة .

[2] خلال : خصال .

[3] الوفاء بالذمام . . . : الوفاء بالعهد . الطاعة للبر : اسم جامع للخير كلّه . و المراد : الانقياد و العمل بجميع أفعال الخير .

الكظم للغيظ : الكاظم : الممسك على ما في نفسه عند الغضب . و الغيظ : أشدّ الغضب و الكَاظِمِينَ الغَيظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ 3 : 134 .

[49]

و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات [1] بسوء الأفعال ، و ذميم الأعمال ، فتذكّروا في الخير و الشّرّ أحوالهم [2] ، و احذروا أن تكونوا أمثالهم .

فإذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم ، فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم ، و زاحت الأعداء له عنهم ، و مدّت العافية فيه عليهم ، و انقادت النّعمة

[1] و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم . . . : قال تعالى : وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرت مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَم تُسكَن مِنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قَلِيلاً وَ كُنَّا نَحْنُ الوارِثِينَ 28 : 58 . المثلات :

العقوبات .

[2] فتذكروا في الخير و الشر أحوالهم : اختلافها . و على سبيل المثال : قوم لوط عليه السلام و ما كانوا عليه من الطاعة و السعادة الدنيوية ، و بعد المعصية خسروا دنياهم و آخرتهم و ذلك هو الخسران المبين .

[50]

له معهم ، و وصلت الكرامة عليه حبلهم [1] : من الإجتناب للفرقة ، و اللّزوم للألفة ، و التّحاضّ عليها [2] ، و التّواصي بها ، و اجتنبوا كلّ أمر كسر فقرتهم ، و أوهن منّتهم [3] : من تضاغن القلوب ،

[1] فاذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم . . . : في الخير و الشرّ . فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم : أدّى بهم الى عزّ الطاعة ،

و البعد عن المعصية . و زاحت الأعداء له عنهم : بعدت عنهم و في الحديث القدسي : إذا عصاني من يعرفني ،

سلّطت عليه من لا يعرفني . و مدت العافية فيه عليهم : قال الطريحي : العافية دفع اللَّه الانتقام و البلايا عن العبد .

و انقادت النعمة له معهم : وافتهم لأجل ذلك النعم لإقبالهم على الطاعة . و وصلت الكرامة عليهم حبلهم : شملتهم الكرامة .

[2] من الاجتناب للفرقة . . . : غير متفرقين ، و لا متقاطعين .

و اللزوم للإلفة : كانوا متآلفين متحابين . و التحاضّ عليها :

الحثّ عليها .

[3] كسر فقرتهم . . . : ظهورهم . و أوهن : أضعف . و منّتهم :

قوتهم .

[51]

و تشاحن الصّدور ، و تدابر النّفوس ، و تخاذل الأيدي [1] ، و تدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم : كيف كانوا في حال التّمحيص [2] و البلاء ؟ ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء ، و أجهد العباد بلاء ، و أضيق أهل الدّنيا حالا [3] ؟ اتّخذتهم الفراعنة عبيدا ، فساموهم سوء العذاب ،

و جرّعوهم المرار [4] ، فلم تبرح الحال بهم في ذلّ

[1] تضاغن القلوب . . . : بالحقد . و تشاحن الصدور :

بالتباغض . و تدابر النفوس : تقاطعها . و تخاذل الأيدي : عن نصرة بعضهم البعض ، و الدفع عن المظلومين . و المراد : ان هذه الرذائل كانت السبب لضعفهم و انكسارهم .

[2] التمحيص : الاختبار .

[3] العبء . . . : الثقل من أي شيء كان . و جهده الأمر : بلغ منه المشقّة . و أضيق أهل الدنيا حالا : أكثرهم فقرا .

[4] ساموهم سوء العذاب . . . : ألزموهم أسوأ العذاب و أشدّه وَ إِذْ نَجَّيناكُم مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ . . 2 : 49 . و جرعوهم المرار : الجرعة من الماء و نحوه حسوة ملء الفم . و جرعوهم : أي مرة بعد أخرى . و المرار : شجر شديد المرارة . و المراد : وصف طول مكثهم في البلاء .

[52]

الهلكة [1] ، و قهر الغلبة : لا يجدون حيلة في امتناع ، و لا سبيلا إلى دفاع ، حتّى إذا رأى اللَّه جدّ الصّبر منهم على الأذى في محبّته ، و الاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجا : فأبدلهم العزّ مكان الذّلّ ، و الأمن مكان الخوف ، فصاروا ملوكا حكّاما ، و أئمّة أعلاما ،

و قد بلغت الكرامة من اللَّه لهم ما لم تبلغ الآمال إليه بهم [2] .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء

[1] فلم تبرح الحال بهم في ذلّ الهلكة : لم يزالوا أذلاّء .

[2] ما لم تبلغ الآمال إليه بهم : وصلوا بعد جهد البلاء الى حال من العزّة و الكرامة لم تبلغه آمالهم ، و لا يحلمون بمثله .

[53]

مجتمعة ، و الأهواء متّفقة ، و القلوب معتدلة ،

و الأيدي مترادفة ، و السّيوف متناصرة ، و البصائر نافذة ، و العزائم [1] واجدة ألم يكونوا أربابا [2] في أقطار الأرضين ، و ملوكا على رقاب العالمين ؟ ؟

فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم ، حين وقعت الفرقة ، و تشتّتت الألفة ، و اختلفت الكلمة و الأفئدة ، و تشعّبوا مختلفين ، و تفرّقوا متحاربين [3] ، قد خلع اللّه عنهم لباس كرامته ،

[1] الاملاء جمع ملأ : جماعة القوم . و الأهواء جمع هوى : ميل النفس الى الشيء . و القلوب معتدلة : مستقيمة . و الأيدي مترادفة : متعاضدة متعاونة . و البصائر : العقول . و العزائم جمع عزيمة : إرادة الشيء و عقد النيّة عليه .

[2] أربابا : ملوكا . و المراد : باتصافهم بما مرّ ، جعلهم اللّه سبحانه ملوكا في الأرض .

[3] متحاربين : أحزابا .

[54]

و سلبهم غضارة نعمته [1] ، و بقي قصص أخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين [2] منكم .

و اعتبروا بحال ولد إسماعيل و بني إسحاق و بني إسرائيل عليهم السّلام فما أشدّ اعتدال الأحوال ، و أقرب اشتباه الأمثال [3] تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم و تفرّقهم ،

ليالي كانت الأكاسرة و القياصرة [4] أربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق ، و بحر العراق ،

[1] غضارة نعمته : طيّبها .

[2] عبر للمعتبرين : تأخذون من قصصهم الدروس و العبر و المواعظ .

[3] فما أشد اعتدال الأحوال . . . : شابهت حالكم حالهم .

و أقرب اشتباه الأمثال : الصفات . و المراد : شابهتموهم في الأحوال و الصفات ، و لزمكم أخذ العبرة من حياتهم .

[4] الأكاسرة . . . ملوك الفرس . و القياصرة : ملوك الروم .

[55]

و خضرة الدّنيا ، إلى منابت الشّيح ، و مهافي الرّيح ، و نكد [1] المعاش ، فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر و وبر [2] أذلّ الأمم دارا ،

و أجدبهم قرارا [3] ، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها [4] و لا إلى ظلّ ألفة يعتمدون على

[1] يحتازونهم . . . : يبعدونهم . و الريف : الأرض ذات الخصب و الزرع . و بحر العراق : دجلة و الفرات . و خضرة الدنيا : البساتين و الأراضي الزراعية . و الشيح : نبت سهل ترعاه الماشية . و مهافي الريح : محلّ هبوبها ، و هي الصحاري . و النكد : القليل العسر .

[2] عالة . . . : فقراء . و الدبر : الجرح في ظهر البعير .

و الوبر : الذي يكسو جلده . و المراد : انّهم أصحاب مواشي رحّل .

[3] جدب المكان : يبس لاحتباس الماء عنه . وقرّ بالمكان قرارا : سكن و اطمأنّ .

[4] لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها : ليس لهم من يحتمون به ، و يلوذون بجنابه ، و لا من يجمع شملهم .

[56]

عزّها ، فالأحوال مضطربة ، و الأيدي مختلفة ،

و الكثرة متفرّقة [1] . في بلاء أزل ، و أطباق جهل ، من بنات موءودة ، و أصنام معبودة ،

و أرحام مقطوعة ، و غارات مشنونة [2] .

فانظروا إلى مواقع نعم اللَّه عليهم ، حين بعث إليهم رسولا ، فعقد بملّته طاعتهم [3] ،

و جمع على دعوته ألفتهم ، كيف نشرت النّعمة عليهم جناح كرامتها ، و أسالت لهم جداول

[1] و الكثرة متفرّقة : هم مع كثرتهم متفرّقون .

[2] الأزل . . . : الضيق و الشدّة . و الموؤدة : البنت التي تدفن حيّة وَ إِذَا المَوْءودَة سُئِلَت . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت 81 : 9 .

و شنّ الغارة على عدوّه : أغار عليهم من كلّ ناحية .

[3] فعقد بملّته طاعتهم : عقد لفلان على البلد : ولاّه عليه .

و المراد : أنّ اللَّه سبحانه جعل طاعتهم لمحمد صلّى اللَّه عليه و آله بعد أن كانوا شيعا متفرقين ، و أحزابا متشتتين .

[57]

نعيمها ، و التفّت الملّة بهم في عوائد بركتها [1] ،

فأصبحوا في نعمتها غرقين ، و في خضرة عيشها فكهين [2] ؟ قد تربّعت الأمور بهم ، في ظلّ سلطان قاهر ، و آوتهم الحال إلى كنف عزّ غالب ،

و تعطّفت الأمور عليهم في ذرى [3] ملك ثابت ،

فهم حكّام على العالمين ، و ملوك في أطراف الأرضين : يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم [4] ، و يمضون الأحكام فيمن كان يمضيها

[1] التفت الملّة بهم في عوائد بركتها : تكاثفت عليهم عوائد الإسلام و بركاته ، ففازوا به دنيا و آخرة .

[2] و في خضرة عيشها فكهين : وصف ما صاروا اليه من نعيم الدنيا ، و رغيد العيش و سعته .

[3] قد تربّعت الأمور بهم . . . : استقامت به أمورهم . و كنف :

جانب . و تعطّفت الأمور : مالت أمورهم الى الرخاء و السعادة .

و ذرى الشيء : أعلاه .

[4] يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم : صاروا حاكمين على من كان يحكمهم و يذلهم .

[58]

فيهم ، لا تغمز لهم قناة ، و لا تقرع لهم صفاة [1] ألا و إنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة و ثلمتم حصن اللَّه [2] المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة ، و إنّ اللَّه سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة [3] : الّتي ينتقلون في ظلّها ، و يأوون

[1] غمزها . . . : كبسها بيده ليختبر صلاحها ، و هل تحتاج الى تقويم . و القناة : الرمح . و قرع الشيء قرعا : ضربه .

و الصفاة : الحجر الأملس . و المراد : وصف قوتهم و عزّتهم ، و عدم تمكّن العدوّ منهم .

[2] ثلمتم حصن اللَّه : ثلمتم : كسرتم . و الحصن : الموضع المنيع . و المراد : خرجتم عن حدود الإسلام و تعاليمه المفروضة عليكم الى عادات الجاهلية و حروبها .

[3] فان اللَّه سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الإلفة : يشير عليه السلام الى الآية الكريمة وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ . فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً 3 : 103 و انها لمن أعظم نعمة على المسلمين ، فبها ظهرت قوّتهم ، و قهروا أعداءهم .

[59]

إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنّها أرجح من كلّ ثمن ، و أجلّ من كلّ خطر [1] .

و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعرابا ،

و بعد الموالاة أحزابا [2] ، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه ، و لا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه

[1] الخطر : المثيل في الشرف و الرفعة . و المراد : أن نعمة الإلفة لا مثيل لها و لا نظير .

[2] بعد الهجرة اعرابا . . . : بينما أنتم في عداد المهاجرين علما و دينا و فهما صرتم في عداد الأعراب الذين لا يعرفون من الدين إلاّ اسمه ، و لم يغيّر شيئا من عاداتهم . و بعد الموالاة أحزابا : بعد الأخوّة و الإلفة متفرّقين متشتّتين .

[60]

تقولون « النّار و لا العار » ، كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتهاكا لحريمه ، و نقضا لميثاقه [1] الّذي وضعه اللَّه لكم حرما في أرضه ،

و أمنا بين خلقه [2] ، و إنّكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ، ثمّ لا جبرائيل [3] و لا ميكائيل و لا مهاجرون و لا أنصار ينصرونكم ، إلاّ المقارعة

[1] تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه . . . : كفأ الاناء :

قلبه و ذهب ماؤه . و المراد : ان أفعالكم تشويه لمعالم الإسلام ، و خروج منه . انتهاكا لحريمه : انتهك الشيء :

أذهب حرمته . و الحريم : ما حرّم فلا ينتهك . و نقضا لميثاقه : نقض الشيء نقضا : أفسده بعد إحكامه . و ميثاقه عهوده و حدوده .

[2] حرما في أرضه . . . : يحتمون به من كل سوء . و أمنا بين خلقه : أمانا و حرزا لهم من الأعداء .

[3] ان لجأتم الى غيره . . . : إذا تخلّيتم عنه ملتجئين الى حميّتكم و نخوتكم . لا جبرئيل . . الخ : انقطع عنكم العون الإلهي الذي انتصر به المسلمون في بدر و غيرها .

و المقارعة : المضاربة .

[61]

بالسّيف حتّى يحكم اللّه بينكم .

و انّ عندكم الأمثال من بأس اللّه و قوارعه ،

و أيّامه و وقائعه [1] ، فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه ، و تهاونا ببطشه ، و يأسا من بأسه [2] ، فإنّ اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر [3] ، فلعن اللّه السّفهاء لركوب المعاصي ،

[1] بأس اللّه . . . : عذابه . و قوارعه : دواهيه . و أيامه : عقوباته التي نزلت بمن مضى في الأيّام الخالية وَ ذكِّرهُم بأَيَّامِ اللَّهِ 14 : 5 . وقائعه جمع واقعة : النازلة من مصائب الدهر الشديدة .

[2] بطشه . . . : اخذه بالعذاب الجبابرة و الظالمين و الطغاة بأليم العذاب إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد 85 : 12 . و بأسه : عذابه وَ لاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَومِ المُجْرِمِينَ 12 : 110 .

[3] لعن القرون . . . : أبعدهم عن رحمته و فيوضاته . و الأمر بالمعروف : الأمر بكل عمل حسن . و النهي عن المنكر :

النهي عن كل عمل قبيح لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ 5 : 79 .

[62]

و الحلماء لترك التّناهي [1] .

ألا و قد قطعتم قيد الإسلام [2] ، و عطّلتم حدوده ، و أمتّم أحكامه ، ألا و قد أمرني اللّه بقتال أهل البغي و النّكث ، و الفساد في الأرض : فأمّا النّاكثون فقد قاتلت ، و أمّا القاسطون فقد جاهدت ، و أمّا المارقة فقد دوّخت [3] ، و أمّا شيطان

[1] فلعن اللّه السفهاء . . . : الجهلة . و الحلماء : ذوي العقول . لترك التناهي : لتركهم هذه الفريضة .

[2] قطعتم قيد الإسلام : ما ألزمكم به من أحكام و تعاليم .

[3] أهل البغي . . . : الظلم . و نكث البيعة : نبذها .

و المراد : الذين حاربوه في البصرة بعد بيعتهم .

و القاسطون : العادلون عن الحقّ . و هم معاوية و لفيفه .

و مرق من الدين : خرج منه . و المراد بهم أهل النهروان .

و دوخت : أذللته و أخضعته .

[63]

الرَّدهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ،

و رجّة صدره [1] ، و بقيت بقيّة من أهل البغي ،

و لئن أذن اللّه في الكرّة عليهم لأديلنّ منهم ، إلاّ ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّرا [2] .

[1] و أما شيطان الردهة فقد كفيته . . . : قال ابن الأثير : الردهة :

النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ، و في حديث عليّ عليه السلام أنّه ذكر ذا الثدية فقال : شيطان الردهة ا ه . و أيضا يسمى بالمخدّج ، و هو حرقوص بن زهير ، رئيس الخوارج .

و هو الذي استخبرت عنه عائشة من مسروق ، فأخبرها بقتله ،

و سألها عمّا سمعت من النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فيهم ،

فقالت : سمعته يقول : انّهم شرّ الخلق و الخليقة ، يقتلهم خير الخلق و الخليقة ، و أقربهم عند اللّه وسيلة . و الصفعة :

غشية من صيحة و نحوها . وجبة قلبه : اضطرابه . و رجّة صدره : ارتعاده .

[2] بقية من أهل البغي . . . : معاوية و أصحابه . و الكرّة :

الرجعة لاذيلنّ منهم : أقهرهم و أغلبهم . و يتشذّر : يتمزّق و يتبدد .

أنا وضعت في الصّغر بكلاكل العرب ،

و كسرت نواجم القرون [1] ربيعة و مضر ، و قد علمتم موضعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرابة القريبة ، و المنزلة الخصيصة ،

وضعني في حجره و أنا ولد يضمّني إلى صدره ،

و يكنفني في فراشه ، و يمسّني جسده ، و يشمّني عرفه [2] ، و كان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه ، و ما وجد لي كذبة في قول ، و لا خطلة [3] في فعل ، و لقد قرن اللّه به ، صلّى اللّه عليه و آله ، من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به

[1] كلاكل جمع كلكل : الصدر . و المراد به صدور أهل الجاهلية و أكابرها . نجم الشيء : طلع و ظهر . و المراد بالقرون رؤساء المشركين و شجعانهم لأنّهم مركز القوّة و السطوة .

[2] يكنفني . . . : يجعلني بجنبه . يشمني عرفه : رائحته .

[3] خطلة : خطأ .

طريق المكارم ، و محاسن أخلاق العالم ، ليله و نهاره ، و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل [1] أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما [2] ،

و يأمرني بالإقتداء به ، و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحرّاء [3] ، فأراه و لا يراه غيري ، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و خديجة ، و أنا ثالثهما ، أرى نور الوحي و الرّسالة ، و أشمّ ريح النّبوّة .

و لقد سمعت رنّة الشّيطان [4] حين نزل الوحي

[1] الفصيل : ولد الناقة .

[2] يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما : العلم : الراية .

و المراد : أتعلم في كل يوم منه خلقا ، و أهتدي الى فضيلة ،

كالعلم الذي يستهدى به .

[3] يجاور . . . : كان قبل البعثة يقيم في حراء للعبادة في كل شهر رمضان يمرّ عليه . و حراء : جبل قريب من مكّة .

[4] رنّة الشيطان : صوته .

عليه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فقلت : يا رسول اللّه ، ما هذه الرّنّة ؟ فقال : « هذا الشّيطان أيس من عبادته ، إنّك تسمع ما أسمع ، و ترى ما أرى ، إلاّ أنّك لست بنبيّ ، و لكنّك وزير [1] ،

و إنّك لعلى خير » . و لقد كنت معه ، صلّى اللّه عليه و آله ، لمّا أتاه الملأ [2] من قريش ، فقالوا له : يا محمّد ، إنّك قد ادّعيت عظيما لم يدّعه آباؤك و لا أحد من بيتك ، و نحن نسألك أمرا إن أنت أجبتنا إليه و أريتناه علمنا أنّك نبيّ و رسول ،

و إن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب . فقال

[1] وزير الملك : الذي يحمل ثقله ، و يعينه برأيه . و يدعم هذا ما رواه الخاص و العام (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى) تشبيها بمنزلة هارون عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم : وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي 20 : 30 .

[2] الملأ : الاشراف .

صلّى اللّه عليه و آله : و ما تسألون ؟ قالوا : تدعو لنا هذه الشّجرة حتّى تنقلع بعروقها و تقف بين يديك . فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم : إنّ اللّه على كلّ شيء قدير ، فإن فعل اللّه لكم ذلك أ تؤمنون و تشهدون بالحقّ ؟ قالوا : نعم ، قال :

فإنّي سأريكم ما تطلبون ، و إنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير ، و إنّ فيكم من يطرح في القليب ، و من يحزّب الأحزاب [1] ، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله : يا أيّتها الشّجرة ، إن كنت تؤمنين باللّه و اليوم الآخر و تعلمين أنّي رسول اللّه فانقلعي

[1] لا تفيئون الى خير . . . : لا ترجعون . و القليب : البئر .

و المراد به قليب بدر الذي طرح به قتلى المشركين . و تحزّب القوم : تعاونوا عليه . و الحزب : كل طائفة جمعها الإتجاه الى غرض واحد . و يحزّب الأحزاب : هو أبو سفيان ، فقد جاء بقريش و غطفان و كنانة و بني سليم و بقية العرب ، بل و حتى اليهود لإجتياح الاسلام في معركة الخندق .

بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن اللّه . و الّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها و جاءت و لها دويّ شديد ، و قصف [1] كقصف أجنحة الطّير ، حتّى وقفت بين يديّ رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، مرفرفة ، و ألقت بغصنها الأعلى على رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و ببعض أغصانها على منكبي و كنت عن يمينه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّا و استكبارا : فمرها فليأتك نصفها و يبقى نصفها ، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشدّه دويّا ، فكادت تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فقالوا كفرا و عتوّا [2] :

[1] قصف الرعد : إشتد صوته .

[2] عتّوا : إستكبارا و تجاوزا للحق

[69]

فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان ،

فأمره ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فرجع فقلت أنا : لا إله إلاّ اللّه ، فإنّي أوّل مؤمن بك يا رسول اللّه ، و أوّل من أقرّ بأنّ الشّجرة فعلت ما فعلت بأمر اللّه تعالى تصديقا بنبوّتك و إجلالا لكلمتك ،

فقال القوم كلّهم : بل ساحر كذّاب عجيب السّحر خفيف فيه ، و هل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا ؟ (يعنونني) و إنّي لمن قوم لا تأخذهم في اللّه لومة لائم [1] : سيماهم [2] سيما الصّدّيقين ،

[1] لامه على كذا لوما : عذله : و المراد : انا معشر صدق لا نتأثر في مسيرتنا نحو اللّه تعالى ، و ما يقرّبنا إليه ، و يرفع درجتنا عنده ، بلوم اللائمين و عتابهم ، بل نمضي قدما .

[2] سيماهم . . . : علامتهم . و الصديقين جمع صدّيق :

المصدّق بكل ما أمر به اللّه ، و أمر به الرسل ، لا يدخله في ذلك شك . و الأبرار جمع بر : المطيع للّه ، المحسن في أفعاله .

[70]

و كلامهم كلام الأبرار ، عمّار اللّيل و منار النّهار [1] ، متمسّكون بحبل القرآن [2] ، يحيون سنن اللّه و سنن رسوله [3] ، لا يستكبرون و لا يعلون و لا يغلّون [4] ، و لا يفسدون : قلوبهم في الجنان ،

[1] عمّار الليل . . . . بالصلاة و الدعاء و الإستغفار . روى الطبرسي عن ابن عباس في قوله تعالى : و طائفَةٌ مِنَ الّذَينَ معك قال : علي و أبو ذر . و المنار : العلائم التي يهتدي بها في البر و البحر : و المراد : نحن الهداة للخلق ، و المرشدون لهم .

[2] متمسكون . . . : معتصمون . بحبل القرآن : إستعار له الحبل من جهة أن التمسك به سبب للنجاة من الردى ، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من الردى .

[3] سنن اللّه . . . : شرائعه و أحكامه . و سنن رسوله : ما صدر عنه من قول و فعل .

[4] و لا يغلون : لا يحقدون وَ نزعنا مَا في صُدُورِهم مِن غِلّ 7 : 43 تنبيه و هذه الخطبة هي أطول خطب النهج ، و هي كما قرأنها في التحذير من الشيطان و سبله ، و قد تتصور أن الشيطان قوة قاهرة لا يمكن الخلاص منها ، و فخ مرصود لا يمكن تجنبه ،

و الأمر خلاف ذلك ، و اللّه سبحانه أعدل من أن يجعل عدوا بهذه الكيفية ثم يؤاخذ خلقه بأعمالهم .

إن الشيطان بمنزلة صديق السوء ، فهو يحبذ لك الفساد و عمل الشر ، لكنه لا يستطيع إجبارك عليه أبدا ، بل ورد عن الصادقين صلوات اللّه عليهم : إطرد الخبيث فانه لا يعود .

و المراد : أن الشيطان إذا حبذ لك لعب القمار و لو بقرش واحد و إستجبت لرغبته ، فقد سجلك في دفتر زبائنه ،

و يصعب حينئذ الإفلات من قبضته ، أما إذا لم تستجب له في المرة الأولى ، فانه لا يعود إليك ، و معنا في ذلك القرآن الكريم إن عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانُ 15 : 42 .

و قوله تعالى : إنَّه لَيسَ لَهُ سُلطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 16 : 99 .

[71]

و أجسادهم في العمل [1] .

[1] قلوبهم في الجنان . . . : تعلّقا بها ، و اعراضا عن الدنيا و ما فيها . و أجسادهم في العمل : بالطاعات

[72]

(188) و من خطبة له عليه السلام تسمّى القاصعة [1]

و هي تتضمّن ذمّ إبليس (لعنه اللّه) على استكباره و تركه السجود لآدم عليه السلام و أنّه أوّل

[1] قصعه قصعا : صغّره و حقّره . و المراد : أنّها في تحقير إبليس و المتكبّرين . و السبب في هذه الخطبة أن أهل الكوفة فسدت أخلاقهم في آخر خلافة الإمام عليه السلام ، فكان الرجل منهم يمرّ في غير قبيلته فيستصرخ بقبيلته ، فمثلا : يكون من بكر بن وائل ، و يمرّ بمذحج فيصيح : يا آل بكر بن وائل قاصدا الفتنة فيجتمع عليه المذحجيون فيضربونه ، فيأتي قبيلته يستصرخهم ، فتجيش الفتنة ، و تشهر السيوف بلا سبب ، و هكذا .

[17]

من أظهر العصبية و تبع الحمية ، و تحذير الناس من سلوك طريقته .

الحمد للّه الّذي لبس العزّ و الكبرياء ،

و اختارهما لنفسه دون خلقه ، و جعلهما حمى و حرما على غيره [1] ، و اصطفاهما لجلاله ، و جعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده . ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين ، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب ، و محجوبات الغيوب : إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ

[1] حمى و حرما على غيره : الحمى : موضع فيه كلأ ، يحمى من الناس أن يرعى . و حرم فلانا الشيء حرمانا : منعه إياه . و المراد : أن ذلك مختصّ به جلّ جلاله ، لا يسمح به لأحد من خلقه .

[18]

أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ اعترضته الحميّة [1] فافتخر على آدم بخلقه ، و تعصّب عليه لأصله ، فعدوّ اللّه إمام المتعصّبين ، و سلف المستكبرين ، الّذي وضع أساس العصبيّة ، و نازع اللّه رداء الجبريّة وادّرع [2] لباس التّعزّز ، و خلع قناع التّذلّل [3] .

ألا ترون كيف صغّره اللّه بتكبّره ؟ و وضعه اللّه بترفّعه ؟ فجعله في الدّنيا مدحورا [4] ، و أعدّ له في

[1] الحمية : الأنفة و الغضب .

[2] الامام . . . : الذي يأتمّ به الناس فيتبعونه . و المراد : هو المنشأ لرذيلة العصبية و الافتخار بالأصل الذي نعاني منها اليوم . و السلف : المتقدّم .

[3] رداء الجبرية . . . : التجبّر (الكبرياء) و ادرع : لبس الدرع . لباس التعزز : العزّة و الجلال . و القناع : ما تغطّي به المرأة رأسها . و المراد : أن عدوّ اللّه تعدّى طوره ، و ادعى ما ليس له ، و ترك ما أمر به .

[4] مدحورا : مطرودا مبعّدا قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُماً مَدحُوراً 7 : 18 .

الآخرة سعيرا .

و لو أراد اللَّه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ، و يبهر العقول رواؤه ، و طيب يأخذ الأنفاس عرفه [1] لفعل ، و لو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة ، و لخفّت البلوى فيه على الملائكة ، و لكنّ اللَّه سبحانه ابتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزا بالإختبار لهم ،

و نفيا للإستكبار عنهم ، و إبعادا للخيلاء [2] منهم .

فاعتبروا بما كان من فعل اللَّه بإبليس إذ

[1] الرواء . . . : حسن المنظر . و العرف : الرائحة الطيبة .

و المراد : لو أن اللَّه تعالى خلق آدم عليه السلام من نور باهر ، و منظر خلاّب يبهر العقول ، و روائح ذكيّة ، لخفّ التكليف على المكلفين بالسجود لما يرون من عظمته و بهائه ، و لكن اللَّه تعالى يختبر عباده تمييزا للمطيع من العاصي .

[2] الخيلاء : الكبرياء .

أحبط [1] عمله الطّويل ، و جهده الجهيد ، و كان قد عبد اللَّه ستّة آلاف سنة لا يدري أمن سنيّ الدّنيا أم سنيّ الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد إبليس يسلم على اللَّه بمثل معصيته [2] ؟ كلاّ ما كان اللَّه سبحانه ليدخل الجنّة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا ، إنّ حكمه في أهل السّماء و أهل الأرض لواحد ، و ما بين اللَّه و بين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى [3] حرّمه على العالمين .

[1] حبط عمله : ذهب ثوابه .

[2] فمن ذا بعد إبليس يسلّم على اللَّه بمثل معصيته : ان إبليس و منزلته الرفيعة في العالم العلوي ، و عبادته ستّة آلاف سنة ،

هوى الى الحضيض لتكبّره ، فهل يستطيع متكبر بعد هذا النجاة من سخط اللَّه و عذابه .

[3] الهوادة . . . : اللين و الرفق . و المباح : خلاف المحذور ،

أي فيه الرخصة ، و الحمى : مرّ معناه . و المراد : لا يمكن أن يسمح اللَّه لعبد بعمل و قد حرّمه على الناس .

فاحذروا عدوّ اللَّه أن يعديكم بدائه ،

و أن يستفزّكم بندائه ، و أن يجلب عليكم بخيله و رجله [1] ، فلعمري [2] لقد فوّق لكم سهم الوعيد ، و أغرق لكم بالنّزع الشّديد [3] ، و رماكم من مكان قريب ، و قال : رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ قذفا

[1] يعديكم بدائه . . . : تصيبكم منه العدوى ، و ينتقل إليكم مرض الكبرياء ، و ان يستفزكم بندائه : يستزلّكم و يستخفّكم بوسوسته . و يجلب عليكم بخيله و رجله : يجمع عليكم ما قدر عليه من مكائده و اتباعه و ذريته وَ استَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ اجْلِب عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ 17 : 64 .

[2] فلعمري : قسم .

[3] فوّق لكم سهم الوعيد . . . : فوّق السهم : جعل له فوقا ،

و هو موضع الوتر منه . و المراد : تهيّأ و استعد ، و أعدّ ما يلزمه لغوايتكم . و أغرق القوس نزعا : مدّها في نزعها لتكون سهامه أشدّ وقعا .

[22]

بغيب بعيد ، و رجما بظنّ مصيب ، صدّقه به أبناء الحميّة ، و إخوان العصبيّة [1] ، و فرسان الكبر و الجاهليّة . حتّى إذا انقادت له الجامحة منكم ،

و استحكمت الطّماعية منه فيكم [2] ، فنجمت الحال من السّرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ [3]

[1] صدّقه به أبناء الحمية . . . الخ : استجاب لندائه أهل الأنفة و العصبية و الكبرياء ، فكانوا عند حسن ظنّه بهم ، و طمعه فيهم .

[2] انقادت له الجامحة منكم . . . : جمح الفرس : عصا أمر صاحبه حتى غلبه . و المراد : تمكّن حتى من القوم الذين كانوا بعيدين منه . و استحكمت الطماعية منه فيكم :

استحكم الشيء : توثق و صار محكما . و الطمع : الرغبة في الشيء . و المراد : حققتم له آماله فيكم ، و طمعه في إغوائكم وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِم إبلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ 34 :

. 20

[3] فنجمت الحال . . . : ظهرت . من السر الخفيّ الى الأمر الجليّ : تدرّج بهم في الاغواء من الوسوسة حتى خرج بهم الى حيّز العمل ، و من التفكير في الجريمة الى تنفيذها .

[23]

استفحل سلطانه عليكم ، و دلف بجنوده نحوكم [1] ، فأقحموكم و لجات الذّلّ ، و أحلّوكم و رطات القتل ، و أوطأوكم إثخان الجراحة [2] :

طعنا في عيونكم ، و حزّا في حلوقكم ، و دقّا لمناخركم ، و قصدا لمقاتلكم [3] ، و سوقا بخزائم القهر إلى النّار [4] المعدّة لكم ، فأصبح أعظم في

[1] استفحل سلطانه . . . : قوي و اشتدّ . و دلف بجنوده : تقدّم بهم .

[2] فاقحموكم . . . : ادخلوكم قهرا . و لجات الذلّ جمع ولجة : كهف يحتمى به من المطر و شبهه . و احلوكم :

أنزلوكم . و ورطات الهلكة : القتل . و أوطأوكم أثخان الجراحة : وطىء الشيء : داسه . و أثخن في الأمر : بالغ فيه . و المراد : بمساعي الشيطان حصل لكم ذلك .

[3] طعنا في عيونكم . . . : و هو أشدّ الطعن . و حزّا في حلوقكم : قطعا . و المراد به القتل . و دقّا لمناخركم :

لأنوفكم . و قصدا لمقاتلكم : قاصدين لقتلكم .

[4] و سوقا بخزائم القهر الى النار : جمع خزامة : حلقة من شعر توضع في أنف البعير يشدّ فيها الزمام . و المراد : ساقوكم أذلاّء الى النار .

[24]

دينكم جرحا ، و أورى في دنياكم قدحا ، من الّذين أصبحتم لهم مناصبين ، و عليهم متألّبين [1] فاجعلوا عليه حدّكم ، و له جدّكم [2] فلعمر اللّه لقد فخر على أصلكم ، و وقع في حسبكم ، و دفع في نسبكم ، و أجلب بخيله عليكم ، و قصد برجله

[1] فأصبح أعظم في دينكم جرحا . . . : ما أصبتم به في دينكم أعظم مما أصبتم به من القتل و الجراحة . و أورى في دنياكم قدحا : أورى النار : أوقدها و اشعلها . و ناصبه العداوة :

أظهرها له . و متألبين : مجتمعين . و المراد : ان هذا العدوّ اللدود الذي أفسد دينكم و دنياكم هو أولى بالعداوة و المقاطعة من اخوانكم الذين ناصبتموه العداء .

[2] فاجعلوا عليه حدّكم . . . : شدّتكم . و المراد : توجّهوا لهذا العدوّ اللدود بكلّ قواكم . و له جدّكم : اجتهدوا في دفعه و ابعاده عنكم .

سبيلكم [1] : يقتنصونكم بكلّ مكان ، و يضربون منكم كلّ بنان [2] لا تمتنعون بحيلة ، و لا تدفعون بعزيمة [3] في حومة ذلّ [4] و حلقة ضيق ،

و عرصة موت ، و جولة بلاء . فأطفئوا ما كمن في

[1] وقع في حسبكم . . . : وقع فيه : سبّه و عابه . و الحسب :

ما يعدّه المرء من مناقبه و شرف آبائه . و دفع في نسبكم :

و المراد : امتناعه عن السجود لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ 15 : 33 . و اجلب بخيله . . الخ : المراد بهم جنوده و أعوانه من شياطين الجنّ و الإنس ، و دعاة الضلالة . و سبيلكم : طريقكم . و المراد :

طريق الحقّ و السلامة و النجاة . قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ 7 : 16 .

[2] يقتنصونكم . . . : يتصيّدونكم . و البنان : اطراف الأصابع .

[3] بعزيمة : هي إرادة الفعل ، و القطع عليه ، و الجدّ في الأمر .

و المراد : ادفعوا إبليس بقوّة و جدّ .

[4] حومة ذلّ : الحومة من القتال : أشدّ موضع فيه ، و من البحر : معظمه .

قلوبكم من نيران العصبيّة ، و أحقاد الجاهليّة فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشّيطان و نخواته ، و نزغاته و نفثاته [1] و اعتمدوا وضع التّذلّل على رؤوسكم ، و إلقاء التّعزّز تحت أقدامكم ، و خلع التّكبّر من أعناقكم ، و اتّخذوا التّواضع مسلحة [2] بينكم و بين عدوّكم : إبليس و جنوده ، فإنّ له من كلّ أمّة جنودا و أعوانا ، و رجلا و فرسانا . و لا تكونوا كالمتكبّر على ابن أمّه [3] من

[1] خطرات الشيطان . . . : وساوسه . و نخواته : افتخاره و تعظمه : و نفثاته : هو ما يلقيه في قلب الإنسان ، و يوقعه في باله مما يصطاده به .

[2] المسلحة : خيل و رجال معدّة على الحدود للطوارىء .

و المراد : ادفعوا ابليس و أعوانه بالتواضع ، كما تدفع المسالح جنود العدو .

[3] و لا تكونوا كالمتكبّر على ابن امّه . . الخ : المراد به قابيل الذي قتل أخاه هابيل حسدا و تكبّرا على الإذعان بالحقّ .

[27]

غير ما فضل جعله اللَّه فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد ، و قدحت الحميّة في قلبه من نار الغضب ، و نفخ الشّيطان في أنفه من ريح الكبر الّذي أعقبه اللَّه به النّدامة ، و ألزمه آثام القاتلين [1] إلى يوم القيامة .

ألا و قد أمعنتم في البغي [2] ، و أفسدتم في الأرض ، مصارحة للَّه بالمناصبة [3] ، و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة فاللَّه اللَّه في كبر الحميّة ،

[1] عاقبة كل شيء : آخره . و ألزمه آثام القاتلين : لأنّه سنّ سنّة ضلال ، و من سنّ سنّة هدى فله أجرها و أجر من عمل بها الى يوم القيامة ، من دون أن ينقص من أجرهم ، و من سنّ سنّة ضلال فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة ،

من دون أن ينقص من أوزارهم .

[2] أمعن فلان في الأمر : جدّ . و البغي : الظلم .

[3] مصارحة للَّه بالمناصبة : صارح بما في نفسه : بيّنه و أظهره . و ناصبه : نصب له حربا شنّها عليه .

[28]

و فخر الجاهليّة فإنّه ملاقح الشّنآن [1] ، و منافخ الشّيطان ، الّتي خدع بها الأمم الماضية ،

و القرون الخالية ، حتّى أعنقوا في حنادس جهالته و مهاوي ضلالته ، ذللا على سياقه ، سلسا في قياده [2] ، أمرا تشابهت القلوب فيه ، و تتابعت القرون عليه ، و كبرا تضايقت الصّدور به .

ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم و كبرائكم

[1] ملاقح جمع لقاح : ماء الفحل ، و ما يلقح به الشجر و النبات . و الشنآن : العداوة و البغضاء . و المراد : أن الكبر و الفخر و الحميّة يولّد البغضاء ، و سبيل الشيطان في التسلّط على الانسان .

[2] أعنقوا في حنادس جهالته . . . : أعنق الجمل : مدّ عنقه و أوسع خطوته . و حنادس جمع حندس : الليل المظلم .

و مهاوي جمع مهوى : ما بين الجبلين و نحو ذلك . ذللا على سياقه : أذلاء منقادين له . سلسا في قياده : سهل عليه انقيادهم . و المراد : ما زال بهم الشيطان حتى أدخلهم سراعا الى ظلمة الباطل ، و مهوى عميق يصعب الخروج منه .

[29]

الّذين تكبّروا عن حسبهم ، و ترفّعوا فوق نسبهم ،

و ألقوا الهجينة على ربّهم [1] ، و جاحدوا اللَّه على ما صنع بهم ، مكابرة لقضائه ، و مغالبة لآلائه [2] فإنّهم قواعد أساس العصبيّة ، و دعائم أركان الفتنة ، و سيوف اعتزاء الجاهليّة ، فاتّقوا اللَّه و لا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ، و لا لفضله عندكم حسّادا [3] و لا تطيعوا الأدعياء الّذين

[1] الهجينة : العيب و القبيح . و المراد : انّهم في تفاخرهم و تكبّرهم ، و ذمّهم لغيرهم بأن يقولوا : أنا عربي ، و أنت أعجمي علما أن ليس للإنسان في ذلك صنع . فكأنّهم بذلك ألقوا بهذا العيب على الخالق جلّ جلاله .

[2] مكابرة . . . : مجاحدة و مغالبة لما قضى به . و لآلائه :

لنعمه .

[3] اعتزاء الجاهلية . . . : هو نداؤهم : يا لفلان ، فوصف استصراخهم لقبائلهم بما كان يفعله أهل الجاهلية في تهييج الفتن . و لا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا : لا تقابلوا النعم بالجحود فتنفر عنكم ، فبالشكر تدوم النعم . و لا لفضله حسّادا : انّكم تقومون بدور الحاسد في إزالة النعم .

[30]

شربتم بصفوكم كدرهم [1] ، و خلطتم بصحّتكم مرضهم و أدخلتم في حقّكم باطلهم و هم أساس الفسوق ، و أحلاس العقوق [2] اتّخذهم إبليس مطايا ضلال ، و جندا بهم يصول على النّاس ،

و تراجمة ينطق على ألسنتهم استراقا لعقولكم ،

و دخولا في عيونكم ، و نفثا في أسماعكم [3]

[1] و لا تطيعوا الأدعياء : المنتسبين لغير آبائهم . شربتم بصفوكم كدرهم : الصفو : خالص الشراب . و كدر الماء : صار غير صافي . و المراد : مزجتم إيمانكم الخالص بنفاقهم .

[2] أحلاس . . . : جمع حلس : كساء رقيق يلازم ظهر البعير ،

فقيل لكلّ ملازم لأمر : هو حلس كذا . وعق أباه : استخفّ به و عصاه ، و رحمه قطعها .

[3] استراقا لعقولكم . . . : كمن هو يسرق مستخفيا . و دخولا في عيونكم : مزيّنا لهم المحرمات . و نفثا في أسماعكم :

النفث : النفخ . و المراد بذلك الوساوس ، و الإيحاء بالباطل قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ 7 : 17 .

[31]

فجعلكم مرمى نبله ، و موطىء قدمه [1] ، و مأخذ يده . فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس اللَّه و صولاته ، و وقائعه و مثلاته [2] ، و اتّعظوا بمثاوي خدودهم ، و مصارع جنوبهم [3] . و استعيذوا باللَّه من لواقح الكبر كما تستعيذون به من طوارق الدّهر [4] فلو رخّص اللَّه

[1] فجعلكم مرمى نبله . . . : هدفا لنباله . و موطىء قدمه :

المراد : وصف تمكّنه الكلي منهم .

[2] فاعتبروا . . . : خذو العبرة و الموعظة بما حلّ بمن كان قبلكم . البأس : العذاب الشديد جَاءَهُم بَأْسُنَا 6 :

43 . و الصولة : السطوة في الحرب و نحوها . و الوقعة :

النازلة الشديدة . و المثلات : العقوبات .

[3] ثوى بالمكان : أقام و استقر . و صرعه : طرحه على الأرض . و جنب الانسان : شقّه .

[4] استعيذوا باللَّه . . . : اطلبوا منه أن يعينكم و يجنّبكم . من لواقح الكبر : أسبابه و دواعيه . و طوارق الدهر جمع طارق : الآتي ليلا . و المراد بذلك : نكبات الدهر التي تأتي على غفلة .

[32]

في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه و أوليائه ، و لكنّه سبحانه كرّه إليهم التّكابر ،

و رضي لهم التّواضع ، فألصقوا بالأرض خدودهم ، و عفّروا في التّراب وجوههم ، و خفضوا أجنحتهم [1] للمؤمنين ، و كانوا أقواما مستضعفين و قد اختبرهم اللّه بالمخمصة ، و ابتلاهم بالمجهدة ،

و امتحنهم بالمخاوف ، و مخضهم بالمكاره [2] ،

[1] العفر . . . : التراب . و عفّروا في التراب وجوههم : مرّغوها به . و خفضوا أجنحتهم : المراد : وصف ما كانوا فيه من تواضع ، و لين الجانب ، تشبيها بالطائر إذا أراد أن ينزل كسر جناحه و خفضه وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ 17 : 24 .

[2] المخمصة . . . : الجوع . و المجهدة : المشقّة . و مخض اللبن : حرّكه ليخرج زبده . و المكاره : المشاق . و المراد :

وصف ما تعرّضوا له من الشدّة و العسر .

فلا تعتبروا الرّضا و السّخط بالمال و الولد جهلا بمواقع الفتنة ، و الإختبار في مواضع الغنى و الإقتدار [1] ، و قد قال سبحانه و تعالى أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ، بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ فإنّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم ، بأوليائه المستضعفين في أعينهم [2] .

[1] فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد . . . : ليست كثرة المال و الأولاد دليلا على رضاء اللّه تعالى ، و لا حرمانهما دليلا على غضبه . جهلا بمواقع الفتنة و الاختبار في مواضع الغنى و الإقتار : الاقتار : الفقر . و المراد : أن الغنى و الفقر و الأولاد ، و جميع ما في الحياة من حسن و سيّىء ، جعله اللّه جلّ جلاله اختبارا و امتحانا لعباده .

[2] يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم : و هو كما مرّ اختبار للمتكبّر بإغداق النعم ليتبيّن شكره من كفره ، و ابتلاء للولي ليتبيّن صبره ، و ترتفع درجته .

و لقد دخل موسى بن عمران و معه أخوه هارون ، عليهما السّلام ، على فرعون و عليهما مدارع [1] الصّوف ، و بأيديهما العصيّ ، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ، و دوام عزّه فقال : « ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر و الذّلّ ، فهلاّ ألقي عليهما أساور [2] من ذهب ؟ » إعظاما للذّهب و جمعه ، و احتقارا للصّوف و لبسه . و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز

[1] مدارع جمع مدرعة : ثوب من صوف .

[2] أساور جمع سوار : حلية من الذهب مستديرة كالحلقة تلبس في اليد .

الذّهبان ، و معادن العقيان ، و مغارس الجنان [1] ،

و أن يحشر معهم طير السّماء ، و وحوش الأرض لفعل و لو فعل لسقط البلاء ، و بطل الجزاء [2] ،

و اضمحلّت الأنباء ، و لما وجب للقابلين أجور المبتلين ، و لا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين ، و لا لزمت الأسماء معانيها [3] و لكنّ

[1] الذهبان جمع ذهب . و العقيان : الذهب الخالص .

و مغارس الجنان : الحدائق و البساتين .

[2] و لو فعل ذلك لسقط البلاء . . . : زالت الشدائد التي يعانيها الأنبياء عليهم السلام و المؤمنون من الجبابرة الطغاة ، و بطل الجزاء : الأجر الذي يحصل لهم جزاء و عوضا عمّا أصابهم .

و اضمحلّت الأنباء : أخبار الأنبياء و ما في حياتهم من مواعظ و عبر ، و دروس مستفادة من سيرتهم الغرّاء .

[3] و لا لزمت الأسماء معانيها : لو نظرت الى كتب الأخلاق و السلوك وجدت فهرسا مطوّلا لأبوابها : الإسلام ، الإيمان ،

الصبر ، الشكر ، الرضا ، الجهاد ، الى عشرات الأسماء ،

و لو لم يبعث اللَّه سبحانه الأنبياء عليهم السلام بالكيفية التي بعثهم بها ، و بجعلهم تارة غالبين ، و أخرى مغلوبين ،

لبطلت هذه المسميات كلها .

[36]

اللَّه سبحانه جعل رسله أولي قوّة في عزائمهم و ضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم ، مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنى ، و خصاصة تملأ الأبصار و الأسماع أذى [1] .

و لو كانت الأنبياء أهل قوّة لا ترام ، و عزّة لا تضام ، و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرّجال ، و تشدّ إليه عقد الرّحال [2] لكان ذلك أهون على

[1] العزم . . . : الصبر و الجدّ . مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنى : يعيشون بقناعة تامة ، بحيث لا تميل قلوبهم و لا عيونهم الى شيء من زخارف الدنيا و بهجتها . و خصاصة :

جوع . تملأ الأبصار و الأسماع أذى : بيان وصف ما كانوا فيه من جوع كان تأثيره على الحواس واضحا .

[2] لا ترام . . . : لا تطلب . و لا تضام : لا يصيبهم ظلم .

و المراد : لو كانوا أهل قوّة لا يمكن أن تدحر . و ملك تمد نحوه أعناق الرجال . . الخ : أهل دنيا عريضة يقصدون لغناهم .

[37]

الخلق في الإعتبار ، و أبعد لهم في الإستكبار [1] ،

و لآمنوا عن رهبة قاهرة لهم ، أو رغبة مائلة [2] بهم ، فكانت النيّات مشتركة ، و الحسنات مقتسمة [3] ، و لكنّ اللَّه سبحانه أراد أن يكون الإتّباع لرسله ، و التّصديق بكتبه ، و الخشوع

[1] لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار . . . : لكانوا أسرع استجابة لهم . و أبعد لهم من الاستكبار عليهم ،

و مخالفتهم .

[2] و لآمنوا عن رهبة قاهرة لهم . . . : لدخلوا في دينهم خوفا من بطشهم . أو رغبة مائلة بهم : بأمل الحصول على دنياهم .

[3] فكانت النيّات مشتركة . . . : تكون الدوافع حينئذ منقسمة من الخوف من بأسهم ، و الحصول على دنياهم ، و الإيمان بربّهم ، بينما المطلوب من المسلم أن يكون إيمانه من أجل اللَّه وحده . و الحسنات مقتسمة : حسب الدوافع .

[38]

لوجهه ، و الإستكانة [1] لأمره ، و الإستسلام لطاعته أمورا له خاصّة لا يشوبها [2] من غيرها شائبة و كلّما كانت البلوى و الإختبار أعظم ، كانت المثوبة و الجزاء أجزل .

ألا ترون أنّ اللَّه سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم ، صلوات اللَّه عليه ، إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار [3] لا تضرّ و لا تنفع ، و لا تسمع و لا تبصر . فجعلها بيته الحرام الّذي جعله للنّاس قياما [4] ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض

[1] الاستكانة : الخضوع و الذلّ .

[2] يشوبها : يخالطها .

[3] بأحجار : هي الكعبة المعظّمة .

[4] جعله للناس قياما : مقيما لدينهم يطوفون به ، و يتوجّهون إليه في صلاتهم و ذبائحهم ، و مقيما لدنياهم لما يحصل لهم من الأمن و السلامة ببركته ، فكانوا لا يتعرضون عنده حتى لقاتل آبائهم و أبنائهم ، و أيضا فهو أعظم سوق لهم يتبادلون فيه تجاراتهم .

[39]

حجرا ، و أقلّ نتائق الأرض مدرا [1] . و أضيق بطون الأودية قطرا : بين جبال خشنة ، و رمال دمثة ، و عيون وشلة [2] ، و قرى منقطعة ، لا يزكو بها خفّ ، و لا حافر و لا ظلف [3] . ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه [4] ، فصار مثابة

[1] النتائق . . . : البقاع المرتفعة . و المدر : قطع الطين اليابس .

[2] دمثة . . . : لا تصلح للنبات و الرعي . و عيون وشلة : قليلة المياه .

[3] لا تزكو . . . : لا تنمو لقلة التغذية ، و عدم صلاح التربة .

خف : كالابل . و لا حافر : كالخيل . و لا ظلف : كالبقر و الغنم .

[4] يثنوا . . . : يميلوا . و عطف : مال و انحنى . و المراد :

يتوجّهون إليه بالحجّ و الصلاة .

[40]

لمنتجع [1] أسفارهم ، و غاية لملقى رحالهم .

تهوي إليه ثمار الأفئدة [2] من مفاوز قفار سحيقة .

و مهاوي فجاج عميقة [3] ، و جزائر بحار منقطعة ،

حتّى يهزّوا مناكبهم ذللا [4] يهلّلون للَّه حوله ،

و يرملون على أقدامهم شعثا غبرا [5] له ، قد نبذوا

[1] مثابة . . . : مرجعا . و المنجع : الموضع الذي يقصد لما فيه من كلأ و ماء .

[2] تهوي إليه ثمار الأفئدة : تتوجّه إليه القلوب قبل الابدان فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ 14 : 37 .

[3] مفاوز جمع مفازة : الموضع المهلك . و قفار : أرض لا نبات فيها و لا ماء . و سحيقة : بعيدة . و مهاوي جمع مهوى : ما بين جبلين و نحوه . و فجاج : الطريق الواسع البعيد مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ 22 : 27 .

[4] يهزّوا مناكبهم ذللا : وصف لطوافهم حوله .

[5] يهلّلون . . . : يرفعون أصواتهم بالتهليل (لا إله إلاّ اللّه) يرمّلون : يهرولون . شعثا : قد تغيّر شعرهم و تلبّد . غبرا : علاهم الغبار .

[41]

السّرابيل وراء ظهورهم ، و شوّهوا بإعفاء الشّعور محاسن خلقهم [1] ، ابتلاء عظيما ، و امتحانا شديدا ، و اختبارا مبينا ، و تمحيصا بليغا [2] ،

جعله اللّه سببا لرحمته ، و وصلة إلى جنّته [3] . و لو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ، و مشاعره العظام [4] ، بين جنّات و أنهار ، و سهل و قرار [5] ،

[1] قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم . . . : خلعوا ملابسهم و لبسوا ثوبي الإحرام . و شوّهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم : تركوا شعرهم بدون قصّ و ادهان لأن المحرم لا يجوز له قصّ شعره و لا تمشيطه و ادهانه .

[2] اختبارا مبينا . . . : امتحانا بيّنا . و تمحيصا بليغا : ابتلاء منه سبحانه لهم ، و تكفيرا لذنوبهم وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا و يَمحَقَ الْكَافِرِين 3 : 141 .

[3] وصلة الى جنّته : سببا للوصول الى الجنّة .

[4] مشاعره العظام : مواضع أعمال الحج .

[5] السهل . . . : الأرض المنبسطة . وقرّ بالمكان قرارا : سكن و اطمأنّ .

[42]

جمّ الأشجار [1] ، داني الثّمار ، ملتفّ البنى ،

متّصل القوى ، بين برّة سمراء ، و روضة خضراء ، و أرياف محدقة ، و عراص مغدقة ،

و رياض ناضرة [2] ، و طرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء [3] ، و لو كان الإساس المحمول عليها ، و الأحجار المرفوع بها بين زمرّدة خضراء ، و ياقوتة حمراء [4] ، و نور

[1] جمّ الأشجار : كثيرها .

[2] البرّة . . . : الحنطة . و السمراء : الجيّد منها . و الروضة الخضراء : البستان . و أرياف جمع ريف : أرض فيها زرع و خصب . و غدقت الأرض غدقا : كان فيها الماء . و رياض ناضرة : بساتين زاهرة .

[3] صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء : يكون الأجر قليلا لقلّة الأتعاب ، فان الأجر على قدر المشقّة .

[4] الأساس المحمول عليها . . . : أصل البناء . و الزمرد و الياقوت : أحجار كريمة يتزيّن بها .

[43]

و ضياء لخفّف ذلك مسارعة الشّكّ في الصّدور ، و لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ،

و لنفى معتلج الرّيب [1] من النّاس ، و لكنّ اللَّه يختبر عباده بأنواع الشّدائد ، و يتعبّدهم بأنواع المجاهد ، و يبتليهم بضروب المكاره ، إخراجا للتّكبّر من قلوبهم ، و إسكانا للتّذلّل في نفوسهم ، و ليجعل ذلك أبوابا فتحا إلى فضله ،

و أسبابا ذللا لعفوه [2] .

[1] لخفف ذلك مسارعة الشكّ في الصدور . . . : لامتنع تسرّب الشكوك الى النفس . و لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب :

لو كان البيت المعظّم من الأحجار الكريمة لكانت النفوس أدعى الى تعظيمه . و لنفى معتلج الريب من الناس : علج :

اضطرب . و الريب : الظنّ و الشكّ . و المراد : لزالت الشكوك من الناس ، و لم تعان من الشيطان ما عانته .

[2] ذللا لعفوه : ان هذا التشديد في المحنة سبب للحصول على علوّ المنزلة ، و سمّو المرتبة .

فاللَّه اللَّه في عاجل البغي ، و آجل و خامة الظّلم ، و سوء عاقبة [1] الكبر فإنّها مصيدة إبليس العظمى ، و مكيدته الكبرى ، الّتي تساور قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة ، فما تكدي أبدا ، و لا تشوي أحدا [2] : لا عالما لعلمه ، و لا مقلاّ في طمره [3] ، و عن ذلك ما حرس اللَّه عباده المؤمنين بالصّلوات [4] و الزّكوات ، و مجاهدة

[1] البغي . . . : الظلم . و الآجل : المؤخّر . و خمّ الأمر : ثقل و صار رديئا . و العاقبة : مصير كل شيء .

[2] تساور . . . : تواثب . و المراد : ان الكبر في مغالبة و مصاولة مع القوى العقلية ، و يحاول من طريق و آخر ان يدخل النفوس . و تشبه قوّة تأثيره في النفوس بالسموم القاتلة . ما تكدي : ما ترد عن تأثيرها و لا تشوي أحدا : لا تخطىء المقتل .

[3] الطمر : الثوب الخلق .

[4] و عن ذلك ما حرس اللَّه عباده المؤمنين بالصلوات . . . الخ :

ان هذه العبادة جعلها اللَّه سبحانه حراسة للمسلم تمنع عنه الكبرياء . و جاء في خطبة الزهراء عليها السلام : و جعل الصلاة تنزيها لكم عن الكبر .

الصّيام في الأيّام المفروضات ، تسكينا لأطرافهم [1] ، و تخشيعا لأبصارهم ، و تذليلا لنفوسهم ، و تخفيضا لقلوبهم ، و إذهابا للخيلاء [2] عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتّراب تواضعا ، و التصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغرا ، و لحوق البطون بالمتون [3] من

[1] تسكينا . . . : خضوعا و ذلاّ . و الأطراف : الأعضاء و الجوارح .

[2] الخيلاء : الكبرياء و العجب .

[3] العفر . . . : التراب . و عفّر جوارحه : مرّغها بالتراب .

و المراد بذلك السجود على الأرض . و عتاق جمع عتيقة :

كرائم الوجوه . و كرائم الجوارح : الأعضاء التي تلامس الأرض حال السجود ، و هي الجبهة و الكفّان و الركبتان و ابهاما الرجلين . و لحوق البطن بالمتون : وصف لما يعتريه من هزال بسبب الجوع .

[46]

الصّيام تذلّلا ، مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض ، و غير ذلك إلى أهل المسكنة [1] و الفقر . انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر و قدع طوالع الكبر [2] .

و لقد نظرت فما وجدت أحدا من العالمين يتعصّب لشيء من الأشياء إلاّ عن علّة تحتمل تمويه الجهلاء ، أو حجّة تليط [3] بعقول

[1] المسكنة : الفقر و الضعف .

[2] قمع . . . : تغيّب و دخل وراء ستر . نجم الشيء : طلع و ظهر . و قذع عن الشيء : كفّه و منعه . و طوالع الكبر :

بواديه و آثاره .

[3] التمويه . . . : التلبيس . و الحجّة : الدليل و البرهان .

و تليط : تلتصق . و المراد : أن المتعصبين من غيركم لهم وجهة نظر و ان كانت تافهة ، أما أنتم فتتعصّبون بدون سبب و لا موجب . و هذا النمط من الكلام أدعى لقبول النصيحة و الرجوع الى طريق الاستقامة .

[47]

السّفهاء غيركم فإنّكم تتعصّبون لأمر لا يعرف له سبب و لا علّة ، أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله ، و طعن عليه في خلقته ، فقال : (أنا ناريّ و أنت طينيّ) و أمّا الأغنياء من مترفة الأمم [1] فتعصّبوا لآثار مواقع النّعم فقالوا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَ أَوْلاَداً ، وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ .

فإن كان لا بدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ، و محامد الأفعال ، و محاسن الأمور الّتي تفاضلت فيها المجداء و النّجداء [2] من بيوتات العرب ، و يعاسيب القبائل [3] بالأخلاق

[1] مترفة الأمم : المتنعمين منهم .

[2] المجداء جمع مجيد : الكريم الشريف الفعال . و النجداء جمع نجيد : الشجاع .

[3] يعاسيب جمع يعسوب : أمير النحل و ذكرها . و المراد :

رؤساء القبائل و سادتها .

[48]

الرّغيبة ، و الأحلام العظيمة ، و الأخطار الجليلة [1] ، و الآثار المحمودة . فتعصّبوا لخلال [2] الحمد : من الحفظ للجوار ، و الوفاء بالذّمام ، و الطّاعة للبرّ ، و المعصية للكبر ،

و الأخذ بالفضل ، و الكفّ عن البغي ، و الإعظام للقتل ، و الإنصاف للخلق ، و الكظم للغيظ [3] ،

و اجتناب الفساد في الأرض .

[1] الأخلاق الرغيبة . . . : التي رغّب فيها الإسلام ، و حثّ المسلمين عليها ، و سيأتي ذكرها . و الأحلام : العقول .

و الأخطار الجليلة : المنازل الرفيعة .

[2] خلال : خصال .

[3] الوفاء بالذمام . . . : الوفاء بالعهد . الطاعة للبر : اسم جامع للخير كلّه . و المراد : الانقياد و العمل بجميع أفعال الخير .

الكظم للغيظ : الكاظم : الممسك على ما في نفسه عند الغضب . و الغيظ : أشدّ الغضب و الكَاظِمِينَ الغَيظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ 3 : 134 .

[49]

و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات [1] بسوء الأفعال ، و ذميم الأعمال ، فتذكّروا في الخير و الشّرّ أحوالهم [2] ، و احذروا أن تكونوا أمثالهم .

فإذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم ، فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم ، و زاحت الأعداء له عنهم ، و مدّت العافية فيه عليهم ، و انقادت النّعمة

[1] و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم . . . : قال تعالى : وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرت مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَم تُسكَن مِنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قَلِيلاً وَ كُنَّا نَحْنُ الوارِثِينَ 28 : 58 . المثلات :

العقوبات .

[2] فتذكروا في الخير و الشر أحوالهم : اختلافها . و على سبيل المثال : قوم لوط عليه السلام و ما كانوا عليه من الطاعة و السعادة الدنيوية ، و بعد المعصية خسروا دنياهم و آخرتهم و ذلك هو الخسران المبين .

[50]

له معهم ، و وصلت الكرامة عليه حبلهم [1] : من الإجتناب للفرقة ، و اللّزوم للألفة ، و التّحاضّ عليها [2] ، و التّواصي بها ، و اجتنبوا كلّ أمر كسر فقرتهم ، و أوهن منّتهم [3] : من تضاغن القلوب ،

[1] فاذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم . . . : في الخير و الشرّ . فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم : أدّى بهم الى عزّ الطاعة ،

و البعد عن المعصية . و زاحت الأعداء له عنهم : بعدت عنهم و في الحديث القدسي : إذا عصاني من يعرفني ،

سلّطت عليه من لا يعرفني . و مدت العافية فيه عليهم : قال الطريحي : العافية دفع اللّه الانتقام و البلايا عن العبد .

و انقادت النعمة له معهم : وافتهم لأجل ذلك النعم لإقبالهم على الطاعة . و وصلت الكرامة عليهم حبلهم : شملتهم الكرامة .

[2] من الاجتناب للفرقة . . . : غير متفرقين ، و لا متقاطعين .

و اللزوم للإلفة : كانوا متآلفين متحابين . و التحاضّ عليها :

الحثّ عليها .

[3] كسر فقرتهم . . . : ظهورهم . و أوهن : أضعف . و منّتهم :

قوتهم .

[51]

و تشاحن الصّدور ، و تدابر النّفوس ، و تخاذل الأيدي [1] ، و تدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم : كيف كانوا في حال التّمحيص [2] و البلاء ؟ ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء ، و أجهد العباد بلاء ، و أضيق أهل الدّنيا حالا [3] ؟ اتّخذتهم الفراعنة عبيدا ، فساموهم سوء العذاب ،

و جرّعوهم المرار [4] ، فلم تبرح الحال بهم في ذلّ

[1] تضاغن القلوب . . . : بالحقد . و تشاحن الصدور :

بالتباغض . و تدابر النفوس : تقاطعها . و تخاذل الأيدي : عن نصرة بعضهم البعض ، و الدفع عن المظلومين . و المراد : ان هذه الرذائل كانت السبب لضعفهم و انكسارهم .

[2] التمحيص : الاختبار .

[3] العبء . . . : الثقل من أي شيء كان . و جهده الأمر : بلغ منه المشقّة . و أضيق أهل الدنيا حالا : أكثرهم فقرا .

[4] ساموهم سوء العذاب . . . : ألزموهم أسوأ العذاب و أشدّه وَ إِذْ نَجَّيناكُم مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ . . 2 : 49 . و جرعوهم المرار : الجرعة من الماء و نحوه حسوة ملء الفم . و جرعوهم : أي مرة بعد أخرى . و المرار : شجر شديد المرارة . و المراد : وصف طول مكثهم في البلاء .

[52]

الهلكة [1] ، و قهر الغلبة : لا يجدون حيلة في امتناع ، و لا سبيلا إلى دفاع ، حتّى إذا رأى اللّه جدّ الصّبر منهم على الأذى في محبّته ، و الاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجا : فأبدلهم العزّ مكان الذّلّ ، و الأمن مكان الخوف ، فصاروا ملوكا حكّاما ، و أئمّة أعلاما ،

و قد بلغت الكرامة من اللّه لهم ما لم تبلغ الآمال إليه بهم [2] .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء

[1] فلم تبرح الحال بهم في ذلّ الهلكة : لم يزالوا أذلاّء .

[2] ما لم تبلغ الآمال إليه بهم : وصلوا بعد جهد البلاء الى حال من العزّة و الكرامة لم تبلغه آمالهم ، و لا يحلمون بمثله .

[53]

مجتمعة ، و الأهواء متّفقة ، و القلوب معتدلة ،

و الأيدي مترادفة ، و السّيوف متناصرة ، و البصائر نافذة ، و العزائم [1] واجدة ألم يكونوا أربابا [2] في أقطار الأرضين ، و ملوكا على رقاب العالمين ؟ ؟

فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم ، حين وقعت الفرقة ، و تشتّتت الألفة ، و اختلفت الكلمة و الأفئدة ، و تشعّبوا مختلفين ، و تفرّقوا متحاربين [3] ، قد خلع اللّه عنهم لباس كرامته ،

[1] الاملاء جمع ملأ : جماعة القوم . و الأهواء جمع هوى : ميل النفس الى الشيء . و القلوب معتدلة : مستقيمة . و الأيدي مترادفة : متعاضدة متعاونة . و البصائر : العقول . و العزائم جمع عزيمة : إرادة الشيء و عقد النيّة عليه .

[2] أربابا : ملوكا . و المراد : باتصافهم بما مرّ ، جعلهم اللّه سبحانه ملوكا في الأرض .

[3] متحاربين : أحزابا .

[54]

و سلبهم غضارة نعمته [1] ، و بقي قصص أخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين [2] منكم .

و اعتبروا بحال ولد إسماعيل و بني إسحاق و بني إسرائيل عليهم السّلام فما أشدّ اعتدال الأحوال ، و أقرب اشتباه الأمثال [3] تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم و تفرّقهم ،

ليالي كانت الأكاسرة و القياصرة [4] أربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق ، و بحر العراق ،

[1] غضارة نعمته : طيّبها .

[2] عبر للمعتبرين : تأخذون من قصصهم الدروس و العبر و المواعظ .

[3] فما أشد اعتدال الأحوال . . . : شابهت حالكم حالهم .

و أقرب اشتباه الأمثال : الصفات . و المراد : شابهتموهم في الأحوال و الصفات ، و لزمكم أخذ العبرة من حياتهم .

[4] الأكاسرة . . . ملوك الفرس . و القياصرة : ملوك الروم .

[55]

و خضرة الدّنيا ، إلى منابت الشّيح ، و مهافي الرّيح ، و نكد [1] المعاش ، فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر و وبر [2] أذلّ الأمم دارا ،

و أجدبهم قرارا [3] ، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها [4] و لا إلى ظلّ ألفة يعتمدون على

[1] يحتازونهم . . . : يبعدونهم . و الريف : الأرض ذات الخصب و الزرع . و بحر العراق : دجلة و الفرات . و خضرة الدنيا : البساتين و الأراضي الزراعية . و الشيح : نبت سهل ترعاه الماشية . و مهافي الريح : محلّ هبوبها ، و هي الصحاري . و النكد : القليل العسر .

[2] عالة . . . : فقراء . و الدبر : الجرح في ظهر البعير .

و الوبر : الذي يكسو جلده . و المراد : انّهم أصحاب مواشي رحّل .

[3] جدب المكان : يبس لاحتباس الماء عنه . وقرّ بالمكان قرارا : سكن و اطمأنّ .

[4] لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها : ليس لهم من يحتمون به ، و يلوذون بجنابه ، و لا من يجمع شملهم .

[56]

عزّها ، فالأحوال مضطربة ، و الأيدي مختلفة ،

و الكثرة متفرّقة [1] . في بلاء أزل ، و أطباق جهل ، من بنات موءودة ، و أصنام معبودة ،

و أرحام مقطوعة ، و غارات مشنونة [2] .

فانظروا إلى مواقع نعم اللّه عليهم ، حين بعث إليهم رسولا ، فعقد بملّته طاعتهم [3] ،

و جمع على دعوته ألفتهم ، كيف نشرت النّعمة عليهم جناح كرامتها ، و أسالت لهم جداول

[1] و الكثرة متفرّقة : هم مع كثرتهم متفرّقون .

[2] الأزل . . . : الضيق و الشدّة . و الموؤدة : البنت التي تدفن حيّة وَ إِذَا المَوْءودَة سُئِلَت . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت 81 : 9 .

و شنّ الغارة على عدوّه : أغار عليهم من كلّ ناحية .

[3] فعقد بملّته طاعتهم : عقد لفلان على البلد : ولاّه عليه .

و المراد : أنّ اللَّه سبحانه جعل طاعتهم لمحمد صلّى اللَّه عليه و آله بعد أن كانوا شيعا متفرقين ، و أحزابا متشتتين .

[57]

نعيمها ، و التفّت الملّة بهم في عوائد بركتها [1] ،

فأصبحوا في نعمتها غرقين ، و في خضرة عيشها فكهين [2] ؟ قد تربّعت الأمور بهم ، في ظلّ سلطان قاهر ، و آوتهم الحال إلى كنف عزّ غالب ،

و تعطّفت الأمور عليهم في ذرى [3] ملك ثابت ،

فهم حكّام على العالمين ، و ملوك في أطراف الأرضين : يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم [4] ، و يمضون الأحكام فيمن كان يمضيها

[1] التفت الملّة بهم في عوائد بركتها : تكاثفت عليهم عوائد الإسلام و بركاته ، ففازوا به دنيا و آخرة .

[2] و في خضرة عيشها فكهين : وصف ما صاروا اليه من نعيم الدنيا ، و رغيد العيش و سعته .

[3] قد تربّعت الأمور بهم . . . : استقامت به أمورهم . و كنف :

جانب . و تعطّفت الأمور : مالت أمورهم الى الرخاء و السعادة .

و ذرى الشيء : أعلاه .

[4] يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم : صاروا حاكمين على من كان يحكمهم و يذلهم .

[58]

فيهم ، لا تغمز لهم قناة ، و لا تقرع لهم صفاة [1] ألا و إنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة و ثلمتم حصن اللَّه [2] المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة ، و إنّ اللَّه سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة [3] : الّتي ينتقلون في ظلّها ، و يأوون

[1] غمزها . . . : كبسها بيده ليختبر صلاحها ، و هل تحتاج الى تقويم . و القناة : الرمح . و قرع الشيء قرعا : ضربه .

و الصفاة : الحجر الأملس . و المراد : وصف قوتهم و عزّتهم ، و عدم تمكّن العدوّ منهم .

[2] ثلمتم حصن اللَّه : ثلمتم : كسرتم . و الحصن : الموضع المنيع . و المراد : خرجتم عن حدود الإسلام و تعاليمه المفروضة عليكم الى عادات الجاهلية و حروبها .

[3] فان اللّه سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الإلفة : يشير عليه السلام الى الآية الكريمة وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ . فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً 3 : 103 و انها لمن أعظم نعمة على المسلمين ، فبها ظهرت قوّتهم ، و قهروا أعداءهم .

[59]

إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنّها أرجح من كلّ ثمن ، و أجلّ من كلّ خطر [1] .

و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعرابا ،

و بعد الموالاة أحزابا [2] ، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه ، و لا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه

[1] الخطر : المثيل في الشرف و الرفعة . و المراد : أن نعمة الإلفة لا مثيل لها و لا نظير .

[2] بعد الهجرة اعرابا . . . : بينما أنتم في عداد المهاجرين علما و دينا و فهما صرتم في عداد الأعراب الذين لا يعرفون من الدين إلاّ اسمه ، و لم يغيّر شيئا من عاداتهم . و بعد الموالاة أحزابا : بعد الأخوّة و الإلفة متفرّقين متشتّتين .

[60]

تقولون « النّار و لا العار » ، كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتهاكا لحريمه ، و نقضا لميثاقه [1] الّذي وضعه اللّه لكم حرما في أرضه ،

و أمنا بين خلقه [2] ، و إنّكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ، ثمّ لا جبرائيل [3] و لا ميكائيل و لا مهاجرون و لا أنصار ينصرونكم ، إلاّ المقارعة

[1] تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه . . . : كفأ الاناء :

قلبه و ذهب ماؤه . و المراد : ان أفعالكم تشويه لمعالم الإسلام ، و خروج منه . انتهاكا لحريمه : انتهك الشيء :

أذهب حرمته . و الحريم : ما حرّم فلا ينتهك . و نقضا لميثاقه : نقض الشيء نقضا : أفسده بعد إحكامه . و ميثاقه عهوده و حدوده .

[2] حرما في أرضه . . . : يحتمون به من كل سوء . و أمنا بين خلقه : أمانا و حرزا لهم من الأعداء .

[3] ان لجأتم الى غيره . . . : إذا تخلّيتم عنه ملتجئين الى حميّتكم و نخوتكم . لا جبرئيل . . الخ : انقطع عنكم العون الإلهي الذي انتصر به المسلمون في بدر و غيرها .

و المقارعة : المضاربة .

[61]

بالسّيف حتّى يحكم اللّه بينكم .

و انّ عندكم الأمثال من بأس اللّه و قوارعه ،

و أيّامه و وقائعه [1] ، فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه ، و تهاونا ببطشه ، و يأسا من بأسه [2] ، فإنّ اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر [3] ، فلعن اللّه السّفهاء لركوب المعاصي ،

[1] بأس اللّه . . . : عذابه . و قوارعه : دواهيه . و أيامه : عقوباته التي نزلت بمن مضى في الأيّام الخالية وَ ذكِّرهُم بأَيَّامِ اللَّهِ 14 : 5 . وقائعه جمع واقعة : النازلة من مصائب الدهر الشديدة .

[2] بطشه . . . : اخذه بالعذاب الجبابرة و الظالمين و الطغاة بأليم العذاب إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد 85 : 12 . و بأسه : عذابه وَ لاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَومِ المُجْرِمِينَ 12 : 110 .

[3] لعن القرون . . . : أبعدهم عن رحمته و فيوضاته . و الأمر بالمعروف : الأمر بكل عمل حسن . و النهي عن المنكر :

النهي عن كل عمل قبيح لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ 5 : 79 .

و الحلماء لترك التّناهي [1] .

ألا و قد قطعتم قيد الإسلام [2] ، و عطّلتم حدوده ، و أمتّم أحكامه ، ألا و قد أمرني اللّه بقتال أهل البغي و النّكث ، و الفساد في الأرض : فأمّا النّاكثون فقد قاتلت ، و أمّا القاسطون فقد جاهدت ، و أمّا المارقة فقد دوّخت [3] ، و أمّا شيطان

[1] فلعن اللّه السفهاء . . . : الجهلة . و الحلماء : ذوي العقول . لترك التناهي : لتركهم هذه الفريضة .

[2] قطعتم قيد الإسلام : ما ألزمكم به من أحكام و تعاليم .

[3] أهل البغي . . . : الظلم . و نكث البيعة : نبذها .

و المراد : الذين حاربوه في البصرة بعد بيعتهم .

و القاسطون : العادلون عن الحقّ . و هم معاوية و لفيفه .

و مرق من الدين : خرج منه . و المراد بهم أهل النهروان .

و دوخت : أذللته و أخضعته .

الرَّدهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ،

و رجّة صدره [1] ، و بقيت بقيّة من أهل البغي ،

و لئن أذن اللّه في الكرّة عليهم لأديلنّ منهم ، إلاّ ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّرا [2] .

[1] و أما شيطان الردهة فقد كفيته . . . : قال ابن الأثير : الردهة :

النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ، و في حديث عليّ عليه السلام أنّه ذكر ذا الثدية فقال : شيطان الردهة ا ه . و أيضا يسمى بالمخدّج ، و هو حرقوص بن زهير ، رئيس الخوارج .

و هو الذي استخبرت عنه عائشة من مسروق ، فأخبرها بقتله ،

و سألها عمّا سمعت من النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فيهم ،

فقالت : سمعته يقول : انّهم شرّ الخلق و الخليقة ، يقتلهم خير الخلق و الخليقة ، و أقربهم عند اللّه وسيلة . و الصفعة :

غشية من صيحة و نحوها . وجبة قلبه : اضطرابه . و رجّة صدره : ارتعاده .

[2] بقية من أهل البغي . . . : معاوية و أصحابه . و الكرّة :

الرجعة لاذيلنّ منهم : أقهرهم و أغلبهم . و يتشذّر : يتمزّق و يتبدد .

[64]

أنا وضعت في الصّغر بكلاكل العرب ،

و كسرت نواجم القرون [1] ربيعة و مضر ، و قد علمتم موضعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرابة القريبة ، و المنزلة الخصيصة ،

وضعني في حجره و أنا ولد يضمّني إلى صدره ،

و يكنفني في فراشه ، و يمسّني جسده ، و يشمّني عرفه [2] ، و كان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه ، و ما وجد لي كذبة في قول ، و لا خطلة [3] في فعل ، و لقد قرن اللّه به ، صلّى اللّه عليه و آله ، من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به

[1] كلاكل جمع كلكل : الصدر . و المراد به صدور أهل الجاهلية و أكابرها . نجم الشيء : طلع و ظهر . و المراد بالقرون رؤساء المشركين و شجعانهم لأنّهم مركز القوّة و السطوة .

[2] يكنفني . . . : يجعلني بجنبه . يشمني عرفه : رائحته .

[3] خطلة : خطأ .

[65]

طريق المكارم ، و محاسن أخلاق العالم ، ليله و نهاره ، و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل [1] أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما [2] ،

و يأمرني بالإقتداء به ، و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحرّاء [3] ، فأراه و لا يراه غيري ، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و خديجة ، و أنا ثالثهما ، أرى نور الوحي و الرّسالة ، و أشمّ ريح النّبوّة .

و لقد سمعت رنّة الشّيطان [4] حين نزل الوحي

[1] الفصيل : ولد الناقة .

[2] يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما : العلم : الراية .

و المراد : أتعلم في كل يوم منه خلقا ، و أهتدي الى فضيلة ،

كالعلم الذي يستهدى به .

[3] يجاور . . . : كان قبل البعثة يقيم في حراء للعبادة في كل شهر رمضان يمرّ عليه . و حراء : جبل قريب من مكّة .

[4] رنّة الشيطان : صوته .

عليه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فقلت : يا رسول اللّه ، ما هذه الرّنّة ؟ فقال : « هذا الشّيطان أيس من عبادته ، إنّك تسمع ما أسمع ، و ترى ما أرى ، إلاّ أنّك لست بنبيّ ، و لكنّك وزير [1] ،

و إنّك لعلى خير » . و لقد كنت معه ، صلّى اللّه عليه و آله ، لمّا أتاه الملأ [2] من قريش ، فقالوا له : يا محمّد ، إنّك قد ادّعيت عظيما لم يدّعه آباؤك و لا أحد من بيتك ، و نحن نسألك أمرا إن أنت أجبتنا إليه و أريتناه علمنا أنّك نبيّ و رسول ،

و إن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب . فقال

[1] وزير الملك : الذي يحمل ثقله ، و يعينه برأيه . و يدعم هذا ما رواه الخاص و العام (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى) تشبيها بمنزلة هارون عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم : وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي 20 : 30 .

[2] الملأ : الاشراف .

صلّى اللّه عليه و آله : و ما تسألون ؟ قالوا : تدعو لنا هذه الشّجرة حتّى تنقلع بعروقها و تقف بين يديك . فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم : إنّ اللّه على كلّ شيء قدير ، فإن فعل اللّه لكم ذلك أ تؤمنون و تشهدون بالحقّ ؟ قالوا : نعم ، قال :

فإنّي سأريكم ما تطلبون ، و إنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير ، و إنّ فيكم من يطرح في القليب ، و من يحزّب الأحزاب [1] ، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله : يا أيّتها الشّجرة ، إن كنت تؤمنين باللّه و اليوم الآخر و تعلمين أنّي رسول اللّه فانقلعي

[1] لا تفيئون الى خير . . . : لا ترجعون . و القليب : البئر .

و المراد به قليب بدر الذي طرح به قتلى المشركين . و تحزّب القوم : تعاونوا عليه . و الحزب : كل طائفة جمعها الإتجاه الى غرض واحد . و يحزّب الأحزاب : هو أبو سفيان ، فقد جاء بقريش و غطفان و كنانة و بني سليم و بقية العرب ، بل و حتى اليهود لإجتياح الاسلام في معركة الخندق .

بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن اللّه . و الّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها و جاءت و لها دويّ شديد ، و قصف [1] كقصف أجنحة الطّير ، حتّى وقفت بين يديّ رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، مرفرفة ، و ألقت بغصنها الأعلى على رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و ببعض أغصانها على منكبي و كنت عن يمينه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّا و استكبارا : فمرها فليأتك نصفها و يبقى نصفها ، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشدّه دويّا ، فكادت تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فقالوا كفرا و عتوّا [2] :

[1] قصف الرعد : إشتد صوته .

[2] عتّوا : إستكبارا و تجاوزا للحق

فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان ،

فأمره ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فرجع فقلت أنا : لا إله إلاّ اللّه ، فإنّي أوّل مؤمن بك يا رسول اللّه ، و أوّل من أقرّ بأنّ الشّجرة فعلت ما فعلت بأمر اللّه تعالى تصديقا بنبوّتك و إجلالا لكلمتك ،

فقال القوم كلّهم : بل ساحر كذّاب عجيب السّحر خفيف فيه ، و هل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا ؟ (يعنونني) و إنّي لمن قوم لا تأخذهم في اللّه لومة لائم [1] : سيماهم [2] سيما الصّدّيقين ،

[1] لامه على كذا لوما : عذله : و المراد : انا معشر صدق لا نتأثر في مسيرتنا نحو اللّه تعالى ، و ما يقرّبنا إليه ، و يرفع درجتنا عنده ، بلوم اللائمين و عتابهم ، بل نمضي قدما .

[2] سيماهم . . . : علامتهم . و الصديقين جمع صدّيق :

المصدّق بكل ما أمر به اللّه ، و أمر به الرسل ، لا يدخله في ذلك شك . و الأبرار جمع بر : المطيع للّه ، المحسن في أفعاله .

[70]

و كلامهم كلام الأبرار ، عمّار اللّيل و منار النّهار [1] ، متمسّكون بحبل القرآن [2] ، يحيون سنن اللّه و سنن رسوله [3] ، لا يستكبرون و لا يعلون و لا يغلّون [4] ، و لا يفسدون : قلوبهم في الجنان ،

[1] عمّار الليل . . . . بالصلاة و الدعاء و الإستغفار . روى الطبرسي عن ابن عباس في قوله تعالى : و طائفَةٌ مِنَ الّذَينَ معك قال : علي و أبو ذر . و المنار : العلائم التي يهتدي بها في البر و البحر : و المراد : نحن الهداة للخلق ، و المرشدون لهم .

[2] متمسكون . . . : معتصمون . بحبل القرآن : إستعار له الحبل من جهة أن التمسك به سبب للنجاة من الردى ، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من الردى .

[3] سنن اللّه . . . : شرائعه و أحكامه . و سنن رسوله : ما صدر عنه من قول و فعل .

[4] و لا يغلون : لا يحقدون وَ نزعنا مَا في صُدُورِهم مِن غِلّ 7 : 43 تنبيه و هذه الخطبة هي أطول خطب النهج ، و هي كما قرأنها في التحذير من الشيطان و سبله ، و قد تتصور أن الشيطان قوة قاهرة لا يمكن الخلاص منها ، و فخ مرصود لا يمكن تجنبه ،

و الأمر خلاف ذلك ، و اللّه سبحانه أعدل من أن يجعل عدوا بهذه الكيفية ثم يؤاخذ خلقه بأعمالهم .

إن الشيطان بمنزلة صديق السوء ، فهو يحبذ لك الفساد و عمل الشر ، لكنه لا يستطيع إجبارك عليه أبدا ، بل ورد عن الصادقين صلوات اللّه عليهم : إطرد الخبيث فانه لا يعود .

و المراد : أن الشيطان إذا حبذ لك لعب القمار و لو بقرش واحد و إستجبت لرغبته ، فقد سجلك في دفتر زبائنه ،

و يصعب حينئذ الإفلات من قبضته ، أما إذا لم تستجب له في المرة الأولى ، فانه لا يعود إليك ، و معنا في ذلك القرآن الكريم إن عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانُ 15 : 42 .

و قوله تعالى : إنَّه لَيسَ لَهُ سُلطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 16 : 99 .

[71]

و أجسادهم في العمل [1] .

[1] قلوبهم في الجنان . . . : تعلّقا بها ، و اعراضا عن الدنيا و ما فيها . و أجسادهم في العمل : بالطاعات

[72]

(189) و من خطبة له عليه السلام

روى أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له : همام كان رجلا عابدا ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم فتثاقل عليه السلام عن جوابه ، ثم قال :

يا همّام اتّق اللّه و أحسن ف إِنَّ اللّه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنونَ فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم [1] عليه ، فحمد اللّه و أثنى عليه ،

و صلّى على النبي صلّى اللّه عليه و آله ، ثم قال :

أمّا بعد ، فإنّ اللّه سبحانه و تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّا عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم ، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه ، و لا

[1] عزم : جدّ في أمره ، و المراد : ألحّ في سؤاله

تنفعه طاعة من أطاعه ، فقسم بينهم معايشهم ،

و وضعهم من الدّنيا مواضعهم [1] ، فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل : منطقهم الصّواب ، و ملبسهم الاقتصاد [2] ، و مشيهم التّواضع ، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم ، و وقفوا أسماعهمعلى

[1] و وضعهم من الدنيا مواضعهم : من الغنى و الفقر و الضعف و القوة ، و العمل و الجهل ، الى مميزات كثيرة ليعتبروا ذلك ،

و يتوجهوا لما أمروا به نَحنُ قَسَمنَا بَينَهُم مَعيشَتَهُم فِي الحَياةَ الدّنيا وَ رَفَعنَا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجَاتٍ 23 : 32

[2] منطقهم الصواب . . . : لا يصدر منهم خطأ في قول .

و المراد : بيان صدقهم و عدم تعاطيهم لفضول الكلام .

و ملبسهم الإقتصاد : ما فيه التجمل : بلا إسراف في الأناقة ،

و لا هو بالمستوى الذي لا يليق . و مشيهم التواضع . خلافا لمشي المتكبرين و خيلائهم وَ لاَ تَمْشِ فِي الأَرضِ مَرحَاً إِنَّ اللّه لاَ يُحبُّ كُلّ مختَالٍ فَخُورٍ 31 : 18 .

[3] غضّوا أبصارهم . . . : خفضوها و كفّوها . و وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم : إقتصروا على مدارسة العلم الذي ينفعهم في حياتهم الأبدية .

العلم النّافع لهم ، نزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالّتي في الرّخاء [1] ، و لو لا الأجل الّذي كتب عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثّواب ، و خوفا من العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم [2] ،

فهم و الجنّة كمن قد رآها [3] فهم فيها منعّمون ،

و هم و النّار كمن قد رآها ، فهم فيها معذّبون .

[1] نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء : إستوى الأمران لديهم إستسلاما و رضا بقضاء اللّه تعالى .

[2] عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم : فهم لما تداخلهم من عظمة ربهم صاروا لا يخافون أحدا غيره .

[3] فهم و الجنة كمن قد راها فهم فيها منعمون الخ : هم في يقينهم بما وعد اللّه سبحانه المتقين بجنانه كأنهم فيها ، و هم في يقينهم بما أوعد اللّه سبحانه العصاة من النيران كأنهم فيها .

و هذا مشابه لما أمرنا به من بقاء العبد بين الخوف و الرجاء

[75]

قلوبهم محزونة ، و شرورهم مأمونة ، و أجسادهم نحيفة [1] ، و حاجاتهم خفيفة [2] ، و أنفسهم عفيفة ،

صبروا أيّاما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة . تجارة مربحة [3] يسّرها لهم ربّهم ، أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها [4] ، و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها . أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن : يرتّلونه

[1] قلوبهم محزونة . . . : لكثرة ما داخلهم من خوف . و شرورهم مأمونة : قد أمن الناس جانبهم ، فلا يصدر منهم إلاّ الخير .

[2] حاجاتهم خفيفة : إقتصروا من الدنيا على القليل المجزي .

[3] صبروا أياما قصيرة . . . : على الطاعة ، و عن المعصية ،

و على تحمّل مشاق الحياة و نكباتها . أعقبتهم راحة طويلة :

عاقبة الشيء : آخره . و المراد : أن صبرهم فترة قصيرة أكسبهم راحة طويلة ، و نعيما دائما لا يزول .

[4] أرادتهم الدنيا فلم يريدوها . . . : كانت الفرصة مؤاتية لهم في النيل منها ، و الحصول على مراكز مهمة فيها . و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها : سلموا من مغرياتها و زهدوا فيها

[76]

ترتيلا [1] ، يحزنون به أنفسهم ، و يستثيرون دواء دائهم [2] ، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا [3] ، و تطلّعت نفوسهم إليها شوقا ، و ظنّوا أنّها نصب أعينهم ، و إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، و ظنّوا أنّ زفير جهنّم و شهيقها في أصول آذانهم [4] ، فهم حانون على

[1] يرتلونه ترتيلا : يبينونه بيانا و لم يعجلوا بقراءته .

[2] يحزنون به أنفسهم . . . : يقرؤونه بصوت محزن . و يستثيرون به دواء دائهم : إستثار الساكن : هيّجه . و المراد : أنهم يأخذون منه الدواء و العلاج للجهل ، و جميع ما يباعد العبد عن ربه .

[3] ركنوا إليها طمعا : سكنوا و إطمأنوا .

[4] زفير جهنم و شهيقها : زفرت النار : سمع لإتقادها صوتا و شهيقها : مثل صوت القدر عند غليانها و فورانها إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ 67 : 7

[77]

أوساطهم [1] ، مفترشون لجباههم و أكفّهم و ركبهم و أطراف أقدامهم ، يطّلبون إلى اللّه تعالى في فكاك رقابهم . و أمّا النّهار فحلماء [2] علماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم الخوف بري القداح [3] ينظر إليهم النّاظر فيحسبهم مرضى ، و ما بالقوم من مرض ، و يقول قد خولطوا [4] و لقد خالطهم أمر عظيم : لا يرضون من أعمالهم القليل [5] ، و لا

[1] فهم حانون على أوساطهم . . . : حال ركوعهم . و مفترشون لجباههم : حال سجودهم .

[2] حلماء . . . : عقلاء . و أبرار جمع بر : المطيع للّه تعالى ،

المحسن في أفعاله .

[3] براهم الخوف : برى السهم : نحتها . و المراد : وصف نحافة أجسامهم لكثرة عبادتهم و صيامهم . و القداح :

السهام .

[4] خولطوا : إختلت قواهم العقلية .

[5] لا يرضون من أعمالهم القليل . . . : همتهم عالية ، فهم يحاولون الحصول على الرقم القياسي في عمل الخير . و لا يستكثرون الكثير : لا يدخلهم عجب و زهو بكثرة العمل ، بل لا يخرجون أنفسهم من التقصير .

يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متّهمون ، و من أعمالهم مشفقون [1] ، إذا زكّي أحدهم [2] خاف ممّا يقال له فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ،

و ربّي أعلم بي منّي بنفسي . اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون ، و اجعلني أفضل ممّا يظنّون ، و اغفر لي ما لا يعلمون .

فمن علامة أحدهم : أنّك ترى له قوّة في دين ، و حزما في لين ، و إيمانا في يقين ، و حرصا في علم ، و علما في حلم ، و قصدا في

[1] فهم لأنفسهم متهمون . . . : في أنها لم تؤد المطلوب منها و من أعمالهم مشفقون : خائفون من عدم قبولها

[2] إذا زكي أحدهم : مدح و أثني عليه .

غنى ، و خشوعا في عبادة ، و تجمّلا في فاقة ،

و صبرا في شدّة ، و طلبا في حلال ، و نشاطا في هدى ، و تحرّجا عن طمع [1] ، يعمل الأعمال الصّالحة و هو على وجل ، يمسي و همّه الشّكر

[1] قوة في دين . . . : صلب العقيدة ، قوي الإيمان . و حزما في لين : مع ضبطه لأموره فهو ليّن العريكة مع المجتمع . و إيمانا في يقين : راسخا في إيمانه ، على يقين من أمره . و علما في حلم : قد مزج علمه بعقل ظهر باديا في تعلمه و تعليمه .

و قصدا في غنى : قصد في النفقة : لم يسرف و لم يقتّر .

و خشوعا في عبادة : خاضعين متواضعين متذللين الَّذينَ هُم في صَلاَتهم خَاشِعُونَ 23 : 2 . و تجملا في فاقة :

تجمّل : تزيّن و تكلّف الجميل . و الفاقة الفقر . و المراد :

يظهر للناس بمظهر الغني يحسَبُهُمُ الجَاهِلُ اغنيَاءَ منَ التَّعفّفُ 2 : 273 . و صبرا في شدّة : يقابل نكبات الحياة بالصبر عليها . و طلبا في حلال : مقتصرا في مكسبه على الرزق الحلال . و نشاطا في هدى : قويا نشيطا في كل ما يقربه الى اللّه تعالى . و تحرجا عن طمع : متجنبا للمطامع لأنها تجره الى ما لا يحمد عقباه .

[80]

و يصبح و همّه الذّكر ، يبيت حذرا ، و يصبح فرحا : حذرا لما حذر من الغفلة ، و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره [1] لم يعطها سؤلها فيما تحبّ ،

قرّة عينه فيما لا يزول ، و زهادته فيما لا يبقى [2] ،

يمزج الحلم بالعلم ، و القول بالعمل [3] ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ،

منزورا أكله ، سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميتة

[1] إن إستصعبت عليه نفسه فيما تكره . . . : من عمل الخير ،

لأن النفس أمّارة بالسوء . لم يعطها سؤلها فيما تحب : لم يستجب لرغباتها و نزواتها .

[2] قرة عينه فما لا يزول . . . : أنسه و ابتهاجه فيما يقدمه من عمل الخير . و زهادته فيما لا يبقى : الزهد : الرضا باليسير بما يتيقّن حلاله ، و ترك الزائد على ذلك للّه تعالى . و المراد : بيان اعراضه عن الدنيا .

[3] يمزج الحلم بالعلم . . . و لأهمية التلازم بينهما فقد ذكرها الإمام عليه السلام في هذا الكلام مرارا و المراد : إتصافه بالأناة و ضبط النفس ، مع تحليه بالعلم . و القول بالعمل : يعمل بما يقوله و يأمر به الآخرين .

[81]

شهوته ، مكظوما غيظه [1] ، الخير منه مأمول [2] ، و الشّرّ منه مأمون ، إن كان في الغافلين كتب في الذّاكرين ، و إن كان في الذّاكرين لم يكتب من

[1] قريبا أمله . . . : لا يبعد بآماله : و كلمة الإمام عليه السلام :

أخوف ما أخاف عليكم إثنان : أتباع الهوى و طول الأمل .

قليلا زلله : خطأه . خاشعا قلبه : خاضعا ذليلا . قانعة نفسه : بما قسم له ، و القناعة كنزه الذي لا يفنى .

أكله : قليلا . سهلا أمره : مكتفيا من الدنيا بالقليل المجزي . حريزا دينه : مصونا منزورا من الشكوك و الوساوس . ميتة شهوته : عن المحرمات .

مكظوما غيظه : الكاظم لغيظه : الممسك على ما في نفسه منه ، صافحا أو مغيظا و الغيظ : أشد الغضب وَ الكَاظِمِينَ الغَيظَ وَ العَافِين عَنِ النَّاس 3 : 134 .

[2] الخير منه مأمول . . . : لأنه أهله و محله ، و قد إعتاده .

و الشر منه مأمون : فهو لا يعرفه فضلا عن أن يأتي به .

[82]

الغافلين [1] ، يعفو عمّن ظلمه [2] ، و يعطي من حرمه ، و يصل من قطعه ، بعيدا فحشه [3] ، ليّنا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ،

مدبرا شرّه ، في الزّلازل وقور [4] ، و في المكاره

[1] ان كان في الغافلين كتب من الذاكرين . . . : لعدم غفلته معهم ، و ملازمته لما إعتاده من ذكر اللّه تعالى . و ان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين : لانشغاله معهم في ذكر اللّه تعالى .

[2] يعفو عمن ظلمه . . . : تفضلا ، راجيا بذلك عفو اللّه تعالى عنه . و يعطي من حرمه : تقرّبا الى اللّه تعالى . و يصل من قطعه : إحسانا ، فقد سمت نفسه عن مقابلة المسيء بالإساءة .

[3] بعيدا فحشه . . . : نزّه نفسه عن كل قول و فعل يشين بصاحبه . لينا قوله : يتكلم برفق و لين . غائبا منكره : بعيدا عن كل سوء . حاضرا معروفه : باديا إحسانه . مقبلا خيره ،

مدبرا شره : شبيه بما مرّ الخير منه مأمول ، و الشر منه مأمون .

و المراد : كثرة خيره ، و إنعدام شرّه

[4] في الزلازل وقور . . . : فهو عند الأهوال و الشدائد لا يخرج عن الكياسة و الإتزان . و في المكاره صبور : يصبر على نكبات الحياة ، و تقلبات الزمن . و في الرخاء شكور : يستديم بذلك تواتر النعم .

صبور ، و في الرّخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، و لا يأثم فيمن يحبّ [1] يعترف بالحقّ قبل أن يشهد عليه [2] ، لا يضيع ما استحفظ ، و لا ينسى ما ذكّر [3] ، و لا ينابز بالألقاب [4] ، و لا يضارّ بالجار ،

[1] لا يحيف على من يبغض . . . : لا يصدر منه ظلم حتى لمن كرهه و مقته . و لا يأثم فيمن يحب : لا يتجاوز في حبّه الشريعة فيخالفها فيمن أحبّه ، بل هو على السداد و الإستقامة فيمن أحب و أبغض .

[2] يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه : مستغنيا بإيمانه و تقواه من أن تقام عليه دعوى ، و يشهد عليه شهود .

[3] و لا يضيّع ما استحفظ . . . : إستحفظه الشيء : سأله حفظه . و المراد محافظته على أوامر اللّه تعالى و حدوده . و لا ينسى ما ذكّر : من مواعظ القرآن الكريم ، و حديث الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله ، و لا تغيب المواعظ و العبر عن ذهنه .

[4] و لا ينابز بالألقاب . . . : هو كل أسم لم يوضع للشخص ،

و يكره أن يدعى به وَ لاَ تَنَابَزوا بالالقَابِ بِئسَ الإِسمُ الفسُوقُ بَعَد الايمان 49 : 11 و لا يضار بالجار : لا يؤذي جاره . و لا يشمت بالمصائب : لا يفرح بمكروه أصاب خصمه ، فهو أنزه و أسمى من ذلك .

و لا يشمت بالمصائب ، و لا يدخل في الباطل ،

و لا يخرج من الحقّ [1] . إن صمت لم يغمّه صمته [2] ،

و إن ضحك لم يعل صوته ، و إن بغي عليه [3] صبر حتّى يكون اللّه هو الّذي ينتقم له . نفسه منه في عناء [4] ، و النّاس منه في راحة . أتعب نفسه

[1] و لا يدخل في الباطل . . . : هو في حذر من الولوج في مداخل الباطل . و لا يخرج من الحق : هو أقوى من أن يستميله الشيطان فيترك طريق الهدى و الإستقامة .

[2] إن صمت لم يغمّه صمته . . . : لا يحزن لما فاته من كلام لمعرفته بمواقع الكلام و السكوت ، و أيضا : إن الإنسان قد يحزن و يأسف على الكلام لا على السكوت . و إن ضحك لم يعل صوته : كما يفعل السفهاء ، بل أن ضحكه التبسّم .

[3] و إن بغي عليه الخ : البغي : الظلم . و المراد : إستعماله الصبر مع الظالمين منتصرا باللّه تعالى عليهم .

[4] نفسه منه في عناء . . . : في تعب من العبادة ، و السعي بجد في طلب مرضاته تعالى . و الناس منه في راحة : لا تصدر منه إساءة إليهم .

[85]

لآخرته [1] ، و أراح النّاس من نفسه . بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهة [2] ، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمة . ليس تباعده بكبر و عظمة ، و لا دنوّه بمكر و خدعة .

[1] أتعب نفسه لآخرته الخ : الجملة شبيهة بالسابقة ، فهو تعب في تحصيل أكثر ما يمكن من الحسنات ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، و أيضا : شغلته نفسه من أن يصدر عنه ما يسيء لآخرين ، بل لا يصدر منه إلاّ الخير .

[2] بعده عمن تباعد عنه زهد و نزاهة . . . : فهو حينما يتباعد عن قوم زهدا منه في دنياهم ، و تنزها عن الانغماس فيها . و دنوه ممن دنا منه لين و رحمة : عملا بما أمر به من التواصل ، و زيارة الاخوان ، و ادخال السرور عليهم . ليس تباعده بكبر و عظمة : بل لما استوجبوا من المقاطعة ، لبعدهم عن الشريعة . و اليأس من إصلاحهم . و لا دنوّه بمكر و خديعة : ليس غرضه فيمن يتصل به الإحتيال ، و النيل من دنياه ، أو إيقاعه في مكروه .

[86]

فصعق [1] همام صعقة كانت نفسه فيها ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

أما و اللّه لقد كنت أخافها عليه ثمّ قال :

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ؟ فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين [2] فقال :

ويحك إنّ لكلّ أجل وقتا لا يعدوه ، و سببا لا يتجاوزه ، فمهلا لا تعد لمثلها ، فإنّما نفث الشّيطان على لسانك

[1] صعق . . . : أغمي عليه . كانت نفسه فيها : مات منها .

[2] فما بالك . . . : لا تتأثر بها كهمام . ويحك : كلمة ترحّم و توجّع . ان لكل أجل وقتا لا يعدوه : إن لكل إنسان عمرا مكتوبا في اللوح المحفوظ ، لا يزيد و لا ينقص . نفث الشيطان على لسانك : تكلم بلسانك .

[87]

(190) و من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين [1]

نحمده على ما وفّق له من الطّاعة ، و ذاد عنه من المعصية [2] ، و نسأله لمنّته تماما ، و بحبله اعتصاما [3] ، و نشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله :

[1] المنافقين : هم الذين يبطنون الكفر و يظهرون الإيمان ، و كان وجودهم في صدر الإسلام من أعظم المشاكل التي إعترضت المسلمين ، حتى أن اللّه سبحانه أنزل سورة فيهم ، مضافا الى سور كثيرة تعرضت لهم .

[2] ذاد عنه من المعصية : ذاد : دفع . و المراد : حمده على إبعاده عبده عن المعصية ، كمن هيّأ له جوّا بعيدا عن تناول المعاصي ، و محيطا لا يساعد على إرتكاب الآثام .

[3] لمنّته تماما . . . : المنّة : الإحسان و الأنعام . و المراد : أن يتم إحسانه ، و يفيض علينا نعمه . و بحبله إعتصاما : المراد بحبله القرآن الكريم ، لأن التمسك به سبب للنجاة عن الردى ، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن الردى .

و معنى الإعتصام التمسك ، و المراد به العمل .

[88]

خاض إلى رضوان اللّه كلّ غمرة [1] ، و تجرّع فيه كلّ غصّة ، و قد تلوّن له الأدنون [2] ، و تألّب عليه الأقصون ، و خلعت إليه العرب أعنّتها ، و ضربت لمحاربته بطون رواحلها ، حتّى أنزلت بساحته عدوانها : من أبعد الدّار ، و أسحق المزار [3] .

[1] خاض الى رضوان اللّه كل غمرة . . . : خاض الماء : دخله و مشى فيه . و رضوان اللّه : طلب مرضاته . و الغمرة :

الشدة . و المراد : بيان ما عاناه صلّى اللّه عليه و آله في تأدية الرسالة . و جرّعه غصص الغيظ : غاضه مرة بعد أخرى فكظم الغيظ .

[2] تلون فلان : لم يثبت على خلق . و الأدنون : الأقربون منه . و المراد بهم عشيرته قريش . و تألّب : تظافر .

و الأقصون : الأبعدون منه ، كهوازن و ثقيف و غيرهما من قبائل العرب . و خلعت : نزعت . و ضربت لمحاربته بطون رواحلها : الرواحل من الأبل : الصالح للإسفار و الأحمال .

و المراد : وصف مسارعتهم إلى حربه : و أنزلت بساحته عدوانها : الساحة : الفضاء بين المنازل . و المراد : قصدهم له كما في أحد و الخندق و غيرهما . من أبعد الدار : من أماكن بعيدة . و اسحق : أبعد . و المزار : موضع الزيارة .

[89]

أوصيكم ، عباد اللّه بتقوى اللّه ، و أحذّركم أهل النّفاق : فإنّهم الضّالّون المضلّون ، و الزّالّون المزلّون [1] : يتلوّنون ألوانا ، و يفتنّون افتنانا [2] ،

[1] أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه . . . : العمل بأوامره ، و الانتهاء عما نهى عنه . و احذّركم : اخوفكم . و الضالون : السالكون طريق الضلال . و المضلون : لغيرهم و الزالون :

الواقعون في الخطأ . و المزلون : لغيرهم .

[2] يتلونون ألوانا . . . : يتغيّرون سراعا حسب مقتضيات مقاصدهم . و يفتنون افتتانا : يأخذون في فنون من القول و العمل . و يعمدونكم : يقصدونكم . و العماد : ما رفع شيئا و حمله . و المراد : يتوسّلون بشتّى الوسائل لما يضعفكم و يؤذيكم . و يرصدونكم : قعدوا لكم على الطريق يرقبونكم . بكل مرصاد : طريق الرصد و المراقبة . و المراد :

وصف تتبعهم و بحثهم عن كل ما يسبب للمسلمين المتاعب و الانقسام .

[90]

و يعمدونكم بكلّ عماد ، و يرصدونكم بكلّ مرصاد ، قلوبهم دويّة ، و صفاحهم نقيّة [1] ،

يمشون الخفاء ، و يدبّون الضّرّاء [2] . وصفهم دواء ، و قولهم شفاء ، و فعلهم الدّاء العياء [3] ،

حسدة الرّخاء [4] ، و مؤكّدو البلاء ، و مقنطو

[1] قلوبهم دويّة . . . : مريضة . في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مرَضاً و لَهُم عَذَابُ اليمُ بِمَا كَانُوا يكذِبُونَ 2 :

10 . و صفاحهم نقيّة : وجوهم نظيفة . و المراد : أن ظاهرهم مليح ، يستقبلون المسلمين بالود و البشاشة ،

و باطنهم خبيث فاسد .

[2] يمشون الخفاء . . . : كيدهم في سرّية و كتمان . و يدبّون الضراء : دب النمل : مشى رويدا . و الضراء : الشجر الملتف بالوادي ، و هو مثل يضرب لمن يختل صاحبه .

و المراد : وصف عملهم السرّي في الكيد للمسلمين .

[3] وصفهم دواء ، و قوله شفاء . . . : كلامهم كلام العلماء و الحكماء في الزهد و المواعظ . و فعلهم الداء العياء : الذي أعيى أطباء النفوس شفاؤه .

[4] حسدة الرخاء . . . : يحسدون المسلمين إذا رأوا عليهم آثار النعم و سعة العيش ، و حسن الحال . و مؤكدوا البلاء :

يسعون في زيادة البلاء النازل على غيرهم ، كمن طلبته الدولة بجرم فينسبوه له آخر تشديدا عليه .

[91]

الرّجاء [1] ، لهم بكلّ طريق صريع ، و إلى كلّ قلب شفيع ، و لكلّ شجو دموع يتقارضون الثّناء ، و يتراقبون الجزاء [2] : إن سألوا ألحفوا ،

و إن عذلوا كشفوا ، و إن حكموا أسرفوا [3] . قد

[1] و مقنطو الرجاء : الاياس من الفرج .

و المراد : كثرة الضحايا الذين قتلوهم أو أساؤوا إليهم . و الى كل قلب شفيع : وصف لمكائدهم ، فهم يأتون الشخص من حيث هواه و ميوله فيستولون عليه . و لكل شجو دموع :

الشجو : الحزن . و المراد : انهم يتظاهرون بمشاركة الناس في مصائبهم ، فيبكون معهم تملقا و كسبا لمودتهم .

[2] يتقارضون الثناء . . . : هم في ثنائهم كمن يقرض صاحبه منتظرا إرجاع القرض ، فهو متوقع لثناء صاحبه عليه .

و يتراقبون الجزاء : جزاء ثنائهم .

[3] إن سألوا الحفوا . . . : ألحّوا . و اذا عذلوا كشفوا : العدل :

اللوم . و المراد : هم عند لومهم و عبثهم على الشخص يكشفون عيوبه . و إن حكموا أسرفوا : في الأموال و الدماء .

[92]

أعدّوا لكلّ حقّ باطلا ، و لكلّ قائم مائلا ، و لكلّ حيّ قاتلا ، و لكلّ باب مفتاحا ، و لكلّ ليل مصباحا [1] : يتوصّلون [2] إلى الطّمع باليأس ليقيموا به أسواقهم ، و ينفقوا به أعلاقهم : يقولون فيشبّهون ، و يصفون فيموهّون [3] ، قد هوّنوا

[1] قد أعدّوا لكل حق باطلا . . . : من الشبه و التمويه و الخداع . و لكل قائم مائلا : لكل استقامة إعوجاجا . و لكل حي قاتلا : سببا لقتله . و لكل باب مفتاحا : مدخلا من وجوه الضلال . و لكل ليل مصباحا : لكل ورطة مخرجا .

[2] يتوصلون الى الطمع باليأس . . . : يظهرون العفاف و الزهد .

ليقيموا به أسواقهم : لترويج بضاعتهم . و ينفقوا به أعلاقهم : جمع علق : النفيس من كل شيء . و المراد :

أنهم يظهرون بمظهر الأولياء و المتعففين عن أموال الناس ليتمكنوا بذلك من الهيمنة عليهم .

[3] يقولون فيشبهون . . . : يلقون بالشبه أمام الضعفاء .

و يصفون فيموهون : المموه : المطلي بذهب و فضة و ليس جوهره منهما . و المراد : بيان خداعهم و تزييفهم الحقائق .

[93]

الطّريق ، و أضلعوا المضيق [1] : فهمّ لمّة الشّيطان ، و حمة النّيران [2] أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

(191) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للَّه الّذي أظهر من آثار سلطانه ،

و جلال كبريائه ، ما حيّر مقل العيون من عجائب

[1] قد هونوا الطريق . . . : كأن إقتحام الباطل ، و تخطي الحواجز التي جعلها اللَّه جلّ جلاله ليس بالأمر السهل ،

و مهمتهم تهوينها على الناس ، و دفعهم لتخطيها . و اضلعوا المضيق : عوّجوا مضائقها حتى يصعب على الداخلين الخروج منها .

[2] فهم لمة الشيطان . . . : جماعته . و حمّة النيران : الحمّة :

إبرة العقرب التي تلسع بها .

[94]

قدرته ، و ردع خطرات هماهم النّفوس عن عرفان كنه صفته [1] . و أشهد أن لا إله إلاّ اللَّه شهادة إيمان و إيقان ، و إخلاص و إذعان [2] و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله و أعلام الهدى دارسة ، و مناهج الدّين طامسة [3] ، فصدع

[1] الحمد للَّه الذي أظهر من آثار سلطانه . . . الخ : المقلة :

العين كلها . و المراد : أن بدائع قدرته في السماء من شمس و قمر و نجوم ، و في الأرض : من حيوان و نبات و جماد ، ما يبهر النفوس ، و تكلّ منه العيون ، و تقصر عن ذكره الألسنة ،

و ما غاب عنهم من ذلك أعجب و أعجب . و ردع : منع .

و خطرات جمع خاطر : ما يخطر فى النفس من أمر أو رأي أو معنى . و همام النفوس : هواجسها و أفكارها . عن عرفان كنه صفته : كنه الشيء : حقيقته . و المراد : عجز الأوهام و العقول عن الإحاطة بكنه صفاته .

[2] شهادة إيمان . . . : يطابق فيها اللسان القلب . و ايقان : عن يقين و رسوخ . و اخلاص : بعيدة عن الرياء و غيره .

و إذعان : انقياد .

[3] درس : درسا و دروسا : عفا و ذهب أثره . و مناهج الدين طامسة : ممحية .

[95]

بالحقّ ، و نصح للخلق ، و هدى إلى الرّشد ، و أمر بالقصد [1] ، صلى اللَّه عليه و آله و سلم .

و اعلموا ، عباد اللَّه ، أنّه لم يخلقكم عبثا ،

و لم يرسلكم هملا [2] . علم مبلغ نعمه عليكم ،

و أحصى إحسانه إليكم [3] ، فاستفتحوه ،

و استنجحوه ، و اطلبوا إليه و استمنحوه [4] ، فما

[1] صدع بالحق . . . : بيّنه و جهر به . و نصح للخلق : جهد في نصحهم و هدايتهم . و هدى الى الرشد : هداهم الى طريق الحق و الرشاد . و القصد : العدل .

[2] العبث . . . : عمل لا حكمة فيه و لا فائدة اَفَحَسِبْتُم اَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً وَ اَنّكُم الينَا لاَ تُرجعُونَ 23 : 115 .

و لم يرسلكم هملا : كالبهائم المهملة .

[3] علم مبلغ نعمه عليكم . . . : عالم بالنعم التي أفاضها على عباده . و أحصى احسانه اليكم : قد أحصاه و عدّه : و المراد :

أنكم مؤاخذون في تقصيركم في شكرها ، أو صرفها في غير ما أمركم به .

[4] فاستفتحوه . . . : اسألوه ان يفتح عليكم خزائن رحمته ،

و نوامي بركاته . و استنجحوه : اطلبوا منه الفوز و النجاح .

و استمنحوه : اطلبوا فضله و عطاءه .

قطعكم عنه حجاب ، و لا أغلق عنكم دونه باب [1] ، و إنّه لبكلّ مكان ، و في كلّ حين و أوان ، و مع كلّ إنس و جانّ [2] ، لا يثلمه العطاء ، و لا ينقصه الحباء [3] ، و لا يستنفده سائل ، و لا يستقصيه نائل [4] ، و لا يلويه شخص

[1] فما قطعكم عنه حجاب ، و لا غلق عنكم دونه باب : إن بابه مفتوح للسائلين .

[2] و أنه لبكل مكان . . . : الخ : أحاط علمه بجميع خلقه مَا يَكُونُ مِنْ نَجوى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُم وَ لاَ خَمسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُم وَ لاَ اَدنى مِن ذلِكَ وَ لاَ أَكْثَرَ اِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنبِئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَومَ القِيامَةِ إنَّ اللّه بِكُلِّ شيءٍ عَليمُ 58 : 7

[3] لا يثلمه . . . : لا ينقصه . و الحباء : العطاء .

[4] و لا يستنفده سائل . . . : لا يفني جوده . و لا يستقصيه نائل :

استقصى : بلغ أقصاه . و النائل : الجود و العطية . و المراد :

لا تبلغ العطية أقصى جوده مهما عظمت .

عن شخص ، و لا يلهيه صوت عن صوت [1] ،

و لا تحجزه هبة عن سلب [2] ، و لا يشغله غضب عن رحمة ، و لا تولهه رحمة عن عقاب [3] ، و لا يجنّه البطون عن الظّهور ، و لا يقطعه الظّهور عن البطون [4] . قرب فنأى ، و علا فدنا ، و ظهر

[1] و لا يلويه شخص عن شخص . . . : لا يصرفه . و لا يلهيه صوت عن صوت : لا يشغله .

[2] و لا تحجزه هبة عن سلب : تحجزه : تمنعه . و الهبة :

العطية . و السلب : الإنتزاع قهرا . و المراد : قد تقتضي حكمته المواهب لأشخاص و سلبها عن آخرين .

[3] و لا يشغله غضب من رحمة . . . : هو في وقت غضبه و سخطه على قوم تتوالى رحماته و فيوضاته على آخرين . و لا تولهه رحمة عن عقاب : تولهه : تجعله حائرا مترددا .

و المراد : تنزهه عن صفات المخلوقين من الرقّة و التردد في إنزال العقاب على المستحقين .

[4] و لا يجنه البطون عن الظهور . . . : و لا يجنه : و لا يحجبه . و البطون : الاستتار . و المراد : فهو مع استتاره ظاهر للعقول بآياته . و لا يقطعه الظهور عن البطون : فظهوره للعقول بآياته لا يمنع من خفاء كنه ذاته .

[98]

فبطن ، و بطن فعلن [1] ، و دان و لم يدن [2] ، لم يذرأ الخلق باحتيال ، و لا استعان بهم لكلال [3] .

[1] قرب فنأى . . . : بعد . و المراد : قرب من عباده فأحاط بهم علما وَ نَحْنُ اَقْرَبُ اَلَيْهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ 50 : 16 . و علا : بسلطانه و غلبته . فدنا : بعلمه و أحاطته ، بعيدا من أن تناله أبصارهم ، أو تحيط به أوهامهم . و ظهر : بعلوه و غلبته . فبطن : بعلمه بكل شيء ، فلا أحد أعلم منه .

و بطن : بكنهه و حقيقته . فعلن : بآياته .

[2] و دان . . . : غلب . و لم يدل : لم يغلب .

[3] لم يذر الخلق بإحتيال . . . : ذرأ : خلق . و الإحتيال :

أجالة الفكرة في انجاز العمل و إخراجه الى حيز الوجود ، و قد تنزّه عن ذلك و إنّما خلق بكن فيكون . و لا إستعان بهم لكلال : الكلل : التعب و الأعياء . و المراد : أن استعانته بهم كما في قوله تعالى : اِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم 47 : 7 .

ليس لعجزه عن قهر أعدائه ، بل اقتضت حكمته ذلك و يوضحه كلام الإمام عليه السلام : استنصركم و له جنود السماوات و الأرض .

[99]

أوصيكم ، عباد اللَّه ، بتقوى اللَّه ، فإنّها الزّمام و القوام [1] ، فتمسّكوا بوثائقها ، و اعتصموا بحقائقها [2] ، تؤل بكم إلى إكنان الدّعة و أوطان

[1] أوصيكم عباد اللَّه بتقوى اللَّه . . . : هي العمل بأوامره ،

و الإنتهاء عما نهى عنه . و لو أحصينا ما جاء في القرآن الكريم ، و نهج البلاغة ، و أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الحث على التقوى ، لوجدنا الكلمة قد وردت آلاف المرات ، اهتماما بشأنها ، لأن برعايتها الفوز الأكبر ، و بتركها الخسارة التي لا تعوض . و الزمام : الحبل الذي تقاد به الدابة . و المراد : أنها الأول و الآخر في إحراز الفضائل ،

و البعد عن الرزائل ، و حصول الدرجات الرفيعة . و القوام :

لأمر الدين .

[2] فتمسكوا بوثائقها . . . : بعراها الوثيقة . و المراد : العمل .

بما يقويها و يركزها من ادمان الفرائض ، و الإشتمال على المكارم . و اعتصموا : تمسكوا . و حقيقة الشيء : خالصه و كنهه . و المراد : تمسكوا بها خالصة من شوائب الرياء و غيره .

[100]

السّعة ، و معاقل الحرز ، و منازل العزّ [1] ، في يوم تشخص فيه الأبصار ، و تظلم الأقطار ،

و تعطّل فيه صروم العشار [2] ، و ينفخ في

[1] تؤل بكم . . . : تؤدي بكم . و اكنان جمع كن : ما يقي من الحر و البرد من الأبنية و غيرها . و الدعة : سعة المعيشة و الرفاه . و أوطان السعة : هي جنة الخلد وَ سَارِعُوا اِلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِكُم وَ جَنَّةٍ عَرضُهَا السَّموات وَ الاَرضُ اُعِدَتْ للمُتَقِينَ 3 : 133 و معاقل الحرز : المعقل : الحصن .

و الحرز : المكان المنيع الذي يلجأ اليه . و منازل العز :

و الكرامة ، التي اعدّها اللَّه لأوليائه .

[2] في يوم تشخص فيه الأبصار . . . : فهي شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ، و لا تطرف للتحيّر و الرعب . و تظلم له الأقطار : الجوانب . و المراد به يوم القيامة ، بعد انعدام الشمس و القمر . و يعطل فيه صروم العشار : الصروم قطعة من الإبل ، ما زاد عن عشرين الى الثلاثين . و العشار جمع عشراء : الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر ، و هي أنفس اموال العرب وَ اِذا العِشَارُ عُطِّلَتْ 81 : 4 . و المراد : انشغالهم في ذلك اليوم بأنفسهم غير ملتفتين الى ما خلفوا من الأموال .

[101]

الصّور [1] ، فتزهق كلّ مهجة ، و تبكم كلّ لهجة ،

و تذلّ الشّمّ الشّوامخ ، و الصّمّ الرّواسخ [2] ، فيصير صلدها سرابا رقرقا و معهدها قاعا سملقا [3] ، فلا شفيع يشفع ، و لا حميم يدفع ، و لا معذرة

[1] و ينفخ في الصور : الصور : كالقرن ينفخ فيه إسرافيل فيموت منها أهل السماء و الأرض يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّور 6 : 73 .

[2] تزهق . . . : تهلك . و تبكم : تخرس . و تدك : تكسّر .

و الشم الشوامخ : الجبال العالية وَ حُمِلَتِ الاَرضُ و الجِبالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدةً 69 : 14 . و الصم الرواسخ : الثابتات الراسيات ، و هي الجبال أيضا .

[3] فيصير صلدها . . . : الشديد الصلابة . و السراب : الذي يتراءى للناس في النهار ماء . و الرقراق : الخفيف .

و معهدها : ما كان معهودا بالعمران و السكن . و سملقا : أرضا خالية مستوية وَ يسئَلُونَكَ عنِ الجِبَالِ فَقُل يَنسِفُهَا رَبّي نَسفاً . فَيَذرُهَا قَاعاً صَفصَفاً . لاَ تَرى فيهَا عِوَجاً وَ لاَ اَمتاً 20 : 107

[102]

تنفع [1]

[1] فلا شفيع يشفع . . . : في النجاة من تلك الأهوال . و لا حميم يدفع : و لا قريب يتمكن من دفع الشدائد فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِين . وَ لاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ 26 : 101 . و لا معذرة تنفع :

في ذلك اليوم .

محتويات الكتاب

التسلسل الصفحة

187 و من خطبة له عليه السلام 5

188 و من خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة 16

189 و من خطبة له عليه السلام 72

190 و من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين 87

191 و من خطبة له عليه السلام 93

الحلقة 21 22

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

(192) و من خطبة له عليه السلام

بعثه حين لا علم قائم ، و لا منار ساطع ، و لا منهج واضح [1] : أوصيكم عباد اللَّه ، بتقوى اللَّه ، و أحذّركم الدّنيا ، فإنّها دار شخوص و محلّة تنغيص [2] ، ساكنها ظاعن ، و قاطنها بائن [3] ،

[1] لا علم قائم . . . : يستهدى به الى طريق الخير و الرشاد .

و المنار : العلم الذي يهتدى به في البر و البحر . و الساطع :

المرتفع . و لا منهج واضح : تسير عليه الأمّة ، بل هي الجاهلية .

[2] تقوى اللَّه . . . : العمل بأوامره ، و اجتناب ما نهى عنه .

و احذركم : أدعوكم و الإحتذار : التأهب . و شخص عن البلد : رحل عنه . و تنغصّ عيشه : تكدّر عليه . و المراد :

انها زائلة ، مليئة بالإكدار و المكاره .

[3] ساكنها ظاعن . . . : مسافر . و قاطنها بائن : القاطن :

المقيم . و بائن : مفارق . و المراد : أن اهلها منتقلون عنها ،

مفارقون لها .

تميد بأهلها ميدان السّفينة تقصفها العواصف في لجج البحار ، فمنهم الغرق الوبق ، و منهم النّاجي على بطون الأمواج ، تحفزه الرّياح بأذيالها ، و تحمله على أهوالها [1] ، فما غرق منها فليس بمستدرك ، و ما نجا منها فإلى مهلك [2]

[1] تميد بأهلها . . . : ماد الشيء : تحرّك و اضطرب . و لجج جمع لجّة : معظم البحر . و الغرق الوبق : الهالك .

و تحفزه : تدفعه . و أهوال جمع هول : الأمر الشديد .

[2] فما غرق منها فليس بمستدرك . . . : لا يمكن استعادته . و ما نجا منها فإلى مهلك : الى الموت أيضا . و المراد : تشبيه الدنيا بسفينة في لجج البحار ، في يوم عاصف ، و أهل الدنيا براكبي السفينة ، و شبّه تقلباتها في مهب الرياح هو ما يعتري أهل الدنيا من عناء و بلاء ، و كذلك ما يحصل لراكبي السفينة من خوف و رعب هو نفسه حاصل لأهل الدنيا ، و بعد أن غرقت ذهب قسم من راكبيها و نجا آخرون بعد معاناة و شدائد ، علما أن الموت مترصد لمن نجا منهم . و كذلك أهل الدنيا ، فمنهم من تخترمه المنية في عنفوان شبابه ،

و منهم الباقي لمعاناة الآلام و الأسقام .

عباد اللَّه ، الآن فاعملوا ، و الألسن مطلقة ،

و الأبدان صحيحة ، و الأعضاء لدنة ، و المنقلب فسيح ، و المجال عريض [1] ، قبل إرهاق الفوت [2] ، و حلول الموت ، فحقّقوا عليكم نزوله ، و لا تنتظروا قدومه [3]

[1] فأعملوا و الألسن مطلقة . . . : متمكنة من النطق بما يؤول اليها نفعه من الأذكار و غيرها ، قبل اعتقالها بمقدمات الموت . و الأبدان صحيحة : متمكنة من أداء الفرائض .

و الأعضاء لدنة : لينة ، قبل الشيخوخة و يبس الأعضاء بالأسقام . و المتقلب فسيح : لتصرفهم ، و تقويم سلوكهم ،

و استغلال فرصة العمر . و المجال عريض : للأستغفار و التوبة ، و الأقبال على اللَّه تعالى بالأعمال الصالحة .

[2] قبل أرهاق الفوت أرهقه : أعجله . و المراد بالفوت : تضييع فرصة العمر .

[3] فحققوا عليكم نزوله . . . : تيقنوا وروده عليكم ، و استعدوا لملاقاته بالأعمال الصالحة . و لا تنظروا قدومه : و لا تبعدوه عنكم بالتسويف .

(193) و من خطبة له عليه السلام

و لقد علم المستحفظون [1] من أصحاب محمّد ، صلى اللَّه عليه و آله و سلم ، أنّى لم أردّ [2] على اللَّه و لا على رسوله ساعة قطّ ، و لقد واسيته بنفسي في المواطن الّتي تنكص [3] فيها

[1] المستحفظون : هم أجلاء الصحابة و علمائهم الذين حفظوا أحكام الشريعة ، و بلّغوها لمن جاء بعدهم من التابعين .

[2] اني لم أردّ على اللَّه . . . الخ : لم يصدر مني اعتراض و لا مخالفة . و يرى شرّاح النهج انه تعريض ببعض من تقدمه من الخلفاء ، فقد كثر ردّه و اعتراضه على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله حتى في آخر ساعة من حياته الكريمة .

[3] واسيته بنفسي . . . : المواساة بالشيء : الاشراك فيه ، فقد اشرك النبي صلّى اللَّه عليه و آله في نفسه . و المراد : بذلت نفسي في الدفاع عنه في الليلة التي هاجر فيها الى المدينة حيث بت على فراشه مستهدفا لقريش ، و في حروبه

خصوصا يوم أحد حيث روى الخاص و العام نداء جبرئيل عليه السلام : (لا فتى إلاّ علي ، و لا سيف إلا ذو الفقار)
تنكص : تحجم .

[9]

الأبطال ، و تتأخّر فيها الأقدام ، نجدة [1] أكرمني اللَّه بها .

و لقد قبض رسول اللَّه ، صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم ، و إنّ رأسه لعلى صدري ، و لقد سالت نفسه في كفّي ، فأمررتها على وجهي [2] ، و لقد ولّيت غسله ، صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم ،

[1] نجدة : شجاعة .

[2] سالت نفسه في كفي ، فأمررتها على وجهي : المراد بذلك آخر نفس له صلى اللَّه عليه و آله ، و قالوا : لا بد لكل ميّت من نفخة تكون آخر حركاته . و قال الشارح الخوئي :

و الاقوى عندي أن يراد بالنفس نفسه الناطقة القدسية ، التي هي مبدأ الفكر و الذكر و العلم و الحلم و النباهة ، و لها خاصية الحكمة و النزاهة . . . لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدي فمسحت بها على على وجهي .

[10]

و الملائكة أعواني ، فضجّت الدّار و الأفنية ، ملأ يهبط و ملأ يعرج [1] ، و ما فارقت سمعي هينمة منهم [2] يصلّون عليه حتّى و ارياه في ضريحه ،

فمن ذا أحقّ به منّي حيّا و ميّتا [3] ؟ فانفذوا على بصائركم [4] و لتصدق نيّاتكم [5] في جهاد عدوّكم .

فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ ، و إنّهم لعلى مزلّة الباطل [6] ، أقول ما تسمعون ،

[1] الأفنية . . . : جمع فناء : المتسع أمام الدار . و الملأ :

الجماعة . و يهبط : ينزل . و يعرج : يصعد . و المراد : إزدحام الملائكة بالنزول و الصعود .

[2] الهيمنة : الصوت الخفي .

[3] فمن ذا أحق به مني حيّا و ميّتا : و هذا من الموارد الكثيرة التي ذكر فيها أحقيته بالخلافة .

[4] فأنفذوا . . . : امضوا . و بصائركم جمع بصيرة : الحجّة .

[5] و لتصدق نياتكم : ليكن قتالكم خالصا لوجه اللَّه تعالى ، و من أجل أعزاز دينه ، و نصرة أوليائه ، و دحر أعدائه .

[6] مزلة الباطل : الموضع الذي يزل فيه الإنسان .

[11]

و أستغفر اللَّه لي و لكم .

(194) و من خطبة له عليه السلام

يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ،

و معاصي العباد في الخلوات ، و اختلاف النّينان في البحار الغامرات [1] ، و تلاطم الماء بالرّياح

[1] عجيج الوحوش في الفلوات . . . : العجيج : رفع الصوت .

و فلوات جمع فلاة : الأرض الواسعة المقفرة . و معاصي العباد في الخلوات : هذا تحذير للعصاة ، فالذي يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى 20 : 7 . خليق بأن لا يعصى ، و من جعل الشهود عليهم من أنفسهم جدير بأن يخشى حَتى اِذا مَا جاؤوهَا شَهِدَ عَلَيهِم سَمعُهُم وَ اَبصارُهُم وَ جُلُودُهُم بِما كَانوا يَعلَمُونَ 41 : 20 . و اختلاف النينان جمع نون :

الحوت . و الغامرات : غمر الماء غمارة : كثر حتى ستر مقرّه .

العاصفات . و أشهد أنّ محمّدا نجيب اللّه ، و سفير وحيه [1] ، و رسول رحمته .

أمّا بعد ، فأوصيكم بتقوى اللّه الّذي ابتدأ خلقكم ، و إليه يكون معادكم ، و به نجاح طلبتكم ، و إليه منتهى رغبتكم ، و نحوه قصد سبيلكم ، و إليه مرامي مفزعكم [2] ، فإنّ تقوى اللّه

[1] نجيب . . . : المختار المصطفى . و سفير وحيه : رسوله الموحى اليه .

[2] به نجاح طلبتكم . . . : بيده قضاء حوائجكم . و اليه منتهى رغبتكم : و بيده تحقيق آمالكم . و نحوه قصد سبيلكم : يقال :

هو على قصد السبيل : اذا كان راشدا . و في القرآن الكريم : وَ عَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبيلِ 16 : 9 . و المراد :

على ضفاف نهجه يسير المستقيمون ، و على صراطه في القيامة يجتاز المخفون . و اليه مرامي مفزعكم : فزع اليه :

لجأ و استغاث . و المراد : عند ما تتأزم الأمور اليه يكون المفزع وَ مَا بِكم مِن نِعمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمّ اِذِ امسَّكُمُ الضُرُّ فَاِلَيهِ تجئَرُون 16 : 54 .

دواء داء قلوبكم ، و بصر عمى أفئدتكم ، و شفاء مرض أجسادكم ، و صلاح فساد صدوركم ،

و طهور دنس أنفسكم ، و جلاء غشاء أبصاركم ،

و أمن فزع جأشكم ، و ضياء سواد ظلمتكم [1] ،

[1] داء قلوبكم . . . : من أمراض الجهل و الرذيلة . و المراد : هي الحاجز المانع عن اقتراف الآثام . و بصر عمى أفئدتكم : يشير الى قوله تعالى : فَاَنَّها لا تَعمَى الابصَارُ وَ لَكن تَعمَى القلوبُ الَّتي في الصّدُورِ 22 : 46 . و شفاء مرض أجسادكم : لأن العبادات مشتملة على القواعد الصحية المفيدة للإنسان ، و كذلك جميع ما نهى اللّه تعالى عنه يكسب المسلم شفاء و وقاية . و صلاح فساد صدوركم :

المذهبة لوساوس الشيطان مِنَ شَرِّ الوَسوَاسِ الخَنَّاسِ .

اَلذّي يُوَسوِس في صُدُورِ النَّاسِ . مِن الجَنَّةِ وَ النَّاسِ 114 : 6 . و طهور دنس أنفسكم : بها تطهر نفوسكم من دنس الخطايا و الآثام . و جلاء عشاء أبصاركم : غشى البصر : ضعف ليلا . و المراد : بها تنكشف مناهج الحق و سبل السلام . و أمن فزع جأشكم : الفزع : الخوف و الذعر . و الجأش : النفس أو القلب . يقال : هو رابط الجأش : ثابت عند الشدائد و المراد : أنها الأمان من تلك الأهوال و المخاوف . و ضياء سواد ظلمتكم : اجعلوها نورا تقطعون بها ظلمات الجهل .

فاجعلوا طاعة اللَّه شعارا دون دثاركم ، و دخيلا دون شعاركم ، و لطيفا بين أضلاعكم ، و أميرا فوق أموركم ، و منهلا لحين ورودكم ، و شفيعا لدرك طلبتكم ، و جنّة ليوم فزعكم ، و مصابيح لبطون قبوركم ، و سكنا لطول وحشتكم ، و نفسا لكرب مواطنكم [1] ، فإنّ طاعة اللَّه حرز من متالف

[1] فاجعلوا طاعة اللَّه شعارا دون دثاركم . . . : الشعار : الثوب الذي يلي الجسد . و الدثار : ما فوقه . و المراد : التصقوا بها و اجعلوها أقرب شيء اليكم . و دخيلا دون شعاركم : ثم ترقى بهم الى جعلها ممتزجة بنفوسهم ، متداخلة بين جوانحهم . و لطيفا بين أضلاعكم : اجعلوها مما تنطوي عليه أضلاعكم ، و تكنّه صدوركم . و لعله يلمح الى تصحيح النوايا و الخواطر عن كل ما يخالف التقوى . و أميرا فوق أموركم : تمتثلون بأوامرها . و منهلا لحين ورودكم :

المنهل : الموضع الذي فيه المشرب . و المراد : ادخروها نجاة و شرابا يوم العطش الأكبر . و شفيعا لدرك طلبتكم :

تستشفعون بها الى اللَّه تعالى في قضاء حوائجكم . و قريب من هذا الحديث لا شفيع انجح من التوبة . و جنّة ليوم فزعكم : الجنّة : الوقاية . و الفزع : الخوف . و المراد :

طاعة اللَّه تحميكم من فزع يوم القيامة لاَ يَحْزَنُهُمُ الفَزَعُ الأكبَرُ وَ تَتَلقاهُمُ المَلائِكَةُ هذا يَومُكُم الّذي كُنتُمُ تُوعَدُونَ 21 : 103 . و مصابيح لبطون قبوركم : تفيد الأحاديث حماية العبادات للميت في قبره ، فتكون الصلاة عند رأسه . . . الخ فتدفع عنه أهوال القبر و شدائده . و سكنا لطول وحشتكم :

السكن : كلما سكنت إليه ، و إ ستأنست به . و المراد : بيان أثرها الحسن على أهل القبور . و نفسا لكرب مواطنكم :

نفس عنه : رفّه عنه كربته و فرجها . و المراد : إجعلوها ذخرا تستدفعون بها كرب الآخرة .

مكتنفة ، و مخاوف متوقّعة ، و أوار نيران موقدة [1] .

[1] فإن طاعة اللَّه حرز من متالف مكتنفة . . . : منجاة من بلايا محيطة بكم . و مخاوف متوقعة : من حين الموت و حتى مشاهد القيامة . و اوار نيران موقدة : الأوار : حس النار و لهبها .

فمن أخذ بالتّقوى عزبت عنه الشّدائد بعد دنوّها ،

و احلولت له الأمور بعد مرارتها ، و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها ، و أسهلت له الصّعاب بعد إنصابها ، و هطلت عليه الكرامة بعد قحوطها ،

و تحدّبت عليه الرّحمة بعد نفورها ، و تفجّرت عليه النّعم بعد نضوبها ، و وبلت عليه البركة بعد إرذاذها [1] .

[1] فمن أخذ بالتقوى غربت عنه الشدائد بعد دنوّها : غربت :

بعدت و المراد : نجاته منها . و احلولت له الأمور بعد مرارتها : تحولت ضراؤه الى سراء ، و عسره الى يسر و إنفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها : إنكشفت عنه الكرب ،

و زالت عنه الغموم و الهموم . و انصابها : أتعابها .

و المراد : سهل له العسير . و أهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها : هطل المطر : تتابع عظيم القطر . و المراد تتابع عليه النعم و الخيرات بعد البؤس . و تحدبت عليه الرحمة بعد نفورها : حدب عليه : إنحنى و إنعطف . و نفر . فزع و انقبض . و تفجرت عليه النعم بعد نضوبها . نضب الماء نضوبا : غار في الأرض . و وبلت عليه البركة بعد أرذاذها :

الوابل : المطر الشديد العظيم القطر . و الرذاذ : المطر الضعيف .

[17]

فاتّقوا اللَّه الّذي نفعكم بموعظته ، و وعظكم برسالته ، و امتنّ عليكم بنعمته ، فعبّدوا أنفسكم لعبادته ، و اخرجوا إليه من حقّ طاعته [1] .

ثمّ إنّ هذا الإسلام دين اللَّه الّذي اصطفاه لنفسه ، و اصطنعه على عينه ، و أصفاه خيرة خلقه ، و أقام دعائمه على محبّته ، أذلّ الأديان بعزّته ، و وضع الملل برفعه ، و أهان أعداءه بكرامته ، و خذل محادّيه بنصره ، و هدم أركان الضّلالة بركنه ، و سقى من عطش من حياضه ،

و أتأق الحياض لمواتحه [2] ، ثمّ جعله لا انفصام

[1] فعبّدوا أنفسكم لعبادته . . . : ذللوها . و أخرجوا إليه من حق طاعته : أدوا إليه ما إفترض عليكم من طاعته .

[2] إصطفاه . . . : إختاره لنفسه : موصلا الى مرضاته و إصطنعه على عينه : إن الدين الإسلامي شرع بأمره و علمه .

و في القرآن الكريم خطابه سبحانه و تعالى لموسى عليه السلام : وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيني 20 : 39 لتربى و تغذى بحياطتي و حفظي . و أصفاه خيرة خلقه : آثره بتبليغه . و أ قام دعائمه على محبته : دعائمه : أركانه . و على محبته : على حبّه للإسلام . و أذل الأديان بعزّته : المراد بإذلالها نسخها .

و وضع الملل برفعه : وضعه : حطّ من قدره . و المراد :

سموه عليها . و أهان أعداءه بكرامته : من المشركين و أهل الأديان بإنتصاره عليهم . و خذل محادّيه بنصره : محادّيه :

معاديه . و المراد : نصره عليهم بالحجة و الغلبة . و هدم أركان الضلال بركنه : بجانبه و المراد : جعله مقوضا لكل قوى الكفر و الضلال . و سقى من عطش من حياضه : المراد : إرتواء الناس بعلومه المودعة في القرآن الكريم ، و التي جاءت على لسان الصادقين صلوات اللَّه عليهم . و اتاق الحياض بمواتحه : أتاق الحياض : ملأها . و المواتح : الدلاء التي يستقى بها . و المراد : تحولت الآمة إلى علماء حتى قال أبو ذر الغفاري : تركنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و لا طير يطير إلاّ و عندنا علم به .

[18]

لعروته ، و لا فكّ لحلقته ، و لا انهدام لأساسه ،

و لا زوال لدعائمه ، و لا انقلاع لشجرته ، و لا انقطاع لمدّته ، و لا عفاء لشرائعه ، و لا جذّ لفروعه ، و لا ضنك لطرقه ، و لا وعوثة لسهولته ،

و لا سواد لوضحه ، و لا عوج لانتصابه ، و لا عصل في عوده ، و لا وعث لفجّه ، و لا انطفاء

[19]

لمصابيحه ، و لا مرارة لحلاوته [1] . فهو دعائم

[1] لا إنفصام لعروته . . . : لا إنفصام : لا إنقطاع . و العروة ما يستمسك به و يستعصم . و المراد : أن المتديّن مستمسك بالعروة الوثيقة التي لا يخشى إنفصامها . و لا فك لحلقته : حلقة القوم : دائرتهم . و المراد : قوة أهله و صمودهم . و لا انهدام لأساسه : الأساس : أصل البناء . و لا زوال لدعائمه : جمع دعامة : عماد البيت الذي يقوم عليه . و المراد : أن القرآن الكريم و سنة الرسول الأعظم صلى اللَّه عليه و آله دعامتا الإسلام ، و هما باقيتان تتحديان البشرية قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَ الجِنُّ عَلى اَن يأتُوا بمثْلِهِ هذَا القرآنَ لاَ يأتُونَ بِمِثلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبعضٍ ظَهيراً 17 : 88 . و لا إنقلاع لشجرته : لا انتزاع لأصله . و لا انقطاع لمدته : أنه الدين الباقي حتى يوم القيامة ، بل نحن على موعد صادق بزوال الأديان كلها و بقائه هُوَ الذّي اَرسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَ دِينِ الحَقّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدّين كُلّهِ وَ كفى باللَّهِ شَهيداً 48 : 28 . و لا عفاء لشرائعه : عفت الريح الأثر : زالته و محته . و المراد :

تأكيد بقائه . و لا جذّ لفروعه : الجذ : القطع . و لا ضنك لطرقه : الضنك : الضيق . و المراد سعة مناهجه ، و لا عسر فيها على المسلم الملتزم . و الحديث (جئتكم بالشريعة السمحاء) . و لا وعوثه لسهولته : الوعوثة : رخاوة في الأرض تغوص بها الأقدام . و المراد : إعتدال نظمه ، و إستقامة قوانينه . و لا سواد لوضحه : ليس فيه ما يشوهه . و لا عوج لإنتصابه : انه الطريق المستقيم الذي يسلم به المسلم في الدنيا و الآخرة . و لا عصل في عوده : العصل الإعوجاج .

و المراد : وصفه بالإستقامة . و لا وعث لفجّه : الفج :

الطريق الواسع بين جبلين . و المراد : وصف سهولة سلوكه .

و لا إنطفاء لمصباحه : أنواره مضيئة لا يمكن ان تطفأه و المراد بها القرآن الكريم . و لا مرارة لحلاوته . المراد : وصفه بالسهولة ، و عدم العسر في تكاليفه ، و لكن الشيطان يصور للإنسان أسهل التكاليف كنقل الجبال .

[20]

أساخ في الحقّ أسناخها ، و ثبّت لها أسسها ،

و ينابيع غزرت عيونها ، و مصابيح شبّت نيرانها ،

و منار اقتدى بها سفّارها ، و أعلام قصد بها

[21]

فجاجها ، و مناهل روى بها ورّادها [1] . جعل اللّه فيه منتهى رضوانه ، و ذروة دعائمه ، و سنام

[1] فهو دعائم أساخ في الحق أسناخها . . . : أساخ الشيء في الأرض : أثبته فيها . و أسناخها : أصولها . و المراد : أن الدين الإسلامي بناء محكم ، قد تعهد رب العزة بنصره ،

و الدليل على ذلك : أن أعداء الإسلام من عهد البعثة و حتى اليوم يكيدونه بكل قواهم ، و يعملون لضربه ، و هو لا يزداد إلاّ قوة و صلابة . و ثبت لها أسسها : جعل قواعده متينة .

و ينابيع جمع ينبوع : عين الماء . و غزرت : كثرت .

و مصابيح شبت نيرانها : يسطع نورها . و المراد بها تعاليمه الحيّة التي تساير الزمن . و منار إقتدى بها سفّارها : المنار :

العلائم التي يهتدى بها في البر و البحر . و سفارها : ذوو السفر . و إعلام قصد بها فجاجها : إعلام يهتدي بها السائرون في الطريق الواسع البعيد . و مناهل روى بها روادها : المنهل : مورد الماء . و ورادها : من يقصد الإستسقاء منها .

[22]

طاعته [1] ، فهو عند اللّه وثيق الأركان ، رفيع البنيان ، منير البرهان ، مضيء النّيران ، عزيز السّلطان ، مشرف المنار ، معوز المثار [2] ،

[1] جعل فيه منتهى رضوانه . . . : به تنال مرضاته اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم و أَتمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً 5 : 3 . و ذروة دعائمه : و الذروة من كل شيء :

اعلاه و الدعامة : عمادة البيت الذي عليه يقوم . و المراد :

القواعد الأساسية التي جعلها اللّه سبحانه لاصلاح الخلق ،

و على هذا يكون الاسلام المنهج الرفيع الذي جعله سبحانه لاصلاح الخلق . و السنام : كتل من الشحم محدّبة على ظهر البعير و الناقة . و المراد بيان شرف طاعته ، و فضل الانقياد له .

[2] فهو عند اللَّه وثيق الأركان . . . : وثق الشيء : قوي و ثبت و صار محكما . و المراد : بيان احكام كل جزء منه ، و انه غير قابل للتغيير و التبديل . رفيع البنيان : المراد : بيان علو شأنه ، و انه لا يضاهى سموا و رفعة . منير البرهان : المراد من البرهان القرآن الكريم ، فهو دليله ، و هو ينير للمسلمين بل للعالم أجمع طريق السعادة و النجاح . مضيء النيران :

تشبيه لأنواره و علومه و هدايته بالأنوار المضيئة . عزيز السلطان : بالقوة و القهر . و المراد : بيان قهره لأعدائه بالغلبة و الحجّة . مشرف المنار : رفيع المقام ، يعلو و لا يعلى عليه . معوز المثار : أعوز المطلوب فلانا : أعجزه . و ثار الغبار : هاج . و المراد : يعجز الأعداء عن نيله بسوء .

فشرّفوه ، و اتّبعوه ، و أدّوا إليه حقّه ، و ضعوه مواضعه [1] ثمّ إنّ اللَّه بعث محمّدا ، صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالحقّ حين دنا من الدّنيا الانقطاع ، و أقبل من الآخرة الإطّلاع ، و أظلمت بهجتها بعد إشراق ، و قامت بأهلها على ساق ،

و خشن منها مهاد ، و أزف منها قياد [2] ، في

[1] فشرفوه . . . : عظموه . و أدوا إليه حقّه : بالانقياد و الطاعة .

وضعوه مواضعه : من الاحترام و التبجيل .

[2] حين دنا من الدنيا الانقطاع . . . : الانقضاء . و أقبل من الآخرة الاطلاع : الاتيان . و المراد : زوال الدنيا ، و يؤيده الحديث النبوي (بعثت و الساعة كهاتين) و أظلمت بهجتها بعد اشراق : ذهب حسنها و رونقها . و الساق : الشدّة ، يشير الى ما يحدث بين أهلها من فتن و حروب . و المهاد : الأرض المستوية . و المراد : وصف الحياة آنذاك بالشدة . و ازف :

قرب . و المراد : مسيرها نحو الزوال .

انقطاع من مدّتها ، و تصرّم من أهلها ، و انفصام من حلقتها ، و انتشار من سببها ، و عفاء من أعلامها ، و تكشّف من عوارتها ، و قصر من طولها [1] . جعله اللَّه بلاغا لرسالته ، و كرامة

[1] و اقتراب من اشراطها . . . : علائم انقضائها فَهَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهُمْ بَغتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْراطُهَا 47 : 18 و تصرم من أهلها : صرم الشيء : قطعه و المراد :

انقراضهم . و انفصام من حلقتها : انحلال نظامها . و انتشار من سببها : انتشار : تفرّق . و السبب : الحبل ، و كل شيء يتوصل به الى غيره . و المراد : فقدان النظام فيها . و عفاء من اعلامها : اندراس لتعاليم السماء . و تكشف من عوراتها :

العورة : كل خلل في بيت أو موضع يخشى دخول العدو منه يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عَورَة وَ مَا هِيَ بِعَورَةٍ 33 : 13 و مراد الامام عليه السلام : ظهرت عيوبها . و قصر من طولها : فناء عمرها .

لأمّته ، و ربيعا لأهل زمانه ، و رفعة لأعوانه ،

و شرفا لأنصاره [2] .

ثمّ أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه ،

و سراجا لا يخبو توقّده ، و بحرا لا يدرك قعره ،

و منهاجا لا يضلّ نهجه ، و شعاعا لا يظلم ضوءه ،

و فرقانا لا يخمد برهانه ، و تبيانا لا تهدم أركانه ،

و شفاء لا تخشى أسقامه [2] ، و عزّا لا تهزم

[1] بلاغا لرسالته . . . : البلاغ التبليغ هذَا بلاغٌ للنَّاس و لِيُنذَرُوا بِهِ 14 : 52 . و المعنى : عظة للناس بالغة كافية . و كرامة لامتة : أكرمهم و خصهم بوجوده ، و شبهه بالربيع الذي يظهر فيه الرخاء . و رفعة لاعوانه : الرفعة : الشرف ، و ارتفاع القدر و المنزلة . و شرفا لأنصاره : به شرّفوا في الدنيا و الآخرة .

[2] نورا لا تطفأ مصابيحه : المراد بمصابيحه القرآن الكريم ، فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم تمسه يد التحريف . و سراجا لا يخبو توقده : مصباحا لا ينطفىء . و المراد : هو حتى القيامة ينير للعالم سبيل الحق و النجاة . و بحر لا يدرك قعره : شبهه بالبحر لما يستخرج منه من احجار كريمة ، و كذلك يستنبط من القرآن الكريم العلوم و المعارف . و منهاجا لا يضل نهجه :

طريقا موصلا الى شاطىء السلامة . و شعاعا لا يظلم ضوءه :

حقّا لا سبيل لشبه الضلال إليه . و فرقانا لا يخمد برهانه :

الفرقان : ما يفرق به بين الحق و الباطل . و المراد : ان أدلة حقه قائمة عبر السنين . و تبيانا لا تهدم أركانه : تبيانا : بيانا لكل أمر مشكل . لا تهدم أركانه : الركن : جزء من أجزاء حقيقة الشيء . و المراد : ان كل جزء و سورة و آية محفوظة من التبديل و التحريف إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ و إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ 15 : 9 . و شفاء لا تخشى استقامه : يريد قوله تعالى :

وَ نُنَزِّلُ مِن القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ 17 : 82 .

أنصاره ، و حقّا لا تخذل أعوانه . فهو معدن الإيمان و بحبوحته ، و ينابيع العلم و بحوره ،

و رياض العدل و غدرانه ، و أثافيّ الإسلام و بنيانه ، و أودية الحقّ و غيطانه [1] . و بحر لا ينزفه

[1] المعدن . . . : مكان كل شيء فيه أصله . و بحبوحة المكان :

وسطه . و غدران جمع غدير : القطعة من الماء يغادرها السيل . و اثافي جمع اثفية : إحدى أحجار ثلاثة توضع عليها القدر . و المراد : أساس الاسلام و قاعدته . و غيطان جمع غيط : المطمئن الواسع من الأرض .

المنتزفون ، و عيون لا ينضبها الماتحون ، و مناهل لا يغيضها الواردون ، و منازل لا يضلّ نهجها المسافرون ، و أعلام لا يعمى عنها السّائرون ،

و آكام لا يجوز عنها القاصدون [1] ، جعله اللّه ريّا لعطش العلماء ، و ربيعا لقلوب الفقهاء ، و محاجّ

[1] بحر لا ينزفه المنتزفون . . . : لا يفنى ماؤه المغترفون . و عيون لا ينضبها الماتحون : نضب الماء : نقص . و الماتحون جمع ماتح :

المستقي من البئر . و مناهل جمع منهل : الموضع الذي فيه المشرب . لا يغيضها : لا ينقصها . الواردون : القوم الذين يردون الماء . و منازل لا يضل نهجها المسافرون : نهج الطريق نهجا : وضح و استبان . و المراد : انها تؤدي بسالكيها الى مرضاة اللّه تعالى ، و سعادة ليس بعدها شقاء . و اعلام لا يعمى عنها السائرون : لا تخفى عليهم . و آكام جمع أكمة :

تل . و المراد : لا يجوز لمسلم أن يتجاوز أحكام الكتاب ، بل يقف عندها ، فهي تؤدي به الى شاطىء السلامة و الرشاد .

لطرق الصّلحاء ، و دواء ليس بعده داء ، و نورا ليس معه ظلمة [1] ، و حبلا وثيقا عروته ، و معقلا منيعا ذروته ، و عزا لمن تولاّه ، و سلما لمن دخله ، و هدى لمن ائتمّ به ، و عذرا لمن انتحله ،

و برهانا لمن تكلّم به ، و شاهدا لمن خاصم به ،

و فلجا لمن حاجّ به ، و حاملا لمن حمله ، و مطيّة لمن أعمله [2] ، و آية لمن توسّم ، و جنّة لمن

[1] جعله اللّه ريا لعطش العلماء . . . : شبّه شوقهم إليه ، و أخذهم بتعاليمه بالعطشان الذي يرد الماء . و ربيعا لقلوب الفقهاء :

كما أن القلوب تسر و تبتهج بمناظر الربيع ، كذلك ابتهاج الفقهاء به . و محاج لطرق الصلحاء : جمع محجّة : الطريق .

و المراد : أنه النهج الذي يسير عليه الصلحاء . و دواء ليس بعده داء : الداء : المرض . و المراد : العلاج الذي يزيل جميع الأمراض . و نورا ليس معه ظلمة : حقّا لا موضع للباطل فيه .

[2] و حبلا وثيقا عروته . . . : محكما لا يخشى انفصامه ، ينجو المتمسك به من كل سوء . و معقلا منيعا ذروته : حصنا حصينا يحمي المسلم في الدنيا و الآخرة . و عزّا : أي قوي و سلم من الذل . لمن تولاه : أخذ بتعاليمه ، و اهتدى بهديه . و سلما لمن دخله : مأمنا للعامل به من متالف الدنيا و الآخرة . و هدى :

رشادا ذلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً للمُتَّقِين 2 : 2 . لمن ائتمّ به : اتبعه و اقتدى به . و عذرا لمن انتحله : الاعتذار به مقبول . كأن يسأل : لما ذا تأخرت ؟ فيجيب : كنت مشغولا بقراءة القرآن . و برهانا لمن تكلم به ، و شاهدا لمن خاصم به :

دليلا كافيا من الاستدلال . و فلجا : ظفرا . و حاجّ به : خاصم به . و المراد : ظهوره على خصمه بالقرآن . و حاملا : منجيا .

لمن حمله : لمن عمل به . و مطية : مركبا سريعا يوصله الى الجنان . لمن أعمله : اتبعه .

استلأم [1] ، و علما لمن وعى ، و حديثا لمن روى ، و حكما لمن قضى [2] .

[1] و آية لمن توسّم . . . : دلالة للمتفكر المعتبر إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين 15 : 75 . و جنّة : وقاية . لمن استلأم : لبس لامة الحرب (الدرع) و المراد : وقاية من مكاره الدنيا و الآخرة .

[2] و علما لمن وعى : حفظ . و المراد : ان بين دفّتيه علوما يستنبط بعضها الحفاظ و العلماء . و حديثا لمن روى : يشير الى قوله تعالى : اللَّهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحدِيثِ كِتَاباً مُتَشابِهاً 39 : 23 .

و حكما لمن قضى : نظاما كاملا للقضاء ، يجب على المسلمين الرجوع الى حكمه فيما شجر بينهم ، و قد حذّرهم اللّه من المخالفة وَ مَنْ لَمْ يَحكُم بِمَا أنزَلَ اللَّهُ فأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ 5 : 44 .

(195) و من كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه

تعاهدوا أمر الصّلاة ، و حافظوا عليها ،

و استكثروا منها ، و تقرّبوا بها ، فإنّها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا [1] ، ألا تسمعون إلى جواب

[1] تعاهدوا أمر الصلاة و حافظوا عليها . . . : تعهدت الشيء :

ترددت اليه و أصلحته . و حافظوا عليها : أدوها بأوقاتها . فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا : واجبة مفروضة .

[31]

أهل النّار حين سئلوا : مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ [1] قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . و إنّها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق و تطلقها إطلاق الرّبق [2] ، و شبّهها رسول اللّه ، صلى اللّه عليه و آله و سلم بالحمّة [3] تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها في اليوم و اللّيلة خمس مرّات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن ؟ و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ، و لا

[1] سقر : من أسماء جهنّم .

[2] حتّ الرجل الورق من الشجر : أسقطه . و المراد : أنها تذهب بالذنوب و تطلقها : تفكها . و الربق جمع ربقة : الحلقة في الحبل يشد بها الحيوان . و المراد : انها تفك المسلم من وثاق الذنوب و تبعاتها .

[3] الحمّة . . . : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها من المرض . و الدرن : الوسخ .

[32]

قرّة عين من ولد و لا مال . يقول اللّه سبحانه :

رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلاَةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ . و كان رسول اللّه ،

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نصبا [1] بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة ، لقول اللّه سبحانه : وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بالصَّلاَةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا فكان يأمر أهله ،

و يصبر عليها نفسه .

ثمّ إنّ الزّكاة جعلت مع الصّلاة قربانا [2] لأهل الاسلام ، فمن أعطاها ، طيّب النّفس

[1] نصبا : تعبا . و المراد : كثرة صلاته حتى نزل عليه قوله تعالى :

طه . ما أَنزَلنَا عَلَيْكَ القُرآن لِتَشْقَى 20 : 2 . قال قتادة :

كان يصلي الليل كله و يعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم ،

فأمره اللّه سبحانه بأن يخفف على نفسه ، و ذكر انه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب .

[2] القربان : كل ما يتقرب به الى اللّه سبحانه .

[33]

بها ، فإنّها تجعل له كفّارة ، و من النّار حجازا و وقاية [1] . فلا يتبعنّها أحد نفسه ، و لا يكثرنّ عليها لهفه [2] ، فإنّ من أعطاها غير طيّب النّفس بها ، يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسّنّة ،

مغبون الأجر [3] ، ضالّ العمل ، طويل النّدم .

ثمّ أداء الأمانة ، فقد خاب [4] من ليس من أهلها ، إنّها عرضت على السّماوات [5] المبنيّة ،

[1] طيّب النفس بها . . . : سمحت بها نفسه و ارتاحت .

و الكفّارة : هي التي تكفّر الذنب عن الانسان و تمحوه و تستره .

حجازا و وقاية : من النار .

[2] فلا يتبعها أحد نفسه . . . : لا تكن نفسه متعلقة بها ، غير طيبة باخراجها . و لا يكثرن عليها لهفه : لا يتحسّر على دفعها .

[3] مغبون الاجر : غبنه في البيع غبنا : غلبه و نقصه . و المراد :

منقوص الأجر .

[4] خاب : خسر .

[5] انها عرضت على السماوات . يشير الى قوله تعالى : إنَّا عَرَضنَا الأَمَانَةَ عَلى السَّمواتِ و الأرْضِ و الجِبَالِ . . 33 :

72 . و المراد من عرض الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال هم أهلها ، أي عرضناها على سكان السماوات من الملائكة ،

و على سكان الأرض و الجبال من الجنّ و الانس .

و الأرضين المدحوّة [1] ، و الجبال ذات الطّول المنصوبة ، فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم منها ، و لو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لمتنعن ، و لكن أشفقن [2] من العقوبة ،

و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ و هو الإنسان إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً .

إنّ اللّه سبحانه و تعالى لا يخفى عليه ما العباد مقترفون [3] في ليلهم و نهارهم ، لطف به

[1] المدحوّة : المبسوطة وَ الأرضَ بَعدَ ذلِكَ دَحَاهَا 79 : 30 .

[2] اشفقن : خفن و حذرن . و المراد : خاف أهلها و حذروا من حملها .

[3] مقترفون : مكتسبون .

خبرا [1] ، و أحاط به علما ، أعضاؤكم شهوده ،

و جوارحكم جنوده ، و ضمائركم عيونه ، و خلواتكم عيانه [2] .

[1] لطف به خبرا : هو اللطيف الخبير بعباده . و معنى اللطيف :

من كان فعله في اللطف بحيث لا يهتدي إليه غيره . و قال الشارح الخوئي : أراد به علمه بخفيات أفعال العباد ،

و خبرويته بها . . . و تسميته باللطيف من جهة علمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة و أخفى منها ، و موضع النشوء منها ،

و العقل ، و الشهوة للفساد ، و الحدب على نسلها ، و نقلها الطعام و الشراب الى أولادها في المفاوز و الأودية و القفار .

و الخبير ، أي علم بكنه الشيء ، و مطلع على حقيقته . و المراد :

أنه عالم بشؤون عباده ، مطلع على جزئياتها .

[2] اعضاءكم شهوده يَومَ تَشهدُ عَلَيهم أَلسنَتُهُم و أَيديهِمْ و أَرجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعملُونَ 24 : 24 . و جوارحكم جنوده : تعينه عليكم بشهادتها . و ضمائركم عيونه : جواسيسه . و خلواتكم عيانه : هو شاهد مطلع على ما استرتم به من عمل مَا يكُونُ من نَجوى ثَلاثَة إلاّ هُوَ رَابِعُهُم و لاَ خَمسةٍ إلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ و لاَ أدنى مِنْ ذلِكَ وَ لاَ أَكْثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إنَّ اللّه بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ 58 : 7 .

(196) و من كلام له عليه السلام

و اللّه ما معاوية بأدهى منّي ، و لكنّه يغدر و يفجر [1] ، و لو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى النّاس ، و لكن كلّ غدرة فجرة ، و لكلّ فجرة كفرة ، و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة ، و اللّه

[1] الدهاء . . . : جودة الرأي ، و البصر بالأمور . و يغدر : ينقض العهد و لا يفي به . و يفجر : يمضي في المعاصي غير مكترث .

و مرّ في الخطبة الحادية و الأربعين قوله عليه السلام : قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة و دونه مانع من أمر اللّه و نهيه ، فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها ، و ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين .

ما أستغفل بالمكيدة ، و لا أستغمز بالشّديدة [1] .

(197) و من كلام له عليه السلام

أيّها النّاس ، لا تستوحشوا [2] في طريق الهدى لقلّة أهله ، فإنّ النّاس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير [3] ، و جوعها طويل أيّها النّاس ، إنّما يجمع النّاس الرّضا

[1] ما استغفل بالمكيدة . . . : أنا حذر منتبه لما يحاك حولي من كيد و عدوان . و لا استغمز بالشديدة : و لا استضعف للخطوب المذهلة ، و الدواهي المعضلة .

[2] لا تستوحشوا : لا تشعروا بوحشة . و الوحشة بين الناس :

الانقطاع ، و بعد القلوب عن المودّة .

[3] شبعها قصير : المراد بذلك الدنيا ، فهي بالنسبة للآخرة كقطرة من البحر المحيط .

و السّخط [1] ، و إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم اللَّه بالعذاب لمّا عمّوه بالرّضا [2] ، فقال سبحانه : فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فما كان إلاّ أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السّكّة المحماة في الأرض الخوّارة [3] .

أيّها النّاس ، من سلك الطّريق الواضح ورد

[1] انّما يجمع الناس الرضا و السخط : فهم مجتمعون بالعذاب لرضاهم بالمعصية ، و سخطهم على الطاعة ، و مجتمعون في الرحمة برضاهم بالطاعة ، و سخطهم على المعصية .

[2] عموه بالرضا : رضوا جميعا بالعمل . و منه الحديث : (من أحبّ قوماً حشر معهم ، و من أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم) .

[3] خارت أرضهم . . الخ : خار الثور : صاح . و الأرض الخوارة : السهلة اللينة . و المراد : وصف ما حلّ بهم من خسف مصحوبا بصيحة عظيمة .

[39]

الماء ، و من خالف وقع في التّيه [1] .

(198) و من كلام له عليه السلام

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم عند قبره .

السّلام عليك يا رسول اللَّه عنّي و عن ابنتك النّازلة في جوارك ، و السّريعة اللّحاق بك ، قلّ ،

يا رسول اللَّه عن صفيّتك [2] صبري ، و رقّ عنها

[1] من سلك الطريق . . . الخ : ان السير في طريق الإستقامة موصل الى شاطىء السلامة ، بينما الذهاب يمينا و شمالا يؤدي بالسائر الى المتاهة و الهلاك .

[2] صفيتك : المفضلة عندك .

[40]

تجلّدي [1] ، إلاّ أنّ لي في التّأسّي [2] بعظيم فرقتك ، و فادح مصيبتك ، موضع تعزّ [3] ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك ، و فاضت بين نحري و صدري نفسك [4] ، إنّا للَّه و إنّا إليه راجعون [5] ،

فلقد استرجعت الوديعة ، و أخذت الرّهينة [6] ، أمّا

[1] رقّ . . . : ضعف . و تجلدي : تحملي . و المراد : بيان عظيم المصيبة ، و أثر وقعها على الإمام عليه السلام .

[2] إلاّ انّ في التأسي : في الاقتداء و الاتباع لما سبق . و المراد :

ان وفاتك كانت أعظم عليّ مصيبة و مع ذلك فقد صبرت ،

و سأصبر هذه المرّة كما صبرت في الأولى .

[3] الفادح . . . : الصعب المثقل . و التعزّي : التصبّر .

[4] وسدتك في ملحودة قبرك . . . اللحد : شق القبر الذي يوضع فيه الميّت . و فاضت بين نحري و صدري نفسك :

المراد بذلك النفس الأخير .

[5] إنا للّه و انا إليه راجعون : هذا إقرار بالعبودية . و المراد :

نحن عبيد اللّه و ملكه .

[6] فقد استرجعت الوديعة . . . : هي الزهراء عليها السلام ، فإن المرأة وديعة عند الرجل ، يلزمه الحفاظ عليها . و أخذت الرهينة : يقول أبن أبي الحديد : كأنها عليها السلام كانت عنده عوضا من رؤية رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، كما تكون الرهينة عوضا عن الأمر الذي أخذت رهينة عليه .

[41]

حزني فسرمد ، و أمّا ليلي فمسهّد [1] إلى أن يختار اللّه لي دارك الّتي أنت بها مقيم ، و ستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها [2] ، فأحفها السّؤال ، و استخبرها الحال [3] ، هذا و لم يطل العهد ، و لم يخل منك الذّكر [4] ، و السّلام عليكما سلام مودّع لا قال و لا سئم [5] ، فإن أنصرف فلا

[1] أما حزني فسرمد . . . : دائم . و ليلي فمسهد : سهران .

[2] و ستنبئك . . . : ستخبرك . بتظافر أمتك : بتعاونهم .

على هضمها : على ظلمها .

[3] فاحفها السؤال . . . : استقص في سؤالها . و استخبرها الحال : أسألها عما لاقته بعدك من النكبات .

[4] هذا و لم يطل العهد . . . : لم يكن بقاؤها بعدك بالطويل ،

بل هي حدود ثلاثة أشهر ، و مع ذلك فقد بالغوا في الاساءة إليها .

و لم يخل منك الذكر : علما أن ذكرك قائم بينهم في الصلاة و غيرها

[5] لا قال . . . : غير مبغض . و لا سئم : و لا بي ملل .

و المراد : لست بالكاره لصحبتكما و لا مللت منكما ،

و لكنها نكبات الدهر .

[42]

عن ملالة ، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ [1] بما وعد اللّه الصّابرين .

(199) و من كلام له عليه السلام

أيّها النّاس ، إنّما الدّنيا دار مجاز ، و الآخرة دار قرار ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم [2] ، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم [3] ،

[1] فإن انصرف فلا عن ملالة . . . : ليس انصرافي عن قبركما لسأم و لا ملل . و ان أقم فلا عن سوء ظن : و لا أقامتي عند ضريحكما لجزع و تناس للأجر الذي يعطاه المصاب على مصيبته

[2] الدنيا دار مجاز . . . ممرّ . و الآخرة دار قرار : مستقرّ دائمي . فخذوا من ممركم لمقرّكم : تزوّدوا من الدنيا لما ينفعكم في الآخرة .

[3] و لا تهتكوا أستاركم . . . : بالمجاهرة بالمعصية عند من يعلم أسراركم : مطلع على خفايا أعمالكم وَ مَا تكونُ في شانٍ وَ مَا تتلوا مِنهُ من قرآنٍ وَ لاَ تَعمَلُونَ مِن عَمَلٍ إلاّ كُنَّا عَلَيكُم شهُوداً اِذ تُفيضُونَ فيهِ وَ مَا يَعزُبُ عَن ربّكَ مِن مِثقَالِ ذرَّةٍ في الأرضِ وَ لاَ في السَّمَاءِ وَ لاَ اَصغَرَ مِن ذلِكَ وَ لاَ أكبَرَ اِلاّ في كتَابٍ مُبينٍ 10 : 61 .

[43]

و أخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم [1] ، ففيها اختبرتم ، و لغيرها خلقتم [2] ،

إنّ المرء إذا هلك قال النّاس : ما ترك ؟ و قالت الملائكة : ما قدّم ؟ للّه آباؤكم فقدّموا بعضا يكن لكم ، و لا تخلّفوا كلاّ فيكون عليكم [3] .

[1] و أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم :

نهاهم عن التعلق بالدنيا ، و الأهتمام بها ، و أن يخرج المسلم حبها من قلبه ، ليخرج بالموت سالما من تبعاتها .

[2] ففيها اختبرتم . . . : هي دار الإختبار و الإمتحان ، و تحصيل النتائج بالفوز أو الخسران . و لغيرها خلقتم : و المراد بها الآخرة ، و نيل السعادة فيها .

[3] للّه آباؤكم . . . : كلمة تقال لتعظيم المخاطب بنسبته أو بنسبة أبيه الى اللّه ، يقال : للّه أنت ، و للّه أبوك . فقدّموا بعضا يكون لكم قرضا : قدموا بعض أموالكم في سبيل اللّه ،

و اجعلوها قرضا تسترجعونها غدا في القيامة أضعافا مضاعفة اِن تُقرِضوا اللّه قَرضاً حَسَناً يُضَاعِفُهُ لَكُم وَ يَغفِر لَكُم وَ اللّه شَكُورُ حَليمُ 64 : 17 . و لا تخلفوا كلا فيكون عليكم :

وبالا ، تتحملون وزرها ، و يهنأ بها غيركم .

[44]

(200) و من كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به أصحابه

تجهّزوا رحمكم اللّه ، فقد نودي فيكم بالرّحيل [1] ، و أقلّوا العرجة [2] على الدّنيا

[1] تجهزوا . . . : تهيئوا و اعدوا ما يصلحكم في سفركم الى الآخرة . فقد نودي فيكم بالرحيل : المراد بالنداء الأمراض التي تعرض للإنسان ، و عوارض الشيخوخة التي جعلها اللّه تعالى مذكّرا للناس بالموت .

[2] و أقلوا العرجة : الإقامة بالمكان . و المراد : تقليل الإهتمام بها ، و التكالب عليها .

[45]

و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد ، فإنّ أمامكم عقبة كؤودا ، و منازل مخوفة مهولة [1] ، لا بدّ من الورود عليها ، و الوقوف عندها . و اعلموا أنّ ملاحظ المنيّة نحوكم دانية ، و كأنّكم بمخالبها و قد نشبت [2] فيكم ، و قد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ، و معضلات [3] المحذور ، فقطّعوا علائق

[1] و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد . . . : حصّلوا بها ما ينجيكم غدا . فإن أمامكم عقبة كؤودا : العقبة : المرتقى الصعب من الجبال ، و ما يعترض المرء من صعوبة : كؤود : صعبة . و منازل مخوفة مهولة :

تبدأ بالموت ، و ما بعده أصعب منه و أشد .

[2] ان ملاحظ المنية نحوكم دانية . . . : لاحظه : راقبه و راعاه . و المراد . . أن الموت يرصدكم . و المنية : الموت . و دانية : قريبة . و المخالب : ظفر كل سبع من الماشي و الطائر . و نشبت : علقت .

[3] دهمتكم . . . : أتتكم فجأة . و فظع الأمر : أشتدت شناعته .

و عضل الأمر : أشتد و استغلق .

الدّنيا ، و استظهروا بزاد التّقوى [1] . و قد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ،

بخلاف هذه الرواية .

(201) و من كلام له عليه السلام كلم به طلحة و الزبير بعد بيعته بالخلافة و قد عتبا عليه من ترك مشورتهما ، و الاستعانه في الأمور بهما

لقد نقمتما يسيرا ، و أرجأتما [2] كثيرا ، ألا

[1] فقطّعوا علائق الدنيا . . . : ازهدوا فيها ، و اقطعوا علاقتكم بها . و استظهروا : استعينوا . بزاد التقوى : الاعمال الصالحة وَ تَزَوَّدُوا فَاِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوى و اتَّقُونِ يا أُولِي الالبَابِ 2 : 197 .

[2] نقمتما . . . : عتبتما . و ارجأتما : أخرتما . و المراد :

أنكما نقمتما على القليل من تصرفي و هو المساواة في العطاء ، و تركتما الكثير من سيرتي ، و الذي هو مرض لكما و لغيركما بل لا سبيل الى الطعن فيه .

تخبراني أيّ شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه ؟

و أيّ قسم استأثرت عليكما به ؟ أم أيّ حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه ؟

و اللَّه ما كانت لي في الخلافة رغبة ، و لا في الولاية إربة [1] ، و لكنّكم دعوتموني إليها ،

و حملتموني عليها ، فلمّا أفضت [2] إليّ نظرت إلى كتاب اللَّه و ما وضع لنا ، و أمرنا بالحكم به ،

فاتّبعته ، و ما استنّ [3] النّبيّ ، صلّى اللَّه عليه و آله ، و سلّم فاقتديته . فلم أحتج في ذلك إلى

[1] إربة : حاجة . و المراد : لم أكن الراغب فيها ، الطالب لها .

[2] أفضت : وصلت .

[3] استنّ . . . : عمله و شرّعه . و اقتديته : إتبعته .

رأيكما ، و لا رأي غيركما و لا وقع حكم جهلته ،

فأستشيركما و إخواني المسلمين ، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما ، و لا عن غيركما . و أمّا ما ذكرتما من أمر الأسوة [1] ، فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ، و لا ولّيته هوى منّي ، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه و آله و سلم ، قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ اللّه من قسمه ، و أمضى فيه حكمه ، فليس لكما ،

و اللّه ، عندي و لا لغيركما في هذا عتبى [2] . أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ ، و ألهمنا و إيّاكم الصّبر .

ثم قال عليه السلام : رحم اللّه امرأ رأى حقّا

[1] الأسوة : المساواة في العطاء ، و عدم التفضيل بينهم .

[2] العتبى : الرضا . و المراد : لا يجب عليّ إرضاؤكما بعمل مسخط للّه تعالى .

فأعان عليه ، أو رأى جورا فردّه ، و كان عونا بالحقّ على صاحبه .

(202) و من كلام له عليه السلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين ، و لكنّكم لو وصفتم أعمالهم ، و ذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، و أبلغ في العذر [1] ، و قلتم مكان سبّكم إيّاهم : اللّهم احقن [2] دماءنا و دماءهم ، و أصلح ذات بيننا و بينهم ، و أهدهم من ضلالتهم ، حتّى

[1] أصوب في القول . . . : أكثر سدادا . و أبلغ في العذر :

يكون حجّة في أيديكم عند من يلومكم في حربهم .

[2] حقن دم فلان : منع من أن يسفك .

يعرف الحقّ من جهله ، و يرعوي عن الغيّ و العدوان من لهج به [1] .

(203) و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين و قد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب

املكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني [2] فإنّني أنفس [3] بهذين (يعني الحسن و الحسين عليهما السلام) على الموت ، لئلاّ ينقطع بهما نسل

[1] يرعوي . . . : يرجع و يكف . و الغي : الضلال .

و العدوان : التعدي و الظلم . و لهج به : أولع به ، و ثابر عليه .

[2] أملكوا عني . . . : أمنعوه من مباشرة الحرب . و هدّته المصيبة : أوهت ركنه .

[3] أنفس : أضن و أبخل .

[51]

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم . قال الرضي أبو الحسن : قوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام » من أعلى الكلام و أفصحه .

(204) و من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أيّها النّاس ، إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحبّ حتّى نهكتكم [1] الحرب ، و قد و اللّه أخذت منكم و تركت ، و هي لعدوّكم أنهك .

لقد كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا ،

و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيّا ، و قد

[1] نهكتكم : جهدتكم و أضعفتكم .

[52]

أحببتم البقاء ، و ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون .

(205) و من كلام له عليه السلام بالبصرة

و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثي و هو من أصحابه يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

ما كنت تصنع بسعة هذه الدّار في الدّنيا ؟ أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج ؟ و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة : تقري فيها الضّيف [1] ،

و تصل فيها الرّحم ، و تطلع منها الحقوق

[1] تقري فيها الضيف : تستقبل فيها الضيوف .

[53]

مطالعها [1] فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة [2] فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد . قال : و ما له ؟ قال : لبس العباءة [3] و تخلى عن الدنيا . قال : عليّ به ،

فلما جاء قال :

يا عديّ نفسه [4] لقد استهام بك الخبيث [5] ،

[1] تطلع منها الحقوق مطالعها : تؤدّي ما افترض عليك من خمس و زكاة و نحوهما الى مستحقيها الذين يجب أن تصرف عليهم .

[2] بلغت بها الآخرة : أوصلتك هذه الخصال الى منازل الكرامة و النعيم .

[3] لبس العباءة : كساء يلبس فوق الثياب . و المراد به هنا :

تخليه عن الدنيا ، تاركا حتى أولاده و أهله ، إشتغالا بالزهد و العبادة .

[4] يا عدي نفسه : مصغر عدو نفسه .

[5] إستهام . . . : جعلك هائما ضالا . و المراد : تمكن منك .

و الخبيث : الشيطان .

[54]

أما رحمت أهلك و ولدك ، أ ترى اللَّه أحلّ لك الطّيّبات و هو يكره أن تأخذها ؟ أنت أهون على اللَّه من ذلك قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك ، و جشوبة مأكلك [1] قال : ويحك ، إنّي لست كأنت ، إنّ اللَّه فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس [2] كيلا يتبيّغ [3] بالفقير فقره .

[1] جشب الرجل جشبا : غلظ مأكله و خشن .

[2] يقدّروا أنفسهم . . . : يضيّقوا عليها . بضعفة الناس :

الفقراء . و المراد : ينبغي لحكام المسلمين أن يشابهوا الفقراء في المطعم و الملبس و المسكن .

[3] يتبيّغ : يهيج .

[55]

(206) و من كلام له عليه السلام و قد سأله سائل عن أحاديث البدع ، و عما في أيدي الناس من اختلاف الخبر

فقال عليه السلام :

إنّ في أيدي النّاس حقّا و باطلا ، و صدقا و كذبا ، و ناسخا و منسوخا ، و عامّا و خاصّا ،

و محكما و متشابها ، و حفظا و وهما ، و لقد كذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم على عهده حتّى قام خطيبا فقال : « من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ [1] مقعده من النّار » .

و إنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم

[1] تبوّأ المكان : نزله و أقام فيه .

[56]

خامس :

رجل منافق مظهر للإيمان ، متصنّع بالإسلام ، لا يتأثّم و لا يتحرّج [1] يكذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم متعمّدا ، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ، و لم يصدّقوا قوله ، و لكنّهم قالوا صاحب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم : رآه ، و سمع منه ، و لقف عنه [2] فيأخذون بقوله ، و قد أخبرك اللَّه عن المنافقين بما اخبرك ، و وصفهم بما وصفهم به لك ، ثمّ بقوا بعده عليه و آله السّلام فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة ، و الدّعاة إلى النّار بالزّور و البهتان [3] ،

[1] متصنّع . . . متظاهر بما ليس فيه . لا يتحرّج : لا يتجنب .

[2] لقف عنه : تلقاه و حفظه بسرعة .

[3] الزور . . . : الباطل ، الكذب . و البهتان : الكذب المفترى .

[57]

فولّوهم الأعمال ، و جعلوهم حكّاما على رقاب النّاس ، و أكلوا بهم الدّنيا [1] ، و إنّما النّاس مع الملوك و الدّنيا إلاّ من عصم اللّه ، فهذا أحد الأربعة .

و رجل سمع من رسول اللّه شيئا لم يحفظه على وجهه ، فوهم [2] فيه و لم يتعمّد كذبا ، فهو في يديه و يرويه و يعمل به ، و يقول : أنا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ، فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوا منه ، و لو علم هو أنّه كذلك لرفضه و رجل ثالث : سمع من رسول اللّه صلى اللّه

[1] و أكلوا بهم الدنيا : إستعانوا بهم في الأعمال ، و خدعوا الناس بأن هؤلاء أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ،

فتمهدت لهم الأمور .

[2] وهم : خطأ .

[58]

عليه و آله شيئا يأمر به ثمّ إنّه نهى عنه و هو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ، ثمّ أمر به و هو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ، و لم يحفظ النّاسخ [1] ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه ، و لو علم

[1] فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ : النسخ : الإزالة ،

و الناسخ : هو إزالة حكم شرعي بآخر ، و المنسوخ : هو الحكم الذي أزيل ، و ترك العمل به لانتهاء أمده ، أو لتغيّر ظرفه ، أو تبدّل موضوعه و السبب في ذلك تغيّر المصلحة ، و على سبيل المثال : الدين الإسلامي يريد للمسلم استقلالية تميّزه عن غيره ، و كيانا مستقلا ، ففي فجر الدعوة أمروا بالتوجه في الصلاة الى بيت المقدس مخالفة للمشركين الذين كانوا يتوجهون في طقوسهم الدينية الى الكعبة المكرّمة ، و بعد الهجرة الى المدينة المنوّرة ، و فيها اليهود ، و كانوا يتوجّهون في طقوسهم الدينية الى بيت المقدس ، و كانوا يعيّرون المسلمين بأنهم تبع لهم في القبلة ، فشقّ ذلك على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان ينتظر الأمر الإلهي في تغيير القبلة قَد نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرْضاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ و إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ 2 :

144 فأمروا بالتوجّه الى الكعبة .

و مثال آخر : كان على المسلم أن يثبت في الحرب لعشرة من المشركين و لا يولهم دبره يَا أيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤمِنِينَ عَلَى القِتالِ إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغلِبُوا مائَتَينِ وَ إن يَكُنْ مِنْكُمْ مائَة يَغْلِبُوا ألفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ 8 : 65 .

و كثر المسلمون و نزل التخفيف منه جلّ جلاله فصار على المسلم أن يثبت لاثنين من المشركين اَلئنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعفاً فَإن يكُنْ مِنْكُمْ مَائَةٌ صَابرة يَغْلِبُوا مَائَتَينِ وَ إن يكُنْ مِنْكُمْ أَلفٌ يَغلبُوا ألفَينِ بِإذْنِ اللَّهِ و اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ 8 :

66 .

فالنسخ يجعله جلّ جلاله لاقتضاء المصلحة التي لا يعلمها إلاّ هو ، و ليس لأحد مهما ارتفعت درجته في العلم نسخ حكم و تبديله بآخر ، بل حتى الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله ما كان له ذلك ، بل هو عبد ممتثل لما يأمره به جلّ جلاله لَيسَ لَكَ مِن الأَمْرِ شَيْءٌ 3 : 128

[59]

المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه .

و آخر رابع : لم يكذب على اللَّه ، و لا على

[60]

رسوله ، مبغض للكذب خوفا من اللَّه ، و تعظيما لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و لم يهم [1] بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به على سمعه :

لم يزد فيه و لم ينقص منه ، فحفظ النّاسخ فعمل به ، و حفظ المنسوخ فجنّب عنه [2] و عرف الخاصّ و العامّ ، فوضع كلّ شيء موضعه ، و عرف المتشابه و محكمه [3] .

[1] المتشابه . . . : الذي يمكن أن يفسر بعدة وجوه ، مثل قوله تعالى : يدُ اللَّهِ فوق أيديهم 48 : 10 و المراد باليد في الآية القدرة ، كقوله تعالى : أولي الأيدي و الأبصار 38 : 45 فقد تنزّه جلّ جلاله عن مشابهة خلقه في جارحة و شبهها . و المحكم :

ما إتضح معناه ، و لا يحمل من التأويل إلاّ وجها واحدا ، مثل قوله تعالى : قل هو اللَّه أحد 112 : 1 . و قال الراغب : المحكم :

من حيث اللفظ ، أو من حيث المعنى .

ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ و لا من حيث المعنى ،

و المتشابه من القرآن : ما أشكل تفسيره لمشابهة غيره ،

[2] و لم يهم : لم يغلط .

[3] فجنب عنه : تجنّبه .

[61]

و قد كان يكون من رسول اللَّه ، صلّى اللَّه عليه و آله ، الكلام له وجهان : فكلام خاصّ ،

و كلام عامّ [1] فيسمعه من لا يعرف ما عنى اللَّه سبحانه به ، و لا ما عنى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ، فيحمله السّامع ، و يوجّهه على غير معرفة بمعناه ، و ما قصد به ، و ما خرج من أجله ، و ليس كلّ أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم من كان يسأله و يستفهمه ، حتّى إن

[1] فكلام خاص و كلام عام : المراد بذلك السبب المقتضي للكلام . و على سبيل المثال : لو كان الرسول الأعظم صلى اللَّه عليه و آله يتحدث مع شخص عن مناسك الحج ،

و واجبات الإحرام ، و سأله ذلك الشخص : هل يجوز الصيد ؟ و يجيبه : لا ، فيسمع آخر الجواب ، و هو لا يعلم محتوى الحديث ، فيتبادر الى ذهنه حرمة الصيد مطلقا .

[62]

كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابيّ و الطّارىء [1] فيسأله عليه السّلام حتّى يسمعوا ، و كان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلاّ سألت عنه و حفظته ، فهذه وجوه ما عليه النّاس في اختلافهم ، و عللهم في رواياتهم .

(207) و من خطبة له عليه السلام

و كان من اقتدار جبروته ، و بديع لطائف صنعته [2] ، أن جعل من ماء البحر الزّاخر المتراكم المتقاصف [3] يبسا جامدا ، ثمّ فطر منه أطباقا

[1] الطارىء : الغريب .

[2] إقتدار جبروته . . . : قهره و غلبته . و بديع لطائف صنعته :

بدعه بدعا : أنشأه على غير مثال سابق .

[3] زخر النهر : طما و فاض . و إنقصف الشيء : إنكسر .

و المراد : تشبيه أمواجه و كسر بعضها البعض .

[63]

ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها [1] ، فاستمسكت بأمره ، و قامت على حدّه [2] ، و أرسى أرضا يحملها الأخضر المثعنجر [3] ، و القمقام المسخّر ،

قد ذلّ لأمره ، و أذعن لهيبته ، و وقف الجاري منه لخشيته [4] ، و جبل جلاميدها ، و نشوز متونها و أطوادها ، فأرساها في مراسيها ، و ألزمها قرارتها [5] . فمضت رؤوسها في الهواء ،

[1] فطر . . . : خلق . و أطباقها : بعضها فوق بعض . فتق الشيء : شقّه ففتقها : جعلها سبع سماوات . و إرتتاقها :

إنطباقها .

[2] و قامت على حدّه : على ما حدّ لها من نهايات و أبعاد و قوة .

[3] أرسى الشيء : أثبته . المتعنجر : السيّال الكثير الماء .

و القمقام : البحر . و المسخّر : المذلل بالقدرة .

[4] و وقف الجاري . . . : الماء . لخشيته : بإرادته .

[5] جبل . . . : خلق . و جلاميدها : صخورها . و النشوز :

المرتفعات . و متونها : ما صلب منها و إرتفع . و أطوادها جمع طود : الجبل العظيم . و مراسيها : مواضعها . و ألزمها قراراتها : أمسكها بالمواضع التي إستقرت فيها .

[64]

و رست [1] أصولها في الماء ، فأنهد ، جبالها عن سهولها ، و أساخ قواعدها في متون أقطارها و مواضع أنصابها [2] ، فأشهق قلالها ، و أطال أنشازها [3] ، و جعلها للأرض عمادا ، و أرّزها فيها أوتادا [4] ، فسكنت على حركتها من أن تميد

[1] رست : ثبتت .

[2] أنهد . . . : رفع . و أساخ قواعدها : جعل أصولها غائصة .

و متونها : جوانبها . و مواضع انصابها : ما انتصب منها .

[3] فاشهق قلالها . . . : شهق الجبل : عظم ارتفاعه . و قلة كل شيء : قمته و أعلاه . و أطال إنشازها : العوالي منها .

[4] و جعلها للأرض عمادا . . . : عماد الشيء : ما يقوم به ،

و لولاه لسقط و زال . و أرزّها : أثبتها . و الوتد : ما ثبت في الأرض أو الحائط من خشب . و المراد : جعل اللَّه سبحانه الجبال في الأرض بمنزلة الوتد في الخيمة وَ الجِبَالَ اَوتَاداً 78 : 7 .

[65]

بأهلها أو تسيخ [1] بحملها ، أو تزول عن مواضعها فسبحان [2] من أمسكها بعد موجان مياهها ،

و أجمدها بعد رطوبة أكنافها [3] ، فجعلها لخلقه مهادا [4] و بسطها لهم فراشا فوق بحر لجّيّ راكد لا يجري ، و قائم لا يسري [5] ، تكركره الرّياح العواصف ، و تمخضه الغمام الذّوارف [6] إنَّ

[1] فسكنت على حركتها . . . : مع أنها تدور حول الشمس .

و كلامه عليه السلام مطابق لما وصل إليه العلم الحديث .

و تميد : تتحرك و تضطرب . . . و تسيخ : تغوص . أو تزول عن مواضعها : تتحول و تنتقل .

[2] فسبحان من أمسكها : تنزّه .

[3] أكنافها : جوانبها .

[4] فجعلها لخلقه مهادا : بساطا .

[5] فوق بحر لجي . . . : كثير الماء . و قائم لا يسري : ثابت لا يتحرّك .

[6] تكركره . . . : تصرفه و تذهب به . و الرياح العواصف :

الشديدة الهبوب . و تمخضه الغمام : مخض السقاء :

ليستخرج زبده . و ذرف الدم ذرفا : سال . و كلامه صلوات اللَّه عليه وصف علمي لتبخر الماء من البحر و نزول المطر .

[66]

فِي ذَلِكَ لِعَبْرَةً [1] لِمَنْ يَخْشَى .

(208) و من خطبة له عليه السلام

اللّهمّ [2] أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة ، و المصلحة غير المفسدة ،

في الدّين و الدّنيا فأبى بعد سمعه لها إلاّ

[1] لعبرة : متعظ و ازدجار . و المراد : ان ما ذكره عليه السلام من عظيم القدرة ، و بديع الحكمة ، المتجلية في هذه المخلوقات ، تدعو المسلم ان يمعن النظر فيها متفكرا ،

و يتأمل فيها معتبرا ، و يجعل من ذلك سببا يجرّه للإنقياد لهذا الخلاّق العظيم .

[2] اللهم : يا اللّه .

[67]

النّكوص [1] عن نصرتك ، و الإبطاء عن إعزاز دينك ، فإنّا نستشهدك عليه بأكبر الشّاهدين شهادة [2] ، و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك و سمواتك ، ثمّ أنت بعده المغني عن نصره ، و الآخذ له بذنبه .

(209) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه العليّ عن شبه المخلوقين ، الغالب لمقال الواصفين ، الظّاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين ، و الباطن بجلال عزّته عن فكر

[1] نكص عن الأمر : أحجم .

[2] بأكبر الشاهدين شهادة : هو اللّه جلّ جلاله قُل أَيُّ شيءٍ أَكبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهُ 6 : 19 .

[68]

المتوهّمين [1] ، العالم بلا اكتساب ، و لا ازدياد ،

و لا علم مستفاد ، المقدّر لجميع الأمور بلا رويّة و لا ضمير [2] ، الّذي لا تغشاه الظّلم ، و لا

[1] العلي عن شبه المخلوقين . . . : المنزّه عن صفاتهم و مشابهتهم . الغالب لمقال الواصفين : يعجز الواصفون عن وصف كنهه . عبّر بالغالب لتأكيد عجزهم و قصورهم . الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين : الظاهر بالأدلة و الشواهد .

و المراد : ان آياته ، و براهينه ، و شواهد آثاره دالة على ثبوت ربوبيته ، فلا موجود إلاّ و هو يشهد بوجوده . الباطن بجلال عزّته . الباطن : الخبير العالم و العزّة : الغلبة . عن فكر المتوهمين : كما ان العيون لا تراه كذلك الأوهام لا تحيط به .

[2] العالم بلا إكتساب و إزدياد : لم يكن علمه بتحصيل أو مستفاد من تجربة و شبهها ، بل هو عالم بذاته . المقدّر لجميع الأمور بلا روية و لا ضمير : ان إيجاده لمخلوقاته و ما يلزم كلا منها و يصلحها لم يكن عن تفكير و إجالة رأي و عزم ، بل إذَا قَضى اَمراً فَانَّمَا يقُولُ له كُن فَيَكوُنُ 2 : 117 .

[69]

يستضيء بالأنوار [1] ، و لا يرهقه ليل ، و لا يجري عليه نهار ، ليس إدراكه بالأبصار ، و لا علمه بالإخبار [2] .

(210) و من خطبة له عليه السلام

و أشهد أنّه عدل عدل ، و حكم فصل [3] ،

[1] فرتق به . . . : أصلح . و المفاتق : الخلاف بين الجماعات ، و تصدع الكلمة . و المراد : ما كانوا فيه قبل البعثة من عداوات و غارات و حروب . و ساوره مساورة :

واثبه . و المغالب : المشركين ، و أهل الأديان . و المراد :

إنتصاره عليهم . و ذلل به الصعوبة : المصاعب و العقبات التي تعرضت لها الرسالة الإسلامية . و سهّل به الحزونة :

و السهل من الأرض : ما لان منها . و الحزن : ما غلظ منها . و المراد :

سهّل له العسير .

[2] حتى سرّح الضلال عن يمين و شمال : سرّح : ذهب و خرج .

و المراد : تمزّق قوى الكفر و الضلال .

[3] أنّه عدل عدل . . . : يقول الشراح : ان الضمير في (انه) يرجع الى القضاء و القدر . و المراد : ان قضاءه تعالى عدل و حكم فصل : بين الحق و الباطل .

[71]

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، و سيّد عباده ،

كلّما نسخ اللَّه الخلق فرقتين جعله خيرهما [1] ، لم يسهم فيه عاهر ، و لا ضرب فيه فاجر [2] .

ألا و إنّ اللَّه قد جعل للخير أهلا ، و للحقّ دعائم ، و للطّاعة عصما [3] و إنّ لكم عند كلّ طاعة

[1] و كلما نسخ اللَّه الخلق فرقتين : المراد بالنسخ نقلهم بالتناسل من الأصلاب و الأرحام ، و الغرض : بيان فضل آبائه عليهم السلام ، فكلما إفترقت البشرية فرقتين كان في أفضلهما .

[2] لم يسهم فيه عاهر . . . : العاهر : الزاني . و المراد : لم يدنس نسبه الشريف بسفاح . و لا ضرب فيه فاجر : و لا شارك . قال صلى اللَّه عليه و آله : لم يزل ينقلني اللَّه تعالى من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات .

[3] جعل اللَّه لكلّ خير أهلا . . . : يقبلونه ، و يدعون إليه .

و للحق دعائم : الدعامة : عماد البيت الذي يقوم عليه ،

و يقال : هذا من دعائم الأمور ، أي ممن تتماسك به الأمور .

و المراد بذلك : أئمة أهل البيت عليهم السلام . و للطاعة عصما : جمع عصمة : ما يحفظ به الشيء . و المراد بذلك : حفظها و صيانتها بالإخلاص ، و التحرز من الرياء و العجب و الغيبة ، و كل ما يفسد العمل .

[72]

عونا من اللَّه : يقول على الألسنة ، و يثبّت الأفئدة [1] ، فيه كفاء لمكتف ، و شفاء لمشتف [2] .

و اعلموا أنّ عباد اللَّه المستحفظين علمه يصونون مصونه ، و يفجّرون عيونه [3] يتواصلون

[1] و ان لكم عند كل طاعة عونا . . . : هو اللطف و التوفيق . يقول على الألسنة : على ألسنة الرسل من البشارة للمطيعين . و يثبت الأفئدة : يشير الى قوله تعالى : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدُّنيَا وَ فِي الآخِرَةِ 14 : 27 .

[2] فيه كفاء لمكتف . . . : بعونه يكتفي المكتفون ،

و يستغني المفتقرون . و شفاء لمشتف : من جميع الأمراض وَ إذا مرِضتُ فَهُوَ يَشفينِ 26 : 80 .

[3] المستحفظين علمه . . . : طلب منهم حفظه . و المراد بهم أئمة الحق . يصونون مصونه : يكتمونه ، كالعلم عن أحداث و ملاحم و فتن علموها من الرسول الأعظم صلى اللَّه عليه و آله . و يفجرون عيونه : يعلمونه الأمة .

[73]

بالولاية ، و يتلاقون بالمحبّة ، و يتساقون بكأس رويّة و يصدرون بريّة ، لا تشوبهم الرّيبة ، و لا تسرع فيهم الغيبة [1] ، على ذلك عقد خلقهم و أخلاقهم [2] فعليه يتحابّون ، و به يتواصلون [3] ، فكانوا كتفاضل

[1] يتواصلون بالولاية . . . : النصرة و التعاون و المصافاة .

و يتلاقون بالمحبة : يتبادلون الحب و الأخاء . و يتساقون بكأس رويّة : بكأس العلم و المعارف الإلهية . و يصدرون بريّة : لا ظمأ بعدها . لا تشوبهم الريبة : لا يرتاب بعضهم ببعض . و لا تسرع فيهم الغيبة : لا مجال لاغتيابهم و توجيه الدم لهم ، فهم منزهون عن كل نقص .

[2] على ذلك عقد خلقهم و أخلاقهم : طبعوا على الأخلاق العاليه ، و السجايا الحميدة .

[3] فعليه يتحابون . . . : أي على الأيمان . و به يتواصلون :

يتعاطفون . و المراد : حبهم و مواصلتهم بنيت و انعقدت على الأيمان .

[74]

البذر ينتقى فيؤخذ منه و يلقى [1] ، قد ميّزه التّخليص ، و هذّبه التّمحيص [2] فليقبل امرؤ كرامة بقبولها ، و ليحذر قارعة قبل حلولها [3] ،

و لينظر امرؤ في قصير أيّامه ، و قليل مقامه ، في

[1] فكانوا كتفاضل البذر ينتقى . . . البذر : البذور التي تزرع ، ينقيها الزراع ، و يزرع الحبة الجيدة منها طلبا للنتاج الجيد . و المراد : تميّزوا عن غيرهم من الناس فضلا و شرفا إمتياز البذور عن بقية الحبوب . فيؤخذ منه : الجيد .

و يلقى : الرديء .

[2] و قد ميّزه التخليص . . . : من العناصر الرديئة . و هذّبه التمحيص : التمييز .

[3] فليقبل أمرؤ كرامة بقبولها . . . : المراد بالكرامة التي يجب على المسلم ان يقبلها و ينتهجها هي السلوك الذي ذكره للمستحفظين . و ليحذر قارعة قبل حلولها : القارعة :

المصيبة . و المراد : الحذر عن التخلف عن هذا السلوك فيكون معرضا للنكبات و المصائب ، و أعظم من ذلك النار التي تنتظر العصاة .

[75]

منزله حتّى يستبدل به منزلا [1] فليصنع لمتحوّله ،

و معارف منتقله [2] فطوبى لذي قلب سليم [3] أطاع من يهديه ، و تجنّب من يرديه [4] و أصاب سبيل السّلامة ببصر من بصّره ، و طاعة هاد أمره [5] ، و بادر

[1] و لينظر أمرؤ في قصير أيامه . . . : فهو و ان عاش عمر نوح عليه السلام ، فهو بالنسبة لعمر الآخرة كقطرة من البحر .

و قليل مقامه : في الدنيا . في منزل حتى يستبدل به منزلا :

في الآخرة .

[2] فليصنع لمتحوله . . . : يهيّىء ما يصلحه لمنزله الجديد .

و معارف منتقله : المواضع التي يعرف إنتقاله إليها .

[3] فطوبى . . . : هي (فعلى) من الطيب . و المراد : لهم طيب العيش و الرخاء . لذي قلب سليم : لأنه إذا سلم القلب سلمت سائر الجوارح من الفساد ، من حيث ان الفساد بالجارحة لا يكون إلاّ عن قصد القلب الفاسد .

[4] يرديه : يهلكه .

[5] أصاب سبيل السلامة . . . : طريق النجاة . ببصر من بصّره :

أرشده و دلّه على الحق . و طاعة هاد أمره : فامتثل و عمل .

الهدى قبل أن تغلق أبوابه ، و تقطع أسبابه [1] ،

و استفتح التّوبة ، و أماط الحوبة [2] . فقد أقيم على الطّريق ، و هدي نهج السّبيل [3] .

(211) و من دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا

الحمد للّه الّذي لم يصبح بي ميّتا و لا سقيما

[1] بادر . . . : أسرع . و الهدى : الرشاد : تغلق أبوابه : بمعاينة الموت . و تقطع أسبابه : بالموت ، فلا من حسنة يستزاد ،

و لا من سيئة يستعتب .

[2] إستفتح التوبة . . . : إستقبلها أماط : أزال و الحوبة :

الأثم . و المراد بذلك : الإستغفار و الندم على عدم العودة .

[3] فقد أقيم على الطريق . . . : أوقف على طريق النجاة .

و هدي : أرشد . و نهج الطريق : وضح و إستبان . و السبيل :

الطريق .

و لا مضروبا على عروقي بسوء [1] و لا مأخوذا بأسوإ عملي [2] ، و لا مقطوعا دابري [3] ، و لا مرتدّا عن ديني ، و لا منكرا لربّي ، و لا مستوحشا من إيماني [4] ، و لا ملتبسا عقلي [5] ، و لا معذّبا بعذاب الأمم من قبلي [6] . أصبحت عبدا

[1] لم يصبح بي ميّتا و لا سقيما . . . : حمده تعالى على نعمة الحياة و الصحة . و لا مضروبا على عروقي بسوء : من عوارض التشويه التي تصيب البعض كالبرص و غيره .

[2] و لا مأخوذا بأسوأ عملي : معاقبا بأقبح ذنوبي .

[3] و لا مقطوعا دابري : بإنقراض أولادي .

[4] و لا مرتدا عن ديني . . . : خارجا من الدين . و لا مستوحشا من إيماني : شاكا .

[5] و لا ملتبسا عقلي : مختلطا . و المراد : السلامة من عوارض الجنون .

[6] و لا معذّبا بعذاب الأمم من قبلي : من الخسف ، و الغرق ،

و الصيحة ، و المسخ ، و غيرها مما ذكره القرآن الكريم .

[78]

مملوكا ظالما لنفسي [1] ، لك الحجّة علي [2] و لا حجّة لي ، لا أستطيع أن آخذ إلاّ ما أعطيتني ، و لا أتّقي إلاّ ما وقيتني [3] اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضلّ في هداك ،

أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد و الأمر لك . [4]

[1] ظالما لنفسي : بالتقصير عما ينبغي لك من العبادة .

[2] لك الحجّة عليّ : الحجّة : الدليل و البرهان . و المراد :

لك الحجة عليّ بما أرسلت من رسل ، و أنزلت من كتب .

[3] لا أستطيع ان آخذ إلاّ ما أعطيتني . . . : لا يصلني من خير أو رزق إلاّ ما قسمته لي و لا أتقي إلاّ ما وقيتني : لا سبيل لي لدفع مكروه أو محذور إلاّ ان تدفعه عني .

[4] أعوذ بك . . . : أعتصم و أمتنع . ان أفتقر في غناك : و أنت ربي الغني الجواد . أو أضل في هداك : أزل و أنحرف و أنت هادي من في السماوات و الأرض . و أضام : أظلم .

و سلطانك : ملكك . أو أضطهد : أقهر . و الأمر لك : أنت الغالب القاهر ، و مالك من في السماوات و الأرض .

[79]

اللّهمّ اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي ، و أوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي [1] .

اللّهمّ إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك ، أو نفتن عن دينك ، أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الّذي جاء من عندك [2] .

[1] اللهم أجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي . . . :

أسألك ان تبقي حواسي و جوارحي سالمة حتى الموت . و أوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي : ان أعضاء الجسم و أجزائه كلها نعم من الله تعالى مودعة عند الإنسان . و الإمام عليه السلام يسأله ان تكون نفسه المقدّسة أوّل تلك الودائع إسترجاعا . و المراد : لا يبتلى في حياته بفقد جارحة أو حاسة .

[2] نعوذ بك . . . : نعتصم بك و نمتنع . أن نذهب عن قولك : نخالف أمرك . أو نفتن عن دينك : نضل . أو تتابع بنا أهواؤنا : تتابعت الأشياء : توالت . و الهوى : ما تميل إليه النفس . دون الهدى الذي جاء من عندك : الخط الذي رسمته لعبادك ، و أمرتهم بسلوكه ، و هو الإسلام .

[80]

(212) و من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين

أمّا بعد ، فقد جعل اللّه لي عليكم حقّا بولاية أمركم ، و لكم عليّ من الحقّ مثل الّذي لي عليكم ، فالحقّ أوسع الأشياء في التّواصف ،

و أضيقها في التّناصف [1] ، لا يجري لأحد إلاّ

[1] فالحق أوسع الأشياء في التواصف . . . : أن التفوّه بالحق ، و إدعاء الجميع أن لو ملك الأمر سار على نهج الحق سهل على الألسنة . و أضيقها في التناصف : و عند العمل و التطبيق يتضايقون به أشد المضايقة .

[81]

جرى عليه ، و لا يجري عليه إلاّ جرى له [1] . و لو كان لأحد أن يجري له و لا يجري عليه لكان ذلك خالصا للّه سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباده ، و لعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قضائه ، و لكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه ،

و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثّواب تفضّلا منه و توسّعا بما هو من المزيد أهله .

ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها

[1] لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه ، و لا يجري عليه إلاّ جرى له :

لا يتوجب عليه حق إلاّ وجب له مثله . و المراد : أن اللّه سبحانه و تعالى جعل الحقوق متقابلة ، فللوالد حق على الولد ، و للولد حق على الوالد ، و هكذا بقية الحقوق ،

و المفروض بالمسلم كما يطالب و يأخذ حقّه ان يراعي و يعطي حقوق الآخرين . و لمزيد التعرّف على هذه الحقوق أقرأ رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام .

[82]

لبعض النّاس على بعض ، فجعلها تتكافأ في وجوهها [1] ، و يوجب بعضها بعضا ، و لا يستوجب بعضها إلاّ ببعض [2] . و أعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرّعيّة ، و حقّ الرّعيّة على الوالي ، فريضة فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ ، فجعلها نظاما لألفتهم ، و عزّا لدينهم ، فليست تصلح الرّعيّة إلاّ بصلاح الولاة [3] ، و لا يصلح الولاة إلاّ باستقامة

[1] تتكافأ في وجوهها : تتساوى .

[2] و لا يستوجب بعضها إلاّ ببعض : إذا أخلّ المسلم بما وجب عليه من الحقوق سقط حقه عن الآخرين ، فالحاكم الظالم لا تجب طاعته ، و المرأة الناشز لا تجب لها النفقة .

[3] فليست تصلح الرعيّة إلاّ بصلاح الولاة الخ : و هي المشكلة الكبرى التي يعاني منها المسلمون اليوم ، فقد فسد حكامهم و ساروا خلف المستعمر الكافر ، و أنجرّت الرعيّة الى التدهور الأخلاقي ، و البعد عن القيم .

[83]

الرعيّة ، فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالي حقّه ، و أدّى الوالي إليها حقّها ، عزّ الحقّ بينهم [1] ، و قامت مناهج الدّين ، و اعتدلت معالم العدل ، و جرت على أذلالها السّنن [2] ، فصلح بذلك الزّمان ،

و طمع في بقاء الدّولة ، و يئست مطامع الأعداء .

و إذا غلبت الرّعيّة واليها ، أو أجحف [3] الوالي برعيّته ، اختلفت هنالك الكلمة ، و ظهرت معالم الجور ، و كثر الإدغال في الدّين ، و تركت محاجّ السّنن [4] ، فعمل بالهوى [5] ، و عطّلت الأحكام

[1] عزّ الحق بينهم : قوي و سلم من الذل .

[2] و جرت على أذلالها السنن : سارت الأمور بمجاريها الطبيعية .

[3] اجحف : اشتد في الاضرار به .

[4] كثر الأدغال في الدين . . . : الداغل : الذي يبغي أصحابه الشر ، و يضمر لهم و يحسبونه يريد لهم الخير . و محاج جمع محجّة : الجادة . و السنن جمع سنّة : ما صحّ عن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله من قول و فعل . و المراد : تركوا خط الإستقامة .

[5] عمل بالهوى : ما تميل اليه نفوسهم دون الإلتزام بخط الشريعة الغراء .

و كثرت علل النّفوس [1] ، فلا يستوحش لعظيم حقّ عطّل ، و لا لعظيم باطل فعل [2] فهنالك تذلّ الأبرار ، و تعزّ الأشرار ، و تعظم تبعات اللّه عند العباد [3] ، فعليكم بالتّناصح في ذلك و حسن التّعاون عليه ، فليس أحد و إن اشتدّ على رضا

[1] و كثرت علل النفوس : هي الأمراض التي تصيب النفس ،

و علاجها أعسر من أمراض الجسم . و المراد بها الحسد ،

و العجب ، و الكبرياء ، و غيرها .

[2] فلا يستوحش بعظيم حق عطّل . . . : فلا يستغرب حينئذ بتعطيل الحقوق . و لا لعظيم باطل فعل : فبتكرار ذلك ينتفي العجب منه .

[3] و تعظم تبعات اللّه عند العباد : العقوبات التي استوجبوها

اللّه حرصه [1] ، و طال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما اللّه أهله من الطّاعة [له] و لكن من واجب حقوق اللّه على العباد النّصيحة بمبلغ جهدهم ، و التّعاون على إقامة الحقّ بينهم ، و ليس امرؤ و إن عظمت في الحقّ منزلته [2] ، و تقدّمت في الدّين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمّله اللّه من حقّه ، و لا أمرؤ و إن صغّرته النّفوس ،

و اقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك ، أو

[1] فليس أحد و ان اشتدّ على رضا اللّه حرصه الخ : لا يمكن لعبد و ان اجتهد في العبادة أن يبلغ مدى عبادة اللّه تعالى ،

و الغاية في طاعته ، و في سيرة الإمام عليه السلام و ما ورد عنه من أدعية أكبر شاهد .

[2] و ليس أمرؤ و إن عظمت في الحق منزلته الخ أن أي شخص مهما ارتفعت منزلته ، و سمت مرتبته ، مستغن عن المعونة على اداء ما كلفه اللّه تعالى .

يعان عليه [1] .

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه و يذكر سمعه و طاعته له ، فقال عليه السلام :

إنّ من حقّ من عظم جلال اللَّه في نفسه ،

و جلّ موضعه من قلبه ، أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه [2] ، و إنّ أحقّ من كان كذلك

[1] و ان صغّرته النفوس . . . : لم تحفل به . و اقتحمته العيون :

احتقرته . بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه : أن ايّ مسلم و إن صغرت منزلته يجب أن يعين على الحق ، و يعان عليه .

[2] جلاله . . . : عظمته . و جلّ موضعه من قلبه : عظم في نفسه . أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه : يستصغر غيره ، و لا يخاف أحدا إلاّ منه .

[87]

لمن عظمت نعمة اللَّه عليه [1] ، و لطف إحسانه إليه ، فإنّه لم تعظم نعمة اللَّه على أحد إلاّ ازداد حقّ اللَّه عليه عظما [2] ، و إنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس أن يظنّ بهم حبّ الفخر ، و يوضع أمرهم على الكبر [3] ، و قد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء ،

[1] و ان أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة اللَّه عليه : و ان أولى الناس بتعظيم اللَّه جلّ جلاله من كثرت عليه نعمه ،

و غمره بإحسانه .

[2] فإنه لم تعظم نعمة اللَّه على أحد إلاّ ازداد حق اللَّه عليه عظما : كلما زادت النعم زادت الحقوق ، و وجب المزيد من الشكر .

[3] أن يظن بهم حب الفخر . . . : و الثناء عليهم ، و المدح لهم . و يوضع أمرهم على الكبر : على الإستعلاء و الكبرياء .

[88]

و استماع الثّناء ، و لست بحمد اللَّه كذلك ، و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطا [1] للَّه سبحانه عن تناول ما هو أحقّ من العظمة و الكبرياء ، و ربّما استحلى النّاس الثّناء بعد البلاء [2] ، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى اللَّه [3] و إليكم من التّقيّة في حقوق لم أفرغ

[1] إنحطاطا : تصاغرا و تواضعا . و المراد : لو كان شأني حب الثناء كان يجب عليّ تركه طلبا لمرضاة اللَّه تعالى .

[2] و ربما استحلى النّاس الثناء بعد البلاء : يحب البعض المديح عند قيامهم بعمل مجهد كالجهاد و غيره .

[3] لإخراجي نفسي الى اللَّه . . الخ : هي حقوق اللَّه سبحانه ،

و حقوق عباده . و فرائض لا بد من إمضائها : لا بد من إقامتها و المراد : لا استوجب منكم مدحا على حقوق و واجبات مفروضة عليّ . نهاهم أن يسلكوا معه سلوك الشعب مع الحاكم الجبّار ، من التعظيم و الإحترام . و يقول ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية و قد سأله أن يصف له الإمام عليه السلام : كان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، و يجيبنا إذا سألناه ، و يأتينا إذا دعوناه ، و ينبئنا إذا استنبأناه .

[89]

من أدائها ، و فرائض لا بدّ من إمضائها ، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة ، و لا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة ، و لا تخالطوني بالمصانعة [1] ، و لا تظنّوا بي استثقالا في حقّ قيل لي ، و لا التماس إعظام لنفسي [2] ، فإنّه من

[1] فلا تكلموني بما تكلّم به الجبابرة ؟ . . . : من التعظيم و التبجيل . و لا تتحفظوا مني بما يتحفظ به أهل البادرة :

تتحفظوا : تحترزوا . و البادرة : ما يبدر من رجل عند غضبه من خطأ . و لا تخالطوني بالمصانعة : المداراة و الموافقة على الرأي و ان كان خطأ . و لا لوم بعد هذا على الأستاذ الكبير جورج جرداق حيث سمّى موسوعته القيمة (علي بن أبي طالب صوت العدالة الإجتماعية) .

[2] و لا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي . . . : نهاهم أن يظنوا به الكره لإستماع الحق فيخفوه عنه ، فتضيع حينئذ بعض الحقوق . و لا التماس أعظام لنفسي : و أيضا لا تظنّوا بي أني أحب و أرغب أن تعظموني .

استثقل الحقّ أن يقال [1] له ، أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ ، أو مشورة بعدل ، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطىء [2] ، و لا آمن ذلك من فعلي إلاّ أن يكفي اللّه من نفسي ما هو أملك به منّي [3] ، فإنّما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره : يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا ،

[1] فإنّه من استثقل الحق أن يقال له . . . : الخ . إن من يصعب عليه إستماع الحق ، أو أن يعرض عليه العدل ، فان العمل بهما يكون أشق و أصعب .

[2] فلا تكفّوا عن مقالة بحق . . . : لا تتركوا قول الحق .

و مشورة بعدل : أو تشيروا بما فيه تحقيق العدالة . فإني لست في نفسي بفوق أن أخطىء : نظير قول الصدّيق عليه السلام : وَ مَا ابرىءُ نَفسي إنَّ النَّفس لأمَّارَةُ بالسُّوءِ إلاّ مَا رَحِمَ رَبّي 12 : 53 .

[3] ما هو أملك به مني : يعصمني من الخطأ .

و أخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه [1] ،

فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدى ، و أعطانا البصيرة بعد العمى .

(213) و من كلام له عليه السلام

اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش [2] و من أعانهم ، فإنّهم قد قطعوا رحمي ، و أكفأوا إنائي ،

و أجمعوا على منازعتي حقّا كنت أولى به من غيري [3] ، و قالوا ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه و في

[1] يملك منا ما لا نملك من أنفسنا . . . : من التوفيق ،

و السعادة في الدارين ، و العصمة من كل سوء بِيَدِكَ الخَيرُ انَّكَ عَلى كُلِّ شيء قَديرُ 3 : 26 . و أخرجنا مما كنّا فيه قبل البعثة الى ما صلحنا عليه : ببركة الإسلام .

[2] اللهم أني أستعديك على قريش : استعين بك عليهم .

[3] و أكفأوا أنائي . . . : قلبوه و كبّوه . و أجمعوا على منازعتي :

اتفقوا على مخاصمتي و مغالبتي . حقّا أولى به من غيري :

المراد بالحق الخلافة ، فهو أحق بها و أولى لقرابته من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله ، و لما اختص به من علم و شجاعة و مميزات أخرى لم تجتمع إلاّ فيه .

[92]

الحقّ أن تمنعه [1] ، فاصبر مغموما ، أو مت متأسّفا ، فنظرت فإذا ليس لي رافد [2] ، و لا ذابّ ،

و لا مساعد إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن المنيّة [3] فأغضيت على القذى ، و جرعت ريقي على الشّجى ، و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم ، و آلم للقلب من حزّ الشّفار [4] .

[1] الا أن في الحق أن تأخذه . . . : لك تمام الحق فيها ، و أنت جدير بها . و في الحق أن تمنعه : تعطى لغيرك .

[2] رافد : ناصر .

[3] فضننت . . . : بخلت بهم . و المنية : الموت .

[4] غضّ بصره : كفّه و خفضه ، و يقال غضّ طرفه عن فلان : أحتمل المكروه منه و لم يأخذه بفعله . و القذى : ما يتكوّن في العين من رمص و غمص و غيرهما ، و يقال : هو يغضي على القذى : إذا سكت على الضيم و لم يشك .

و الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه . و صبرت على كظم الغيظ : الكاظم : الممسك على ما في نفسه عند الغضب . و غاظه غيظا : اغضبه أشد الغضب . و آلم للقلب من حز الشفار جمع شفرة : ما عرّض و حدّد من الحديد كحد السيف و السكين .

[93]

قال الرضي : و قد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا أني كررته ههنا لاختلاف الروايتين .

(214) و من كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فقدموا على عمّالي [1] و خزّان بيت مال

[1] فقدموا على عمالي . . . الخ : و موضوع حرب الجمل من غرائب الدنيا و عجائبها ، فالقادة الثلاثة كانوا أشد الناس على عثمان حتى قتلوه ، و حتى أن طلحة منع عنه الماء في الأيام الأخيرة ، و بعد أن قتلوه أعلنوا الطلب بدمه ، و الأعجب من هذا أن يطلبوه من الإمام عليه السلام . علما منهم ببراءته منه ، ثم يقصدون البصرة و ليس فيها أحد من قتلته ، فيقتلون شعبا آمنا ، و قد يكون أعظم من هذا كله تمهيدهم الأمر لابن آكلة الأكباد .

[94]

المسلمين الّذي في يدي و على أهل مصر كلّهم في طاعتي و على بيعتي ، فشتّتوا كلمتهم ،

و أفسدوا عليّ جماعتهم ، و وثبوا على شيعتي ،

فقتلوا طائفة منهم غدرا [1] ، و طائفة منهم عضّوا على أسيافهم فضاربوا بها حتّى لقوا اللَّه صادقين [2] .

[1] فقتلوا طائفة منهم غدرا : بعد الإتفاق على الهدنة ،

و تسريح المقاتلين ، و استتاب الأمن في البلد ، بدا للزعماء الثلاثة نقض العهد ، فوثبوا بأمير البلد الصحابي الجليل عثمان بن حنيف فنتفوا لحيته و حاجبيه ، و قتلوا الحرس الموكلين ببيت المال و غيرهم .

[2] و طائفة عضّوا على أسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا اللّه .

محتويات الكتاب

رقم الخطبة رقم الصفحة

204 و من كلام له عليه السلام 51

205 و من كلام له عليه السلام 52

206 و من كلام له عليه السلام 55

205 و من كلام له عليه السلام 42

207 و من خطبة له عليه السلام 62

208 و من خطبة له عليه السلام 66

209 و من خطبة له عليه السلام 67

210 و من خطبة له عليه السلام 70

211 و من دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا 76

212 و من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين 80

213 و من كلام له عليه السلام 91

214 و من كلام له عليه السلام 93

192 و من خطبة له عليه السلام 5

رقم الخطبة محتويات الكتاب رقم الصفحة

193 و من خطبة له عليه السلام 8

194 و من خطبة له عليه السلام 11

195 و من كلام له عليه السلام كان يوصي به اصحابه 30

196 و من كلام له عليه السلام 36

197 و من كلام له عليه السلام 37

198 و من كلام له عليه السلام قاله عند سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام 42

199 و من كلام له عليه السلام 44

200 و من كلام له عليه السلام 46

201 و من كلام له عليه السلام 46

202 و من كلام له عليه السلام 49

203 و من كلام له عليه السلام 50

الحلقة 23 24

[5]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

(215) و من كلام له عليه السلام لما مر بطلحة و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل

لقد أصبح أبو محمّد بهذا المكان غريبا أما و اللّه لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب [1] ، أدركت و تري [2] من بني عبد مناف و أفلتني أعيان بني جمح [3] ، لقد أتلعوا

[1] بطون الكواكب : تحت السماء .

[2] أدركت وتري : ثأري الذي عندهم بقتل أهل البصرة .

[3] و افلتتني . . . : نجوا و تخلصوا . و بني جمح : بطن من قريش ، كان زعيمهم أميّة بن خلف شديدا على الإسلام قتل ببدر كافرا .

[6]

أعناقهم [1] إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه [2] .

(216) و من كلام له عليه السلام

قد أحيا عقله و أمات نفسه ، حتّى دقّ جليله ،

و لطف غليظه [3] ، و برق له لامع كثير البرق [4] ،

[1] اتلعوا أعناقهم : رفعوها .

[2] فوقصوا دونه : وقصت عنقه : انكسرت .

[3] أحيى عقله . . . : نمّاه بالعلوم الإلهيّة ، و المعارف الاسلامية .

و أمات نفسه : الامارة بالسوء . و المراد : حملها على العبادة و الطاعة و مكارم الأخلاق .

[4] و برق له لامع كثير البرق : تجلّت له أنوار المعارف الإلهية .

[7]

فأبان له الطّريق ، و سلك به السّبيل [1] ، و تدافعته الأبواب إلى باب السّلامة ، و دار الإقامة [2] ،

و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الرّاحة [3] : بما استعمل قلبه ، و أرضى ربّه [4] .

[1] فأبان له الطريق . . . : الموصل الى اللّه تعالى . و سلك به السبيل : المؤدّي اليه جلّ شأنه .

[2] و تدافعته الأبواب . . . : المؤدّية الى اللّه تعالى . و المراد بها الطاعات . الى باب السلامة ، و دار الإقامة : و هي الجنة التي أشار اليها سبحانه بقوله : لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِم 6 : 127 .

[3] و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه . . . : المراد به رسوخ العقيدة الذي ينتهي به و يوصله الى اقرار الأمن و الراحة : هي جنان الخلد .

[4] بما استعمل قلبه . . . : أعمله و استغلّه فيما ينبغي له .

و المراد بالقلب العقل . قال تعالى : لَهُم قُلُوبٌ لاَ يَفقَهون بِها 7 : 179 . و ارضى ربه : بأداء ما كلفه به ، و الإنتهاء عما نهاه عنه .

[8]

(217) و من كلام له عليه السلام

قاله بعد تلاوته : ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر [1] يا له مراما ما أبعده [2] و زورا ما أغفله ،

و خطرا ما أفظعه [3] ، لقد استخلوا منهم أيّ مدّكر

[1] اَلهاكُمُ التّكَاثُرَ حتّى زُرتُمُ المقَابِرَ 102 : 2 شغلكم عن طاعة اللّه تعالى ، فقد كانوا يتفاخرون بأنفسهم ، ثم جرّهم ذلك الى التفاخر بالأموات .

[2] يا له مراما ما أبعده : المرام : المطلب . و المراد : أنكم تتفاخرون بالأموات و ليس ذلك بفخر . و زورا : الزائرين للمقابر . ما أغفله : ما أغفلكم عنه . و خطرا ما أفظعه : هو خطر الموت و ما بعده .

[3] لقد استخلوا منهم أي مدّكر . . . : لم يجدوا لم تفاخروا بهم أثرا ، بل وجدوا الديار منهم خالية . و تناوشوهم :

تناولوهم . من مكان بعيد : هو بعد الدنيا عن عوالم الآخرة .

[9]

و تناوشوهم من مكان بعيد أ فبمصارع آبائهم يفخرون أم بعديد الهلكى يتكاثرون [1] ؟ يرتجعون منهم أجسادا خوت [2] ، و حركات سكنت ، و لأن يكونوا عبرا أحقّ من أن يكونوا مفتخرا [3] ، و لأن يهبطوا بهم جناب ذلّة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة [4] لقد نظروا إليهم

[1] أ فبمصارع آبائهم يفخرون . . . : و هذا منتهى الإنحطاط أن يفخر الأحياء بالأموات ، و يجعلون من ذلك عنوانا للمجد و الشرف . و يتكاثرون : بالأموات .

[2] أجسادا خوت : خوى المكان : خلى مما كان فيه .

و المراد : يفتخرون بأجساد خلت من الأرواح .

[3] و لان يكونوا عبرا أحق من أن يكونوا مفتخرا : انقلبت المفاهيم عندهم ، فقد كان المفروض الاتعاظ بهم لا الإفتخار .

[4] و ان يهبطوا بهم جناب ذلّة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة : الحجى : العقل . و المراد : أن ما صار اليه الأموات من التلاشي و تفرّق الاجزاء كان جديرا أن يترك عند الأحياء التذلل للعزيز القاهر ، و الانقياد له ، بدلا من التعزز بذلك الرميم البالي .

[10]

بأبصار العشوة و ضربوا منهم في غمرة جهالة [1] ،

و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدّيار الخاوية ،

و الرّبوع الخالية [2] ، لقالت ذهبوا في الأرض

[1] لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة . . . : عشى بصره :

ضعف . و المراد : نظروا الى الأمور بأعين مريضة ، فأبعدوا عن الحقيقة . و ضربوا منهم في غمرة جهالة : غمر الماء :

كثر حتى ستر مقرّه . و المراد : غمرهم الجهل حتى وصلوا الى هذا المستوى الضحل .

[2] و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية . . . . . :

الخالية . و الربوع : منازلهم . الخالية : عن الحسن الصيقل قال : سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عما يروي الناس : تفكّر ساعة خير من قيام ليلة ، كيف يتفكر ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدار فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، مالك لا تتكلمين ؟ . و المراد : كان المفروض أن يفكّروا ما حلّ بالآباء من الانتقال ، و أن ذلك المصير ينتظرهم ، فينبغي الإستعداد له .

[11]

ضلاّلا ، و ذهبتم في أعقابهم جهّالا [1] ، تطأون في هامهم ، و تستثبتون في أجسادهم و ترتعون فيما لفظوا [2] ، و تسكنون فيما خرّبوا ، و إنّما الأيّام بينكم و بينهم بواك و نوائح عليكم [3] .

[1] ذهبوا في الأرض ضلالا : غابوا فيها و صاروا رميما و ترابا وَ قَالُوا ءَ إِذَا ضَلَلنَا فِي الأَرضِ ءَ إِنّا لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ بَل هُم بِلقَاءِ رَبّهِم كَافِرونَ 32 : 10 و ذهبتم في أعقابهم :

بعدهم . جهالا : غافلين : لم تعدوا ما يصلحكم .

[2] تطاؤن في هامهم . . . : رؤوسهم . و المراد : بتطاول السنين ، و كثرة الموتى ، اختلط التراب برميم الأجساد ،

و الى هذا يشير أبو العلاء المعري :

خفف الوطء ما اظن أديم الأرض
إلاّ من هذه الأجساد

و تستثبتون في أسادهم : تزرعون مواضع قبورهم . و ترتعون :

تأكلون . فيما لفظوا : تركوا .

[3] و إنما الايام بينكم و بينهم بواك و نوائح عليكم : نوائح جمع نائحة : باكية على الميت . و المراد بالأيام أهلها . فسنة الحياة أن يبكي الأحياء الأموات .

[12]

أولئكم سلف غايتكم و فرّاط مناهلكم [1] ،

الّذين كانت لهم مقاوم العزّ ، و حلبات الفخر ،

ملوكا و سوقا [2] ، سلكوا في بطون البرزخ سبيلا [3] سلّطت الأرض عليهم فيه ، فأكلت من لحومهم ، و شربت من دمائهم ، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون ، و ضمارا لا

[1] أولئكم سلف غايتكم . . . : السلف : كل من تقدمك من آبائك و ذوي قرابتك في السن . و الغاية : النهاية و الآخر .

و المراد : اللحوق بهم . و المصير الذي ينتظركم . و فراط جمع فرط : متقدم القوم الى الماء . و مناهلكم جمع منهل : موضع الشرب . و المراد : الذين سبقوكم للشرب من كأس المنية .

[2] الذي كانت لهم مقاوم العز . . . : دعائمه . و حلبات جمع حلبة : الخيل التي تعد للسباق . و المراد : بيان ما كانوا فيه من مجد و رخاء . و سوقا : أوساط الناس .

[3] سلكوا في بطون البرزخ سبيلا . البرزخ : الحاجز بين شيئين . و المراد به القبر ، فهو الحاجز بين الدنيا و الآخرة .

[13]

يوجدون [1] ، لا يفزعهم ورود الأهوال [2] ، و لا يحزنهم تنكّر الأحوال ، و لا يحفلون بالرّواجف ،

و لا يأذنون للقواصف [3] ، غيّبا لا ينتظرون ،

و شهودا لا يحضرون [4] ، و إنّما كانوا جميعا فتشتّتوا ، و ألآفا فافترقوا ، و ما عن طول عهدهم

[1] ضمارا لا يوجدون : غيّبا لا ترجى عودتهم .

[2] لا يفزعهم ورود الأهوال . . . : الفزع : الخوف و الذعر .

و الهول : الأمر الشديد . و المراد : لا يخافون مما يخاف منه أهل الدنيا ، لأنهم في عالم آخر . و لا يحزنهم تنكر الاحوال : لا يتألمون لما يحدث من تغييرات كانت تحزنهم في الدنيا .

[3] لا يحفلون بالرواجف . . . : لا يحفلون : لا يبالون .

و الرواجف : الزلازل . و لا يأذنون : لا يسمعون . و قصف الرعد قصفا : أشتد صوته . و المراد : بعدهم عن هذا العالم .

[4] غيّبا لا ينتظرون . . . : لا تنتظر عودتهم . و شهودا :

بأبدانهم . و لا يحضرون : لغياب أرواحهم في عالم آخر .

[14]

و لا بعد محلّهم عميت أخبارهم ، و صمّت ديارهم ، و لكنّهم سقوا كأسا بدّلتهم بالنّطق خرسا ، و بالسّمع صمما ، و بالحركات سكونا [1] ، فكأنّهم في ارتجال الصّفة صرعى سبات [2] . جيران لا يتآنسون ، و أحبّاء لا يتزاورون ، بليت بينهم عرى التّعارف [3] ،

و انقطعت منهم أسباب الإخاء ، فكلّهم وحيد و هم

[1] و ما عن طول عهدهم . . . : ليس بيننا و بينهم بعد زماني أو مكاني حتى تنقطع عنا أخبارهم . و صمّت : خرست .

و ديارهم : قبورهم . و المراد : لم يجب سكانها . ثم يعتذر عن سكوتهم لشربهم بكأس المنيّة ، الذي أبدلهم بالنطق خرسا و بالسمع صمما ، و بالحركات سكونا .

[2] فكأنهم في ارتجال الصفة . . . : هو الوصف بدون تأمل و دقة . و صرعى جمع صريع : في غيبوبة . و سبات :

نيام . المراد : بيان قربهم ، و انهم بمشهد من الأحياء حتى يظنهم غير المتأمل بأنهم نيام .

[3] بليت . . . : انقطعت . عرى التعارف : روابط الأخاء و الود .

جميع ، و بجانب الهجر و هم أخلاّء [1] ، لا يتعارفون لليل صباحا ، و لا لنهار مساء ، أيّ الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا [2] ،

شاهدوا من أخطار دارهم أفظع ممّا خافوا ، و رأوا من آياتها أعظم ممّا قدّروا [3] ، فكلتا الغايتين

[1] فكلهم وحيد . . . : يعيش في وحدة . و هم جميع : جمعتهم المقابر . و بجانب الهجر و هم أخلاء . هجره : تركه و أعرض عنه . و اخلاء جمع خليل : الصديق المخلص .

[2] الجديدان . . . : الليل و النهار . و ظعنوا : ساروا و ارتحلوا .

كان عليهم سرمدا : دائما لا ينقطع . و المراد : لا يشعر بما يجيء بعده .

[3] شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا . . . : أن وصف ما نزل بهم من عذاب و هوان يقصر عنه الوصف ، و فوق ما كانوا يحتملون . و رأوا من آياتها أعظم مما قدروا : كذلك الحديث عن رحمته و جنته فهو مهما عظم فدون الحقيقة ،

و يكفي أن تعلم ان اللّه سبحانه قادر و قد جعله ثوابا و جزاء لمن أحبّه و ارتضى عمله .

مدّت لهم إلى مباءة [1] ، فأتت مبالغ الخوف و الرّجاء ، فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا [2] ، و لئن عميت أثارهم ،

و انقطعت أخبارهم ، لقد رجعت فيهم أبصار العبر ، و سمعت عنهم آذان العقول ، و تكلّموا من غير جهات النّطق [3] ، فقالوا : كلحت الوجوه

[1] فكلتا الغايتين مدت لهم الى مباءة : الغاية : النهاية و الآخر ،

و المراد بها الموت . و مدت لهم : حتى أوصلتهم .

الى مباءة : الى المنزل ، و هو الجنة أو النار . فأتت مبالغ الخوف و الرجاء : فكان أعظم مما كان يتصوّره المجرمون ،

و أعظم مما كان يأمله المتقون .

[2] فلو كانوا ينطقون لعيوا بصفة ما شاهدوا أو عاينوا . العي :

العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود .

و المراد : لو كانت لهم القدرة على النطق لذهل أهل العذاب عن وصف ما هم فيه من عذاب و شقاء و لعجز أهل النعيم عن وصف ما هم فيه من سعادة و هناء .

[3] و لئن عمت آثارهم . . . : لم نهتد لمعرفة حالهم . و انقطعت أخبارهم : عنا . لقد رجعت فيهم أبصار العبر : نفذت اليهم بصائر العقول ، و أخذت عنهم المواعظ . و سمعت عنهم آذان العقول : الرشيدة الواعية . و تكلموا من غير جهات النطق : أي بلسان الحال .

[17]

النّواضر ، و خوت الأجسام النّواعم ، و لبسنا أهدام البلى ، و تكاءدنا ضيق المضجع ، و توارثنا الوحشة ، و تهكّعت علينا الرّبوع الصّموت ،

فانمحت محاسن أجسادنا ، و تنكّرت معارف صورنا ، و طالت في مساكن الوحشة إقامتنا ، و لم نجد من كرب فرجا ، و لا من ضيق متّسعا [1] فلو

[1] فقالوا كلحت الوجوه النواضر . . . : كلح فلان كلوحا :

أشتد عبوسه تلفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُم فيهَا كَالِحونَ 23 :

104 . و النواضر : ذات الحسن و الجمال . و خوت :

الأجساد النواعم : خوى المكان : خلا مما كان فيه .

و المراد : خلت من أحشائها و أجوافها ، فلم تبق الحشرات منها شيئا . و لبسنا أهدام البلى . أهدام جمع هدم : الثوب البالي . و بلى الثوب : رث . . و المراد بذلك الأكفان .

و تكاءدنا ضيق المضجع : تكاءد الأمر : شقّ عليه .

و المضجع : القبر . و توارثنا الوحشة : ما كان لآبائهم من وحشة القبر و آلامه وصل اليهم ، فأشبه ذلك بالميراث الذي ينتقل من شخص لآخر و تهكعت علينا الربوع الصموت :

تهكعت : تهدمت . و الربوع : المنازل و الصموت : التي لا تنطق . و المراد بذلك القبور . فانمحت محاسن أجسادنا :

ذهب حسنها و نضارتها . و تنكرت معارف صورنا : ذهب جمالها و رونقها .

أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار و الكلل

فافصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

و طالت في مساكن الوحشة أقامتنا : هي القبور . و لم نجد من كرب فرجا : الكرب : الحزن و الغم . و الفرج : إنكشاف الغم . و لا من ضيق متسعا : المراد به ضيق القبر و أهواله .

[18]

مثّلتهم بعقلك [1] ، أو كشف عنهم محجوب

[1] فلو مثلتهم بعقلك . . . : لو تأملت حالهم . أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك : إنكشف الحجاب فيما بينك و بينهم .

[19]

الغطاء لك ، و قد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكّت ، و اكتحلت أبصارهم بالتّراب فخسفت ،

و تقطّعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها ،

و همدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها ، و عاث في كلّ جارحة منهم جديد بلى سمّجها و سهّل طرق الآفة إليها [1] ، مستسلمات فلا أيد تدفع ،

و لا قلوب تجزع [2] ، لرأيت أشجان قلوب و أقذاء

[1] إرتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت . . . : إرتسخت : ثبتت في قرارها . و الهوام : حشرات القبر . و استكت : إنسدت .

و إكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت : إنمحت معالمها .

و تقطعت الألسنة في أفواهها بعد ذلاقتها . حدتها . و همدت القلوب : سكنت . و عاث كل جارحة منهم : أفسدها .

و جديد بلى : فناء . و سمجها : قبّحها و أزال محاسنها .

و سهّل طرق الآفة إليها : فهي من أجل تسلط التراب عليها أسرعت للتلاشي و الفناء .

[2] مستسلمات . . . : هي الجوارح و الأعضاء . فلا يد تدفع :

الحشرات و غيرها . و لا قلوب تجزع : تحزن .

[20]

عيون [1] ، لهم من كلّ فظاعة صفة حال لا تنتقل ، و غمرة لا تنجلي [2] . و كم أكلت الأرض من عزيز جسد ، و أنيق لون ، كان في الدّنيا غذيّ ترف ، و ربيب شرف [3] ، يتعلّل بالسّرور في ساعة حزنه ، و يفزع إلى السّلوة إن مصيبة نزلت

[1] الشجن . . . : الحزن . و القذى : ما يتكوّن في العين من رمص و غمص . و المراد : ان منظرهم يحزن القلب ، و يؤلم العين .

[2] لهم في كل فظاعة . . . : شدّة و شناعة . صفة حال لا تنتقل : الى صلاح . و غمرة شدّة لا تنجلي : لا تنكشف .

[3] غذي ترف . . . : عاش في نعمة و رخاء . و ربيب شرف :

ربي في العز و المجد . و المراد : كم من متنعم عاش في نعيم ، و تربى في العز ، قد توسّد بخدّه التراب ، و حشرات الأرض تروح و تغدو على وجهه .

[21]

به [1] ، ضنّا بغضارة عيشه ، و شحاحة بلهوه [2] و لعبه ؟ فبينما هو يضحك إلى الدّنيا و تضحك الدّنيا إليه في ظلّ عيش غفول [3] إذ وطىء الدّهر به حسكه و نقضت الأيّام قواه و نظرت إليه الحتوف من كثب [4] فخالطه بثّ لا يعرفه ،

[1] يتعلل بالسرور في ساعة حزنه . . . : فهو حينما كان يحزن يسرع الى اللهو و شبهه ، يطرد بذلك أحزانه . و يفزع الى السلوى أن مصيبة نزلت به : و أيضا فهو عند ما يصاب بمصيبة يسرع الى ما يتسلى به .

[2] ضنا بغضارة عيشه . . . : يضن : يبخل . و غضارة العيش :

طيبه . و المراد : بيان حرصه على الراحة و الهناء ، فهو يحاول صرف كل ما يكدّر راحته . و شحاحة بلهوه و لعبه :

لأجل أن لا يفرّط فيهما .

[3] في ظل عيش غفول : فهو لطيبه يجعل صاحبه غافلا .

[4] وطىء الدهر به حسكه . . . : الحسك : نبات شائك يتعلق بأصواف الغنم . و المراد : نشبت فيه سهام البلاء . و نقضت الأيام قواه : نقض البناء : هدمه . و المراد : وصف ما أصابه من عوارض و اسقام ذهبت بصحته . و نظرت إليه الحتوف من كثب : الحتف : الهلاك . و من كثب : من قرب . و المراد اصابته الرمية .

[22]

و نجيّ همّ ما كان يجده ، و تولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحّته [1] ، ففزع إلى ما كان عوّده الأطبّاء من تسكين الحارّ بالقارّ و تحريك البارد بالحارّ [2] ، فلم يطفىء ببارد إلاّ ثوّر حرارة ، و لا حرّك بحارّ إلاّ هيّج برودة ، و لا اعتدل بممازج

[1] فخالطه بثّ لا يعرفه . . . : البث : الحزن إِنَّمَا اشكُوا بَثِّي وَ حُزنِي اِلى اللَّهِ 12 : 86 . و نجي هم ما كان يجده . النجي : الخفي . و المراد : مازجه حزن و هم لم يعهده سابقا . و تولدت فيه فترات علل : هي بداية العوارض و مقدماتها . آنس ما كان بصحته : في الوقت الذي كان فيه مأنوسا بصحته .

[2] تسكين الحار بالقار . . . : البارد . و تحريك البارد بالحار :

لإزاله ما يجده من تخدير و شبهه .

[23]

لتلك الطّبائع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء [1] ، حتّى فتر معلّله ، و ذهل ممرّضه ، و تعايا أهله بصفة دائه و خرسوا عن جواب السّائلين عنه ، و تنازعوا دونه شجيّ خبر يكتمونه [2] : فقائل هو لما به و ممنّ

[1] فلم يطفىء ببارد إلاّ ثوّر حرارة . . الخ : أن التداوي أزاد المرض شدّة ، و سبب له مضاعفات أخرى . و لا إعتدل بممازج لتلك الطبائع إلاّ أمّد منها كل ذات داء : و لا أعطي دواء شاملا ينفعه لتلك العوارض إلاّ كان سببا في إزدياد كل مرض .

[2] حتى فتر معلله . . . : الذي كان يسليه و يؤنسه . و ذهل ممرضه : الذي كان يتعاهده بالدواء و الغذاء . و تعايا أهله بصفة دائه : عجزوا عن وصف حاله . و خرسوا عن جواب السائلين عنه : فلا يمكنهم الأخبار بسلامته ، و لا تطيب قلوبهم بصفة الحال التي هو فيها . و تنازعوا دونه شجيّ خبر يكتمونه : الشجا : ما إعترض و نشب في الحلق من عظم و نحوه : و المراد : يتخاصمون في خبر مشجي ذي غصة يكتمونه عنه .

[24]

لهم إياب عافيته ، و مصبّر لهم على فقده ،

يذكّرهم أسى الماضين من قبله [1] فبينما هو كذلك على جناح من فراق الدّنيا [2] ، و ترك الأحبّة ، إذ عرض له عارض من غصصه فتحيّرت نوافذ فطنته ، و يبست رطوبة لسانه [3] فكم من مهمّ من

[1] فقائل يقول : هو لما به : على حالته السابقة ، لم يطرأ عليه تحسين . و ممّن لهم أياب عافيته : رجوعها . و مصبّر لهم على فقده : يخفف أحزانهم ، و يطلب منهم الإستعانة بالصبر . يذكرهم أسى الماضين من قبله : يخفف عنهم مصابهم بالتذكير بمصائب سلفت ، و أعزاء ذهبوا .

[2] على جناح من فراق الدنيا : كأنه على جناح طائر في سرعة الخروج منها .

[3] إذ عرض له عارض من غصصه . . . : العارض : الموت .

و الغصة : ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب .

و المراد : ما اعترض مجرى النفس و ضيّقه عليه . فتحيرت نوافذ فطنته : الفطنة : الحذق و المهارة . و المراد :

أوصدت أمامه أبواب المخرج . و يبست رطوبه لسانه : جفّ ريقه .

[25]

جوابه عرفه فعيّ عن ردّه ، و دعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصامّ عنه : من كبير كان يعظّمه ، أو صغير كان يرحمه [1] ، و إنّ للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة ، أو تعتدل على قلوب أهل الدّنيا [2] .

[1] فكم من مهم من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه . . . : العي :

العجز عن التعبير اللفظي . و المراد : أن اللسان يتعطّل قبل السمع ، فهو يسمع و لا يستطيع أن يتكلم . و دعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه : عاجزا عن الجواب . من كبير كان يعظمه : كالأب . أو صغير كان يرحمه : كالإبن . و المراد :

أنه يسمع و يرى توجّع و صراخ الذين حوله ، و لكن لا سبيل له الى كلامهم .

[2] و إن للموت لغمرات . . . : جمع غمرة : شدّة . هي أفظع :

فظع الأمر : إشتدت شناعته . من أن تستغرق بصفة : هي أعظم بكثير من أن يستوعبها الوصف أو يحيط بها الفكر . أو تعتدل على قلوب أهل الدنيا : تعتدل : تستقيم . و المراد :

لا يمكنهم إستيعابها ، و إدراكها بأبعادها .

[26]

(218) و من كلام له عليه السلام

قاله عند تلاوته : رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إنّ اللّه سبحانه و تعالى جعل الذّكر جلاء القلوب ، تسمع به بعد الوقرة ، و تبصر به بعد العشوة ، و تنقاد به بعد المعاندة [1] ، و ما برح للّه

[1] الذكر . . . : هو التهليل و التكبير و التسبيح و التحميد ، و قراءة القرآن ، و الدعاء . و جلاء للقلوب : جلى المرآة جلاء :

كشف صدأها و صقلها . و الحديث : « إن هذا القلب يصدأ كما يصدأ الحديد) و يقول الإمام الصادق عليه السلام :

(يصدأ القلب ، فإذا ذكّرته بلا إله إلاّ اللّه إنجلى) تسمع به بعد الوقرة : ثقل السمع في آذَانِهِمَ وَقرُ 41 : 44 .

و تبصر به بعد العشوة : هي ضعف البصر ليلا . و تنقاد به بعد المعاندة : تخضع و تلتزم نهج الحق بعد الإستكبار و العصيان . و المراد : أن المداومة على ذكر اللّه تعالى تقرّب العبد الى حظيرة القدس .

[27]

عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة و في أزمان الفترات [1] عباد ناجاهم في فكرهم ، و كلّمهم في ذات عقولهم [2] ، فاستصبحوا بنور يقظة [3] في الأبصار و الأسماع و الأفئدة يذكّرون بأيّام اللّه ،

[1] و ما برح . . . : ما زال . عزّت آلاؤه : عظمت نعمه . في البرهة بعد البرهة : المدّة الطويلة من الزمن . و في أزمان الفترات : الزمن الخالي من الأنبياء .

[2] عباد ناجاهم في فكرهم . . . : ألهمهم معرفته . قال أهل السير : كان أبو ذر الغفاري يتألّه في الجاهلية ، و يقول : لا إله إلاّ اللّه . و كلمهم في ذات عقولهم : وجدهم أهلا بأن يفيض عليهم معرفته . و المراد : أصبح هؤلاء لا يسمعون و لا يبصرون و لا يفكّرون إلاّ بما يقربهم الى اللّه جلّ جلاله .

[3] فاستصبحوا بنور يقظة : هي الأنوار الإلهية التي شعت عليهم فأيقظتهم ، و توجّهوا بها إليه .

[28]

و يخوّفون مقامه ، بمنزلة الأدلّة في الفلوات [1] ،

من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه و بشّروه بالنّجاة ، و من أخذ يمينا و شمالا ذمّوا إليه الطّريق و حذّروه من الهلكة [2] ، و كانوا كذلك مصابيح

[1] يذكرون . . . : يوعظون الناس و يرشدونهم . بأيام اللّه : التي عاقب بها الكافرين مثل قوم لوط و ثمود و فرعون . و في التنزيل : وَ ذَكِّرهُم بايَّامِ اللَّهِ 14 : 5 . و المراد : هؤلاء الصفوة كانوا دعاة للخير ، و قادة للهداية . و يخوّفون مقامه : عظمته التي تستلزم طاعته ، و الإنقياد له . و أدلة جمع دليل : مرشد . و فلوات جمع فلاة : الأرض الواسعة المقفرة . شبههم بالمنائر المنصوبة في الفلاة يستدل بها المسافرون على الطريق .

[2] من أخذ القصد حمدوا اليه طريقه . . . : القصد : الإستقامة . و في التنزيل وَ عَلَى اِللَّه قَصدُ السَّبيلِ 16 : 9 . أي هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه . و من أخذ يمينا و شمالا : إنحرف عن الطريق الذي أمر اللّه سبحانه بسلوكه . ذمّوا اليه الطريق : لاموه على سلوكه . و حذروه من الهلكة : خوفوه العطب .

[29]

تلك الظّلمات ، و أدلّة تلك الشّبهات [1] ، و إنّ للذّكر لأهلا أخذوه من الدّنيا بدلا [2] ، فلم تشغلهم تجارة و لا بيع عنه [3] : يقطعون به أيّام الحياة ، و يهتفون بالزّواجر عن محارم اللّه في أسماع الغافلين ، و يأمرون بالقسط و يأتمرون به ،

و ينهون عن المنكر و يتناهون عنه ، فكأنّما قطعوا الدّنيا إلى الآخرة و هم فيها فشاهدوا ما وراء

[1] كانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات . . . : يحملون مشاعل الهداية في تلك الفترات . و أدلة تلك الشبهات : يكشفون للناس شبه المبطلين و مصائدهم .

[2] و ان للذكر لا هلا . . . : قدّموه على غيره . أخذوه من الدنيا بدلا : عوضا . و المراد : إستعاضوا به عن الدنيا و بهجتها .

[3] فلم تشغلهم تجارة و لا بيع عنه : لا يلهيهم عنه يَا أَيُّهَا الَّذَيَن آمنُوا لاَ تُلهِكُم اَموَالكُم وَ لاَ اَولاَدُكُم عَن ذِكرِ اللَّهِ 63 : 9 .

[30]

ذلك [1] ، فكأنّما اطّلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه ، و حقّقت القيامة عليهم عداتها [2] ، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدّنيا حتّى

[1] و يقطعون به أيّام الحياة . . . : يستغلونها للإتيان به .

و يهتفون بالزواجر الخ : هتف : صاح به مادا صوته .

و زجره : نهاه و انتهره . و يأمرون بالقسط و يأتمرون به :

القسط : العدل . و المراد . يأمرون غيرهم بالخير و يعملون به . و ينهون عن المنكر و يتناهون عنه : ينهون الناس عن القبيح و ينتهون عنه . فكأنما قطعوا الدنيا الى الآخرة و هم فيها : فهم في يقينهم كمن عاين الآخرة و رأى نعيمها و جحيمها . فشاهدوا ما وراء ذلك : فهم في إيمانهم و يقينهم كمن شاهد تلك العوالم .

[2] فكأنما أطلعوا غيوب أهل البرزخ : هي الفترة التي بين الموت و البعث . و المراد : كأنهم شاهدوا شدائدها و كرباتها ،

فحذروا منها أهل المعصية . و حققت عليهم القيامة عداتها :

فكأنهم رأوا مشاهدها ، و ما وعد فيها المتقون ، و أوعد عليه الفاسقون .

[31]

كأنّهم يرون ما لا يرى النّاس ، و يسمعون ما لا يسمعون [1] . فلو مثّلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة و مجالسهم المشهودة ، و قد نشروا دواوين أعمالهم ، و فرغوا لمحاسبة أنفسهم [2] على كلّ صغيرة و كبيرة أمروا بها فقصّروا عنها ، أو

[1] فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا . . . : حذروهم من تلك المشاهد . حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس : وصل بهم اليقين الى حدّ إنكشفت عنهم الحجب ، فصاروا يرون بعين البصيرة ما لا يراه غيرهم . و يسمعون ما لا يسمعون : من نداء الحق .

[2] فلو مثلتهم . . . : تصورتهم . في مقاومهم المحمودة : في مواقفهم المشكورة . و مجالسهم المشهودة : في الوعظ و الأرشاد . و قد نشروا دواوين أعمالهم : فتّشوا صحائف أعمالهم بحثا عن الحسنات ليستزيدوا منها ، و عن السيئات ليتوبوا منها . و فزعوا لمحاسبة أنفسهم : قبل أن يحاسبوا ،

و هذا هو المفروض بالمسلم . و جاء في بعض خطب النهج :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

[32]

نهوا عنها ففرّطوا فيها [1] ، و حمّلوا ثقل أوزارهم ظهورهم ، فضعفوا عن الاستقلال بها [2] ،

فنشجوا نشيجا ، و تجاوبوا نحيبا [3] ، يعجّون إلى ربّهم من مقام ندم و اعتراف [4] ، لرأيت أعلام

[1] أمروا بها فقصّروا عنها . . . : كان بأمكانهم أن يأتوا بها على وجه أكمل . أو نهوا عنها ففرطوا فيها : التفريط : التقصير عن الحد و التأخير فيه اَن تَقُولَ نَفسُ يَا حَسَرتي عَلى ما فَرَّطتُ في جَنبِ اللَّهِ 39 : 56 .

[2] و حملوا ثقل أوزارهم ظهورهم . . . : الأوزار : الذنوب .

و المراد : تحملوا تبعات التقصير و لم يحولوها على غيرهم .

فضعفوا عن الإستقلال بها : لم يطيقوا حملها .

[3] فنشجوا نشيجا . . . : طال بكاؤهم . و أحاديث الصادقين كثيرة في فضل البكاء من خشية اللَّه تعالى ، حتى قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله : لو أن باكيا بكى في أمّة لرحم اللَّه تلك الأمة ببكائه . و تجاوبوا : جاوب بعضهم بعضا .

و نحيبا : أشد البكاء .

[4] يعجون الى ربهم . . . : يرفعون أصواتهم . من مقام ندم و إعتراف : في مقامات الندم على التقصير ، و الإعتراف بالخطأ .

[33]

هدى ، و مصابيح دجىّ [1] ، قد حفّت بهم الملائكة ، و تنزّلت عليهم السّكينة ، و فتحت لهم أبواب السّماء ، و أعدّت لهم مقاعد الكرامات [2] ،

في مقام اطّلع اللَّه عليهم فيه فرضي سعيهم ،

[1] لرأيت أعلام هدى . . . : يهتدي بها الى طريق السلامة و النجاة . و مصابيح دجى : الدجى : سواد الليل و ظلمته . و المراد : هم مصابيح مضيئة لقطع ظلمات الجهل و الضلال .

[2] قد حفّت بهم الملائكة . . . : أحاطت بهم . قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله : ما جلس قوم يذكرون اللَّه إلاّ حفتهم الملائكة ، و غشيتهم الرحمة . و تنزّلت عليهم السكينة : هي العطف المقوّي لقلوبهم و الطمأنينة فَانزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيهِم 48 : 18 . و فتحت لهم أبواب السماء : في إستجابة دعائهم ، بعد أن غمرتهم الألطاف الإلهية . و أعدت لهم مقاعد الكرامات : في جنة الخلد في مَقعَدِ صدِقٍ عِندَ مَليكٍ مُقتدرٍ 54 : 55 .

[34]

و حمد مقامهم [1] ، يتنسّمون بدعائه روح التّجاوز [2] رهائن فاقة إلى فضله ، و أسارى ذلّة لعظمته [3] ،

جرح طول الأسى قلوبهم و طول البكاء عيونهم [4] ، لكلّ باب رغبة إلى اللَّه منهم يد

[1] في مقام أطلع اللَّه عليهم فرضي سعيهم . . . : عملهم .

و حمد مقامهم : عبوديتهم .

[2] يتنسمون بدعائه روح التجاوز : تنسم الريح : تشممها و شعر بالسرور . و الروح : نسيم الريح . و تجاوز عنه : لم يؤاخذه بذنبه .

[3] رهائن فاقة الى فضله . . . : رهن عند فلان الشيء : حبسه عنده بدين . و الفاقة : الفقر . وصفهم بالرهائن التي في يد الراهن لأنهم في قبضته ، و ملك تصرفه . و أسارى ذلّة لعظمته :

و كذلك هم بمنزلة الأسارى ينتظرون منه الفرج .

[4] جرح طول الأسى قلوبهم : الأسى : الحزن . و المراد : أن شدة حزنهم جرحت قلوبهم . و طول البكاء عيونهم : قال الإمام الصادق عليه السلام : بكى أبو ذر رحمه اللَّه من خشية اللَّه عز و جل حتى إشتكى بصره ، فقيل له : يا أبا ذر لو دعوت اللَّه أن يشفي بصرك . فقال : أني عنه لمشغول ، و ما هو من أكبر همّي . قالوا : و ما يشغلك عنه ؟ قال : العظيمتان : الجنة و النار .

[35]

قارعة ، يسألون من لا تضيق لديه المنادح ، و لا يخيب عليه الرّاغبون [1] ، فحاسب نفسك لنفسك ، فإنّ غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك [2] .

[1] لكل باب . . . : لكل طاعة . و قرع الباب : طرقه .

و المراد : توجّهوا الى اللّه تعالى بكل ما أمكنهم من الطاعات و العبادات . يسألون من لا تضيق لديه المنادح : الندح : الكثرة و السعة . و المراد : وصف كرمه جل جلاله ، و أنه لا ينقصه الجود و العطاء . و لا يخيب عليه الراغبون : هو عند رجاء من رجاه ، و أمل من أمّله .

[2] فحاسب نفسك . . . : على كل صغيرة و كبيرة ، مستزيدا لها من الخير ، مستغفرا لها من الشر . لنفسك : إكراما لها ، و حفظا لها من العقاب و الهوان : فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك : محاسب إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ 88 : 26 . و المراد : إشتغل بالإهتمام بنفسك و العمل لما ينجيها .

(219) و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته يَا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم [1]

أدحض مسؤول حجّة ، و أقطع مغترّ معذرة [2] ، لقد أبرح جهالة بنفسه [3] .

يا أيّها الإنسان ، ما جرّأك على ذنبك ، و ما

[1] ما غَرّكَ بربّك الكريم : أيّ شيء غرّك بخالقك و خدعك ، و سوّل لك الباطل حتى عصيته و خالفته .

[2] أدحض مسؤول حجة . . . : حجّته داحضة ، أي باطلة .

و أقطع مغتر معذرة : أقطع فلان : إنقطعت حجته فلم يجب . و المراد : ليس له مبرر في معصية فَيوَمئذٍ لاَ يَنفَعُ الذَّينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُم وَ لاَ هُم يُستَعتَبُونَ 30 : 57 .

[3] لقد أبرح جهالة : بالغ في جهالتها و أعجبه ذلك .

غرّك بربّك ، و ما آنسك بهلكة نفسك [1] ؟ أما من دائك بلول ، أم ليس من نومك يقظة [2] ؟ أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك [3] ؟ فربّما ترى الضّاحي من حرّ الشّمس فتظلّه ، أو ترى المبتلي بألم يمضّ جسده فتبكي رحمة له ، فما صبّرك على دائك ، و جلّدك بمصابك ، و عزّاك عن البكاء

[1] و ما آنسك بهلكة نفسك : ما السبب الذي جعلك مأنوسا بما يؤدي بك الى الهلاك الأبدي .

[2] أما من دائك بلول . . . : بلّ من مرضه : برأ و صحّ .

و المراد : أ لم يأت الزمن الذي تشفى فيه من أمراضك الدينية ؟ . أم ليس من نومتك يقظة : أ لم يأن لك ان تنتبه من غفلتك .

[3] أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك : أنت تتألم للآخرين عند ما تصيبهم نكبة ، أو تحل بهم قارعة ، فلما ذا لا ترحم نفسك ، و مصيرها ان بقيت على غفلتك النار ، قرين حجر و ضجيع شيطان .

على نفسك [1] و هي أعزّ الأنفس عليك ؟ و كيف لا يوقظك خوف بيات نقمة و قد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته [2] ، فتداو من داء الفترة في قلبك

[1] فربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله . . . : الضاحي :

الذي أصابه حرّ الشمس . و المراد : كيف ترحم من أذته الشمس بأشعتها ، و لم ترحم نفسك من نار سجّرها جبارها لغضبه ؟ أو ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكي رحمة .

له : أنت تبكي لمبتلى عن قريب يزول عنه ما به بالشفاء أو الموت ، و تنسى نفسك و مصيرك مع الغفلة النار .

فما صبرك على دائك : مرضك . و جلدك على مصابك : أي تصّبرك و اظهارك التجلد ، في موضع لا يستحسن فيه ذلك ،

بل المطلوب فيه التغيير . و عزاك عن البكاء على نفسك :

سلاّك .

[2] و كيف لا يوقظك خوف بيات نقمة . . . : بيّت القوم :

بغتهم ، فاوقع بهم ليلا أَفَأَمِنَ اَهلُ القُرى اَن يَأتِيَهُمْ بَاسُنَا بَيَاتاً وَ هُم نَائِمونَ 7 : 97 . و قد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته : الورطة : كل أمر تعسر النجاة منه . و مدارج سطواته : مجاري بطشه . و المراد : قد تعرضت لغضبه و سخطه .

[39]

بعزيمة ، و من كرى [1] الغفلة في ناظرك بيقظة و كن للّه مطيعا ، و بذكره آنسا ، و تمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك : يدعوك إلى عفوه ،

و يتغمّدك بفضله ، و أنت متولّ عنه [2] إلى غيره ،

فتعالى من قويّ ما أكرمه ، و تواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته ، و أنت في كنف ستره

[1] فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة : فتر عن العمل : قصر فيه . و عزم عزيمة : جدّ . و المراد : إنتقل من التسامح و الكسل الى الجد و المثابرة . و من كرى الغفلة في ناظرك بيقظة : الكرى : النوم . و المراد : تنبّه من غفلتك ، و سارع الى ما يسعدك .

[2] و تمثل في حال توليك عنه إقباله عليك . . . : تصوّر حالك و أنت تتقلب في المعاصي عطفه و أحسانه عليك ، و نعمه التي لا تكاد تحصى . يدعوك الى عفوه : فاتحا لك باب التوبة .

و يتغمّدك بفضله : يستر عليك موبقاتك . و أنت متول عنه :

معرض .

[40]

مقيم [1] ، و في سعة فضله متقلّب ، فلم يمنعك فضله ، و لم يهتك عنك ستره [2] بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك ، أو سيّئة يسترها عليك ، أو بليّة يصرفها عنك [3] فما

[1] فتعالى من قوي ما أكرمه . . . : تعالى : تنزّه عما لا يليق بشأنه . و المراد : هو مع قوته و قدرته يصفح عن عباده تفضلا و تكرّما . و تواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته :

و أنت على ما فيك من ضعف حتى ان أضعف المخلوقات كالبقّة و شبهها تؤلمك و تؤذيك ، تقدم على معصية جبار السماوات و الأرض ، غير خائف من بطشه و عذابه . و أنت في كنف ستره مقيم : الكنف : جانب الشيء ، و كنف اللَّه :

رحمته و ستره و عفوه .

[2] فلم يمنعك فضله . . . : لم يقطع عنك رزقه . و لم يهتك عنك ستره : المرخى عليك .

[3] بل لم تخل من لطفه مطرف عين . . . : قدر أطباق أحد الجفنين على الآخر . و المراد : أن عنايته و لطفه غير منقطعة عنك . في نعمة يحدثها لك : لم تزل نعمه تتابع عليك . أو سيئة يسترها عليك : لو علم بها أقرب الناس إليك لهتك سترك و فضحك . أو بلية يصرفها عنك : يردّها ، و قد تتذكر بعض ذلك .

[41]

ظنّك به لو أطعته [1] ، و ايم اللَّه لو أنّ هذه الصّفة كانت في متّفقين في القوّة ، متوازنين في القدرة ،

لكنت أوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق [2] ،

و مساوىء الأعمال . و حقّا أقول ما الدّنيا غرّتك و لكن بها اعتررت [3] ، و لقد كاشفتك العظات ،

[1] فما ظنك به لو أطعته : هذه النعم تتوالى عليك مع بعدك عنه و معصيتك له ، فكيف لو أطعته ؟ إذا لسوّغك جنة عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين .

[2] و أيم اللَّه . . . : قسم . لو أن هذه الصفة كانت في متفقين في القوّة : لو كان هذا الذي ذكرته من الإحسان الإلهي ،

و هذا الإعراض منك ، بين شخصين متماثلين في المنزلة ،

متشابهين في الإمكانية . متوازيين في القدرة : متساويين في المقدرة . لكنت أوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق :

و إنّك قد بلغت الغاية في ترديها ، لإعراضك عمن هو مقبل عليك ، و جفائك من هو محسن إليك .

[3] و حقا أقول ما الدنيا غرّتك . . . : لم تكن هي السبب في غرورك ، بل كان باماكنك تسخيرها لتحصيل آخرتك كما فعل غيرك . و لكن بها إغتررت : بها إنخدعت .

[42]

و آذنتك على سواء [1] ، و لهي بما تعدك من نزول البلاء [2] بجسمك ، و النّقص في قوّتك ، أصدق و أوفى من أن تكذبك ، أو تغرّك ، و لربّ ناصح لها عندك متّهم ، و صادق من خبرها مكذّب [3] ،

[1] و لقد كاشفتك العظات . . . : ظهرت لك الأحوال و التقلبات التي تكفيك عبرة و إتعاظا . و آذنتك : أعلمتك . و على سواء : على عدل و المراد : لم تخف عنك مساويها و عيوبها و تقلباتها و زوالها .

[2] ولهي بما تعدك من نزول البلاء . . الخ : ان نكباتها و تقلباتها لأجدر و أولى بأن تلاحظ و ترتقب ، كما أن بروقها و بهرجتها لأولى بالتكذيب و الأعراض لإنقطاعها و زوالها .

[3] و لربّ ناصح لها عندك متهم . . . : هي العبر و الأحداث المدلّة على تغيّرها و تبدلها ، و زوال نعيمها ، فتتغاضى عنه و تتغافل . صادق من خبرها : المنبيء عن حقائقها و غيرها و عبرها . مكذّب : لا تلتفت إليه . و المراد بالأتهام و التكذيب : أنك تجري الموضوع مجرى الخبر المكذوب في عدم الإلتفات اليه ، و الإستعداد ، و الحذر منه .

[43]

و لئن تعرّفتها في الدّيار الخاوية ، و الرّبوع الخالية ، لتجدنّها من حسن تذكيرك ، و بلاغ موعظتك ، بمحلّة الشّفيق عليك ، و الشّحيح بك [1] و لنعم دار من لم يرض بها دارا ، و محلّ من لم يوطّنها محلاّ [2] و إنّ السّعداء بالدّنيا غدا هم

[1] و لئن تعرّفتها في الديار الخاوية . . . : الساقطة . و الربوع :

المنازل . و الخالية : من أهلها . لتجدنها من حسن تذكيرك :

أن هذه الديار الخاوية ، و الربوع الخالية ، هي أحسن مذكّر لك . و بلاغ موعظتك : و أبلغ و أعظ تنتفع بموعظته . بمحلة الشفيق عليك : إذا أنت لاحظت هذه المنازل ، و تأملت في هذه العبر التي أرتك ، وجدتها بمثابة العطوف عليك ،

المحب لك . و الشحيح بك : البخيل . و المراد : تبخل بك في أن يصيبك منها ما يؤول بك الى الخسران و الهلاك .

[2] و لنعم دار من لم يرض بها دارا . . . : هي أحسن دار لمن لم يرضها ، و لم يلتفت الى زخارفها . و محل من لم يوطنها محلا : و هي أفضل محل و منزل لمن لم يجعلها وطنه ،

و محل إستقراره و أمله .

الهاربون منها اليوم [1] .

إذا رجفت الرّاجفة ، و حقّت بجلائلها القيامة ، و لحق بكلّ منسك أهله و بكلّ معبود عبدته ، و بكلّ مطاع أهل طاعته [2] ، فلم يجز في عدله و قسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ، و لا

[1] و أن السعداء بالدنيا غدا . . . : في يوم القيامة . هم الهاربون منها اليوم : المتباعدون عنها ، الزاهدون فيها .

و المراد : أن هؤلاء هم الذين نالوا السعادة العظمى ،

و حصّلوا الدنيا أكبر محصول ، أذ جعلوها مستغلا و محصلا للآخرة .

[2] إذا رجفت الراجفة . . . : صيحة عظيمة فيها تردد و إضطراب . و المراد بها : النفخة الأولى التي يموت فيها الخلائق يَومَ ترجُفُ الرَّاجِفَةُ 79 : 6 . و حقّت :

وقعت . و جلائلها : عظائمها . و المراد : تحقق الموعود منها . و المنسك : محل العبادة . و بكل معبود : من الأصنام و غيرها . عبدته : من كان يعبده و يعظمه . و بكل مطاع : من أئمة الضلال . أهل طاعته : من كان يطيعه و يتولاه .

همس [1] قدم في الأرض إلاّ بحقّه . فكم حجّة يوم ذاك داحضة ، و علائق عذر منقطعة [2] ، فتحرّ من أمرك ما يقوم به عذرك [3] ، و تثبت به

[1] فلم يجز في عدله و قسطه يومئذ خرق بصر في الهواء . . . :

لمحة النظر . و لا همس قدم في الأرض : الهمس : الصوت الخفي . و المراد : أن جميع حركات الإنسان صغيرها و كبيرها مسؤول و محاسب عليها ، و مجازى عنها أن خيرا فخيرا ، و إن شرّا فشرّا فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ .

وَ مَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرّةٍ شرّاً يَرَهُ 99 : 8 .

[2] فكم من حجة . . . : دليل و برهان . داحضة : باطلة .

و المراد : ليس عندهم مقبول حجّة يستدفعون بها ما هم فيه ،

بل لزمتهم الحجّة قُل فِللَّه الحُجَّةُ البَالغَةُ 6 : 149 .

و علائق عذر منقطعة : ذهب ما كان يعتذرون به في الدنيا عن أعمالهم السيئة فَيوَمئَذٍ لاَ تَنفَعُ الَّذينَ ظَلَموُا مَعذِرتُهُم وَ لاَ هُم يُستعتَبوُنَ 30 : 57 .

[3] فتحّر من أمرك ما يقوم به عذرك . . . : ما تقبل به معذرتك .

و المراد : لزوم النهج الذي أمر به . و تثبت به حجتك :

و تصح به حجتك .

[46]

حجّتك [1] ، و خذ ما يبقى لك ممّا لا تبقى له ،

و تيسّر لسفرك ، و شم برق النّجاة ، و ارحل مطايا التّشمير [2] .

(220) و من كلام له عليه السلام

و اللَّه لأن أبيت على حسك السّعدان مسهّدا ،

و أجرّ في الأغلال مصفّدا أحبّ إليّ من أن ألقى اللَّه و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، و غاصبا

[1] و خذ ما يبقى لك . . . : من الأعمال الصالحة . مما لا تبقى له : من الدنيا .

[2] و تيسر لسفرك . . . : تهيّأ لسفر الآخرة ، و أعد ما يصلحك فيه . و شم برق النجاة . شم البرق : لمحه . و المراد :

أنظر الطريق الذي ينجيك فاسلكه . و ارحل مطايا التشمير :

الرحل : ما يوضع على ظهر البعير و المطيّة الدواب : ما يمتطى . و شمّر : خفف و أنهض . و المراد : المبادرة و الإسراع لسلوك طريق النجاة .

[47]

لشيء من الحطام [1] ، و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها و يطول في الثّرى حلولها [2] ؟

[1] و اللَّه لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا . . . : الحسك :

الشوك . و السعدان : نبت شوكي ترعاه الإبل . و سهد : أرق و لم يستطع النوم . و أجر في الأغلال مصفدا : في وثاق الأغلال و القيود . أحب إليّ من أن القى اللَّه و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد : أن ما أصفه من المبيت على الشوك ، أو سحب القيود و الأغلال أحب اليّ من الظلم و التعدّي على الآخرين ، لأن عذاب الدنيا يزول ، و عذاب الآخرة دائم . و المراد بالحطام : متاع الدنيا .

[2] و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع الى البلى قفولها . . . :

البلى : الفناء . و قفولها : رجوعها . و المراد : مصيرها و ما جمعته الى الزوال . و يطول في الثرى حلولها : الثرى :

الأرض ، و المراد به القبر .

[48]

و اللَّه لقد رأيت عقيلا [1] و قد أملق [2] حتّى استماحني من برّكم صاعا [3] ، و رأيت صبيانه شعث الشّعور ، غبر الألوان [4] من فقرهم ، كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم [5] ، و عاودني مؤكّدا و كرّر عليّ القول مردّدا ، فأصغيت إليه سمعي فظنّ أنّي أبيعه ديني ، و أتّبع قياده مفارقا

[1] عقيلا : أخو الإمام عليه السلام لامه و أبيه ، و أكبر منه عشرين عاما ، و فيه يقول الرسول الأعظم صلى اللَّه عليه و آله : إني لأحبه حبين : حبّا له ، و حبّا لحب أبي طالب له .

[2] أملق : إفتقر أشدّ الفقر .

[3] إستماحني . . . : طلب مني أن أمنحه و أعطيه . بركم :

قمحكم . صاعا : مكيال تكال به الحبوب ، و يقرب وزنه من 4 كيلو غرام .

[4] صبيانه . . . : أولاده . شعث الشعور : شعث الشعر : أغبّر و تلبّد . غبر الألوان : صار لونهم كلون الغبار .

[5] العظلم : نبت يصبغ به .

[49]

طريقتي [1] ، فأحميت له حديدة ، ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها و كاد أن يحترق من ميسمها [2] . فقلت له :

ثكلتك الثّواكل [3] يا عقيل ، أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه ، و تجرّني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه ؟ أتئنّ من الأذى و لا أئنّ من لظى [4] ؟ و أعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها و معجونة شنئتها ، كأنّما عجنت بريق

[1] أتبع قياده . . . : أنقاد له . مفارقا طريقي : في قسمة بيت المال بالتساوي على المسلمين .

[2] ضجّ ضجيجا : جلّب و صاح من مشقة أو جزع و نحوهما .

و ذي دنف : ذي سقم . و كاد أن يحترق من ميسمها : من أثرها .

[3] ثكلتك الثواكل : ثكل الولد : فقده . و المراد : الدعاء عليه بالموت .

[4] لظى : جهنم كَلاّ اِنّهَا لَظى . نَزَّاعَةً للشَّوى 70 : 16 .

[50]

حيّة أو قيئها [1] ، فقلت : أصلة ، أم زكاة ، أم صدقة ؟ ؟ ؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت ، فقال :

لا ذا و لا ذاك ، و لكنّها هديّة ، فقلت : هبلتك الهبول [2] ، أعن دين اللَّه أتيتني لتخدعني ؟

أ مختبط ، أم ذو جنّة ، أم تهجر [3] ؟ و اللَّه لو أعطيت الأقاليم السّبعة [4] بما تحت أفلاكها على أن

[1] الطارق . . . : الآتي ليلا . و ملفوفة : مغطاة . و الوعاء :

ظرف يوضع فيه الشيء . و معجونة : بالزيت و غيره . و المراد بذلك : حلواء جاء بها إليه الأشعث بن قيس الكندي و قد تأنق في صنعها . شنئتها : أبغضتها . كأنما عجنت بريق حيّة أو قيئها : يصف تقززه و إشمئزازه منها .

[2] هبلتك الهبول : ثكلتك الثكول . و المراد : دعاء عليه بالموت .

[3] مختبط . . . : صريع بعلّة . و ذو جنّة : مجنون . و تهجر :

تهذي .

[4] الأقاليم السبعة : أقسام الأرض ، كما يعبّر اليوم عنها بالقارات .

[51]

أعصي اللّه في نملة أسلبها جلب شعيرة [1] ما فعلت ، و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها [2] ما لعليّ و لنعيم يفنى ، و لذّة لا تبقى . نعوذ باللّه من سبات العقل ، و قبح الزّلل [3] ، و به نستعين .

(221) و من دعاء له عليه السلام

اللّهمّ صن وجهي باليسار ، و لا تبذل جاهي

[1] جلب شعيرة : قشرها .

[2] تقضمها : تكسرها بأطراف أسنانها .

[3] نعوذ بك من سبات العقل . . . : السبات : حالة يفقد فيها المريض وعيه فقدانا تاما ، و لا يفيق منها بأقوى المنبهات .

و قبح الزلل : القبح : ضد الحسن ، و يكون في القول و الفعل و الصوت . و الزلة : السقطة و الخطيئة .

[52]

بالإقتار [1] ، فأسترزق طالبي رزقك ، و أستعطف شرار خلقك ، و أبتلى بحمد من أعطاني ، و أفتن بذمّ من منعني [2] ، و أنت من وراء ذلك كلّه وليّ الاعطاء و المنع إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ [3] .

[1] اللهم صن وجهي باليسار . . . : صان الشيء : حفظه في مكان أمين . و اليسار : الغنى . و المراد : وسّع عليّ من رزقك ، و لا تحوجني الى أن أسأل خلقك . و الوجاهة : رفعة القدر و المنزلة .

و الأقتار : الفقر . و المراد : الإستعاذة من الفقر لأنه يحط من مقام الإنسان و منزلته .

[2] فاسترزق . . . : أطلب الرزق منهم . و طالبي رزقك :

المؤملين لفضلك و إحسانك . و المراد : أن الفقر يلجأ بالإنسان الى السؤال . و إستعطف : أطلب عطفهم و إحسانهم . و ابتلي بحمد من أعطاني : شكرا على عطائه .

و افتن : أمتحن . بذم من منعني : معروفه .

[3] و أنت من وراء ذلك كله . . . : أنت المحيط بعبادك ، و من عندك أرزاقهم . ولي الإعطاء و المنع : الولي : الذي يدبّر الأمر . و المراد : بيدك العطاء و المنع . أنك على كل شيء قدير : قادر لا يعجزك شيء .

[53]

(222) و من خطبة له عليه السلام

دار بالبلاء محفوفة ، و بالغدر معروفة [1] ، لا تدوم أحوالها ، و لا تسلم نزّالها [2] ، أحوال

[1] دار بالبلاء محفوفة . . . : حفاف الشيء : ما إستدار حوله ، و أحدق به . و المراد : أنها محاطة بالبلاء ، لا يسلم من نكباتها أحد . و بالغدر معروفة : الغدر : ترك الوفاء ،

و نقض العهد . و المراد : بيان تقلباتها و تغيراتها ، و عدم ثباتها على حال ، فالغنى يعقبه الفقر ، و الصحة يخلفها المرض ،

و هكذا .

[2] لا تدوم أحوالها . . . : على نهج واحد . و لا تسلم نزالها :

أهلها . و المراد : لا يسلمون من الآفات و النكبات .

مختلفة ، و تارات متصرّفة [1] ، العيش فيها مذموم و الأمان منها معدوم [2] ، و إنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، و تفنيهم بحمامها [3] .

و اعلموا ، عباد اللَّه ، أنّكم و ما أنتم فيه من

[1] احوال مختلفة . . . : من شدّة و رخاء ، و خوف و أمن ، و شقاء و سعادة الخ . و تارات متصرفة : التارة : المدة و الحين .

و متصرفة : متنقلة .

[2] العيش فيها مذموم . . . : لتكدره بالغصص ، و امتزاجه بالآلام و النكبات . و الأمان فيها معدوم : و اليوم و نحن في أوج العلم و الحضارة ، و الدول الكبرى في تسابق عسكري مهول مدمّر ،

فضلا عن الحروب بين الدول الصغرى ، و التطاحن الحزبي في كل بلد ، الى مخاوف كثيرة .

[3] و انما أهلها فيها أغراض مستهدفة . . . : الغرض : الهدف الذي يرمى إليه . شبّه أهل الدنيا بالغرض المنصوب الذي يرميه الرماة . ترميهم بسهامها : بمصائبها و نكباتها . و تفنيهم بحمامها : بالموت .

هذه الدّنيا على سبيل من قد مضى قبلكم [1] ،

ممّن كان أطول منكم أعمارا ، و أعمر ديارا ،

و أبعد آثارا [2] ، أصبحت أصواتهم هامدة ،

و رياحهم راكدة ، و أجسادهم بالية ، و ديارهم خالية ، و آثارهم عافية [3] ، فاستبدلوا بالقصور ،

المشيّدة ، و النّمارق الممهّدة الصّخور و الأحجار المسنّدة ، و القبور اللاّطئة الملحدة [4] ، الّتي قد

[1] على سبيل من قد مضى قبلكم : من فراق الدنيا ، فهم السابقون ، و أنتم اللاحقون .

[2] أبعد آثارا : ان آثارهم و مخلفاتهم كالاهرام و غيرها لا تقدرون على مثلها .

[3] اصبحت أصواتهم هامدة . . . : همد الرجل : مات .

و رياحهم راكدة : ساكنة ، هادئة . و المراد : ذهاب دولتهم ،

و اندثار أمرهم . و آثارهم عافية : مندرسة .

[4] النمارق الممهدة . . . : النمارق جمع نمرقة : الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . و مهّد الفراش : وطأه و سهله .

و الاحجار المسنّدة : المستند بعضها الى بعض . و القبور اللاطئة الملحدة : اللاطئة : الملتصقة بالارض . و اللحد :

الشق الذي في القبر يوضع فيه الميت .

[56]

بني بالخراب فناؤها [1] ، و شيد بالتّراب بناؤها ،

فمحلّها مقترب [2] ، و ساكنها مغترب ، بين أهل محلّة موحشين ، و أهل فراغ متشاغلين [3] ، لا يستأنسون بالأوطان ، و لا يتواصلون تواصل

[1] التي قد بني بالخراب . . . : على الخراب . و فناء الدار :

ساحتها . و المراد : سرعة خرابها و خراب ما فيها من الاجساد .

[2] فمحلها . . . : موقعها . و مقترب : من الأحياء السكنية .

و ساكنها مغترب : عنهم . و المراد : انه و ان جاور الأحياء إلاّ انه يعيش في غربة .

[3] بين أهل محلة موحشين . . . : أوحش المكان :

صار قفرا ، و خلا من الناس . و المراد : استيحاش الأحياء منهم . و أهل فراغ : قد تركوا أعمالهم و أشغالهم .

متشاغلين : بأنفسهم و ما دهاهم .

[57]

الجيران [1] ، على ما بينهم من قرب الجوار ، و دنوّ الدّار ، و كيف يكون بينهم تزاور و قد طحنهم بكلكله البلى ، و أكلتهم الجنادل و الثّرى [2] ؟ و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه [3] ، و ارتهنكم ذلك المضجع ، و ضمّكم ذلك المستودع [4] ، فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور ، و بعثرت القبور [5] ؟

[1] لا يستأنسون بالاوطان . . . : غير مسرورين بأوطانهم . و لا يتواصلون تواصل الجيران : فهم رغم تجاورهم ، و دنوّ بعضهم من بعض لا تزاور بينهم كما يفعل أهل الدنيا .

[2] قد طحنهم بكلكله البلى . . . : الكلكل : صدر البعير .

و البلى : الفناء . و المراد : ان البلى جثم بثقله عليهم جثوم البعير بصدره على الشيء اليابس فيطحنه . و أكلتهم الجنادل : الحجر . و الثرى : التراب .

[3] و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه : ليس بينكم و بين ما هم فيه إلاّ الموت .

[4] و ارتهنكم ذلك المضجع . . . : الرهن : حبس الشيء بحق ليستوفى منه عند تعذّر الوفاء . و المضجع : القبر . و المراد :

بقاؤهم فيه حتى المحشر . و ضمكم ذلك المستودع :

ضغطكم القبر .

[5] فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور . . . : وصلت منتهاها و غايتها و هي القيامة . و بعثرت القبور : بعث الموتى و نشروا و أخرجوا .

[58]

هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ ، وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . [1]

(223) و من دعاء له عليه السلام

اللّهمّ إنّك آنس الآنسين لأوليائك ،

[1] هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت . . . : في ذلك المكان ، و في تلك الحال تعلم كل نفس ما قدّمت من خير أو شرّ و ترى جزاءه (و ردوا الى اللَّه مولاهم الحق) : ردّوا الى جزاء اللَّه ، و الى الموضع الذي لا يملك أحد فيه الحكم إلاّ اللَّه . و الحق : صفة اللَّه تعالى ، و هو القديم الدائم الذي لا يفنى و ما سواه يبطل و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون بطل و هلك عنهم ما كانوا يدعونه بافترائهم من الشركاء مع اللَّه تعالى .

[59]

و أحضرهم بالكفاية [1] للمتوكّلين عليك ،

تشاهدهم في سرائرهم ، و تطّلع عليهم في ضمائرهم [2] ، و تعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة ، و قلوبهم إليك ملهوفة [3] ، إن

[1] اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك . . . : أنت أكثر انسا بأوليائك و أهل طاعتك ، و يقرب من هذا الحديث النبوي : (ان اللَّه تعالى أفرح بتوبة العبد منه لنفسه) ، و قد قال اللَّه : إنّ اللَّه يحبُّ التوّابينَ و يُحبُّ المتطهّرين 2 : 222 و أحضرهم بالكفاية : أسرعهم بالكفاية . للمتوكلين عليك :

للمنقطعين اليك في جميع ما يؤمله مخلوق من مخلوق .

[2] تشاهدهم في سرائرهم ، و تطلع عليهم في ضمائرهم . . . :

مطلع على ما يسرونه و يضمرونه . و تعلم مبلغ بصائرهم :

يقينهم .

[3] فأسرارهم لك مكشوفة . . . : تعلمها . و قلوبهم اليك ملهوفة : تلهف : حزن و تحسّر . و المراد : يحزنهم ما داخلهم من تقصير في الطاعة .

[60]

أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك ، و إن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك [1] علما بأنّ أزمّة الأمور بيدك ، و مصادرها عن قضائك [2] .

اللّهمّ إن فهمت عن مسألتي ، أو عمهت عن طلبتي [3] ، فدلّني على مصالحي ، و خذ بقلبي

[1] اذا أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك . . . : الايحاش :

خلاف الاستيناس . و المراد : ان ذكرك في قلوبهم و على السنتهم هو أنسهم في الوحشة و الغربة . و اذا صبّت عليهم المصائب لجأوا الى الإستجارة بك : بك يعتصمون و يستجيرون من نكبات الدهر ، و تقلبات الزمن .

[2] علما بأن أزمة الأمور بيدك . . . : الأزمة : الشدّة و القحط .

و مصادرها جمع مصدر : ما يصدر عنه الشيء . عن قضائك : عن أمرك بِيَدِهِ المُلكُ وَ هُوَ عَلى كُلِ شَيءٍ قَديرُ 67 : 1 .

[3] اللهم ان فهمت عن مسألتي . . . : عييت . أو عمهت عن طلبتي : تحيرت و ترددت .

[61]

إلى مراشدي [1] ، فليس ذلك بنكر من هداياتك ،

و لا ببدع من كفاياتك [2] .

اللّهمّ احملني على عفوك ، و لا تحملني على عدلك [3] .

(224) و من كلام له عليه السلام

للّه بلاء فلان [4] ، فقد قوّم الأود ، و داوى

[1] فدلّني على مصالحي . . . : أرشدني و نبهني الى ما يصلحني . و خذ بقلبي : أجعل اتجاهي و هواي و رغبتي .

الى مراشدي : الى الرشاد و السداد .

[2] فليس ذلك بنكر : بعجب . و لا يبدع : غير معهود .

و المراد : ان ما أطلبه من الصلاح و التسديد و الخير ليس بطلب غريب عليك ، بل عادتك الاحسان ، و شأنك الكرم .

[3] احملني على عفوك ، و لا تحملني على عدلك : عاملني بعفوك ، و لا تعاملني بعدلك .

[4] للّه بلاء . . . : أي عمله الحسن في سبيل اللّه . و فلان : هو التابعي الكبير مالك بن الحارث الاشتر رضوان اللّه عليه ،

كما استظهر ذلك الشارح الخوئي . و هو أهل لأن يوصف بمثل هذه الصفات ، و يكفيه فخرا و شرفا كلمة الإمام عليه السلام فيه : (كان لي كما كنت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله) .

[62]

العمد [1] ، أقام السّنّة ، و خلّف الفتنة [2] ، ذهب نقّي الثّوب ، قليل العيب [3] ، أصاب خيرها ،

و سبق شرّها [4] ، أدّى إلى اللّه طاعته و اتّقاه

[1] قوّم الاود . . . : الاعوجاج . و داوى العمد : و هو انسلاخ سنام البعير من الحمل و الركوب . و المراد : مواقفه التي لها الأثر الكلي في تقويم الناس ، و دعوتهم الى الإستقامة ، حتى سئل بعضهم عنه فقال : ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام ، و موته أهل العراق .

[2] خلّف الفتنة . . . : هي فتنة الخوارج . و السنة : ما صدر عن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله من قول و فعل . و المراد بإقامتها العمل بها ، و الدعوة اليها .

[3] ذهب نقي الثوب . . . : عن كل ما يدنس ساحته . قليل العيب : يمكن أن يكون المراد قلة عيوبه ، أو لا عيب فيه .

[4] أصاب خيرها . . . : الدنيا . و المراد : استغلها أحسن استغلال حيث أوصلته الى الآخرة . و سبق شرّها : هي الفتن التي أعقبت وفاته ، من فتنة الخوارج الى بيعة معاوية .

[63]

بحقّه [1] ، رحل و تركهم في طرق متشعّبة : لا يهتدي فيها الضّالّ ، و لا يستيقن المهتدي [2] .

(225) و من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة

و قد تقدم مثله بألفاظ مختلفة و بسطتم يدي فكففتها ، و مددتموها

[1] أدى اللّه طاعته . . . : عمل بما أمره به من طاعة . و اتقاه بحقه : اتقى عقوبته باداء ما لزمه من حقه .

[2] رحل و تركهم في طرق متشعبة . . . : و اهواء متشتتة : من خوارج ، و مصانعين لمعاوية ، و معتزلين عن الإمام عليه السلام . و قاعدين عن نصرته . لا يهتدي فيها الضال : تلبّد الجو فبعد طريق الاستقامة و النجاة . و لا يستيقن المهتدي :

فلكثرة طرق الضلال و الإنحراف ، صار المستقيمون خائفين من أن يكونوا قد مالوا أو انحرفوا بعض الإنحراف .

[64]

فقبضتها [1] ، ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم [2] على حياضها يوم ورودها ، حتّى انقطعت النّعل ، و سقط الرّداء ، و وطىء الضّعيف ، و بلغ من سرور النّاس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصّغير ، و هدج إليها الكبير [3] ،

[1] بسطتم يدي . . . : فتحتموها . و المراد : ان الذي يبايع له يبسط يده و يمسح المبايعون أيديهم بها : فكففتها :

فقبضتها ، لعدم رغبتي بها .

[2] تداككتم عليّ . . . إزدحمتم على بيعتي . تداك الأبل الهيم : العطاش . و المراد : بيان إزدحام المسلمين على بيعته ، و سحق بعضهم البعض ، كأبل عطاش إزدحمت على الماء .

[3] هدج إليها الكبير . . . : مشى متثاقلا في ضعف . و تحامل نحوها العليل : تكلّف المجيء على مشقّة و إعياء ليبايع .

و حسرت : كشفت عن وجهها . و كعبت الفتاة كعوبا : نهد ثديها فهي كاعب . و المراد : فرح المسلمين و إستبشارهم جميعا بها ، حتى حضرها أهل الأعذار ، و حتى أن بعض النساء إنكشف وجهها من سرعة المشي ، و ضنك الازدحام .

و هو قريب مما جاء في الخطبة الشقشقية : حتى لقد وطىء الحسنان و شقّ عطفاي .

[65]

و تحامل نحوها العليل ، و حسرت إليها الكعاب .

(226) و من خطبة له عليه السلام

فإنّ تقوى اللّه مفتاح سداد ، و ذخيرة معاد ،

و عتق من كلّ ملكة ، و نجاة من كلّ هلكة [1] ، بها

[1] فإن تقوى اللّه . . . : هي العمل بطاعته ، و الإنتهاء عن معصيته . مفتاح سداد : السداد : الصواب . و المراد : ان تقوى اللّه تعالى مفتاح الباب المؤدي لكل صواب و إستقامة .

و ذخيرة معاد : هي خير ما يدخر لشدائد القيامة و مواقفها المذهلة . و عتق من كل ملكة : عتق العبد : خرج من الرق . و المراد : بالتقوى يتخلص المؤمن من جميع الملكات التي تباعده عن خط السماء ، كما يتخلص العبد من ذل العبودية ، و نجاة من كل هلكة : دنيوية كانت أو أخروية .

[66]

ينجح الطّالب ، و ينجو الهارب [1] ، و تنال الرّغائب ، فاعملوا و العمل يرفع ، و التوبة تنفع ،

و الدّعاء يسمع ، و الحال هادئة ، و الأقلام جارية [2] ، و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا ، أو

[1] بها ينجح الطالب . . . : لرضاء اللّه تعالى ، و يفوز بالسعادة الكبرى : و ينجو الهارب : من سخط اللّه و عذابه . و تنال الرغائب : تدرك الأماني ، و تحصل السعادة التي ليس بعدها شقاء

[2] فاعملوا و العمل يرفع . . . : يقبل ، و يثاب صاحبه عليه إلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيّبُ وَ العَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعُهُ 35 :

10 . و التوبة تقبل : بشروطها : من الندم على ما فات ،

و الأصرار على عدم العودة ، و إداء حقوق الناس . و الدعاء يسمع : قال الإمام الباقر عليه السلام : و اللّه لا يلح عبد مؤمن على اللّه في حاجة إلاّ قضاها له . و المطلوب من المسلم المبادرة بالدعاء ، و التوسل الى اللّه تعالى . و الحال هادئة : بعيدة عن شدائد القيامة و أهوالها . و الأقلام جارية :

تسجّل في صحف الأعمال ، و بالموت تجف ، و ينتهي كل شيء .

[67]

مرضا حابسا ، أو موتا خالسا [1] ، فإنّ الموت هادم لذّاتكم ، و مكدّر شهواتكم ، و مباعد طيّاتكم [2] زائر غير محبوب ، و قرن غير مغلوب ، و واتر غير مطلوب [3] ، قد أعلقتكم حبائله ، و تكنّفتكم غوائله ، و أقصدتكم معابله ، و عظمت فيكم

[1] و بادروا بالأعمال . . . : سارعوا بها . عمرا ناكسا :

الشيخوخة ، و العجز عن القيام بالمطلوب وَ مَن نُعَمِّرهُ نُنكِّسهُ في الخَلقِ أ فَلاَ يَعقِلُونَ 36 : 68 . و مرضا حابسا : مانعا من مزاولة أعمال البر . أو موتا خالسا :

خلس الشيء خلسا : إستلبه في نهزة و مخاتلة . و المراد به موت الفجأة .

[2] مباعد طياتكم جمع طيّة : منزل السفر . و المراد ، إنكم قادمون على سفر بعيد ، لا رجعة بعده .

[3] قرن غير مغلوب . . . : القرن للإنسان مثله في الشجاعة و العلم ، و غير ذلك . و المراد : ان الموت غالب الشجعان و الأبطال . و واتر غير مطلوب : وتر فلانا : قتل حميمه . و المراد : لا يمكن الإقتصاص منه .

[68]

سطوته ، و تتابعت عليكم عدوته و قلّت عنكم نبوته [1] ، فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله ،

و احتدام علله ، و حنادس غمراته ، و غواشي سكراته ، و أليم إزهاقه ، و دجوّ إطباقه ، و جشوبة مذاقه [2] ، فكأن قد أتاكم بغتة ، فأسكت

[1] قد أعلقتكم حبائله . . . : علق الشيء به : نشب فيه و إستمسك به . و حبائله : مصائده . و تكنفتكم غوائله :

أحاطتكم دواهيه . و أقصدتكم معابله جمع معبل : نصل حديدة الرمح و السيف و السكين . و عظمت فيكم سطوته :

بطشه و قهره . و تتابعت عليكم عدوته : ظلمه . و قلت عنكم نبوته : نبا السهم عن الغرض : جاوزه . و المراد :

سهامه لا تخطىء .

[2] فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلمه . . . : غشى الأمر فلانا غطّاه و حواه . و الدجى : سواد الليل و ظلمته . و ظلله جمع ظلّة : السحاب . و المراد : أنتم معرّضون للأمراض التي هي مقدمات الموت . و إحتدام علله : إحتدمت النار :

إشتدت . و حنادس غمراته : الحندس : الظلمة و غمرات جمع غمرة : الشدّة . و غواشي سكراته : هي سكرات الموت التي يفقد فيها الوعي . و اليم إزهاقه :

خروج الروح . و المراد : ما يعانيه المحتضر من آلام .

و دجو أطباقه : تكاثف ظلمه . و المراد : كثرة شدائده .

و جشوبة مذاقه : جشب الرجل : غلظ مأكله و خشن .

و المراد : مرارة الموت .

[69]

نحيّكم ، و فرّق نديّكم ، و عفّى آثاركم ، و عطّل دياركم ،

و بعث ورّاثكم يقتسمون تراثكم [1] ، بين حميم خاصّ لم ينفع ، و قريب محزون لم يمنع ، و آخر شامت لم يجزع ، فعليكم بالجدّ و الاجتهاد ، و التّأهّب و الاستعداد ، و التّزوّد في منزل الزّاد [2] ، و لا

[1] فأسكت نجيكم : النجوى : اسرار الحديث . و القوم المتناجون و المراد : أذهلكم عن الكلام . و فرّق نديكم : أفترقتم عن ناديكم) (محل إجتماعكم) و عفى آثاركم : زالت و انمحت . و عطّل دياركم : خلت من ساكنيها . و بعث وراثكم يقتسمون تراثكم : حضر الورثة لقسمة الميراث .

[2] فعليكم بالجد و الإجتهاد . . . : لعمل الخير . و التأهب و الإستعداد : للموت و ما بعده . و التزوّد في منزل الزاد :

تهيئة ما يلزمكم من الزاد لسفركم الطويل وَ تَزَوَّدوا فَاِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوى وَ اتَّقُونِ يا أُولي الألبابِ 2 : 197 .

[70]

تغرّنّكم الحياة الدّنيا [1] كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية ، و القرون الخالية ، الّذين احتلبوا درّتها ، و أصابوا غرّتها ، و أفنوا عدّتها ،

و أخلقوا جدّتها [2] ، أصبحت مساكنهم أجداثا [3] ، و أموالهم ميراثا ، لا يعرفون من أتاهم ، و لا يحفلون من بكاهم ، و لا يجيبون من دعاهم [4] ، فاحذروا الدّنيا ، فإنّها غدّارة غرّارة

[1] و لا تغرنكم الدنيا : و لا تخدعكم

[2] إحتلبوا درتها . . . : الدر : اللبن . و المراد : أصابوا منافعها . و أصابوا غرتها : على حين غفلة منها . و المراد :

سلموا من محنها و مصائبها . و أفنوا عدتها : ما تعدد من غذاء و متاع . و أخلقوا جدتها : أخلق الثوب : بلى . و المراد :

أفنوا ما فيها من جديد من لباس و فراش و غير ذلك .

[3] أصبحت مساكنهم أجداثا : قبورا .

[4] لا يحفلون من بكاهم . . . : لا يبالون بمن بكى عليهم . و لا يجيبون من دعاهم : لتعطل حواسهم ، و ربما يكون المراد :

إنشغالهم بأنفسهم و ما هم فيه من بلاء و عناء .

[71]

خدوع ، معطية منوع ، ملبسة نزوع [1] ، لا يدوم رخاؤها ، و لا ينقضي عناؤها ، و لا يركد بلاؤها [2] .

(227) و من خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار [1] ، و هو متوجه إلى البصرة

ذكرها الواقدي في كتاب الجمل فصدع بما أمر به [2] ، و بلّغ رسالات ربّه ، فلمّ اللّه به الصّدع ، و رتق به الفتق ، و ألّف به الشّمل بين ذوي الأرحام [3] ، بعد العداوة

[1] ذو قار : بلد قرب البصرة .

[2] فصدع بما أمر به : بيّنه و جهر به .

[3] فلمّ اللّه به . . . : جمع به . و الصدع : الشق في الشيء الصلب . و المراد : جعل من أولئك الأعداء المتفرقين أحباء متآلفين . و رتق الشيء : سدّه و لحمه . و الفتق : الخلاف بين الجماعة ، و تصدّع الكلمة . و الف به الشمل بين ذوي الأرحام ، شمل القوم : مجتمعهم ، و يقال : جمع اللّه شملهم : أي ما تشتت و تفرق من أمرهم . و المراد : جمع الأمة العربية كلها على التوحيد وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ 8 : 63 .

[74]

الواغرة في الصّدور ، و الضّغائن القادحة [1] في القلوب .

(228) و من كلام له عليه السلام كلم به عبد اللّه بن زمعة ، و هو من شيعته

و ذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا ، فقال عليه السلام :

إنّ هذا المال ليس لي و لا لك ، و إنّما هو فيء للمسلمين [2] و جلب أسيافهم ، فإن شركتهم

[1] الواغرة . . . : الممتلئة غيظا و حقدا . و الضغن : الحقد الشديد . و قدح النار من الزند : أخرجها منه . و المراد : ما كان عندهم من استعداد للفتن ، و اثارة الحروب لاتفه الأسباب ، كما هو الحال في حرب البسوس و غيرها .

[2] فيء للمسلمين . . . : غنائمهم (واردات الدولة الإسلامية) و جلب أسيافهم : ما غنموه في حروبهم .

[75]

في حربهم كان لك مثل حظّهم ، و إلاّ فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم [1] .

(229) و من كلام له عليه السلام [2]

ألا إنّ اللّسان بضعة من الإنسان ، فلا يسعده القول إذا امتنع ، و لا يمهله النّطق إذا اتّسع [3] ،

و إنّا لأمراء الكلام ، و فينا تنشّبت عروقه ، و علينا

[1] جناة ايديهم . . . : جنى الثمرة : قطفها . لا تكون لغير أفواههم : لا يأخذها غيرهم .

[2] و قد طلب من ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب ،

فحصر و لم يتمكن من ذلك ، فقام عليه السلام الى المنبر و قال . و جعدة هو الذي نزل الإمام عليه السلام في بيته مدة اقامته بالكوفة ، لأنه ابى النزول في قصر الإمارة ، و لم يكن له فيها بيت .

[3] بضعة من الانسان . . . : قطعة منه . فلا يسعده القول اذا امتنع : قد يعرض للانسان عارض فيحبس عليه الكلام ،

و يعجز اللسان عن النطق . و لا يمهله النطق اذا اتسع : و قد تتتابع الأفكار فلا يمهله النطق ، بل يسارع اليه . و المراد :

ان سعة الكلام مرتبطة بسعة العلم .

[76]

تهدّلت غصونه [1] .

و اعلموا رحمكم اللّه أنّكم في زمان القائل فيه بالحقّ قليل ، و اللّسان عن الصّدق ، كليل [2] ،

و اللاّزم للحقّ ذليل ، أهله معتكفون على العصيان ، مصطلحون على الإدهان [3] فتاهم عارم ، و شائبهم آثم ، و عالمهم منافق ، و قارئهم

[1] و أنا لأمراء الكلام . . . : نتصرف به حسب ما نريد .

و نشبت : تعلقت . و تهدلت غصونه : تدلت .

[2] و اللسان عن الصدق كليل : ضعيف .

[3] أهله . . . : أهل ذلك الزمان . معتكفون على العصيان :

مقبلون عليه ، ملازمون له . مصطلحون : متسالمون متفقون . على الادهان : يظهرون خلاف ما يبطنون .

[77]

مماذق [1] ، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم ، و لا يعول [2] غنيّهم فقيرهم .

(230) و من كلام له عليه السلام

روى ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد اللّٰه بن يزيد عن مالك بن دحية قال : كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام و قد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إنّما فرّق بينهم مبادي طينهم [3] ، و ذلك أنّهم

[1] الفتى . . . : الشاب أوّل شبابه . و عارم : شرس و شائبهم : شيخهم . آثم : واقع في الاثم . و عالمهم منافق : يظهر خلاف ما يبطن . و قارئهم مماذق : الذي يمزج الود و لا يخلصه .

[2] لا يعول : لا يساعده بطعام و كساء و غيرها .

[3] مبادي طينهم : عناصر تركيبهم ، و هو الذي أشار اليه في الخطبة الاولى : (ثم جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها) .

كانوا فلقة من سبخ أرض و عذبها ، و حزن تربة و سهلها [1] ، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون ، و على قدر اختلافها يتفاوتون [2] ، فتامّ الرّواء ، ناقص العقل ، و مادّ القامة ، قصير الهمّة ، و ذاكي العمل ، قبيح المنظر ، و قريب القعر ، بعيد السّير ، و معروف الضّريبة ، منكر الجليبة ، و تائه القلب ، متفرّق اللّبّ ، و طليق

[1] الفلقة . . . : القطعة من الشيء . من سبخ أرض و عذبها ،

السبخ من الأرض ما لا يحرث و لم يعمر لملوحته . و حزن تربة و سهلها : و حزن المكان حزونة : خشن و غلظ .

و السهل من الأرض : خلاف الحزن ، و هي أرض منبسطة .

[2] فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون . . . : فهم على تقارب عناصر تركيبهم يتشابهون . و على قدر اختلافها يتفاوتون : في الصوت و الطبع و الأخلاق .

اللّسان ، حديد الجنان [1] .

(231) و من كلام له عليه السلام قاله و هو يلي غسل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و تجهيزه

بأبي أنت و أمّي [2] يا رسول اللّٰه لقد انقطع

[1] فتام الرواء . . . : المنظر الجميل . و ماد القامة : الطويل .

و قصير الهمّة : لا يسعى لمعالي الأمور . و زاكي العمل :

من حسنت أعماله و سيرته . و قريب القعر : القصير . و بعيد السير : ذو حزم و دهاء . و الضريبة الطبيعة . و منكر الجليبة : ما يتكلفه الإنسان خلافا لطبعه ، كالبخيل الذي يتكلف الكرم . و تائه القلب : ليس له اتجاه مخصوص ، و لا هدف معيّن . و اللب : العقل . و المراد : مشتت الرأي ، متغير الاتجاه . و طليق اللسان : عذب المنطق ، فصيح العبارة .

و حديد الجنان : قوي القلب . و المراد : قوة الرأي و الحزم . و لعل التاريخ يسجل للامام عليه السلام انه المؤسس الاول لعلم الاحياء .

[2] بأبي أنت و امّي : المفدّى بهما .

[80]

بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النّبوّة و الأنباء ، و أخبار السّماء [1] ، خصصت حتّى صرت مسليا عمّن سواك ، و عممت حتّى صار النّاس فيك سواء [2] .

و لو لا أنّك أمرت بالصّبر ، و نهيت عن الجزع ، لأنفذنا عليك ماء الشّؤون ، و لكان الدّاء مماطلا ، و الكمد محالفا ، و قلاّ لك [3] و لكنّه ما لا

[1] انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك : باعتباره صلى اللّه عليه و آله خاتم النبيين . و أخبار السماء : الوحي الذي كان ينزل به جبرئيل على الأنبياء عليهم السلام .

[2] خصصت . . . : بمصيبتك أهل بيتك . حتى صرت مسليا فهي لعظمها عليهم صاروا لا يلتفتون الى ما يصيبهم بعدها من مصائب . و عممت حتى صار الناس فيك سواء : عمّت مصيبتك الأمة جمعاء حتى استوى فيها الجميع .

[3] لانفذنا عليك ماء الشئون . . . : مجاري العين الدمعية .

و لكان الداء : المرض . مماطلا : مطل حقّه : أجّل موعد الوفاء به مرّة بعد أخرى . و المراد : بقاء المرض . و الكمد :

الحزن : و قلاّ لك : ان مماطلة الداء ، و محالفة الكمد لقليل في مثل مصيبتك .

[81]

يملك ردّه و لا يستطاع دفعه [1] ، بأبي أنت و أمّي ،

اذكرنا عند ربّك ، و اجعلنا من بالك [2] .

(232) و من كلام له عليه السلام

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى اللّه عليه و آله ، ثم لحاقه به فجعلت أتّبع مأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأطأ ذكره حتّى انتهيت إلى العرج [3] (في كلام طويل) .

[1] و لكنه ما لا يملك ردّه ، و لا يستطاع دفعه : و هو الموت .

[2] اذكرنا عند ربك . . . اسأله : لنا المزيد من الخير .

و اجعلنا من بالك : من مهماتك .

[3] العرج : موضع بين مكّة و المدينة .

[82]

قال الشريف : قوله عليه السلام « فأطأ ذكره » من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز و الفصاحة ، أراد إني كنت أعطى خبره صلى اللّه عليه و آله و سلم من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع ، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

(233) و من خطبة له عليه السلام

فاعلموا و أنتم في نفس البقاء ، و الصّحف منشورة ، و التّوبة مبسوطة ، و المدبر يدعى ،

و المسيء يرجى [1] ، قبل أن يخمد العمل ،

[1] و أنتم في نفس البقاء . . . : سعته . و المراد ما دمتم أحياء . و الصحف منشورة : هي صحائف الأعمال التي يدوّن فيها الملائكة أعمال الانسان وَ وُضِعَ الكِتابُ فَترى المجرِمينَ مُشفِقِينَ ممَّا فيهِ وَ يَقُولُونَ يَا ويلَتَنَا ما لِهذا الكتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغيرةً وَ لاَ كَبيرةً إلاَّ اَحصاهَا و وَجَدوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَ لاَ يَظلِمُ رَبُّكَ اَحَدا 18 : 49 .

و التوبة مبسوطة : لم تطو عنكم ، و بابها مفتوح أمامكم .

و المدبر : المعرض . و المسيء يرجى : له الخير اذا ندم و تاب .

و ينقطع المهل ، و ينقضي الأجل ، و يسدّ باب التّوبة ، و تصعد الملائكة [1] .

فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، و أخذ من حيّ لميّت ، و من فان لباق ، و من ذاهب لدائم [2] ،

[1] قبل ان يخمد العمل . . . : خمدت النار : سكن لهبها ،

و قوم خامدون : ميّتون فإذا هُم خَامِدُونَ 36 : 29 .

و المراد : انقطاعه بالموت . و ينقطع المهل : العمر الذي أمهلتم فيه . و يسد باب التوبة : بالموت . و تصعد الملائكة : بصحائف الأعمال ، فلا من حسنة يستزادون ، و لا من سيئة يستعتبون .

[2] فأخذ امرؤ من نفسه . . . : من الصالحات التي تجهد فيها النفس . لنفسه : لما ينتفع به غدا . و أخذ من حي لميّت :

يأخذ في حياته لما ينتفع به في مماته . و من فان لباق : يتزوّد من الدنيا الفانية للآخرة الباقية . و من ذاهب لدائم : و من زائل الى محفوظ ينتفع به غدا .

امرؤ خاف اللَّه و هو معمّر إلى أجله ، و منظور إلى عمله [1] ، امرؤ لجّم نفسه بلجامها ، و زمّها بزمامها [2] ، فأمسكها بلجامها عن معاصي اللَّه ،

و قادها بزمامها إلى طاعة اللَّه .

[1] امرؤ خاف اللَّه . . . : فعمل بما أمره به . و هو معمّر الى أجله : الذي كتب في اللوح المحفوظ . و منظور الى عمله :

يتاب عليه أو يعاقب .

[2] امرؤ الجم نفسه بلجامها . . . : اللجام : اداة من حديد توضع في فم الدابة و لها سيور ، تمكن الراكب من السيطرة عليها . و الزمام : الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش ، ثم يشد الى طرف المقود . و المراد : ضبط نفسه و لم يدعها و رغباتها ، بل تمكن من قيادها الى طريق السلامة و النجاة

(234) و من خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين ، و ذم أهل الشام

جفاة طغام ، عبيد أقزام [1] ، جمّعوا من كلّ أوب ، و تلقّطوا من كلّ شوب ، ممّن ينبغي أن يفقّه و يؤدّب ، و يعلّم و يدرّب ، و يولّى عليه ،

و يؤخذ على يديه [2] ، ليسوا من المهاجرين

[1] جفاة جمع جافي : سيء الخلق . و طغام : أرذال الناس و أوغادهم . و عبيد أقزام : رذال الناس و سفلتهم .

[2] جمعوا من كل أوب . . . : من كل جهة و ناحية و الشوب : ما اختلط بغيره من الأشياء . و المراد : انهم خليط ليسوا من صراحة النسب في شيء . ممن ينبغي أن يفقه : في الدين . و يؤدّب : بتعاليم الإسلام .

و يعلّم و يدرّب : على عمل الخير . و يولى عليه : يحجر عليه لسفهه و سوء تصرفه . و يؤخذ على يديه : يمنع من التصرّف .

[86]

و الأنصار ، و لا من الّذين تبوّأوا الدّار [1] و الإيمان .

الا و إنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا يحبّون ، و إنّكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون [2] ، و إنّما عهدكم بعبد اللّه بن قيس بالأمس يقول « إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم ، و شيموا سيوفكم » [3] فإن كان صادقا فقد أخطأ بمسيره غير

[1] و لا من الذين تبوأوا الدار : تبوأ المكان : نزله و أقام به ،

و الآية في الأنصار الذين تبوأوا المدينة . و المراد : أن هؤلاء ليسوا من السابقين من الإسلام .

[2] ألا و ان القوم اختاروا لانفسهم . . . : ابن العاص . أقرب القوم مما يحبون : من النصر و الاستعلاء . و اخترتم لأنفسكم : أبا موسى الاشعري . أقرب القوم مما تكرهون :

من الخذلان و الغلبة . و المراد : أن منتخبهم جهد على انتصارهم ، و منتخبكم يجهد على خذلانكم .

[3] فقطعوا أوتاركم . . . : وتر القوس : شدّ وترها (جعلها صالحة للاستعمال) و شيموا سيوفكم : اغمدوها .

[87]

مستكره ، و إن كان كاذبا فقد لزمته التّهمة [1] ،

فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن عبّاس ، و خذوا مهل الأيّام ، و حوطوا قواصي الإسلام [2] .

ألا ترون إلى بلادكم تغزى ، و إلى صفاتكم ترمى [3] .

[1] فقد لزمته التهمة : فان كان ما قاله سابقا صحيحا فقد أخطأ بمجيئه الينا ، و ان كان كاذبا في قوله فهو فاسق ، تحوم حوله الشبهة .

[2] و خذوا مهل الأيام . . . : فسحتها . و المراد : استغلوها للاستعداد للكرّة . و حوطوا : احفظوا و تعهدوا . و قواصي الإسلام : أقصى بلاد المسلمين .

[3] و الى صفاتكم ترمى : الصفاة : الحجر العريض الأملس ،

و تقول العرب اذا أرادوا أن يصفوا جماعة بالقوة و المنعة : لا تقرع صفاتهم . و مراد الإمام عليه السلام : ان الأعداء تمكنوا من بلادكم .

[88]

(235) و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم [1]

هم عيش العلم ، و موت الجهل [2] يخبركم حلمهم عن علمهم ، و ظاهرهم عن باطنهم و صمتهم عن حكم منطقهم [3] : لا يخالفون

[1] يذكر فيها آل محمد صلى اللّٰه عليه و آله : هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام .

[2] هم عيش العلم . . . : بهم يحيا العلم و يزدهر . و موت الجهل : اضمحلاله و تلاشيه . و على سبيل المثال : ان الإمام الصادق عليه السلام وافته ظروف أمنية سمحت له بنشر العلم ، فبلغ تلاميذه أكثر من أربعة آلاف و قال فيه ابن حجر : جعفر الصادق : نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، و انتشر صيته في جميع البلدان ، و روى عنه الأئمة الاكابر .

[3] يخبركم حلمهم عن علمهم . . . : الحلم : العقل و التؤدة و ضبط النفس عن هيجان الغضب . و المراد : وصفهم بالفضيلتين معا . و ظاهرهم عن باطنهم : ما ظهر من صفاتهم الكريمة ، و نبل أخلاقهم ، و اشتمالهم على المكارم ،

يكشف عن طيب سرائرهم ، و حسن باطنهم . و صمتهم عن حكم منطقهم : أن سكوتهم عمّا لا يعنيهم يشهد بصواب منطقهم .

[89]

الحقّ ، و لا يختلفون فيه [1] ، هم دعائم الإسلام ، و ولائج الاعتصام [2] ، بهم عاد الحقّ

[1] لا يخالفون الحق . . . : بل يدورون حوله . و روى الخاص و العام قوله صلى اللّٰه عليه و آله : علي مع الحق و الحق مع علي ، يدور معه حيث ما دار) و لا يختلفون فيه : قال ابن ابي الحديد : و لا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق و أرباب المذاهب ، فمنهم من له في المسألة قولان و أكثر ،

و منهم من يقول قولا ثم يرجع عنه ، و منهم من يرى في أصول الدين رأيا ثم ينفيه و يتركه .

[2] هم دعائم الإسلام جمع دعامة : عماد البيت الذي يقوم عليه . و المراد : بهم توطّد الإسلام و قامت دعائمه ، و الى هذا المعنى يشير الشاعر .

بني الدين فاستقام و لو لا
ضرب ماضيك ما استقام البناء

و ولائج الإعتصام جمع وليجة : الموضع الذي يعتصم به من برد أو حرّ أو سبع .

[90]

الى نصابه ، و انزاح الباطل عن مقامه ، و انقطع لسانه عن منبته [1] ، عقلوا الدّين عقل وعاية و رعاية لا عقل سماع و رواية [2] ، فإنّ رواة العلم كثير ،

و رعاته قليل [3] .

[1] بهم عاد الحق الى نصابه : النصاب : مقبض السكين .

و المراد : رجع الى مستقرّه و انزاح الباطل عن مقامه :

زال . و انقطع لسانه عن منبته : عن أصله . و المراد :

انقطعت جرثومته .

[2] عقلوا الدين عقل وعاية . . . : وعوا أحكامه ، و فهموا حلاله و حرامه . و رعاية : راعى الأمر : راقب مصيره ، و نظر في عواقبه ، و حفظه . و المراد : حفاظهم عليه ، و نشرهم لاحكامه ، و كشفهم شبهات اعدائه . لا عقل سماع و رواية :

حفظ للمتون دون الفهم للمقصود .

[3] فان رواة العلم كثير ، و رعاته قليل : ان المنتسبين للعلم ،

و المتزيين بزيّه ، و الحافظين لبعض نصوصه كثيرون ، و لكن العاملين به ، الناشرين لاحكامه ، الذابين عنه ، قليلون .

(236) و من كلام له عليه السلام قاله لعبد اللّه بن عباس

و قد جاءه برسالة من عثمان و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع [1] ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

يا ابن عبّاس ، ما يريد عثمان إلاّ أن يجعلني جملا ناضحا بالغرب أقبل و أدبر [2] : بعث إليّ أن

[1] ينبع : على سبع مراحل من المدينة جهة البحر ، استصلحها الامام عليه السلام ، و غرسها و أوقفها .

[2] جملا ناضحا بالغرب أقبل و أدبر : الناضح : البعير الذي يستقى عليه الماء . و الغرب : الدلو العظيمة و المراد :

سخّرني لرغباته كمن لا يملك من الأمر شيئا .

أخرج ، ثمّ بعث إليّ أن أقدم ، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج ، و اللّه لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثما [1] .

(237) و من كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد

و اللّه مستأديكم شكره و مورثكم أمره ،

و ممهلكم في مضمار [2] محدود لتتنازعوا

[1] لقد دفعت عنه . . . : المصريين و غيرهم من الثّوار . حتى خشيت أن اكون آثما : محتملا للاثم لدفاعي عنه ،

و مساعدتي له ، مع نقضه لما وعد من اصلاحات و تغيير .

[2] مستأديكم شكره . . . : يطلب منكم شكر نعمه فَاذكُروني أَذْكُرْكُمْ وَ اشكُروا لي وَ لاَ تكفُرُون 2 : 152 . مورثكم أمره : سلطانه . و المراد : جاعلكم حكاما في البلاد .

و ممهلكم : المراد بالمهلة : فسحة العمر المقدّرة لكل واحد . و المضمار : مكان تضمر فيه الخيل أربعين يوما استعدادا للسباق . و المراد : استغلال فسحة العمر استعدادا للآخرة .

[93]

سبقه [1] ، فشدّوا عقد المآزر و اطووا فضول الخواصر [2] و لا تجتمع عزيمة و وليمة [3] ما أنقض النّوم لعزائم اليوم و أمحى الظّلم لتذاكير

[1] لتتنازعوا سبقه : تنازع القوم الشيء : تجاذبوه . و السبق : ما يتراهن عليه المتسابقون . و المراد : تسابقوا بالأعمال الصالحة و سارعوا اليها .

[2] فشدّوا عقد المآزر . . . : عقد طرف الأزار : شدّ أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما ، فاحكم وصلهما . و المآزر جمع ازار : ثوب شامل لجميع البدن . و المراد : الجد و المبادرة ،

و هو مثل قولهم : (شمرّ عن ساقيه) لمن يصفوه بالعمل و الجد . اطووا فضول الخواصر : ارفعوا ما طال من الثياب ، لأن تشمير الثياب يساعد على انجاز العمل .

و المراد : السعي و النشاط لعمل الآخرة .

[3] و لا تجتمع عزيمة و وليمة : العزم : ارادة الشيء و عقد النيّة عليه . و الوليمة : كل طعام وضع لعرس و غيره . و المراد : لا تجتمع معالي الأمور ، و الهمة العالية ، مع الانهماك في الدنيا ، و شدّة الطلب لها .

[94]

الهمم [1]

[1] ما انقض النوم لعزائم اليوم . . . : و هو ان يعزم على السير ليلا فينام ، فيذهب ما عزم و صمم عليه . و امحى الظلم لتذاكير الهمم : الظلم : جمع ظلمة ، و الجملة كالسابقة . و المراد :

انه يهتم و يعزم على القيام بعمل فيأتي ظلام الليل فيذهب بعزيمته . و المراد : المبادرة لعمل الخير و الاسراع فيه .

[95]

محتويات الكتاب

التسلسل الموضوع الصفحة

215 و من كلام له عليه السلام لما مرّ بطلحة 5

216 و من كلام له عليه السلام 6

217 و من كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته : ألهاكم التكاثر 8

218 و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته : رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر اللّه 25

219 و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته : يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم 36

220 و من كلام له عليه السلام 46

221 و من دعاء له عليه السلام 52

222 و من خطبة له عليه السلام 53

223 و من دعاء له عليه السلام 58

224 و من كلام له عليه السلام 61

225 و من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة 63

226 و من خطبة له عليه السلام 65

227 و من خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار 73

228 و من كلام له عليه السلام كلم به عبد اللَّه بن زمعة 74

229 و من كلام له عليه السلام 75

230 و من كلام له عليه السلام 77

التسلسل الموضوع الصفحة

231 و من كلام له عليه السلام قاله و هو يلي غسل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و تجهيزه 79

232 و من كلام له عليه السلام اقتص ما كان منه بعد هجرة النبي صلى اللَّه عليه و آله ، ثم لحاقه به 81

233 و من خطبة له عليه السلام 82

234 و من خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين و ذم أهل الشام 85

235 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم 88

236 و من كلام له عليه السلام قاله لعبد اللَّه بن عباس 91

237 و من كلام له عليه السلام يحثّ أصحابه على الجهاد 92

الحلقة 25 26

بسم اللَّه الرحمن الرحيم باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى أعدائه و أمراء بلاده و يدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ، و وصاياه لأهله و أصحابه

(1) من كتاب له عليه السلام لأهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

من عبد اللَّه عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب [1] .

أمّا بعد ، فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه ، إنّ النّاس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه و أقلّ عتابه [2] ،

[1] جبهة الأنصار . . . : الجبهة : ما بين الحاجبين الى الناصية . و الأنصار : الأعوان . و السنام : كتل من الشحم محدّبة على ظهر البعير و الناقة . و المراد : بيان شرفهم و رفعتهم .

[2] أكثر استعتابه . . . : استرضاءه . و أقل عتابه : تعنيفه .

و المراد : صفاء ما بينهما .

[6]

و كان طلحة و الزّبير أهون سيرهما فيه الوجيف ،

و أرفق حدائهما العنيف [1] ، و كان من عائشة فيه فلتة غضب [2] ، فأتيح له قوم [3] فقتلوه ، و بايعني النّاس غير مستكرهين و لا مجبرين ، بل طائعين مخيّرين .

و اعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها ، و جاشت جيش المرجل ، و قامت الفتنة

[1] أهون سيرهما فيه الوجيف . . . : أوجف دابّته : حثّها على السير . و ارفق حدائهما العنيف : حدا بالابل : زجرها و غنّى لها ليحثّها على السير . و عنف عليه عنفا : أخذ بشدّة و قسوة . و المراد : وصف سلوكهما الشديد معه ، حتى ذكر المؤرخون ان طلحة منع عن عثمان الماء .

[2] فلتة غضب : الفلتة : الأمر يحدث من غير روّية و أحكام .

و المراد : تسميتها له بنعثل تشبيها برجل يهودي حقير ، و غير ذلك مما كان منها معه .

[3] فأتيح له : قدّر له .

[7]

على القطب [1] ، فأسرعوا إلى أميركم ، و بادروا جهاد عدوّكم ، إن شاء اللَّه .

(2) و من كتاب له عليه السلام إليهم ، بعد فتح البصرة

و جزاكم اللَّه من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته ،

و الشّاكرين لنعمته ، فقد سمعتم و أطعتم ، و دعيتم فأجبتم .

[1] ان دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها . . . : فارقها أهلها . و جاشت : غلت . و المرجل : القدر من النحاس .

و القطب : المحور القائم المثبت في الطبق الأسفل من الرحى ، يدور عليه الطبق الأعلى . و المراد به سيدهم ،

الذي يدور عليه أمرهم . و المقصود هنا نفسه صلوات اللَّه عليه ، لأنه المستهدف بهذه الفتنة .

[8]

(3) و من كتاب له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك ، فاستدعاه و قال له :

بلغني أنك ابتعت دارا بثمانين دينارا و كتبت لها كتابا و أشهدت فيه شهودا [1] ، فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال :

فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له :

[1] و ليس هذا التشديد من الإمام عليه السلام مع القاضي في شراء دار ، كلا ، فالامام عليه السلام لا يريد من المسلم ان يجعل أهله في الشارع ، أو يستظل بخيمة ، و انما يريد ان يشتري من حلال ، و يأكل من حلال ، و يلبس من حلال ،

و لا يمد يده الى أموال المسلمين ، و بشراء القاضي الدار حامت حوله الشبهة ، لذا قال له : لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك ، أو نقدت الثمن من غير حلالك ، لذا وجب وعظه و زجره .

[9]

يا شريح ، أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، و لا يسألك عن بيّنتك ، حتّى يخرجك منها شاخصا و يسلمك إلى قبرك خالصا [1] ، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدّار من غير مالك ، أو نقدت الثّمن من غير حلالك فإذا أنت قد خسرت دار الدّنيا و دار الآخرة أما إنّك لو

[1] أما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك . . . : هو ملك الموت . و لا يسألك عن بينتك : حجتك . حتى يخرجك منها شاخصا : شخص عن البلد : رحل عنه . و المراد : ما أحكمته لنفسك من عقد البيع و الشهود ، و ما نستعمله اليوم من التسجيل بالطابو ، لا ينفع ، و لا يدفع عنا ملك الموت .

و يسلمك الى قبرك خالصا : مجردا من جميع ما في الدنيا سوى الكفن .

[10]

كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النّسخة ، فلم ترغب في شراء هذه الدّار بدرهم فما فوق ، و النّسخة هذه :

هذا ما اشترى عبد ذليل ، من عبد قد أزعج للرّحيل [1] ، اشترى منه دارا من دار الغرور [2] من جانب الفانين ، و خطّة الهالكين [3] ، و تجمع هذه الدّار حدود أربعة : الحدّ الأوّل : ينتهي إلى دواعي الآفات ، و الحدّ الثّاني ينتهي إلى دواعي المصيبات [4] ، و الحدّ الثّالث ينتهي إلى

[1] قد ازعج . . . : أقلق . للرحيل : للموت .

[2] من دار الغرور : الخداع وَ مَا الحَياةُ الدُّنيَا اِلاّ مَتَاعُ الغُرُور 3 : 185 . أي الخداع الذي لا حقيقة له ، لانكم تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا و الفجائع .

[3] الخطّة . . . : المكان المختط للعمارة . و الهلاك : الموت .

[4] الحد الأول : ينتهي الى دواعي الآفات . . . الخ : ان أهل الدنيا معرضون بأجمعهم الى ما ذكره الإمام عليه السلام من المصائب و المحن .

[11]

الهوى المردي [1] ، و الحدّ الرّابع ينتهي إلى الشّيطان المغوي [2] ، و فيه يشرع [3] باب هذه الدّار اشترى هذا المغترّ [4] بالأمل ، من هذا المزعج بالأجل ، هذه الدّار بالخروج من عزّ

[1] الحد الثالث : ينتهي الى الهوى المردي : ميل النفس ، و ما تهواه من الانحطاط و الرذيلة .

[2] و الحد الرابع : ينتهي الى الشيطان المغوي : المضل . و المراد من هذا : أن تكون همة المسلم و سعيه لما يسعد به غدا ، و أن يقتصر من الدنيا على القليل المجزي .

[3] يشرع : يفتح .

[4] المغتر . . . : المخدوع . بالأمل : بما يأمله . و المزعج بالأجل : القلق بما ينتظره من موت و فراق للدنيا .

[12]

القناعة ، و الدّخول في ذلّ الطّلب و الضّراعة [1] ،

فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك ، و سالب نفوس الجبابرة [2] ، و مزيل ملك الفراعنة ، مثل كسرى و قيصر ، و تبّع و حمير ، و من جمع المال على المال فأكثر ، و من بنى و شيّد ، و زخرف و نجّد ، و ادّخر و اعتقد ، و نظر بزعمه للولد ،

إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض

[1] الخروج من عز القناعة . . . : فبشرائها خرج من فضيلة القناعة ، و ما فيها من عزّ للمؤمن . و الدخول في ذل الطلب :

و مد اليد الى الناس للمساعدة . و الجملة تشير الى أن لشريح دارا غيرها ، لذا وصفه بترك القناعة . و الضراعة : الذلة .

[2] فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك . . . : أدرك الشيء : لحقه و بلغه و ناله . فعلى مبلبل أجسام الملوك :

البلبلة : شدة الهم و الحزن . و سالب نفوس الجبابرة . .

الخ : الموت .

[13]

و الحساب [1] ، و موضع الثّواب و العقاب ، إذا وقع الأمر بفصل القضاء [2] وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ،

و سلم من علائق الدّنيا [3] .

[1] زخرف البناء : زيّنه و كمّل حسنه . و نجدّ البيت : زيّنه بستور و فرش . و أعتقد المال : إقتناه . و نظر بزعمه للولد :

يجمع و يدخر لهم : و هي المشكلة العظمى التي نعانيها اليوم من الإهتمام الكلي و الإدخار للأولاد ، حتى كأن لا يوجد لهم ربّ يرزقهم و يغنيهم ، و هو في نفس الوقت ينسى أن يدّخر لنفسه ما يسعدها و ينجّيها . أشخاصهم جميعا الى موقف العرض و الحساب : أشخص فلانا : بعث به . و المراد :

أن الموت ساق هؤلاء جميعا الى موقف العرض على اللّه تعالى .

[2] إذا وقع الأمر بفصل القضاء : بين الخلائق وَ سيقَ الَّذين كَفَرُوا الى جَهَنَّمَ زُمَراً 39 : 71 .

[3] العقل إذا خرج من أسر الهوى . . . : إذا أنفكّ و تجردّ عن الماديات ، و الإنغماس في المحرمات . و سلم من علائق الدنيا : تحررّ من الشد إليها ، و الإهتمام الكلي فيها .

و المراد : لو تجردّ العقل من هذه الخلفيات ، أدرك أن الواجب على المسلم أن يقنع من الدنيا بالقليل ، و يسعى يقدّم للآخرة الكثير .

[14]

(4) و من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه

فإن عادوا إلى ظلّ الطّاعة فذلك الّذي نحبّ ، و إن توافت الأمور بالقوم إلى الشّقاق [1] و العصيان فانهد [2] بمن أطاعك إلى من عصاك ،

و استغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس [3] عنك ،

[1] و ان توافت الأمور بالقوم الى الشقاق : العداوة و الخلاف وَ مَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ ما تَبَينَ لَهُ الهُدى وَ يتَّبع غَيَر سَبيلِ المؤمنينَ نُوَلّهِ مَا تَولّى و نصُلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَت مصَيراً 4 : 115 .

[2] فانهد : انهض .

[3] تقاعس : تأخر و رجع الى خلف و لم يتقدم .

[15]

فإنّ المتكاره مغيبه خير من مشهده ، و قعوده أغنى من نهوضه .

(5) و من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس ، و هو عامل أذربيجان

و إنّ عملك ليس لك بطعمة [1] و لكنّه في عنقك أمانة و أنت مسترعى [2] لمن فوقك .

ليس لك أن تفتات في رعية و لا تخاطر إلاّ بوثيقة [3] ، و في يديك مال من مال اللّه عزّ

[1] ليس لك بطعمة : مأكلة . و المراد : ليس برزق لك تتصرف به كما تريد ، و إنما هو مال المسلمين ، يلزمك الحفاظ عليه .

[2] و أنت مسترعي : رعية ، يرعاك و يرشدك .

[3] ليس لك أن تفتات . . . : تستبد . و لا تخاطر : تجازف . إلاّ بوثيقة : ما يحكم به الأمر ، كالمستند و ما جرى هذا المجرى . و المراد : التحذير من البت في أمر يتعلق بالمسلمين و أموالهم من دون الرجوع للإمام عليه السلام ،

و أخذ رأيه فيه .

[16]

و جلّ ، و أنت من خزّانه حتّى تسلّمه إليّ ، و لعلّي أن لا أكون شرّ ولاتك لك ، و السّلام .

(6) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

إنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان ، على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشّاهد أن يختار ، و لا للغائب أن يردّ ، و إنّما الشّورى للمهاجرين و الأنصار . فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماما كان ذلك للّه رضا ، فإن خرج عن

[17]

أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين ، و ولاّه اللّه ما تولّى .

و لعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ النّاس من دم عثمان ،

و لتعلمنّ أنّي كنت في عزلة عنه ، إلاّ أن تتجنّى [1] فتجنّ ما بدا لك ، و السّلام .

(7) و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا

أمّا بعد ، فقد أتتني منك موعظة موصّلة ،

و رسالة محبّرة [2] ، نمّقتها بضلالك ، و أمضيتها

[1] تتجنّى : تدّعي عليّ ذنبا لم أفعله .

[2] موعظة موصّلة . . . : ملفّقة و ملتقطة من كلام وصل بعضه ببعض كالثوب المرقّع . و حبّر الشيء : زيّنه و نمقّه .

[18]

بسوء رأيك [1] و كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ، و لا قائد يرشده [2] ، قد دعاه الهوى فأجابه ، و قاده الضّلال فاتّبعه [3] ، فهجر لاغطا و ضلّ خابطا [4] .

منه : لأنّها بيعة واحدة لا يثنّى فيها النّظر و لا يستأنف فيها الخيار [5] ، الخارج منها طاعن ،

[1] نمقتها بضلالك . . . : زينتها بباطلك . و أمضيتها :

أنفذتها . بسوء رأيك : أعوجاج سليقتك .

[2] ليس له بصر يهديه . . . : الى الحق . و لا قائد يرشده : الى الإستقامة .

[3] دعاه الهوى . . . : ما تهواه النفس و تميل إليه من باطل :

فأجابه : منقادا له . و قاده الضلال فأتبعه : مختارا .

[4] فهجر . . . : هذى في كلامه . لاغطا : هو الصوت و الجلبة . و خبط فلان صرع بعلّة .

[5] لا يثنّى فيها النظر . . . : لا يعاود فيها . و لا يستأنف فيها الخيار : أن يختار ما يشاء . و المراد : ليس بعد البيعة إعادة نظر أو تجديد إختيار .

[19]

و المروّي فيها مداهن [1] .

(8) و من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد اللّه البجلي ، لما أرسله إلى معاوية

أمّا بعد ، فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل [2] و خذه بالأمر الجزم ، ثمّ خيّره بين حرب مجلية ، أو سلم مخزية [3] ، فإن اختار

[1] الخارج منها طاعن . . . : على الأمة . و المروي فيها :

المتروي فيها . مداهن : منافق .

[2] على الفصل : القطع ، و إختيار أحد الأمرين .

[3] بين حرب مجلية . . . : الأجلاء : الإخراج من الوطن قهرا .

أو سلم مخزية : مهينة مذلة . و المراد : إظهار القوّة .

الحرب [1] فانبذ إليه ، و إن اختار السّلم فخذ بيعته ، و السّلام .

(9) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

فأراد قومنا قتل نبيّنا ، و اجتياح أصلنا [2] و همّوا بنا الهموم ، و فعلوا بنا الأفاعيل ، و منعونا العذب ، و أحلسونا الخوف ، و اضطرّونا إلى جبل وعر [3] ، و أوقدوا لنا نار الحرب ، فعزم اللّه لنا

[1] فانبذ اليه : أعلمه بالحرب وَ اِمّا تَخَافَنَّ مِن قَومٍ خِيَانةً فَانبِذِ اليهِم عَلى سَوَاءٍ إنَّ اللّه لاَ يُحبُّ الخَائِنِينَ 8 : 58 .

[2] الإجتياح : الإستئصال .

[3] و همّوا بنا الهموم . . . : قصدونا بكل سوء . و فعلوا بنا الإفاعيل : في الثلاثة عشرة سنة التي تلت البعثة ، حتى قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : (ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت) و منعونا العذب : السائغ من الشراب و غيره . و أحلسونا الخوف : الحلس : كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل و القتب و السرج . و المراد : ألزمونا الخوف . و إضطرونا الى جبل وعر : هو شعب أبي طالب ، مكثوا فيه ثلاث سنين .

على الذّبّ عن حوزته ، و الرّمي من وراء حرمته [1] : مؤمننا يبغي بذلك الأجر ، و كافرنا يحامي عن الأصل [2] ، و من أسلم من قريش خلوا ممّا نحن فيه بحلف يمنعه [3] ، أو عشيرة تقوم دونه ، فهو من القتل بمكان أ من .

[1] فعزم اللّه لنا . . . : قضى لنا . على الذب : الدفاع .

و حوزته : ناحيته . و الرمي من وراء حرمته : الحرمة : ما لا يحل إنتهاكه من دين أو حقّ أو صحبة . و المراد : الدفاع عن حرمة الإسلام ، و الذب عن الشريعة .

[2] كافرنا يحامي عن الأصل : ضمّ الشعب بعض بني هاشم ممن لم يسلم يومئذ ، لكنّه دخل الشعب حميّة و ذبّا عن الأصل .

[3] و من أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه : قد تحالف مع رئيس منهم ، محتميا به من كل سوء .

و كان رسول اللّه ، صلى اللّه عليه و آله و سلم ، إذا احمرّ البأس ، و أحجم النّاس قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة [1] و السّيوف ،

فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر ، و قتل حمزة يوم أحد ، و قتل جعفر [2] يوم مؤتة ، و أراد من لو شئت [3] ذكرت اسمه مثل الّذي أرادوا من الشّهادة ، و لكن آجالهم عجّلت ، و منيّته

[1] أحمّر البأس . . . : إشتدّ القتال حتى إحمّرت الأرض من الدماء . و أحجم : كفّ و نكص . فوقى بهم أصحابه :

حماهم و صانهم من أن يصل لهم سوء . و حر السيوف : شدّة وقعها . و الأسنّة : الرماح .

[2] فقتل عبيدة بن الحارث . . . : أبن عبد المطلب ، أبن عم الإمام عليه السلام ، و حمزة : أسد اللّه و أسد رسوله ، عمّ الإمام عليه السلام . و جعفر : أخو الإمام عليه السلام ،

قطعت يداه ، فأبدله اللّه تعالى جناحين يطير بهما في الجنّة مع الملائكة .

[3] و أراد من لو شئت . . الخ : يريد بذلك نفسه المقدّسة ، فقد عرّضها للشهادة مرارا في حروب الرسول ص

أجّلت ، فيا عجبا للدّهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ، و لم تكن له كسابقتي ، الّتي لا يدلي أحد بمثلها إلاّ أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه [1] ، و لا أظنّ اللّه يعرفه ، و الحمد للّه على كلّ حال .

و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإنّي نظرت في هذا الأمر فلم أره يسعني دفعهم إليك و لا إلى غيرك ، و لعمري لئن لم تنزع عن غيّك

[1] يقرن بي . . . : القرن للإنسان : مثله في العلم و الشجاعة .

و من لم يسع بقدمي : التي جرت و ثبتت في المواقف التي إنهزم فيها الآخرون . و المراد : قرن بي من ليس له كمواقفي في الذب عن الأسلام ، و إعلاء كلمة اللّه تعالى . و لم تكن له كسابقتي : في الإسلام : حتى كاد يحصل الإجماع على أنه أوّل من أسلم . التي لا يدلي أحد بمثلها : أدلى بحجّته :

أحضرها ، و إحتجّ بها . و المراد : ليس لأحد فضائلي و سوابقي . إلاّ أن يدّعي مدع ما لا أعرفه : المراد بالمدعي معاوية ، و ما لا أعرفه : أي يكذب في دعواه .

و شقاقك [1] ، لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك ، لا يكلّفونك طلبهم في برّ و لا بحر ، و لا جبل و لا سهل ، إلاّ أنّه طلب يسوءك وجدانه ، و زور لا يسرّك لقيانه [2] و السّلام لأهله .

(10) و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا

و كيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك

[1] تنزع . . . : تكف . عن غيّك : عن ضلالك . و شقاقك :

خلافك .

[2] يسوءك وجدانه . . . : يحزنك وجودهم بقربك . و زور :

زائرون . لا يسّرك لقيانه : لا يفرحك لقاؤهم . و المراد :

تهديده بتجهيز جيش يطأ بلاده .

[25]

جلابيب [1] ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت [2] بزينتها و خدعت بلذّتها ، دعتك فأجبتها ، و قادتك فاتّبعتها ، و أمرتك فأطعتها . و إنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ [3] فاقعس عن هذا الأمر ، و خذ أهبة الحساب ، و شمّر لما قد نزل بك ، و لا تمكّن الغواة من سمعك [4] ، و إلاّ

[1] تكشفت عنك . . . : إرتفعت عنك و زالت . و جلابيب جمع جلباب : الثوب المشتمل على الجسد كله .

[2] تبهجت : تزينت .

[3] و أنه يوشك أن يقفك واقف . . . : هو الموت . على ما لا ينجيك منه مجنّ : الترس (ما يتوقى به الحرب) و المراد :

لا يمكنك أن تحتمي منه أو تدفعه .

[4] فاقعس عن هذا الأمر . . . : تأخّر عن طلب الأمرة . و خذ أهبّة الحساب : تأهّب و استعد لموقف الحساب و الجزاء .

و شمّر لما قد نزل بك : جاء بلفظ الماضي لقرب تحققه .

و المراد : تهيأ لمواقف الآخرة ، و العرض على اللّه تعالى .

و لا تمكن الغواة من سمعك : جمع غاو : و هو الضال :

و المراد : لا تستجب للوليد بن عقبة ، و عمرو بن العاص ،

و مروان بن الحكم ، و غيرهم من أهل الضلال ممن كان يحرضّه على الإمام عليه السلام .

[26]

أعلمك ما أغفلت من نفسك [1] فإنّك مترف [2] قد أخذ الشّيطان منك مأخذه ، و بلغ فيك أمله [3] ،

و جرى منك مجرى الرّوح و الدّم . و متى كنتم يا معاوية ساسة الرّعيّة و ولاة أمر الأمّة [4] ، بغير قدم

[1] و إلاّ تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك : بأخذ ما يصلحها و يقوّمها .

[2] فأنك مترف : متقلب في ليّن العيش إِنَّهُم كَانُوا قَبلَ ذلِكَ مُتَرفِينَ 56 : 45 . و المراد : قد أترفتك النعمة حتى طغيت و ادعيت ما ليس لك .

[3] قد أخذ الشيطان منك مأخذه . . . : أخذ الشيء : حازه و حصّله . و مأخذه : سلبك عقلك ، و تركك تتخبط بالباطل .

و بلغ فيك أمله : من الغواية .

[4] ساسة الرعيّة . . . : قادة الامّة ، و مدبّري شئونها . و ولاة أمر الأمّة : حكامها .

[27]

سابق ، و لا شرف باسق [1] ، و نعوذ باللّه من لزوم سوابق الشّقاء [2] و أحذّرك أن تكون متماديا في غرّة الأمنيّة مختلف العلانية و السّريرة [3] .

و قد دعوت إلى الحرب فدع النّاس جانبا و اخرج إليّ ، و أعف الفريقين من القتال ليعلم أيّنا المرين على قلبه و المغطّى على بصره [4] ، فأنا أبو

[1] بغير قدم سابق . . . : في الجهاد و معالي الأمور . و لا شرف باسق : عال .

[2] نعوذ باللّه من لزوم سوابق الشقاء : أي ما سبق في علمه تعالى من لزوم العبد الشقاء ، و بعده عن السعادة الأبدية .

[3] و أحذرك أن تكون متماديا . . . : تمادى في الأمر : مضى فيه بلا مبالاة . و الغرّة : الغفلة . و الأمنية : ما يتمناه الإنسان .

مختلف العلانية و السريرة : منافق تظهر غير ما تبطن .

[4] المرين على قلبه : ران على قلبه الذنب : قسا قلبه لإقتراف الذنب كَلاّ بَل رانَ عَلى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكسبُونَ 83 : 14 . و المغطّى على بصره : لا يبصر طريق النجاة خَتَمَ اللّه عَلى قُلُوبِهِم وَ عَلى سَمعِهِم وَ عَلى اَبصَارِهِم غِشَاوَةُ وَ لَهُم عَذَابُ عَظيمُ 2 : 7 .

[28]

حسن قاتل جدّك ، و خالك و أخيك شدخا [1] يوم بدر ، و ذلك السّيف معي ، و بذلك القلب ألقى عدوّي ما استبدلت دينا [2] ، و لا استحدثت نبيّا ، و إنّي لعلى المنهاج الّذي تركتموه طائعين و دخلتم فيه مكرهين [3] .

و زعمت أنّك جئت ثائرا بعثمان و لقد علمت

[1] قاتل جدك : عتبة بن ربيعة ، رئيس المشركين ببدر .

و خالك : الوليد بن عتبة . و أخيك : حنظلة بن أبي سفيان .

شدخا : كسرا .

[2] ما أستبدلت دنيا : تعريض بدين معاوية .

[3] و أني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين . . . : و يكفي في كفره قوله للمغيرة بن شعبة : و أن أخا بني هاشم يصاح به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول اللّه ، لا و اللّه إلاّ دفنا دفنا . و دخلتم فيه مكرهين : حقنا على دمائكم .

[29]

حيث وقع دم عثمان [1] فاطلبه من هناك إن كنت طالبا ، فكأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال [2] ، و كأنّي بجماعتك تدعوني جزعا من الضّرب المتتابع ،

و القضاء الواقع ، و مصارع بعد مصارع إلى كتاب اللّه [3] و هي كافرة جاحدة ، أو مبايعة

[1] و علمت حيث وقع دم عثمان : لا يخفى عليك أمر عثمان ،

و المؤلبين عليه ، و قتلته ، حتى أن طلحة كتب الى بعض الأمصار الإسلامية يستنهضهم على عثمان .

[2] عضتك . . . : لزمتك و أستمسكت بك . ضجيج الجمال بالأثقال : ضجرا و تبرّما منها .

[3] و كأني : بجماعتك تدعوني . . . : جزعا من الضرب المتتابع : عليكم . و القضاء الواقع : بقتلكم . و مصارع بعد مصارع : تتساقطون قتيلا بعد قتيل . الى كتاب اللّه : و هذا ما حصل بالضبط . قال أبن أبي الحديد : إما أن يكون فراسة نبوية صادقة ، و هذا عظيم ، و إما أن يكون عن غيب مفصّل ، و هو أعظم و أعجب ، و على كلا الأمرين فهو غاية العجب ، و قد رأيت له ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا . . . الخ .

[30]

حائدة [1] .

(11) و من وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف و سفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار [2] ، كيما يكون لكم ردءا و دونكم

[1] و هي كافرة جاحدة . . . : و هم الذين أسلموا حقنا لدمائهم ،

و جحدوا النصوص التي سمعوها من الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله في الإمام عليه السلام . أو مبايعة محايدة : حاد عن الأمر : مال و عدل عنه . و المراد : من بايعه منهم .

[2] في قبيل الاشراف . . . : الشرف : الموضع العالي يشرف على ما حوله . و سفح الجبل : عرضه و امتداده الى الأسفل .

أو اثناء الأنهار : ما انعطف منها .

[31]

مردّا [1] ، و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين [2] ، و اجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ، و مناكب الهضاب [3] ، لئلاّ يأتيكم العدوّ من مكان مخافة أو أمن [4] ، و اعلموا أنّ مقدّمة

[1] يكون لكم ردءا . . . : عونا . و دونكم مردّا : حاجزا بينكم و بينهم .

[2] و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين : ان توحّد جبهة الحرب أدعى للنصر و الظفر ، بينما القتال على عدة جبهات يضعف المقاتلين و يبهضهم .

[3] و اجعلوا لكم رقباء . . . جمع رقيب : الحارس ، و من يلاحظ أمرا ما . في صياصي الجبال : اعاليها . و المناكب :

المرتفعات . و الهضبات جمع هضبة : الجبل الممتد على وجه الأرض .

[4] من مكان مخافة أو أمن : أجعلوا الرقباء في الجهات التي تخافون ان يداهمكم العدو منها ، و الجهات التي تأمنونها أيضا لأنه ربما استغل العدو الجهة التي تأمنونها فهاجمكم منها .

[32]

القوم عيونهم ، و عيون ، المقدّمة طلائعهم [1] ،

و إيّاكم و التّفرّق [2] فإذا نزلتم فانزلوا جميعا ، و إذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا ، و إذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرّماح كفّة ، و لا تذوقوا النّوم إلاّ غرارا أو مضمضة [3] .

[1] ان مقدّمة القوم عيونهم . . . : المقدمة : قطعة من الجيش تتقدمه و عيونهم : أي الذين يرصدون العدو و يراقبون تحركاته . و عيون المقدمة طلائعهم : هي الفرق الاستطلاعية ، و مهمتها البحث عن العدو و نقاط ضعفه .

[2] و اياكم و التفرّق : حذرا من أن يصطلهم العدو .

[3] و اذا غشيكم الليل . . . : أظلم . فاجعلوا الرماح كفّة :

مستديرة حولكم . و لا تذوقوا النوم إلاّ غرارا و مضمضة :

الغرار : النوم القليل . و المضمضة من النوم : ان تنام قليلا ثم تستيقظ ، ثم تنام قليلا ، و هكذا ، تشبيها بمضمضة الماء في الفم . و المراد : قلة النوم . و هذه الوصية تدل على خبرة الإمام عليه السلام العسكرية و هي ما تعمله الدول حتى اليوم ، و لا تنس ما مرّ عليك ان عمر بن الخطاب استشار الامام عليه السلام أكثر من مرّة في قضايا عسكرية و عمل بمشورته ، و تكلم ابن خلدون في مقدمته عن الحروب و ما يتعلق بها فقال : و انظر وصية علي رضي اللَّه عنه ، و تحريضه لاصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب . و لم يكن أحدا أبصر بها منه . . . الخ .

(12) و من وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له

اتّق اللَّه الذي لا بدّ لك من لقائه ، و لا منتهى لك دونه [1] ، و لا تقاتلنّ إلاّ من قاتلك ، و سر

[1] اتق اللَّه . . . : اعمل بما أمرك به ، و تجنب ما نهاك عنه .

الذي لا بد لك من لقائه : لقاء ثوابه على الطاعة ، و عقابه على المعصية . و لا منتهى لك دونه : عليه ممرك ، و الى حكمه منتهى أمرك .

البردين و غوّر بالنّاس ، و رفّه في السّير [1] ، و لا تسر أوّل اللّيل فإنّ اللَّه جعله سكنا ، و قدّره مقاما لا ظعنا [2] ، فأرح فيه بدنك ، و روّح ظهرك [3] ،

فإذا وقفت حين ينبطح السّحر أو حين ينفجر الفجر [4] ، فسر على بركة اللَّه ، فإذا لقيت العدوّ فقف من أصحابك وسطا ، و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ، و لا تباعد منهم تباعد

[1] و سر البردين . . . : الغداة و العشي . و غوّر بالناس : انزل في الغائرة (القائلة) و هي نصف النهار ، عند اشتداد الحر .

و رفّه بالسير : خفف السرعة راحة للجنود و الدواب .

[2] جعله سكنا . . . : وقتا للراحة و زوال التعب . و قدّره : قضاه و أمر به . و ليس المراد تحريم السير فيه ، بل الغرض التنبيه على الاحسن . مقاما : موطن اقامة . و الظعن : الارتحال .

[3] روّح ظهرك : أرح دابتك .

[4] فإذا وقفت حين ينبطح السحر . . . : يتسع و يمتد (الوقت القريب من الفجر) أو حين ينفجر الفجر : ينشق .

من يهاب البأس [1] ، حتّى يأتيك أمري ، و لا يحملنّكم شنآنهم [2] على قتالهم قبل دعائهم و الاعذار إليهم .

(13) و من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه

و قد أمّرت عليكما و على من في حيّزكما [3]

[1] نشب الحرب بين القوم نشوبا : ثار . و البأس : الشدّة في الحرب قَالُوا نَحنُ أُولُوا قوَّةٍ وَ أُولُوا بَأسٍ شَديدٍ 27 :

33 .

[2] و لا يحملنكم شنآنهم . . . : بغضهم . قبل دعائهم : الى الطاعة . و الاعذار اليهم : بإقامة الحجّة التي تلزمهم الطاعة ، و ترك الظالمين .

[3] و على من في حيزكما : في كنفكما . و المراد : الجيش الذي كان معهما .

مالك بن الحارث الأشتر [1] فاسمعا له و أطيعا ،

و اجعلاه درعا و مجنّا [2] ، فإنّه ممّن لا يخاف وهنه ، و لا سقطته [3] ، و لا بطؤه عمّا الاسراع إليه أحزم ، و لا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل [4] .

[1] مالك بن الحارث الاشتر : الذي يقول فيه أمير المؤمنين عليه السلام : كان لي كما كنت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ،

و هو صاحب العهد الذي كتبه له لما ولاه مصر . اغتاله معاوية بالسم سنة 39 ه .

[2] و اجعلاه درعا و مجنّا : المجن : الترس . و المراد : انه ممن يحتمى به لايمانه و شجاعته و خبرته العسكرية .

[3] ممن لا يخاف وهنه . . . : ضعفه . و لا سقطته : خطؤه و زلله .

[4] امثل : أفضل .

(14) و من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لا تقاتلوهم حتّى يبدءوكم ، فإنّكم بحمد اللّه على حجّة ، و تركهم إيّاهم حتّى يبدءوكم حجّة أخرى لكم عليهم [1] ، فإذا كانت الهزيمة بإذن اللّه فلا تقتلوا مدبرا ، و لا تصيبوا معورا و لا تجهزوا على جريح ، و لا تهيجوا النّساء بأذى [2] ،

[1] على حجّة . . . : معكم الدليل و البرهان بأنكم على حق ،

و لو لم يكن لديكم إلاّ قول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله :

(علي مع الحق و الحق مع علي) و (حربك حربي ،

و سلمك سلمي) لكفى به حجة . و تركهم أياهم حتى يبدأوكم حجّة أخرى لكم عليهم : لبدئهم بالحرب ، فوجب الرد عليهم .

[2] فلا تقتلوا مدبرا . . . : موليا (مهزما) و لا تصيبوا معورا : هو الذي أمكن من نفسه عاجزا عن حمايتها . و لا تجهزوا على جريح : تسرعوا الى قتله . و لا تهيجوا النساء بأذى :

أهجت الشيء : اثرته . و المراد : الأمر برعايتهن و عدم الإضرار بهن .

[38]

و إن شتمن أعراضكم ، و سبين أمراءكم ، فإنّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول [1] ، إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ و إنّهنّ لمشركات و إن كان الرّجل ليتناول المرأة في الجاهليّة بالفهر أو الهراوة فيعيّر بها و عقبه [2] من بعده .

[1] ضعيفات القوى و الانفس و العقول : احتملوا منهن الشتم و الكلام النابي رعاية لضعفهن .

[2] بالفهر . . . : الحجر الذي يملأ الكف . أو الهراوة : العصا الضخمة . فيعيّر بها : ينسب الى العار ، و يقبّح عليه فعله . و عقبه : ولده الباقون بعده . و المراد : بقاء العار عليه و على ذريته .

[39]

(15) و كان عليه السلام يقول إذا لقى العدو محاربا

اللّهمّ إليك أفضت القلوب و مدّت الأعناق ، و شخصت الأبصار ، و نقلت الأقدام ،

و أنضيت الأبدان [1] .

اللّهمّ قد صرّح مكتوم الشّنآن ، و جاشت مراجل الأضغان [2] .

[1] أفضت القلوب . . . : اليك انتهت . و مدّت الأعناق : خضوعا لعزّتك . و شخصت الأبصار : فتحت الأعين و لم تطرف تأملا أو انزعاجا . و نقلت الأقدام : الى الجهاد . و انضيت الأبدان : هزلت .

[2] و صرّح عن الشيء كشف عنه و اظهره . و المكتوم :

المستور . و الشنآن : البغض . و جاشت القدر : غلت .

و مراجل جمع مرجل : القدر . و الاضغان : الاحقاد .

[40]

اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا ، و كثرة عدوّنا ، و تشتّت أهوائنا [1] رَبَّنَا افْتَح بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [2] .

(16) و كان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب

لا تشتدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة ، و لا جولة بعدها حملة [3] ، و أعطوا السّيوف حقوقها ، و وطّئوا

[1] تشتت . . . : تفرّق . أهوائنا : ما تميل اليه نفوسنا .

و المراد : الشكوى الى اللّه تعالى ممن جرّ الأمة الإسلامية الى النزاع و الاختلاف الذي تعانيه حتى اليوم ، و هو نقطة الضعف فيها .

[2] ربنا افتح بيننا : أحكم بيننا و بينهم .

[3] لا تشتد عليكم فرّة بعدها كرّة . . . : الشدّة : الأمر يصعب تحمله . و فرّ هرب .

و الكرة : الحملة في الحرب . و المراد : لا يصعب عليكم فرار تداركتموه بحملة . و هذا من أحسن ما يكلّم به قائد جنده ، و يدفع بهم الى الأمام . و لا جولة بعدها حملة : الجولة : هزيمة قريبة ليست بالممعنة . و حمل عليه في الحرب حملة : يعني من غير تراخ .

[41]

للجنوب مصارعها [1] و اذمروا أنفسكم على الطّعن الدّعسى ، و الضّرب الطّلحفي [2] ، و أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل [3] ، فو الّذي فلق الحبّة ، و برأ النّسمة ، ما أسلموا ، و لكن

[1] و اعطوا السيوف حقوقها . . . : من الضرب و الجدّية في القتال . و وطئوا : مهدوا . و جنب الإنسان : شقّه .

و صرعه : طرحه على الأرض . و المراد : توطين النفس على الشهادة لزيادة الأجر و الاستبسال في القتال .

[2] و اذمروا أنفسكم . . . : حضوها و شجّعوها . على الطعن الدعسي : دعسه دعسا : طعنه . و الضرب الطلحفي : الشديد .

[3] و اميتوا الأصوات . . . : لا تتكلموا . فانه أطرد للفشل : أبعد من الوهن .

[42]

استسلموا ، و أسرّوا الكفر ، فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه [1] .

(17) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ، جوابا عن كتاب منه إليه

فأمّا طلبك إليّ الشّام [2] ، فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس ، و أمّا قولك « إنّ

[1] فو الذي فلق الحبّة . . . : شقّها . و المراد : أحلف بالخلاّق الذي أخرج من حبّة يابسة غذاء الانسان و الحيوان و برأ : خلق . و النسمة : كل كائن حي . ما اسلموا و لكن استسلموا : انقادوا للإسلام خوفا على أنفسهم . و اسرّوا الكفر : ابطنوه . فلما وجدوا أعوانا عليه اظهروه : بشكل آخر . قال عمار بن ياسر رضوان اللّه عليه و قد نظر الى راية عمرو بن العاص : لقد قاتلت هذه الراية ثلاث مرّات مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و ما هذه المرّة بأبرّهن و لا اتقاهن .

[2] فأمّا طلبك اليّ الشام : تركها في يده .

[43]

الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت » [1] ألا و من أكله الحقّ فإلى الجنّة ، و من أكله الباطل فإلى النّار . و أمّا استواؤنا في الحرب و الرّجال [2] فلست بأمضى على الشّكّ منّي على اليقين ، و ليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة [3] . و أمّا قولك « إنّا بنو

[1] ان الحرب قد أكلت العرب . . . : أفنتهم . إلاّ حشاشات انفس بقيت : الحشاشة : بقية الروح في بدن المريض .

[2] استواؤنا في الحرب و الرجال : تساوي الجيشين في المعنوية و العدّة و العدد .

[3] فلست بأمضى على الشك مني على اليقين . . . : الشك :

حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الاثبات و النفي ، و يتوقف عن الحكم . و اليقين : العلم الذي لا شك فيه . و المراد :

انا على يقين من أمري ، و أنت مرتاب . و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة : فبقدر جشعكم على الدنيا ، و طلبكم لها ، رغبتنا فيما عند اللّه تعالى و نيل ثوابه .

[44]

عبد مناف » فكذلك نحن ، و لكن ليس أميّة كهاشم ، و لا حرب كعبد المطّلب ، و لا أبو سفيان كأبي طالب [1] ، و لا المهاجر كالطّليق ، و لا

[1] ليس أميّة كهاشم . . . : في المجد و الشرف ، فهو الذي سنّ لقريش رحلة الشتاء و الصيف ، و مطعم الحجيج

عمرو العلا هشم الثريد لقومه
و رجال مكة مسنتون عجاف

و لا حرب كعبد المطلب : قال معاوية لدغفل النسّابة :

أ رأيت عبد المطلب ؟ قال نعم ، قال : كيف رأيته ؟ قال :

رأيته رجلا نبيلا جميلا وضيئا ، كأن على وجهه نور النّبوة .

قال : ا فرأيت أميّة بن عبد شمس ؟ قال : نعم ، قال : كيف رأيته ؟ قال : رأيته رجلا ضئيلا منحنيا أعمى ، يقوده عبده ذكوان ، فقال معاوية : ذلك ابنه ابو عمرو ، قال : أنتم تقولون ذلك ، فأما قريش فلم تكن تعرف إلاّ انه عبده . و عبد المطلب صاحب زمزم ، و مطعم الحاج ، و هو الذي استجاب اللّه دعاءه على أصحاب الفيل ، و هو الذي تسميه قريش ابراهيم الثاني . و يصفه الجاحظ فيقول : لم يكن لعبد المطلب في قريش نظير ، كما انه ليس في العرب لقريش نظير ، و كما انه ليس في الناس للعرب نظير . و لا ابو سفيان كأبي طالب : فلو لم تكن لأبي طالب إلاّ محاماته و دفاعه عن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله لكفاه ذلك فخرا و مجدا ،

و لو لم يكن لأبي سفيان إلا عداوته و حربه لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لكفاه ذلك خزيا . .

[45]

الصّريح كاللّصيق ، و لا المحقّ كالمبطل ، و لا المؤمن كالمدغل [1] ، و لبئس الخلف خلفا

[1] و لا المهاجر كالطليق . . . : المهاجر : الذي ترك وطنه و لحق برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله . و الطليق : الأسير اذا أطلق سبيله . و الإمام عليه السلام يشير الى فتح مكة ، فقد كان المنتظر ان يقتص الرسول صلى اللّه عليه و آله منهم ، و لكنه عفى عنهم تكرّما ، و قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، و ابو سفيان و معاوية منهم . و لا الصريح كاللصيق : الصريح الصحيح النسب .

و اللصيق : الدعي الملصق بغير أبيه ، و هندام معاوية متهمة بالزنا ، و روى الطبري قصيدة لحسان بن ثابت يهجوها :

زعم الولائد انها ولدت
ولدا صغيرا كان من عهر

و ذكر له ابن أبي الحديد قوله في هجائها :

لمن سواقط ولدان مطرحة
باتت تفحص في بطحاء اجياد

باتت تمخض لم تشهد قوابلها

إلاّ الوحوش و الا جنّة الوادي

يظل يرجمه الصبيان منعفرا
و خاله و أبوه سيدا النادي

و لا المحق كالمبطل : و لا الذي على نهج الحق ، المتبع لشريعة السماء ، كالمتخّبط في الضلال . و لا المؤمن كالمدغل : الداغل : الذي يبغي أصحابه الشر ، يضمره لهم و يحسبونه يريد لهم الخير .

[46]

يتبع سلفا هوى في نار جهنّم [1] .

و في أيدينا بعد فضل النّبوّة الّتي أذللنا بها العزيز ، و نعشنا بها الذّليل [2] . و لمّا أدخل اللّه

[1] و لبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم : بئس :

فعل جامد للذم . و المراد : أهون بابن يتبع أباه و قد تبيّن له ضلاله و كفره ، فسقطا جميعا في جهنم .

[2] و في ايدينا بعد فضل النبوة . . . : و مضافا لما ذكرته من فضائلنا فلنا فضيلة النبوة التي لا يساويها فضل ، و لا يوازيها شرف . التي أذللنا بها العزيز : من جبابرة قريش و غيرها .

و نعشنا بها الذليل : انعش فلانا : نشطه و انهضه .

و المراد : ما وصل اليه المستضعفون من العلو و الشرف و الرفعة ببركة الإسلام .

[47]

العرب في دينه أفواجا ، و أسلمت له هذه الأمّة طوعا و كرها كنتم ممّن دخل في الدّين إمّا رغبة و إمّا رهبة [1] على حين فاز أهل السّبق بسبقهم ،

و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم [2] فلا تجعلنّ للشّيطان فيك نصيبا ، و لا على نفسك سبيلا [3] .

[1] كنتم ممن دخل في الإسلام أما رغبة . . . : طمعا في الغنائم . و إمّا رهبة : خوفا و فزعا من السيف .

[2] على حين فاز أهل السبق . . . : الذين سبقوا الى الإيمان و الإسلام وَ السَّابِقُون الأوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَ الأنصَارِ 9 : 100 . و ذهب المهاجرون الأولون بفضلهم : بفضيلة السبق و الهجرة و الجهاد .

[3] فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا . . . : النصيب : الحظ من كل شيء . و المراد : لا تمكّن الشيطان منك فيأخذ نصيبه منك فيسلبك عقلك . و لا على نفسك سبيلا : فيلزمك العتاب و الذم .

[48]

(18) و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن عباس ، و هو عامله على البصرة

اعلم أنّ البصرة مهبط إبليس و مغرس الفتن [1] فحادث أهلها بالإحسان إليهم ، و احلل عقدة الخوف عن قلوبهم [2] .

و قد بلغني تنمّرك لبني تميم و غلظتك

[1] مهبط ابليس . . . : محل نزوله . و مغرس الفتن : موضع غرسها .

[2] فحادث أهلها بالإحسان اليهم . . . : تعاهدهم به . و احلل عقدة الخوف عن قلوبهم : اضطراب نفوسهم لما لزمهم من مخالفة .

[49]

عليهم [1] ، و إنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلاّ طلع لهم آخر ، و إنّهم لم يسبقوا بوغم [2] في جاهليّة و لا إسلام ، و إنّ لهم بنا رحما ماسّة ،

و قرابة خاصّة [3] ، نحن مأجورون على صلتها ،

و مأزورون على قطيعتها [4] ، فاربع أبا العبّاس ،

[1] و قد بلغني نمرك . . . : تشبهك بالنمر . و المراد : توعده لهم ، و تنكره عليهم . لبني تميم : قبيلة عربية كبيرة لها مجد و شرف عريق . و غلظتك عليهم : قسوتك .

[2] لم يغب لهم نجم إلاّ طلع لهم آخر . . . : المراد بالنجم الرئيس و الزعيم ، فلا يموت منهم رئيس إلاّ اخلفه آخر يقوم مقامه في انتظام أمور القبيلة و رعايتها . و انهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية و لا إسلام : الوغم : التّرة . و المراد : لم يهدر لهم دم لبأسهم و شجاعتهم .

[3] و ان لهم بنا رحما ماسة ، و قرابة خاصة : و هي التقاء الهاشميين و التميميين بالياس بن مضر ، فهو الجد الأعلى للقبيلتين .

[4] مأزورون على قطيعتها : مأثومون .

[50]

رحمك اللّه فيما جرى على لسانك و يدك من خير و شرّ ، فإنّا شريكان في ذلك [1] ، و كن عند صالح ظنّي بك ، و لا يفيلنّ رأيي فيك [2] ، و السّلام .

(19) و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أمّا بعد ، فإنّ دهاقين [3] أهل بلدك شكوا منك غلظة و قسوة و احتقارا و جفوة ، و نظرت فلم

[1] فاربع . . . : قف و تثبّت . فما جرى على لسانك و يدك من خير و شر فانا شريكان في ذلك : السلطان شريك للولاة في أعمالهم ، فعليهم أن يحسنوا الإختيار . .

[2] و كن عند حسن ظني بك . . . : حقق ما كنت أظنه من الخير فيك . و لا يفيلن رأيي فيك : فال رأيه : أخطأ و ضعف .

[3] دهاقين جمع دهقان : أصحاب الأملاك و الضياع ، و ما نسميه اليوم بالإقطاع .

[51]

أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم [1] ، فالبس لهم جلبابا من اللّين تشوبه بطرف من الشّدّة و داول لهم بين القسوة و الرّأفة و امزج لهم بين التّقريب و الادناء [2] ، و الابعاد و الاقصاء ، إن شاء اللّه .

[1] فلم أرهم أهلا لأن يدنوا . . . : يقرّبوا و يوادّوا . لشركهم :

لأنهم مشركون . و لا أن يقصوا : يبعدوا . و يجفوا : يعرض عنهم و يقاطعوا . لعهدهم : لمعاهدتهم مع المسلمين .

[2] فالبس لهم جلبابا . . . : الثوب المشتمل على جميع الجسد . تشوبه : تخلطه . بطرف من الشدّة : حذرا من ان يفتقوا على المسلمين فتقا . و داول لهم : تارة هكذا و تارة هكذا و امزج لهم بين التقريب و الادناء : اسلك معهم مسلكا وسطا بين اللين و الشدّة .

[52]

(20) و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه

و هو خليفة عامله عبد اللَّه بن عباس على البصرة ، و عبد اللَّه عامل أمير المؤمنين [عليه السلام] يومئذ عليها و على كور [1] الأهواز و فارس و كرمان .

و إنّي أقسم باللَّه قسما صادقا لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين [2] شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظّهر ، ضئيل الأمر [3] ، و السّلام .

[1] كور جمع كورة : الناحية المضافة الى أعمال بلد من البلدان .

[2] فيء المسلمين : الخراج ، و الغنيمة تنال بلا قتال (واردات الدولة الإسلامية) .

[3] لاشدنّ عليك شدّة . . . : شدّ عليه في الحرب : حمل بقوّة . و المراد : تهديده بالأخذ و الاقصاء . تدعك قليل الوفر : قليل المال . و المراد : آخذ منك ما أخذته من أموال المسلمين . ثقيل الظهر : بالاوزار . ضئيل الأمر : حقيرا .

[53]

(21) و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا

فدع الإسراف مقتصدا ، و اذكر في اليوم غدا [1] ، و أمسك من المال بقدر ضرورتك ،

و قدّم الفضل ليوم حاجتك [2] .

[1] فدع الإسراف مقتصدا . . . : السرف : مجاوزة الحد .

و اقتصد : لم يسرف و لم يقتّر . و اذكر في اليوم غدا :

القيامة . و المراد : اذكر في تصرفك و انفاقك أنك محاسب على ذلك ، فاستعد و خذ حذرك .

[2] و امسك من المال بقدر ضرورتك . . . : و هذا نهي منه عليه السلام عن التكالب على الدنيا ، و جمع الأموال . . . :

و انفق الفضل ليوم حاجتك : انفق ما زاد عن حاجتك يكون ذخرا لك في يوم فاقتك .

[54]

أ ترجو أن يعطيك اللَّه أجر المتواضعين و أنت عنده من المتكبّرين [1] ؟ و تطمع و أنت متمرّغ في النّعيم تمنعه الضّعيف و الأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدّقين [2] ؟ و إنّما المرء مجزيّ بما أسلف و قادم على ما قدّم [3] ، و السّلام .

[1] أترجو أن يعطيك اللَّه أجر المتواضعين . . . الخ : انتقل من الوصية بالإنفاق الى الوصية بالتواضع ، و ترك الكبرياء لأن ذلك من شأن الولاة و الحاكمين . و المراد : ان اللَّه سبحانه لا يخدع عن جنته ، و لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، فيستحيل ان يسجلك من سجل المتواضعين ، و أنت في عداد المستكبرين .

[2] و تطمع و أنت متمرغ في النعيم . . . : تتقلب في الرفاه و الترف . تمنعه الضعيف : العاجز . و الأرملة : المتوفى عنها زوجها . ان يوجب لك ثواب المتصدقين : أن يجعلك في مصاف الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه .

[3] و انما المرء مجزي بما اسلف . . . بما قدّم من اعمال . و قادم على ما قدّم : من خير و شرّ فَمَن يَعمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه .

وَ مَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شرّاً يَرَهُ 99 : 8 .

[55]

(22) و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن العباس [1] رحمه اللّه

و كان ابن عباس يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول اللّه كانتفاعي بهذا الكلام .

أمّا بعد ، فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن

[1] ابن عبد المطلب ، ابن عم الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله ،

و ترجمان القرآن ، و حبر الامّة ، و جامع العلوم . روي عنه من تفسير القرآن الكريم أكثر مما روي عن غيره من الصحابة ، و له تفسير مطبوع متداول ، و كان يجلس في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، و يجتمع عليه طلاّب العلوم ، فحلقة للتفسير ،

و أخرى للحديث ، و ثالثة لأيام العرب و اشعارها ، و كان عمر بن الخطاب يرجع اليه فيما يشكل عليه من الفقه ، و يقول له غص يا غوّاص ، أي استخرج لنا جواب المسألة كما يستخرج الغوّاص اللئالىء من البحر اذا عرفت ذلك علمت أهمية هذا الكلام الذي وصفه بأنه لم ينتفع بكلام بعد كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كانتفاعه بهذا الكلام ، فهو على وجازته يجعلك مطمئنا إلى أن يأتيك ما قدّر لك من الرزق ، و ان ما زوي عنك فهو غير مقدّر لك ، و لو اجتمع أهل الدنيا معك على أن يأتوك به لم يستطيعوا ،

كما يعلمك بأن يكون اهتمامك للآخرة ، و العمل لها ، لان اللّه جلّ جلاله لم يتعهد لك بنعيمها إلاّ بالعمل الصالح .

[56]

ليفوته ، و يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه [1] ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، و ليكن أسفك على

[1] فان المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته . . . : فهو يفرح بأمر مقدّر له في علم اللّه تعالى ، و هو يصله و لو لم يطلبه ، و نحن رأينا اناسا حصلوا على ثروات طائلة بدون سعي و لا جهد ، و من طريق لم يحلم به ابدا . و يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه : انه يأسف و يحزن و يتألم على شيء لم يقدّر له . و المراد : لا داعي للفرح بأمر هو حاصل حتما ، و لا معنى للحزن على أمر لم يكن ليحصل و لو اجتمع له الانس و الجن .

[57]

ما فاتك منها [1] ، و ما نلت من دنياك فلا تكثر به

[1] فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . . . :

أنك تفرح إذا وفقت لأداء فريضة ، أو عمل مستحب تتقرّب به الى اللّه سبحانه ، لأن ذلك مدخرا لك ، ينفعك في يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون ، و يكون سببا لنجاتك من النار .

و ليكن أسفك على ما فاتك منها : يفوتك الحج و قد كان بإمكانك الذهاب فتأسف لذلك ، و تفوتك العمرة ، و زيارة الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و الأئمة عليهم السلام فتأسف لذلك ، و تفوتك أعمال البر الأخرى و كان يمكنك الأتيان بها فتأسف لذلك .

و هنا أمر يجب الانتباه له : أن الأسف على ترك أعمال الخير لا يجدي نفعا ، فالواجب على الإنسان المبادرة لعمل الخير ،

فمن حديث له صلى اللّه عليه و آله مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : يا علي بادر بأربع قبل أربع : شبابك قبل هرمك ، و صحتك قبل سقمك ، و غناك قبل فقرك ، و حياتك قبل موتك .

و يقول الإمام الباقر عليه السلام : « من همّ بشيء من الخير فليعجله ، فإن كل شيء فيه تأخير فان للشيطان فيه نظرة » .

و المراد : بادر بالعمل الصالح فما يدريك أنك ستتمكن منه في فرصة أخرى ، فقد يعوقك عائق فيكثر تأسفك على إضاعة الفرصة .

فرحا ، و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا [1] ،

[1] و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا . . . : ينبغي للعبد كما مرّ أن يفرح بالعمل الصالح لا بالدنيا ، أ لم تسمع كلام المؤمنين الذين وعظوا قارون و نصحوه بأن لا يفرح و لا يختال : إذ قَالَ لَهُ قَومُهُ لاَ تَفرَح إنَّ اللَّه لاَ يُحبُّ الفَرِحينَ .

و أبتَغِ فَيما آتاكَ اللَّه الدَّارَ الأخِرة 28 : 77 و مضافا لما في جمع الأموال من مخاطر أخروية يندر أن يسلم منها الإنسان ،

كذلك فيه مخاطر دنيوية أيضا سلم منها الفقراء ،

فالحكومة تنظر اليه و قد تستولي على أمواله ، كما رأينا الكثير من ذلك ، و اللصوص يترقبون غفلته للسرق و قد يقتلوه ،

و حتى أهله فدائما يترقبون موته ، و ربما قتله بعضهم كما حصل ذلك و هو أن سلم من ذلك كله فهو لا شك في يوم من الأيام يتركه و يذهب . و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا : لا تحزن على ما يفوتك من أمور الدنيا ، و تيّقن أن اللّه سبحانه فوّته عليك لمصلحتك الخاصة ، لعلمه سبحانه بما يصلح به عباده .

و ليكن همّك فيما بعد الموت [1] .

(23) و من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية ، لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

وصيّتي لكم أن لا تشركوا باللّه شيئا ، و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلا تضيّعوا سنّته [2] : أقيموا هذين العمودين ، و أوقدوا

[1] و ليكن همّك فيما بعد الموت : فرّغ فكرك و ذهنك لما تصير إليه ، و ما ينجيك في ذلك الموقف الذي يصفه جلّ جلاله : يَومَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَ لاَ بَنُونَ . إلاَّ مَن أتَى اللَّه بقَلبٍ سَليمٍ 26 : 89 .

[2] فلا تضيّعوا سنته : ما صدر عنه صلى اللّه عليه و آله من قول و فعل يلزم المسلمين أخذه ، و العمل به ، و إضاعتها : ترك العمل بها .

هذين المصباحين و خلاكم ذمّ [1] .

أنا بالأمس صاحبكم ، و اليوم عبرة لكم [2] ،

و غدا مفارقكم إن أبق فأنا وليّ دمي ، و إن أفن فالفناء ميعادي ، و إن أعف فالعفو لي قربة ، و هو لكم حسنة [3] ، فاعفوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّه لَكُمْ ؟ .

[1] أقيموا هذين العمودين . . . : العمود بالفتح : عمود البيت . و المراد : أن قوام الإسلام بالشهادة ، و العمل بالسنة . و خلاكم ذم : لا يلحقكم بعد هذا ذمّ .

[2] عبرة لكم : عظة .

[3] فأنا ولي دمي . . . : في العفو أو القصاص . و أن أفن فالفناء ميعادي : فنى الشيء فناء : باد و إنتهى وجوده . و أن أعف : عن قاتلي . فالعفو لي قربة : أتقرب بالعفو عن المسيء طلبا لمرضاة اللَّه تعالى . و هو لكم حسنة : تتقربون بها الى اللَّه سبحانه .

[61]

و اللَّه ما فجأني من الموت وارد كرهته ، و لا طالع أنكرته ، و ما كنت إلاّ كقارب ورد [1] ،

و طالب وجد وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ [2] . قال الرضي أقول : و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب ، إلا أن فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره .

[1] و اللَّه ما فجأني من الموت وارد كرهته : فجأه الأمر : بغته و لم يكن يتوقعه . أنكرته : خلاف عرفته . و ما كنت إلاّ كقارب ورد : القارب : الذي يسير الى الماء و قد بقي بينه و بينه ليلة واحدة . و الورد : الماء الذي يورد . و طالب وجد :

مطلوبه . و المراد : كان منتظرا متوقعا للموت ، راغبا في لقاء اللَّه تعالى و أحبائه الذين سبقوه .

[2] و ما عند اللَّه خير للأبرار : ما أعدّه لهم من الكرامة و النعيم خير مما يتقلب فيه الذين كفروا ، لأن ذلك زائل ، و ما عند اللَّه دائم لا يزول .

[62]

(24) و من وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين

هذا ما أمر به عبد اللَّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه اللَّه [1] ،

ليولجه به الجنّة و يعطيه به الأمنة [2] .

منها : و إنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ :

يأكل منه بالمعروف [3] ، و ينفق في المعروف ،

[1] إبتغاء وجه اللَّه : إبتغاء : طلب . و وجه اللَّه : طلب رضوانه .

[2] ليولجه به الجنة . . . : ليدخله فيها ، و ينعّمه بها . و يعطيه به الأمنة في يوم الخوف الأكبر . و ينبغي للمسلم أن يتأمل في هذا الأمر ، فإذا كان الإمام عليه السلام ينفق و يقدّم إبتغاء وجه اللَّه ، و ليولجه الجنة ، و يعطيه به الأمنة ، فيجب علينا المبادرة لذلك إقتداء به ، و إتباعا لنهجه .

[3] يأكل منه بالمعروف : المراد بذلك مراعاة الاقتصاد ، و عدم التبذير .

فإن حدث بحسن حدث و حسين حيّ قام بالأمر بعده ، و أصدره مصدره [1] .

و إنّ لبني فاطمة من صدقة عليّ مثل الّذي لبني عليّ [2] ، و إنّي إنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه اللَّه ، و قربة إلى رسول اللَّه ، و تكريما لحرمته ، و تشريفا لوصلته [3] .

و يشترط على الّذي يجعله إليه أن يترك المال

[1] فإن حدث بحسن حدث . . . : الموت . قام بالأمر بعده :

في التصرف . و أصدره مصدره : في كيفية الإنفاق ، غير متجاوز لما رسم له .

[2] و إن لبني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي : هم متساوون في الإستفادة و إن كانت الولاية بيد بني فاطمة عليها السلام .

[3] تكريما لحرمته . . . : الحرمة : ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك و المراد : جعلت الولاية للحسنين عليهما السلام لمكانهما من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله ، رعاية لحرمته ، و صلة لقرابته . قال ابن أبي الحديد : ثم بيّن لما ذا أخصهما بالولاية ؟

فقال : إنما فعلت ذلك لشرفهما برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله ، فتقربت الى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله بأن جعلت لسبطيه هذه الرياسة ، و في هذا رمز و إزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ، مع وجود من يصلح للأمر ، أي كان الأليق بالمسلمين و الأولى أن يجعلوا الرياسة بعده لأهله قربة الى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله ، و تكريما لحرمته ، و طاعة له ، و أنفة لقدره ، صلى اللَّه عليه و آله أن تكون ورثته سوقة ، يليهم الأجانب ، و من ليس من شجرته و أصله ، ألا ترى أن هيبة الرسالة و النبوة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان و الحاكم في الخلق من بيت النبوة ،

و ليس يوجد مثل هذه الهيبة و الجلال في نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام . و تشريفا لوصلته : تعظيما لقرابته و صلته .

على أصوله ، و ينفق من ثمره حيث أمر به و هدي له [1] ، و أن لا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى و ديّة حتّى تشكل أرضها غراسا .

[1] و يشترط على الذي يجعله اليه . . . : المتولّي على الأرض .

أن يترك المال على أصوله : لا يبيعه ، و لا يقلع من أشجاره .

و ينفق من ثمره : فقط . بموجب ما أمر به من الإقتصاد . و هدى له : بيّنه و أرشده له .

و من كان من إمائي اللاّتي أطوف عليهنّ لها ولد أو هي حامل فتمسك على ولدها و هي من حظّه [1] ، فإن مات ولدها و هي حيّة فهي عتيقة :

قد أفرج عنها الرّقّ ، و حرّرها العتق [2] . قال الرضي : قوله عليه السلام في هذه الوصية « أن لا يبيع من نخيلها و دية » : الودية :

الفسيلة ، و جمعها ودى ، و قوله عليه السلام

[1] إمائي . . . : اللاتي أملكهن (السراري) أطوف عليهن :

أغشاهن . و المراد به النكاح . تمسك على ولدها : تقوّم عليه . و إذا بيعت عليه عتقت ، لأن الولد إذا إشترى الوالد عتق الوالد . و هي من حظه : من ميراثه .

[2] فإن مات ولدها و هي حيّة فهي عتيقة . . . : لا تباع ، لأنها تحررت . قد أفرج عنها الرق : العبودية . و حررها العتق :

صارت حرّة .

« حتى تشكل أرضها غراسا » هو من أفصح الكلام ، و المراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها .

(25) و من وصية له عليه السلام .

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات [1]

و إنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه كان يقيم عماد الحق ، و يشرع أمثلة العدل [2] : في صغير الأمور و كبيرها ، و دقيقها و جليلها [3] .

[1] يستعمله على الصدقات : جباية واردات الدولة .

[2] يقيم عماد الحق . . . : العماد : خشبة تقام عليها الخيمة .

و المراد : يرفع لواء الحق ، و ينهج نهجه ، و يدعو الى العمل به . و يشرع أمثلة العدل : يشيد صروح العدالة الاجتماعية .

[3] دقيقها . . . : الأمر الغامض . و جليلها : عظيمها .

انطلق على تقوى اللَّه وحده لا شريك له ، و لا تروّعنّ مسلما و لا تجتازنّ عليه كارها ، و لا تأخذنّ منه أكثر من حقّ اللَّه في ماله [1] ، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم ، من غير أن تخالط أبياتهم [2] ،

ثمّ امض إليهم بالسّكينة و الوقار حتّى تقوم بينهم

[1] أنطلق . . . : أذهب . على تقوى اللَّه : لتكن في ذهابك و جبايتك ملازما للتقوى ، عاملا بما أمرك به ربّك ، منتهيا عما نهاك عنه . و لا تروعن مسلما : لا تفزعن و لا ترعبن مسلما . و لا تجتازن عليه كارها : و لا تسلك و تمرّ عليه و هو كاره لمرورك . و لا تأخذن منه أكثر من حق اللَّه في ماله : لا تتجاوز النصاب الذي فرضه اللَّه سبحانه .

[2] فأنزل بمائهم . . . : الذي يستقون منه . من غير أن تخالط أبياتهم : كأن نزوله في نفس الحي يعتبر من سوء الأدب ،

و قد يستوجب إدخال رعب عليهم ، و إطلاع على بعض أحوالهم التي لا يرغبون بالإطلاع عليها من فقر أو غنى أو غير ذلك .

فتسلّم عليهم ، و لا تخدج بالتّحيّة لهم [1] ثمّ تقول :

عباد اللَّه ، أرسلني إليكم وليّ اللَّه و خليفته لآخذ منكم حقّ اللَّه في أموالكم [2] ، فهل للَّه في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه ؟ فإن قال قائل : لا فلا تراجعه و إن أنعم لك منعم [3] فانطلق معه من غير أن تخيفه و توعده ، أو تعسفه ، أو ترهقه [4] فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة ، فإن كان له ماشية أو

[1] أمضي اليهم بالسكينة . . . : الرزانة و الوقار . و لا تخدج بالتحية لهم : تنقصها . و المراد : لا تسلّم عليهم سلام المتكبرين .

[2] أرسلني اليكم ولي اللَّه . . . : القائم بأمره . و خليفته :

الحاكم بأمره يَا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض 38 :

26 . لآخذ منكم حق اللَّه في أموالكم : من زكاة و غيرها .

[3] فإن قال قائل لا فلا تراجعه . . . : فلا تعاوده في الكلام . و أن أنعم لك منعم : قال : نعم ، عندي زكاة .

[4] توعده . . . : تهدده . أو تعسفه : أخذه بالعنف و القوّة و ظلمه . أو ترهقه : تحمله على ما لا يطيق .

إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه ، فإنّ أكثرها له [1] ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلّط عليه و لا عنيف به ، و لا تنفّرنّ بهيمة و لا تفز عنّها ، و لا تسوءنّ صاحبها فيها [2] و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره [3] : فإذا اختار فلا تعرّضنّ لما اختاره . فلا تزال كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللَّه في ماله ،

فاقبض حقّ اللَّه منه ، فإن استقالك فأقله [4] ، ثمّ اخلطهما ، ثمّ اصنع مثل الّذي صنعت أوّلا حتّى تأخذ حقّ اللَّه في ماله . و لا تأخذنّ عودا و لا

[1] فأن أكثرها له . . . : فهو أولى بالتصرف بها .

[2] و لا تنفرن بهيمة : تفزعها .

و لا تسوءن صاحبها فيها : تفعل ما يكرهه .

[3] و أصدع المال صدعين : أقسمه قسمين . و المراد : تتدرج بالتقسيم حتى يبقى النصاب الشرعي فتأخذه .

[4] فان استقالك . . . : طلب منك أن تقيله . فأقله : وافقه على نقض القسمة .

هرمة ، و لا مكسورة ، و لا مهلوسة ، و لا ذات عوار [1] ، و لا تأمننّ عليها إلاّ من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتّى يوصّله إلى وليّهم فيقسمه بينهم ، و لا توكّل بها إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا ، غير معنّف و لا مجحف و لا ملغب [2] و لا متعب ، ثمّ احدر إلينا ما اجتمع عندك [3] ، نصيّره حيث أمر اللَّه ، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة و بين فصيلها و لا يمصّر لبنها فيضرّ ذلك بولدها و لا يجهدنّها ركوبا ، و ليعدل بين

[1] و لا تأخذن عودا . . . : المسن من الأبل . و لا هرمة : كبيرة ضعيفة . و لا مهلوسة : ضعيفة . و لا ذات عوار : ذات عيب . و الظاهر ان عدم أخذ المذكورات في الزكاة لكونها معرّضة للتلف ، فيحصل التفريط بأموال الفقراء .

[2] غير معنف . . . : هو الأخذ بشدّة و قسوة . و لا مجحف :

بتكليف ما لا يطاق . و لا ملغب : منصب للدابة و متعبها .

[3] ثم أحدر إلينا ما إجتمع عندك : أرسله إلينا .

صواحباتها [1] في ذلك و بينها ، و ليرفّه على اللاّغب ،

و ليستأن بالنّقب و الظّالع ، و ليوردها ما تمرّ به من الغدر و لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق ، و ليروّحها في السّاعات ، و ليمهلها عند النّطاف [2] و الأعشاب ، حتّى تأتينا ، بإذن اللّه ،

[1] أوعز إليه . . . : أ أمره . ألا يحول بين ناقة و فصيلها :

الفصيل : ولد الناقة . و المراد : لا يمنعه من الرضاع . و لا يمصر لبنها : لا يكثر من أخذ لبنها . فيضر ذلك بوليدها : لم يبق له ما يتغذى به . و لا يجهدنها ركوبا : و لا يتعبها بالركوب . و ليعدل بين صواحباتها : يتناوب عليهن في الركوب .

[2] و ليرفّه على اللاغب . . . : التعب المعيي . و ليستأن بالنقب : المتخرّق خفّه . و الضالع : من به عرج و غمز في مشيه . و ليوردها : يمهلها تشرب من المياه التي تمر بها . و لا يعدل : و لا يميل . و جواد جمع جادة : وسط الطريق و معظمه الذي يجمع الطرق و المراد : لا تسر بها في الطرق المعبّدة تتوخى راحتك متباعدا بها عن الكلإ و العشب . و ليروحها في الساعات :

اراح الابل و غيرها : ردّها الى المراح . و النطاف : المياه القليلة .

(26) و من عهد له عليه السلام إلى بعض عماله ، و قد بعثه على الصدقة

آمره بتقوى اللّه في سرائر أمره و خفيّات عمله ، حيث لا شاهد غيره ، و لا وكيل دونه [3] .

[1] بدنا منقيات : البدن : السمان . و منقيات : ذوات نقى و هو المخ في العظم و الشحم في العين من السمن .

[2] رشدك : صلاحك و اصابتك الحق .

[3] امره بتقوى اللّه في سرائر أمره . . . : جمع سريرة : ما يكتمه المرء في نفسه . و خفيات عمله : ما استتر منها . حيث لا شهيد غيره :

يشهدها و يعلمها . و المراد : التزم بتقوى اللّه في اعمالك الخفية التي لا يعلم بها غيره . و لا وكيل دونه : الوكيل : الذي يسعى في عمل غيره ، و ينوب عنه فيه . و المراد : انك لا تحتجب عنه بوكيل و شبهه .

و آمره أن لا يعمل بشيء من طاعة اللّه فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ [1] و من لم يختلف سرّه و علانيته ، و فعله و مقالته ، فقد أدّى الأمانة ،

و أخلص العبادة [2] .

و آمره أن لا يجبههم و لا يعضههم ، و لا يرغب

[1] و آمره ان لا يعمل بشيء من طاعة اللّه فيما ظهر ، فيخالف الى غيره فيما أسرّ : المفروض بالمسلم أن يكون باطنه أفضل من ظاهره ،

و خفيّات أعماله خير من ظواهرها .

[2] و من لم يختلف بسرّه و علانيته . . . : تتساوى سريرته و علانيته .

و فعله و مقالته : مطابقة القول للعمل . فقد أدى الامانة : فمن كانت هذه صفاته فهو خليق بأداء الامانة . و اخلص العبادة :

و كانت عبادته خالصة من الرياء و العجب و غير ذلك مما يدنّس العمل و يبطله .

[74]

عنهم تفضّلا بالامارة عليهم ، فإنّهم الإخوان في الدّين ، و الأعوان على استخراج الحقوق [1] .

و إنّ لك في هذه الصّدقة نصيبا مفروضا ،

و حقّا معلوما ، و شركاء أهل مسكنة ، و ضعفاء ذوي فاقة [2] ، و إنّا موفّوك حقّك [3] فوفّهم حقوقهم

[1] ان لا يجبههم . . . : لا يزجرهم . و لا يعظهم : و لا يرميهم بالبهتان و الكذب . و لا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم : لا يزهد فيهم ، أو يتكبّر عليهم . فانهم الاخوان في الدين : وجب لهم حقّ الاخوّة الذي أكده الاسلام . و الأعوان على استخراج الحقوق : هم الطرف القوي الذي بيده الأمر ، فيجب عليه مراعاتهم و م (سايرتهم ، و ان لا ينفرهم .

[2] و ان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا . . . : هو السهم الذي أشارت إليه الآية : إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَ المَسَاكِينِ وَ العَامِلِينَ عَلَيهَا وَ المؤَلَّفَةِ قُلُبُهُم وَ فِي الرِّقَابِ وَ الغَارِمِينَ وَ فِي سبِيلِ اللَّهِ وَ ابنِ السَّبِيل فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّه عَلِيمٌ حَكِيمُ 9 : 60 . و شركاء أهل مسكنة : فقر و ضعف . و ضعفاء ذوي فاقة : فقراء محتاجين .

[3] و أنا موفوك حقّك : معطيك حقّك وافيا تامّا

[75]

و إلاّ فإنّك من أكثر النّاس خصوما يوم القيامة ،

و بؤسا لمن خصمه عند اللَّه الفقراء ، و المساكين و السّائلون ، و المدفوعون ، و الغارم ، و ابن السّبيل [1] و من استهان بالأمانة ، و رتع في

[1] و ألا تفعل فأنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامة . . . :

الخصم : الشديد الخصومة و المراد : أن خيانة أموال الفقراء تكثر خصماء الإنسان في يوم القيامة و بؤسا : بئس الرجل يبأس : إشتدّت حاجته . و المراد بذلك في الآخرة .

لمن خصمه عند اللَّه الفقراء و المساكين . . . : و هم الذين أسوأ حالا من الفقراء . و السائلون : العبيد الذين كاتبوا أسيادهم و يتعذّر عليهم الأداء ، و هم الذين عبّرت عنه الآية و في الرقاب و المدفوعون : هم فقراء الغزاة أو الحجّاج المنقطع بهم . و المدفوعون : هم الفقراء ، لأن الكل يكرهونهم و يدفعونهم عنهم ، و الغارم : المدين في غير معصية و يعجز من تسديد ديونه . و ابن السبيل : هو المسافر الذي لا يجد ما ينفقه في سفره و ان كان غنيّا في بلده .

[76]

الخيانة [1] ، و لم ينزّه نفسه و دينه عنها ، فقد أحلّ بنفسه في الدّنيا الذّلّ و الخزى [2] و هو في الآخرة أذلّ و أخزى ، و إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة ، و أفظع الغشّ غشّ الأئمّة [3] ، و السّلام .

[1] و من إستهان بالأمانة . . . : استخف بها . و رتع في الخيانة :

رتعت الماشية : رعت كيف شاءت .

[2] الخزي : الذل و الهوان .

[3] و إن أعظم الخيانة خيانة الأمة ، و أعظم الغش غش الأئمة : لما كانت خيانة المسلم باليسير قبيحة ، و جالبة للأنسان سخط اللّه تعالى ، فأن خيانة الأمّة أقبح ، و سخط اللّه تعالى عليه أعظم ، كما أن غش أدنى الناس مستوجب للعقاب ، فغش إمام المسلمين و قائدهم أعظم جرما ، و أكثر عقابا .

(27) و من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ، رضي اللّه عنه حين قلده مصر [1]

فاخفض لهم جناحك ، و ألن لهم جانبك ،

و ابسط لهم وجهك ، و آس بينهم في اللّحظة و النّظرة [2] ، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك

[1] ابن أبي قحافة . . . : كان متحققا في ولاء أمير المؤمنين عليه السلام ، و من أعظم جنوده و أنصاره ، و فيه يقول الإمام عليه السلام : محمد إبني لكن من صلب أبي بكر . شهد معه الجمل ، و أرسله الإمام عليه السلام بعد الواقعة يتفقد عائشة خوفا من أن يكون أصابها شيء من السهام . قلّده الأمر :

فوّضه إليه .

[2] فاخفض لهم جناحك . . . : بالغ في التواضع و الخضوع لهم . و ألن لهم جانبك : لاينه : لاطفه . و جنب الإنسان :

ما تحت أبطه الى الكشح ، و يقال : فلان ليّن الجانب : أي سهل القرب . و المراد : الأمر بالتواضع و ترك الزهو و الإستعلاء على الرعيّة . و آس بينهم في اللحظة و النظرة :

أجعلهم أسوة من دون تفضيل بعضهم على بعض حتى في الأمور البسيطة .

لهم ، و لا ييأس الضّعفاء من عدلك عليهم [1] ،

فإنّ اللّه تعالى يسائلكم معشر عباده [2] عن الصّغيرة

[1] حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم . . . : حاف عليه حيفا : جار و ظلم . و الأب فضّل بعض أولاده على بعض في العطاء . و المراد : أنك إذا آسيت بينهم في اللحظة و النظرة سوف لا يستغلك الوجوه فيظلموا بك الطبقة الفقيرة ؟ و لا ييأس الفقراء من عدلك بهم : لأن بإنشغالك بالعظماء تخيّب آمال الفقراء فيك ، و تجعلهم آيسين من أن يدركوا بك حقا ،

أو يحققوا مكسبا .

[2] فإن اللّه سبحانه يسائلكم معشر عباده . . الخ : أن اللّه يحصي على عباده جميع أعمالهم فيحاسبهم عليها ، و يجزيهم على الإحسان إحسانا ، و بالسيئات هوانا وَ مَا تكُون فِي شَأنٍ وَ مَا تَتلُو مِنه من قُرآنٍ وَ لاَ تَعمَلُون مِن عَمَلٍ إلاّ كُنَا عَلَيكُم شُهُوداً إذ تُفِيضُون فِيه وَ مَا يَعزُبُ عَن ربّكَ مِن مِثقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأرضِ وَ لاَ فِي السَّمَاءِ وَ لاَ أصغَرَ مِن ذَلِكَ وَ لاَ أكبَرَ إلاّ فِي كَتابٍ مُبِينٍ 10 : 61 .

من أعمالكم و الكبيرة ، و الظّاهرة و المستورة : فإن يعذّب فأنتم أظلم ، و إن يعف فهو أكرم .

و اعلموا ، عباد اللّه ، أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا و آجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، و لم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم [1] : سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت ،

و أكلوها بأفضل ما أكلت [2] ، فحظوا من الدّنيا بما

[1] إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا . . . : حصّلوا فيها ما قسم لهم منها . و آجل الآخرة : و أيضا حصلوا على الآخرة .

فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم : لم تنقصهم التقوى شيئا منها . و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم : بل هي مقفلة لهم ، و نعيمها مخصوص بهم .

[2] و أكلوها بأفضل ما أكلت : تنعموا بها أكثر مما تنعم بها الآخرون ، من مأكل و مشرب و ملبس ، و غير ذلك ، لأن الجبابرة و المتكبرين كان شبح الجريمة يخيفهم ، و لقمة الفقير التي سرقوها تنغّص عيشهم .

حظي به المترفون [1] و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون ، ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ ، و المتجر الرّابح : أصابوا لذّة زهد الدّنيا في دنياهم ، و تيقّنوا أنّهم جيران اللّه غدا في آخرتهم [2] ، لا تردّ لهم دعوة ، و لا ينقص لهم نصيب من لذّة [3] ، فاحذروا عباد اللّه الموت

[1] فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون . . الخ : من الإلتذاذ بها ، و التمتع بخيراتها . ثم إنقلبوا عنها بالزاد المبلغ : إنصرفوا عنها متزودين بما يوصلهم الجنة و نعيمها .

و المتجر الرابح : بالتجارة الرابحة .

[2] أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم . . . : و هي أعظم من اللذات التي يبتهج بها أهل الدنيا . و المراد : فمضافا الى مشاركتهم أهل الدنيا في دنياهم ، و حصولهم على الآخرة ،

تنعموا بلذة الزهد . و تيقنوا أنهم جيران اللّه في آخرتهم :

جاوروا أنبياءه و أولياءه .

[3] لا ترد لهم دعوة . . . : دعاؤهم مستجاب . و لا ينقص لهم نصيب من لذة : مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجرِي مِن تَحتَها الأنهَارُ أُكُلُها دَائمُ و ظلُّها تِلكَ عُقبىَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَ عُقبَى الكَافِرين النَّار 13 : 35 .

و قربه ، و أعدّوا له عدّته ، فإنّه يأتي بأمر عظيم ،

و خطب جليل [1] : بخير لا يكون معه شرّ أبدا ،

أو شرّ لا يكون معه خير أبدا [2] فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها ، و من أقرب إلى النّار من عاملها [3] ؟ و أنتم طرداء الموت : إن أقمتم له

[1] فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه . . . : تيقظوا و استعدوا له .

و أعدوا له عدته : من الأعمال الصالحة . فأنه يأتي بأمر عظيم : فوق ما يتصوّر ، و ما يأتي بعده أعظم منه . و خطب جليل : يعظم وصفه .

[2] بخير لا يكون بعده شرّ أبدا . . . : الجنة و نعيمها . و شر لا يكون معه خير أبدا : النار و أصفادها .

[3] فمن أقرب الى الجنة من عاملها . . . : هي قريبة جدا من أهل الإيمان و العمل الصالح ، و ليس بينهم و بينها سوى الموت . و من أقرب الى النار من عاملها : و هي أيضا قريبة جدا من أهل الفسوق و العصيان فليس بينهم و بينها سوى الموت .

[82]

أخذكم ، و إن فررتم منه أدرككم ، و هو ألزم لكم من ظلّكم [1] الموت معقود بنواصيكم و الدّنيا تطوى من خلفكم [2] ، فاحذروا نارا قعرها بعيد ،

و حرّها شديد ، و عذابها جديد [3] : دار ليس

[1] و أنتم طرداء الموت . . . : الطريدة : ما طردته من صيد و غيره . و المراد : أن الموت يسعى نحوكم . إن أقمتم له أخذكم ، و إن فررتم منه أدرككم : لا مهرب منه و لا منجى و لا معتصم . و هو ألزم لكم من ظلكم : الظل : الفيء الحاجز بينك و بين الشمس . و المراد : إن ملازمة الموت لكم أشد من ملازمة ظلكم لكم .

[2] الموت معقود بنواصيكم . . . : مشدود بالشعر الذي في مقدّم رأسكم . و المراد : ملازم لكم ، لا ينفك عنكم . و الدنيا تطوى من خلفكم : تقطعونها شيئا فشيئا ، تشبيها بالبساط الذي يلف و يطوى .

[3] فاحذروا نارا . . . : أخوفكم منها . قعرها : منتهى عمقها .

و حرّها شديد : و يكفي تصوّرا لشدّتها إن الخلاق القادر أعدّها لمن غضب عليهم و عذابها جديد : يتجدد عليهم آنا بعد آن كُلَّما نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلنَاهُم جُلُوداً غَيرهَا 4 :

. 56

[83]

فيها رحمة ، و لا تسمع فيها دعوة ، و لا تفرّج فيها كربة [1] ، و إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللَّه ،

و أن يحسن ظنّكم به ، فاجمعوا بينهما ، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه ، و إنّ أحسن النّاس ظنّا باللَّه أشدّهم خوفا للَّه [2] .

[1] دار ليس فيها رحمة . . . : لانها أعدت للأشقياء . و لا تسمع فيها دعوة : رَبَّنا أخرِجنَا مِنهَا فَانَ عُدنا فإنَّا ظَالِمونَ .

قَالَ اخْسَئوا فِيها وَ لاَ تُكَلِّمُونِ 23 : 108 . و لا تفرج فيها كربة : لاَ يُفَتَّرُ عَنهُم و هُم فِيهِ مُبلِسُون 43 : 75 .

[2] و إن استطعتم أن يشتد خوفكم من اللَّه و أن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما . . . : أمرنا الأئمة عليهم السلام أن نجمع بين الخوف و الرجاء على حد سواء ، و إلى هذا المعنى يشير لقمان الحكيم بوصيته لولده : يا بني خف اللَّه خوفا لو أتيت يوم القيامة ببر الثقلين أن يعذّبك ، و أرج اللَّه رجاء لو وافيت يوم القيامة بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك فقال له إبنه :

يا أبه و كيف أطيق هذا و إنما لي قلب واحد ؟

فقال : يا بني لو إستخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران : نور للخوف ، و نور للرجاء لو وزنا ما رجح أحدهما على الآخر مثقال ذرة . و إن أحسن الناس ظنا باللَّه أشدهم خوفا للَّه : إن حسن الظن باللَّه تعالى يستدعي الخوف و الحذر و ملازمة العمل الصالح ، و إن ما يدعيه الجاهلون من حسن الظن مع ترك الواجب ، و عمل المحرّم ، هو من دعاوى الشيطان و وساوسه .

[84]

و اعلم ، يا محمّد بن أبي بكر ، أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي : أهل مصر ،

فأنت محقوق أن تخالف على نفسك ، و أن تنافح عن دينك ، و لو لم يكن لك إلاّ ساعة من الدّهر [1] ، و لا تسخط اللَّه برضا أحد من خلقه ،

[1] فأنت محقوق أن تخالف على نفسك . . . : أنت خليق و جدير بمخالفة نفسك ، و تكبح جماحها . و أن تنافح عن دينك : تدافع عنه . و لو لم يكن إلاّ ساعة من الدهر : لو لم يبق لك من العمر إلاّ ساعة واحدة لزمك أن تقضيها في ذلك ، لتكون لك مدّخرة عند اللَّه تعالى .

[85]

فإنّ في اللَّه خلفا من غيره ، و ليس من اللَّه خلف في غيره [1] .

صلّ الصّلاة لوقتها المؤقّت لها ، و لا تعجّل وقتها لفراغ ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال [2] ،

و اعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك [3] .

[1] و لا تسخط اللَّه برضا أحد من خلقه . . . : الحذر من عمل يكسبك رضاء الناس ، و تستوجب به غضب اللَّه تعالى ، و هو أعظم ما نعانيه اليوم ، فطالما ركض المسلم خلف الطغاة مصانعا لهم ، علما منه بما يستوجبه من مقت اللَّه تعالى و غضبه . فإن من اللَّه خلفا : عوضا و بدلا . و المراد : به تستغني عن عباده ، و به تستكفي من خلقه . و ليس من اللَّه خلف في غيره : فليس أحد مهما عظمت منزلته يمكنك أن تستكفي و تستغني به عن اللَّه تعالى ، فهب أنه كفاك أمر الدنيا فمن يكفيك أمر الآخرة .

[2] و لا تعجل وقتها لفراغ . . . : لأن دخول الوقت شرط في صحة الصلاة ، فلا تصح بتقديمها عليه . و لا تؤخرها عن وقتها لإشتغال : بل هي المقدّمة على جميع الأشغال و الأعمال .

[3] و إعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك : تأكيد للحديث الشريف : (أن قبلت قبل ما سواها ، و إن ردّت ردّ ما سواها) .

[86]

و منه : فإنّه لا سواء : إمام الهدى ، و إمام الرّدى [1] ، و وليّ النّبيّ ، و عدوّ النّبيّ . و لقد قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله : « إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمنا و لا مشركا : أمّا المؤمن فيمنعه اللَّه بإيمانه ، و أمّا المشرك فيقمعه [2] اللَّه بشركه و لكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان عالم اللّسان : يقول ما تعرفون ، و يفعل ما تنكرون » [3] .

[1] لا سواء إمام الهدى و إمام الردى : السواء : المثل و النظير .

و الهدى : الرشاد . و الردى : الهلاك . و المراد : لا يستوي إمام يقود شعبه إلى الجنة ، و إمام يقود شعبه إلى النار .

[2] القمع : القهر و الإذلال .

[3] أخاف عليكم كل منافق الجنان . . . : القلب . عالم اللسان : يعرف كيف يوجّه كلامه ، و يخفي أهدافه و سمومه ،

فهناك يكمن الخطر العظيم ، لأن مثل هذا المنافق يعرف كيف يكيد الأمّة ، و يتلاعب بالشريعة ، مستغفلا المسلمين .

يقول ما تعرفون : من الحق حتى تحسبوه منكم . و يفعل ما تنكرون : لأنه غير متقيّد بتعاليم الإسلام إِنَّ المُنَافِقِين يُخَادِعونَ اللَّه وَ هُوَ خَادِعُهُم وَ إِذَا قَامُوا إلى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُراءون النَّاسَ وَ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّه إلاّ قَليلاً 4 :

. 142

[87]

(28) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا

و هو من محاسن الكتب أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء اللّه محمّدا صلى اللّه عليه و آله [1] لدينه ، و تأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه ، فلقد خبأ لنا [2] الدّهر

[1] إصطفاه : إختاره .

[2] خبّأ . . . : ستر . إذ طفقت تخبرنا ببلاء اللّه عندنا : طفق يفعل الشيء : جعل ، أو إستمر يفعله . و البلاء : النعمة و الإحسان . و نعمته علينا في نبيّنا : صرت تخبرنا بمواهب اللّه علينا بالرسول و الرسالة ، و هذا الكلام من معاونه من أعجب العجب ، حتى قال أبن أبي الحديد : موضع التعجب أن معاوية يخبر عليا عليه السلام بإصطفاء اللّه محمدا و تشريفه له ، و تأييده له ، و هذا ظريف لأنه يجري كأخبار زيد عمرا عن حال عمرو ، إذ كان النبي صلى اللّه عليه و آله و علي عليه السلام كالشيء الواحد .

[88]

منك عجبا إذ طفقت تخبرنا ببلاء اللّه تعالى عندنا ، و نعمته علينا في نبيّنا ، فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هجر أو داعي مسدّده إلى النّضال [1] ، و زعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان و فلان فذكرت أمرا إن تمّ

[1] فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر . . . : مدينة باليمن معروفة بكثرة النخيل . أو داعي مسدده : معلّمه . إلى النضال : المراماة ، بينما كان المفروض أن يدعوه معلمه ليرى مدى حذقه و مهارته .

[89]

اعتزلك كلّه و إن نقص لم يلحقك ثلمه [1] ، و ما أنت و الفاضل و المفضول ، و السّائس و المسوس ،

و ما للطّلقاء و أبناء الطّلقاء ، و التّمييز بين المهاجرين الأوّلين ، و ترتيب درجاتهم [2] ،

و تعريف طبقاتهم ؟ هيهات لقد حنّ قدح ليس منها و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها [3] ، ألا

[1] إن تمّ إعتز لك كله . . . : لا يلحقك منه شرف ، لأنهما من غير أسرتك . و إن نقص لم تلحقك ثلمته : و إن كان خلاف ذلك لم يصبك عيبهما ، و نقصان فضلهما .

[2] و ما أنت و الفاضل . . . : صاحب الفضيلة و الدرجة الرفيعة .

و المفضول : الذي هو دونه في الفضل و المنزلة .

و السائس : الرئيس : و المسوس : الرعية . و الطلقاء : هم الذين خلّي عنهم يوم فتح مكّة ، و أطلقوا و لم يسترقّوا ، و أبو سفيان و معاوية من بينهم . و ترتيب درجاتهم : في التفاضل .

[3] هيهات . . . : إستبعاد لأهليته للخوض في مثل هذا . لقد حنّ قدح ليس منها : مثل يضرب لمن يفتخر بغيره . و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها : صار يحكم من يجب أن يولّى عليه لقصوره عن مرتبة الحكم ، و عدم أهليته .

[90]

تربع أيّها الإنسان ؟ على ظلعك ، و تعرف قصور ذرعك ، و تتأخّر حيث أخّرك القدر [1] فما عليك غلبة المغلوب و لا ظفر الظّافر [2] و إنّك لذهّاب في التّيه ، روّاغ عن القصد [3] ، ألا ترى غير

[1] ألا تربع أيها الإنسان . . . : قف و إنتظر . و ضلع البعير :

غمز في مشيه . و المراد : لا تحمل على نفسك ما لا تطيق حمله . و تعرّف قصور ذرعك : الذرع : الطاقة و الوسع .

و المراد : تعرّف قصورك . و تتأخر حيث أخرك القدر : أخّر منزلتك و مرتبتك .

[2] فما عليك غلبة المغلوب . . . : لا تلحقك هزيمته و تأخره .

و لا لك ظفر الظافر : و لا يشملك مجدهم ، لبعدك عن الإثنين .

[3] و إنك لذهاب . . . : فعال للتكثير . و تاه في الأرض : ضل و ذهب متحيرا . و راغ : حاد و ذهب يمنة و يسرة في سرعة و خديعة . و قصد الطريق : استقام . و يقال : هو على قصد السبيل : إذا كان راشدا . و المراد : تترك ما يلزمك فعله ،

و تخرج الى الحديث عما لا يعنيك أمره .

مخبر لك ، و لكن بنعمة اللَّه أحدث [1] أنّ قوما استشهدوا في سبيل اللَّه من المهاجرين و الأنصار و لكلّ فضل حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل « سيّد الشّهداء » و خصّه رسول اللَّه ،

صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم ، بسبعين تكبيرة [2] عند صلاته عليه ؟ أو لا ترى أنّ قوما قطّعت أيديهم في سبيل اللَّه و لكلّ فضل حتّى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل : « الطّيّار في الجنّة [3] ، و ذو

[1] الا ترى غير مخبر لك و لكن بنعمة اللَّه أحدث : اني لا أريد اخبارك لعلمك بالأمر ، و لانك لست من أهل الحديث ،

و لكن هدفي التحدث عن نعمه جلّ جلاله عملا بقوله :

وَ أَمَّا بِنِعمَةِ رَبّكَ فحدِّث 93 : 11 .

[2] شهيدنا . . . : هو حمزة بن عبد المطلب . قيل : سيد الشهداء : القائل هو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله . و خصّه بسبعين تكبيرة : تكريما له من بين الشهداء .

[3] بواحدنا . . . : هو جعفر بن ابي طالب ، أخو الإمام عليه السلام لأمه و أبيه : قيل الطيار في الجنة : و القائل أيضا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله .

الجناحين » و لو لا ما نهى اللَّه عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ، و لا تمجّها آذان السّامعين [1] . فدع عنك من مالت به الرّميّة [2] فإنّا صنائع ربّنا و النّاس بعد صنائع لنا [3] ، لم يمنعنا قديم عزّنا و لا عاديّ

[1] تزكية المرء نفسه . . . : مدحها . و مراد الإمام عليه السلام قوله تعالى : فَلاَ تُزكُّوَا أنفُسَكُم 53 : 33 . لذكر ذاكر فضائل جمّة : كثيرة . تعرفها قلوب المؤمنين : تسلّم بصحتها . و لا تمجّها آذان السامعين : مجّ الماء من فيه :

لفظه . و المراد : لا تنكرها الاسماع .

[2] فدع عنك من مالت به الرمية : مال الى الدنيا و مالت به .

[3] فأنا صنائع ربنا . . . : خصنا بعظيم المنزلة ، وسمو المرتبة ،

و اصطفانا بتبليغ الرسالة . و كلامه عليه السلام يشابه قوله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام : وَ اصطَنَعتُكَ لِنَفسِي 20 : 41 أي اخترتك لاقامة حجتي ، و جعلتك بيني و بين خلقي . و الناس بعد ضائع لنا : بإحساننا عليهم بتبليغ الرسالة ، و اخراجهم من الضلالة .

[93]

طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء ، و لستم هناك و أنّى يكون ذلك كذلك [1] ، و منّا النّبيّ و منكم المكذّب ؟ و منّا أسد اللَّه ، و منكم أسد الأحلاف ، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّة ، و منكم صبية النّار ، و منّا خير نساء العالمين ، و منكم حمّالة الحطب ؟ في كثير ممّا لنا و عليكم [2] .

[1] لم يمنعنا قديم عزّنا . . . : و سمو منزلتنا . و لا عادي طولنا :

قديم فضلنا . ان خالطناكم بأنفسنا : الخليط : ما اختلط من صنفين أو أصناف ، و يطلق على الشريك و الصاحب و الزوج و ابن العم . فنكحنا و انكحنا : تزوجنا فيكم و زوجناكم . فعل الإكفاء : المتماثلين في القوّة و الشرف . و لستم هناك :

بالإكفاء . و أنّى يكون ذلك كذلك : و كيف نعتبركم لنا أكفاء ؟

[2] و منكم المكذّب . . . : هو أبو سفيان والد معاوية . و منا أسد اللَّه : هو حمزة بن عبد المطلب . و منكم أسد الأحلاف :

عتبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه . و المراد بالاحلاف البطون القرشية التي تحالفت على قتال النبي صلى اللَّه عليه و آله يوم بدر ، و كبيرها و عظيمها عتبة . و منا سيدا شباب أهل الجنة :

الحسن و الحسين عليهما السلام ، روى ذلك جل أهل الحديث و السير . و منكم صبية النار : و هم أبناء عقبة بن أبي معيط ، اسر يوم بدر و لما أراد النبي صلى اللَّه عليه و آله ضرب عنقه قال : يا محمد من للصبية ؟ قال : النار . و منّا خيرة نساء العالمين : هي فاطمة بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله ،

فقد أجمعت الأمة على ذلك . و منكم حمالة الحطب : أم جميل ، عمّة معاوية ، و هي المعنية بقوله تعالى وَ امرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ . في جِيدِهَا حَبلٌ مِن مَسَدٍ 111 : 5 . في كثير مما لنا و عليكم : الى مناقب لنا كثيرة ، و مساوىء لكم كثيرة .

[94]

فإسلامنا ما قد سمع و جاهليّتنا لا تدفع ،

و كتاب اللَّه يجمع لنا ما شذّ عنّا و هو قوله :

وَ أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ و قوله تعالى : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ

[95]

لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَ اللَّه وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [1] فنحن مرّة أولى بالقرابة ، و تارة أولى بالطّاعة [2] . و لمّا احتجّ المهاجرون على

[1] فإسلامنا ما قد سمع . . . : ففي بيوتنا نزل الوحي ، و نحن الذين دافعنا عنه ، و بذلنا نفوسنا دونه . و جاهليتنا لا تدفع :

لا يمكن لعربي أن ينسى فضلنا و سؤددنا ، و لو لم يكن منها إلاّ حلف الفضول لكفى به فخرا و شرفا . و كتاب اللَّه يجمع لنا ما شذّ عنا و هو قوله : وَ أُولُوا الأَرحام بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ في كتَابِ اللَّه 8 : 75 و المعنى : و ذوو الأرحام و القرابة بعضهم أحق بميراث بعض من غيرهم في حكم اللَّه . و قولهً تعالى : إنّ أولى الناس بإبراهيم 3 : 68 إن أحق الناس بنصرة ابراهيم بالحجّة أو بالمعونة للذين اتبعوه في وقته و زمانه ،

و تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره ، و علت كلمته و هذا النبي و الذين آمنوا يتولّون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق . أي هم الذين ينبغي لهم أن يقولوا : انا على دين إبراهيم ، و لهم ولايته و اللَّه ولي المؤمنين لأنه يتولى نصرتهم . و مراد الامام عليه السلام من الآية : انه الاولى و الاحق بالخلافة .

[2] فنحن مرّة أولى بالقرابة . . . : بموجب الآية الاولى . و تارة أولى بالطاعة : بموجب الآية الثانية ، فالامام سلام اللَّه عليه أوّل الناس إسلاما ، و أكثر علما ، و أشدّهم دفاعا عن الرسالة ، فهو أولى و أحق بمنصب الخلافة من غيره .

[96]

الأنصار يوم السّقيفة برسول اللَّه ، صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم ، فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم ، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم [1]

[1] و لما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله فلجوا عليهم : ظفروا بما يريدون .

و الامام عليه السلام يشير الى اجتماع الانصار بعد وفاة الرسول صلى اللَّه عليه و آله في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة منهم ، فأتاهم أبو بكر و عمر و ابو عبيدة بن الجراح و قالوا لهم : لا ترضى العرب أن تؤمركم و نبيّها من غيركم ،

و لا تمنع العرب ان تولي أمرها من كانت النبوة فيهم . . فان يكن الفلج به : الظفر . فالحق لنا دونكم : فان كان الاحتجاج صحيحا و مسلما فأنا أحق بالخلافة من أبي بكر ،

لأني ابن عمه و صهره . و ان يكن بغيره : أي بغير القرابة .

فالأنصار على دعواهم : لا يمكن دفعهم عنها ، لانهم حماة الدين ، و المدافعون عنه ، و المراد : ان أبا بكر لا يخلو من احدى اثنتين : إما أن يكون أخذ حقي ، أو أخذ حق الأنصار .

[97]

و زعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت ، و على كلّهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك .

[و تلك شكاة ظاهر عنك عارها [1

و قلت : إنّي كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع [2] ، و لعمر اللَّه لقد أردت

[1] فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك . . . :

و هي على تقدير صدقك لم تكن موّجهة اليك حتى يعتذر منها اليك . و تلك شكاة ظاهر عنك عارها : أنت بمعزل عما يلحق منها من عار .

[2] و قلت : اني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع : المخشوش : الذي جعل في أنفه خشاش و هو خشبة تدخل في أنفه البعير ليقاد بها .

[98]

أن تذمّ فمدحت ، و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا في دينه ، و لا مرتابا بيقينه [1] ، و هذه حجّتي إلى غيرك قصدها ، و لكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها [2] .

[1] و ما على المسلم من غضاضة . . . : من عيب . ان يكون مظلوما : مسلوبا حقه . و المراد : لا عيب على المسلم اذا انهدرت كرامته ، و استبيحت حرمته ، بل هي فضيلة له اذا كان الذي ارتكب منه لأجل الإسلام ، و اعلاء كلمة اللَّه سبحانه . ما لم يكن شاكا في دينه : ان العيب الذي يلحقه في الدنيا و الآخرة هو عيب الشك ، و تزلزل العقيدة . و لا مرتابا بيقينه : الارتياب : الشك . و اليقين : العلم الذي لا شك فيه . و المراد : التعريض بمعاوية .

[2] و هذه حجتي الى غيرك قصدها . . . : الحجة : الدليل و البرهان . و القصد : اتيان الشيء ، يقال : قصدته و قصدت له و قصدت اليه اذا كان راشدا . و المراد : اني اتوجّه و احتج على مظلوميتي على الذين سبق لهم ظلمي ، و غصب حقوقي . و لكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها :

اطلق : بسط . و سنح : عرض . و المراد : ذكرت لك طرفا من مظلوميتي .

[99]

ثمّ ذكرت ما كان من أمر عثمان ، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأيّنا كان أعدى له ،

و أهدى إلى مقاتله [1] ، أمن بذل له نصرته فاستقعده و استكفّه ؟ أمّن استنصره فتراخى عنه و بثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه [2] كلاّ

[1] فأينا كان أعدى له . . . : أشد عدوانا . و اهدى الى مقاتله :

الى وجوه قتله .

[2] أمن بذل له نصرته . . . : و يريد الامام عليه السلام نفسه .

قال ابن ابي الحديد : و اللَّه لقد نصر عثمان نصرا لو كان المحصور جعفر بن ابي طالب لم يبذل له إلا مثله . فاستقعده و استكفّه : طلب منه القعود و الكف عن نصرته . أمن استنصره فتراخى عنه : المراد به معاوية ، فقد كتب إليه عثمان مستصرخا مستنصرا ، و لكنه لم يحرك ساكنا . و بث المنون اليه : بثّ : فرق و نشر . و المنون : الموت . و المراد : ان سلوك معاوية و بقية الولاة ، و سوء سيرتهم ، حفّز أهل الأقطار لمداهمة المدينة و قتله . حتى أتى قدره عليه : يومه المقدّر فيه وفاته .

[100]

و اللَّه : لَقَدْ عَلِمَ اللَّه الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً [1] .

و ما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثا [2] فإن كان الذّنب إليه إرشادي و هدايتي

[1] المعوقين . . . : الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و يثبطونهم و يشغلونهم لينصرفوا عنه .

و القائلين لأخوانهم : يعني اليهود قالوا لأخوانهم المنافقين .

هلم الينا : تعالوا الينا و دعوا محمدا . و لا يأتون البأس : و لا يحضرون القتال في سبيل اللَّه . إلاّ قليلا : يخرجون رياء و سمعة ما يوهمون أنهم معكم . و مراد الامام عليه السلام :

انك كنت قاعدا عن نصرته ، مثبطا للآخرين و شاغلا لهم عن الدفاع عنه .

[2] انقم عليه . . . : انكر عليه . احداثا جمع حدث : الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد و لا معروف من السنة .

و المراد : ما كان يكلمه في الأمور التي نقمها عليه المسلمون ، و يطلب منه الرجوع عنها ، و كانت زوجته نائلة بنت الفرافصة تحثه على الأخذ بكلام الامام عليه السلام و ترك مروان بن الحكم .

[101]

له ، فربّ ملوم لا ذنب له [1] .

و قد يستفيد الظّنّة المتنصّح

وَ مَا أَرَدْتُ إِلاَّ الْإِصْلاَحَ مَا استَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْه أُنِيبُ .

و ذكرت أنّه ليس لي و لأصحابي عندك إلاّ السّيف فلقد أضحكت بعد استعبار [2] متى

[1] فرب ملوم لا ذنب له . . . : يتوجّه له اللوم و العتاب و لا ذنب له سوى الارشاد ، و تقديم النصائح . و قد يستفيد الظنة :

التهمة . و المتنصح : المبالغ في النصيحة . و المراد : قد تسرع التهمة للناصح الشفيق .

[2] فقد اضحكت . . . : الناس منك بتهديدك إيّاي ، فمثلي لا يهدد . بعد استعبار : بعد بكاء . و المراد : و ابكيت المؤمنين أيضا لما يرون من تسلطك و أنت طليق ابن طليق .

ألفيت بني عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين [1] و بالسّيف مخوّفين

لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل

[2] فسيطلبك من تطلب ، و يقرب منك ما تستبعد [3] ، و أنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين و الأنصار و التّابعين لهم بإحسان [4] ،

[1] نكل عن الأمر : نكص (رجع الى خلف) .

[2] لبث قليلا يلحق الهيجا حمل : هو حمل بن بدر القشيري ،

أغاروا على أبله في الجاهلية فلحقهم مرتجزا :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل
لا بأس بالموت اذا الموت نزل

[3] فسيطلبك من تطلب . . . : سيأتيك من تريده ، لا يكلفك اعباء المسير . و يقرب منك ما تستبعد : من وصوله اليك .

[4] و أنا مرقل . . . : مسرع . في جحفل : الجيش الكبير . من المهاجرين : هم الذين هاجروا الى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله في المدينة المنورة . و الأنصار : هم مسلمو أهل المدينة من الاوس و الخزرج و غيرهم . قال عبد الرحمن بن ابزى :

شهدنا مع علي رضي اللَّه عنه صفين في ثمانمئة ممن بايع بيعة الرضوان ، قتل منهم ثلاثة و ستون ، منهم عمار بن ياسر . و الذين اتبعوهم بإحسان : في الدخول في الإسلام ،

و اقتفاء آثارهم في الهدى و الصلاح و أعمال الخير .

شديد زحامهم ، ساطع قتامهم ، متسربلين سربال الموت أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم [1] ، قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة ، و سيوف هاشميّة [2] ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك و خالك و جدّك

[1] شديد زحامهم . . . : بيان وصف كثرتهم حتى يقع بينهم الزحام . و ساطع : منتشر . و القتام : الغبار الأسود التي تثيره حوافر خيولهم . متسربلين : متقمّصين . سرابيل الموت :

الأكفان . و المراد : وصف حبّهم للجهاد . أحب اللقاء اليهم لقاء ربهم : وصف شوقهم للشهادة .

[2] قد صحبتهم ذرية : بدرية . . . أولاد من شهد بدرا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله . و سيوف هاشمية : يحملها الهاشميون .

و أهلك وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [1] .

[1] قد عرفت مواقع نصالها . . . : النصل : حديدة الرمح و السهم في أخيك : حنظلة . و خالك : الوليد . و جدك :

عتبة ، قتلوا كفارا يوم بدر . و أهلك : و آخرين من بني أمية قتلوا في بدر و غيرها و ما هي من الظالمين ببعيد و ما تلك السيوف منك ببعيدة .

محتويات الكتاب

التسلسل الموضوع الصفحة

1 من كتاب له عليه السلام لأهل الكوفة 5

2 و من كتاب له عليه السلام اليهم بعد فتح البصرة 7

3 و من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه 8

4 و من كتاب له عليه السلام الى بعض أمراء جيشه 14

5 و من كتاب له عليه السلام الى الاشعث بن قيس و هو عامل أذربيجان 15

6 و من كتاب له عليه السلام الى معاوية 16

7 و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا 17

8 و من كتاب له عليه السلام الى جرير بن عبد اللَّه البجلي 19

9 و من كتاب له عليه السلام الى معاوية 20

10 و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا 24

11 و من وصية له عليه السلام وصّى بها جيشا بعثه للعدوّ 30

12 و من وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي 33

13 و من كتاب له عليه السلام الى أميرين من آمراء جيشه 35

14 و من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين 37

15 و كان عليه السلام يقول اذا لقي العدو محاربا 39

16 و كان عليه السلام يقول لاصحابه عند الحرب 40

17 و من كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه 42

18 و من كتاب له عليه السلام الى عبد اللّٰه بن عباس و هو عامله على البصرة 48

19 و من كتاب له عليه السلام الى بعض عماله 50

20 و من كتاب له عليه السلام الى زياد بن أبيه 52

21 و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا 53

22 و من كتاب له الى عبد اللّٰه بن العباس رحمه اللّٰه 55

23 و من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّٰه 59

24 و من وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين 62

25 و من وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات 66

26 و من عهد له عليه السلام الى بعض عماله و قد بعثه على الصدقة 72

27 و من عهد له عليه السلام الى محمد بن ابي بكر حين قلّده مصر 77

28 و من كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا و هو من محاسن الكتب 87

****